



جبل العمالة

والقيم الشوامخ في ضوء الإسلام

د. الأحمدي

أنور الجندی

جیل

العَمَالِقَةُ وَالْقِمَمُ الشَّوَامِخُ
فِي ضَوْءِ الْإِسْلَامِ

دارالاعتصام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى البحث

أن من طبيعة الفكر الإسلامي أن يعقد مقارنة بين جيل وجيل لتقييم ما طرحه الجيل السابق ووزنه بميزان الأصالة والتقدير الحقيقي الحر البعيد عن الأهواء المتحرر من الولاء والخضوع لما خضع له الجيل السابق ، وقد تتابعت في تاريخ الفكر الإسلامي عملية (إعادة النظر) وإعادة تقييم المراحل هذه ، حتى غدت مسألة طبيعية بل وضرورية لمواكبة سير الإنسانية على الطريق الصحيح إلى الغاية الأصيلة وتصفية الفكر الإسلامي في كل مرحلة من الدخائل .

ومنذ ظهرت طلائع حركة اليقظة الإسلامية بمفاهيم المنهج القرآني الأصيلة بدأت عملية إعادة النظر في كل ما كتب في مرحلة النفوذ الأجنبي والاحتواء والسيطرة الأجنبية والتبعية للفكر الغربي المسيطر من خلال مبادئ الارتساليات والابتداءات إلى البلاد الأجنبية وما حملته هؤلاء العائدون من مذاهب ونظريات وما حاولوا من خلالة إخضاع الفكر الإسلامي وتاريخ الإسلام وراثته إليه من نظريات تقوم على أساس الفلسفة المادية والانشطارية التي عرف بها الفكر الغربي وتلك قضية كبرى معروفة تحت اسم : حركة التخريب والغزو الثقافي .

واليوم ترتفع صيحة في ماسكر التخريب والغزو الثقافي تمارض هذه المراجعة وتصد هذا التقييم الذي يقوم به رواد حركة اليقظة بمفاهيم الإسلام للفكر المعاصر الذي خضع فترة النفوذ الأجنبي وجرت محاولة احتوائه وتدميره وتفريجه .

وهذه الصيحة اليوم تحمل رمزاً لأمناً خطيراً هو التساؤل عن الخطأ الذي يجري في مواجهة جيل العمالة واقسم الشوامخ ، هؤلاء الذين قدموا للأمة ذلك الفيض الدافق من البطاقات والآراء والنظريات التي تقوم عليها الآن الدراسات العربية في الأدب والشعر والفن وفي مختلف مجالات الفكر .

والحقيقة أن ما قدمته هذه المدرسة التي يسمونها تارة باسم الرواد وتارة باسم جيل العاقبة واقسم الشوامخ ، ليس إلا عصابات من الفكر الغربي انتدعت من هنا أو هناك ، و خلاصات و مترجمات لمضامين ذلك الفكر الذي سيطر على الغرب تحت اسم الفلسفة المادية ومدرسة العلوم الاجتماعية والتحليل النفسي ، وهو خلاصة ما كتب دارون و دوركايم و فرويد و سارتر و ماركس و انجار و مترجمات للقصص الجنسي والاباحي من الأدب الفرنسي ، وكان الصراع في أول الأمر قائما بين اللاتينيون و السكسون هؤلاء مع المدرسة الانجليزية (الانقاد و المازني و شكري) و أولئك مع المدرسة الفرنسية (خليل مطران و طه حسين و هيكل) .

ثم جاء الصراع الثاني بين المدرسة الليبرالية (لطفى السيد - طه حسين) و حسين فوزي و زكي نجيب محمود و من المدرسة الماركسية (سلامة موسى و حسين فوزي و مندور) ثم جاءت المدرسة الانسانية الماسونية (الهومينزم) و على رأسها لويس عوض و كل ما قدم في هذه المرحلة منذ بدأت هذه المدرسة على يد أستاذ الجيل (لطفى السيد) و حتى اليوم هو فتات موائد الغرب بشقيه ، و لم يكن هؤلاء الأدباء و الكتاب من أصحاب الأسماء الامة إلا قناطر بين الساحلين ، و لم يكن ما نقل خلال هذه الفترة سواء على لسان من قدموه على أنه فكرهم الخاص أو ما ترجموه ، لم يكن فكراً حراً خالصاً أريد به خدمة هذه الامة ، و لم يكن مقصوداً به ترسيخ الوجود الفكري الثقافي لامة تملك مفهوماً أساسياً جامداً للفكر و الحياة و المجتمع ، وإنما كان فكراً متحيزاً مقصود به تسميم قنوات الفكر الإسلامي وإفسادها و تحويل وجهة هذه الامة و تغيير ملامحها و القضاء على ذاتيتها و أعرافها الإسلامية والعربية الأصلية ، كان هذا و اضحا في كل ما نقل و ما ترجم حتى فيما أوصى به من احياء التراث الإسلامي العربي ، كان هدف ذلك كله الدعوة إلى إخراج هذه الامة من مقوماتها الأصلية و صهرها في بوتقة الفكر الغربي المادي اللحد الوثني ريبب الفكر الاغريقي القائم على علم الأصنام و دفع هذه الامة بعيداً عن طريقها الاصيل بوصفها صاحبة المنهج التجريبي الذي صنع الحضارة المعاصرة ، وصاحبة منهج المعرفة ذي الجناحين (الروح و المادة) و القائم على منهج الثوابت و المتغيرات إلى منهج إنشطارى مادي خالص ، و حتى في هذا مقال البص : انهم أخذوا المنهج العلمي

التعريب من المسلمين وأوردوا المسلمين إلى منهج أرسطو الذي رفضه المسلمون قديماً وهاجمته الحضارة المعاصرة في عصر النهضة .

اذن فالحملة الماثرة تحت عنوان خطير : (هدم الشواخ من أجل من) هي محاولة جديدة ومحاولة تنبئت دعائم هذه المؤامرة القديمة التي تكشف مخططاتها ، ومغالطة واضحة تقرر على التعميم بهدم الشواخ فمن هؤلاء الشواخ الذي جرى هدمهم ، وهل من أجل أمثال طه حسين ولويس عوض وحسين فوزي وتوفيق الحكيم وزكي نجيب محمود يطلق اسم الشواخ ، بينما حقيقة الأمر أن الشواخ هم غير هؤلاء ، لأنهم أولئك المجاهدون الصادقون الذين لا يذكركم أحد ولا يتحدث عنهم أحد ، الذين وضعوا في الظل وأُغيبت حولهم مؤامرة الصمت ، لأنهم قدموا لأنهم معطيات وافرة ودلوا أنهم على طريق الأصالة والنهضة الحقيقية .

والحقيقة التي يتجاهلها اتباع التعريب والغزو الثقافي أن الشواخ والمعالقة الحقيقيون ليسوا هؤلاء ، وإنما أولئك الذين نسيهم الناس وتجاهلهم الصحافة وجههم الإعلام ، ولماذا أثير أمر واحد منهم بتأليف كتاب عنه وقعت أمثال الدكتور سهر القلماوي تقول : من هذا ، من هو (عبد العزيز جلاويش) ذلك لأن جلاويش ليس من مدرسة لطفي السيد وكان خجماً لمخصوم الاسلام والعربية ومدافعاً عن اللغة العربية أمام المستشرقين الذين حاولوا اغتيالها في مؤتمرات الجوائز سنة ١٩٠٥ .

وكثيرون هم الشواخ الحقيقيون ، ولكن طه حسين وهؤلاء ليسوا إلا أقزام من التعريبيين غلبان المستشرقين الذين أعطاهم النفوذ الأجنبي هذه الشهرة والمكانة وظل يدافع عنهم حتى اليوم ، حماية لوجوده من خلاصه ولا يقلل لي بربك من غير طه حسين يقام له حفل سنوي يدعى إليه المستشرقون من كل مكان في أوروبا ، ولماذا لا يقام هذا التقدير لمصطفى صادق الرافعي أو رشيد رضا أو شكيب أرسلان .

الحقيقة أن هذه الحملة تحت اسم هدم الشواخ هي حملة باطلة وإلا فمن الذي هدم جمال الدين الأفغاني والمتنبي وابن خلدون في العصر الحديث ، أليسوا هم أولئك الشواخ في تقدير التعريبيين .

٢ - تقييم المحصول الذى قدمه جيل الرواد

بمیزان الإسلام

إننا إذا أعدنا النظر فى تقييم هذا المحصول الذى قدمه جيل الرواد وجدنا فيه الشيء القليل النافع الإيجابى ووجدنا أغلبه مما قد فتننا به رياح السموم ، هذه الاطروحات التى كتبها الأعلام الذين تصدروا الحياة الأدبية : ماورنهما فى مجال البحث العلمى : لقد تبين أن رسالة الدكتور طه للدكتوراه فى السربون عن ابن خلدون هى ترديد لأفكار اليهودى الحاقده على الإسلام وأعلامه (دوركايم) وأنها تنتقص هذا الرجل انتقاصا شديدا ، ونجد أطروحة منصور فهمى عن (المرأة فى التقاليد الإسلامية) وهى ترديد صاىخ لا كاذب المستشرقين واتهامهم للنبي ﷺ بأنه استثنى نفسه من قانون الزواج وهى أفكار دهاقنة اليهود ، وإذا نظرنا فى رسالة زكى مبارك عن (الأخلاق عند الغزالى) نجدتها ترديدا لا كاذب المستشرقين عن الغزالى واتهامه بأنه متأثر بالمسيحية ، فإذا راجعنا كتاب مع المنبى لطفه حسين وجدناه مأخوذا من أحقاد المستشرقين وفى مقدمتهم (بلاشبر) فإذا راجعنا كتاب على عبدالرازق عن (الإسلام وأصول الحكم) وجدناه مأخوذا بكامله من رسالة لمرجليوث ، وإذا نظرنا فى كتاب (الشعر الجاهلى) وجدناه مرددا لنظرية قدمها مرحليوث أيضا عن انتقال الشعر ىرى بها القرآن نفسه ، أما آراء سلامة موسى فقد كانت مقوله نقلا مباشرا من كتابات : داروين وفرويد وماركس ودوركايم .

أما العقاد فقد تأثر تأثرا واضحا بنظريات مقارنات الأديان فى كتابه عن (الله) وتأثر بنظريات الوراثة فى كتاباته عن الصحابة .

كان الهدف هو إخضاع الفكر الإسلامى فى مختلف جوانبه للنظرية المادية الغربية ، بدأ ذلك جرجى زيدان فى كتاباته عن الأدب العربى والتجديد الإسلامى والروايات الإسلامية ، ومنه على الطريق كل من جاء بعد ذلك ، فسكتاب

[خيانة محمد] على ما به من دفاع عن الإسلام خرج من عبادة المستشرقين وكتاب التعريب وتبنى نظريات الكاثوليكي الفرنسي (دوركاييم) وأنكر ما سوى القرآن من معجزات النبي ﷺ ، ورفض مفهوم الإسراء بالروح والجسم وتبنى عديدا من مفاهيم الفكر المسيحي الغربي .

أما الذين قدموا مفاهيم الإسلام الأصيلة فقد أبقاهم النفوذ الغربي المسيطر على الحياة الثقافية في مصر والبلاد العربية - أبقاهم في الظل فقد سبقته ولحقته كتابات هيكل عن الرسول ﷺ كتابات كثيرة : (محمد أحمد جاد المولى ، محمد مصطفى نجيب) .

ومن بعد جاء محمد الفخزالي ، محمد سعيد البوطي ، أبو الحسن الندوي ، وكثيرون ولكن هناك تركيز في دائرة الضوء على كتاب معين أو كتب بعينها وفي مختلف الميادين الفكرية والثقافية تجد التعظيم نحو تلك الأسماء السكرية الأصيلة وهناك مؤامرة الصمت قائمة أزائها وإزاء كتاباتها :

أي الفريقين أحق بأن يوصف بالشموخ والريادة وجيل العمالقة : هؤلاء أتباع التعريب وغلبان المستشرقين والذين حملوا لواء تزييف الفكر في كل مجال من مجالات حديث سيطر لطفي السيد على الدعوة العامة أو قاسم أمين لإخراج المرأة من بيوتها أم سعد زغلول لدعوة تهديم الأديرة أم طه حسين للدعوة للأدب الفرنسي أم سلامة موسى للدعوة إلى دراوون وفرويد وماركس ، أم حسين فوزي للدعوة إلى الموسيقى الصاخبة أم لويس عوض للدعوة إلى الفرعونية أم ساطع الحصري للدعوة إلى القومية العربية أم علي عبدالرازق للدعوة إلى الطهانية . . . هؤلاء أحق بأن يوصفوا بأنهم الشراخ وتقوم الأنعام لحمايتهم من كشت زيفهم أو من تعرية خبثهم ومن وضعهم في مكانهم الصحيح فلا تخدع بهم الأمة أم هؤلاء الأبرار :

جمال الدين ، محمد عبد ، محمد طفي صادق الرافعي ، رشيد رضا ، شكيب أرسلان محب الدين الخطيب ، أحمد زكي باشا ، طاهر الجزائري ، أحمد تيمور ، المولاي ، الكواكبي ، علاء العاسي ، عبدالعزيز جاويش ، البكري ، المنفلوطي ، الزيات

الشمالي ، عبدالرحمن عزام ، عبدالوهاب عزام ، عبدالحمد بن إدريس ، حسن البنا ، حسن حسني ، عبدالوهاب ، فريد وجدي ، الغلابي ، طنطاوي ، جوهرى ، عبدالوهاب خلاف وآخرون .

هؤلاء فى الحقيقة هم الذين صعدوا نهضة مصر والشرق والإسلام وخاصة فى مجال التضال الوطنى والتحرر من النفوذ الأجنبى ، هؤلاء هم الذين وضعوا قواعد البناء الفكرى الإسلامى الحديث .

ولقد ادعى لطفى السيد وسعد زغلول وطه حسين أنهم أولياء جمال الدين أو محمد عبده ، ولكن طريقهم وأسلوبهم كذب هذه الدعوة وكشف زيفها ، بل أن طه حسين نفسه أعلن خروجه على محمد عبده ، وأحمد زكى باشا ، والشيخ الخضرى أسانذته وهاجهم .

أن الحقيقة التى لا يخفى فيها الآن بعد أن ظهرت عشرات الدراسات مصححة للوقائع ، فى ضوء منهج البقطة الإسلامية ، أن هذه الأسماء الامة التى ماتزال تتردد ، إنما يراد بها أن تحب تلك الأسماء الساطعة ، وهى فى الحقيقة لم تصنع تلك النهضة ، وإنما صنعها أولئك الأبرار ووضعوا لها القواعد ، هذه الأسماء المجهلة فى ميزان الشهرة الماصرة الكاذبة التى يوقد نارها التغريب والاستشراق ، أولئك المخلصون الصادقون فإن أحدا لم يذكرهم اليوم ، أما هؤلاء الذين خدعوا الناس بأن حملوا لواء قيادة الفكر فإنهم لا يمكن وصفهم بالريادة ولا بالبطولة ولا بالقيادة لأن عوامل ذلك كله تنقسمهم وأبرز عوامل قبول الأمة لهم وإيمانها بصدقهم وثقتهم فيهم ، أنهم لم يكسبوا شهرتهم نتيجة خصوبة فكرهم أو صدق إيمانهم وإنما لأنهم عملوا فى مجال السياسة والحزبية والمخافة يوما بعد يوم ، فى ذلك الزكام المضطرب الناصب من الصراع الحزبى والجدل السياسى والمجاهد المرير فأعطاهم هذا كله : ذلك البريق وتلك الشهرة ، واستطاعوا أن يركبوا كل مركبة فلبا جاءت مركبة الإسلام ركبوها ظنا منهم أن يسيطروا عليها ودفنوا من سادتهم لئلا يحولوا وجهتهم .

هذا ما أعطاهم الشهرة (وهى ليست مقياسا حقيقيا للبطولة) أما جهدهم الحقيقى فى مجال بناء النهضة فهو قليل بل هم الموقنين لها الذين شقوا جبهتها الموحدة ،

وأما هؤلاء الاميون لم تكن كتاباتهم في الأدب والفكر تساوى واحداً من مائة من كتاباتهم السياسية والحزبية المنسوبة بأدنى ألوان الجدل والهجم ، ولم تكن تساوى واحداً من ألب من كتابات ذوى الأصالة والثقافة والنتاج الجيد وأصحاب الأفلام الموجهة لخدمة كلمة الله الداعية لأن تكون كلمة الله هي العليا .
ولكن السياسة والحزبية والنفوذ التغربي هو الذى أعطاهم لمعان الأصم حتى جاء اليوم الذين يسمون فيه بالقلم الشواخ .

أن أسماء كبيرة هي التي أعطت النهضة الإسلامية دفعتها القوية من علماء ومن كتاب يمثلون الأصالة الحققة ، وليس أولئك المغربون هم الذين قاموا بهذا الدور ، ونحن لا ننكر أنهم شاركوا فيه بجهد ضئيل (ولكن ماقدموه وحسن يوماً بأنه أشبه بالخروب : حشيش كثير وسكر قليل) وكانت لهم أخطاء وانحرافات ووقليل منهم من صدق الله النية في العودة إلى الحق ، ذلك أنهم كانوا غربيين بحسب الثقافة الأولى التي كونتهم ولذلك كان دخولهم إلى فهم الإسلام ليس نقياً نقاء الكامل بل كانت تختلط به شواهد الفكر المادى وتراكمات المفاهيم الاغريقية والرومانية والسياسية المسيطرة على نتاج الفكر الغربى كله . ولأنهم بدأوا كتاباتهم الإسلامية بمناهج الغرب - كانوا كالشترفين - أعجز عن فهم مناهج الإسلام فتخطوا وأخطأوا ، ونقلوا عن كتب التبشير وكتب الاستشراق وعجزوا عن الأصالة الحققة .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : أن طه حسين والبقاد لا ينتميان أصلاً إلى المدرسة الإسلامية من الناحية الفكرية ، ولكنهما ينتميان منذ نشأتها الأولى إلى (المدرسة الليبرالية) المتحررة التي تعتبر (الطغى السيد) أستاذها الأول في جيلهما ، والمدرسة الليبرالية تتحكم العقل المجرد والمتحرر من كل الموارث الفكرية والسلوكية ، في كل شئ ، ولا تبالى أن تلتقي مع الدين في كل وجهات النظر أو بعضها أو تتعارض معه وتخالفه ، ولكن طه حسين كان أكثر عنفاً وأكثر جرأة في معارضة الدين ، وفي المجاهرة بما يثير الناس ليلفت إلى نفسه الانظار ، لقد هاجم طه حسين أباه فيما كان يتلوه من أوراد في أعقاب الصلاة وفي الليل (في كتاب الأيام) غير أن طه حسين والبقاد قد اكتسبتهما الموجة الإسلامية العارمة فتأملت كتبهما بعد

أن أصبح ذلك هو البذخ الشائع الذي يفسد الأسواق ، ولم يعد التثديق بالكفر ونظراته المستوردة سمة من سمات المفكرين ، تستهوى الاغرار من الشباب كما كان في العشرينات . ويرجع هذا الانقلاب الفكري إلى عدة عوامل عدلت بالناس وبكثير من المفكرين عن طريق احتذاء الحضارة الغربية والفكر الغربي وردتهم إلى طريق الإسلام منها ، موجة التصبر وهجرة اليهود إلى فلسطين وسقوط الخلافة على يد الكالين ، وظهور جماعات إسلامية عظيمة .

أن هناك قاعدة أساسية ينبغي أن توضح في الحسبان حين يوزن الأدباء والمفكرون من وجهة النظر الإسلامية ، وهي أن الإسلام نظرية في السلوك يمثل ما أنه نظرية في المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامي أو أدب إسلامي من مفكر أو أديب لا يمارس الإسلام ولا يلتزم به ومعروف أن طه حسين والعقاد لم يكونا تمارسين الإسلام في أصوله الأصلية .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن كتاب مصر هؤلاء : الشواخ الرواد ، لم يحاربوا الاستعمار ولا الاستبداد ، وإنما حاربوا خصومهم السياسيين ، وكانوا يفرقون بفرقة واضحة بين موقف سياسي مع الاستعمار البريطاني وبين إيمان غامر بالثقافة الغربية والديمقراطية الغربية والليبرالية الغربية كنهج حياة ، ففي نفس الوقت فإن الذين كانوا يطالبون فيه بالحرية والاستقلال كانوا يؤمنون بعظمة الحضارة الغربية والمنهج الديمقراطي كأساس للحكم ، فهم أولاً في شهرة صنعتها السياسة والحزبية ولم يصنعها الفكر ، وكانوا خصوماً ظاهرين للنموذج الأجنبي وأصدقاء للفكر الغربي .

أولاً : كان كتاب الأحزاب والسياسية (وهم صفوة الشواخ والرواد) مسلمين الانجليز غير ممارسين لهم بل كانوا يقبلون بالتناهم معهم وهذا منطق مدرسة سعد زغلول المعارضة لمدرسة مصطفى كامل .

ثانياً : كان كتاب مصر وأبرزهم في صف حزب الأغلبية المعارضة للوطنية القومية (حزب الأحرار الدستوريين) لطفي السيد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وإبراهيم المازني وعلى عبدالرازق ومحمود عزمي ومنصور فهمي .

مثالنا : كان كتاب مصر في هذه الفترة يعارضون النفوذ الانجليزى السياسى برفق شديد من داخل دائرة التفاهم معه ، ولكن كانوا في نفس الوقت يقبلون أنظمة الغرب الليبرالية الرأسمالية بكل ماتمثل من إقطاع وسخره وسيطره ويؤيدونها ، بل كانوا يقبلون مذاهب الغرب في النقد والشعر ويتصدون للدفاع عنها رحل لرائها وقد حمل العقاد والمازنى لواء الدعوة إلى المدرسة الانجليزية في النقد (هازلت وغيره .

رابعاً : خدع كتاب مصر في عدد من الشخصيات الموصومة :

١ - خدعوا في (ماكس نوردو) اليهودى خليفة هر تزل وكرموه وكتبوا عنه فصولاً مطولة تقديراً وإعزازاً .

٢ - خدعوا في عباس البهاء قائد المذهب البهاى وحصلوا به ودعوا إلى نحلته (العقاد ، اسماعيل مظهر) دون أن تتبينوا أخطارها وسموها .

خامساً : كشفوا عن مفهوم التحلل وإعلاء شأن الجنس في الأدب سواء عن طريق ترجمة القمصن الغربى المكشوف كما فعل طه حسين أو عن طريق القبول به كذهب في الحياة كما فعل غيره .

ولقد أشار الأستاذ المازنى إلى هذا فقال في كتابه قبض الزيج ص ٦٣ وما بعدها : ولقد لفتنى في الدكتور طه في كتابيه (حديث الأربعاء) وهو مما وضع (قصص تمثيلية) وهى ملخصة : « إن له ولما يتعقب الزناة والعشاق والفجرة والزناقة » .

كما أشار الأستاذ الضراوى إلى أسلوب الإباحة والكشف والواضح في كتابات هذا العصر (مقالته في الحركة بين الرافعى والعقاد) [الرسالة مجلد ١٩٢٧] ونحن حين نكشف هنا وفي كثير من دراسات سابقة عن حقيقة هؤلاء ، لانسندق إلا كمين فساد هذا التيار الوافد وخطره ، وقد اظلم طه حسين مكشوفاً لحيله أكثر من أربعمائة سنة ولم يغلب عليه طابع القداسة الكاذب إلا بعد أن مات الرافعى والعقاد وزكى مبارك ومحج الدين الخطيب وكل الذين كانوا يعرفون خبيثته وهدفه أن الذين يكتبون ليذنبوا عن التعريبيين تحت أسماء كثيرة كالشواخ والرواد

لا يخذعون أحداً ، مهما أفسدت لهم الصحف الكبرى الصفحات ومهما أفسحوا
لأنفسهم أسلوب المغالطة والتعديلات فإنهم إنما يدافعون في الحقيقة عن شواخص
الهيمنة ودعاة الخروج من الذاتية الحرة الإسلامية أمثال سلامة موسى وطه حسين
وقاسم أمين وهدي شعراوي ولويس عوض وساطع الحصري وتوفيق الحكيم
ولكنهم يتحذرون وراء عناوين مضحكة ويضمون أسماء أخرى ليست مهمة في
الحقيقة وإن كان منهم من ليس سلبياً تماماً ، إنها المراوغة ، التي يجيدها هؤلاء
التخريبيون الصغار في الدفاع عن وجودهم وهم يرون هذا البرج الذي بنوه على
الرمال على وشك السقوط فوق رموسهم ، وإذا كانوا هم لا يؤمنون بقداستشيء
حتى الدين المنزل نفسه فلماذا يحاولون أن يحيطوا هؤلاء بقداستشيء ويصادرون الرأي
عندهم ويمنعون منافسة أفكارهم الزائفة التي خدعت الناس طويلاً قبل أن يستيقظوا
وفهموا الحقيقة وتتكشف لهم المؤامرة التي كانوا يقودونها والتي خدعوا بها الأمة
سنوات قبل أن ترفع عن عينها الغشاوة .

وقد أعجبتني عبارة للدكتور عبد السبور مرزوق في هذه المحادثة وذلك قوله :
« ان ضرب أسوار القداست حول الكبار أخطأوا أم أصابوا إنما هما خيانة
فمكرية للأمة بأسرها وتزييف لهالات التقديس التي يحاطون بها من حملة القمام أو
خشاء الطرابا وهذا ما يؤدي حتماً إلى إعادة فتح الملفات فور زوال العمى عن البصائر
ومجرد انحسار هالات المجد التي كان يعيشها الكبار من قبل ، »

ومن حقنا أن نتساءل مع الدكتور عبد العزيز حمودة :

ما هو القياس الحقيقي للثبوت : أليست الأمانة للوطن والأمة والأصالة وعدم
التبعية ، فغالباً يكون موقف هؤلاء إذا طبقنا عليها هذه القاعدة :

لماذا يخاف الدكتور زكي نجيب محمود ويهاجم في ذعر بالغ هذه المحاولة لإعادة
تقييم العصر وتراثه ، ان الشواخص الحقيقية لا خوف عليهم وإنما الخوف على
المضللين الذين سيستقنون لأول وهلة ، والذين كتمتهم الأحداث والحقائق ،
عند عودة الميزان الحقيقي لوزن الرواد والشواخص في ضوء الإسلام ، إن أغلظ

الشوامخ في الحقيقة مجهولون ومتكرون ومتحدون عن دائرة الضوء ، وأغلب الذين يلبعون هم المتساقون .

وإذا جاء توفيق الحكيم اليوم لينتكر ما قدم بعد الثلاثيات ، فنحن نقول له : وماذا قدم الجليل المسمى بالرواد غير أنهم كانوا قناطر للفكر الغربي وتابعين للفلسفات معجبون بدعاة الفلسفة المادية والولاء العقلي والنفسى للحضارة التبرية وقد صدق توفيق الحكيم في مقولته التي أذاعها في آخر حديث له (يوليو ١٩٨٤) حين قال : إن كل أعمالى التي تعبت العمر فيها لا قيمة لها ، ولقد ضيعت حياتى في كتب كان يخيل لى أن لها قيمة ، ربما فى الثلاثينيات والأربعينيات أما الآن فلا أظن .

وهذا القول ينطبق على كل الرواد واقدم الشوامخ ، إنهم كانوا يعيشون لحظة بالحدة ، وينتقلون من مائدة إلى مائدة ويعلمون أن ما ينقلون عمل خالد وهو ليس إلا هباء ، فما كانت هذه الأمة فى حاجة إلى كل هذا ، الذى يهرأه ، تم عادت فاكشفت أنه شىء زائف له بريق خادع ، انه هو الذى أوردها موارد النكسة والهزيمة فاستيقظت لتعرف أن لها فكراً أصيلاً طالما جهلوه وغضوا من قدره وهو يتميز بالأصالة والقطرة الربانية حتى جاء الغبراء ليقولوا للنسبين : إن لديكم كنوزاً ، قالها رجال اتقانون إزاء الشريعة الإسلامية وقالها جارودى وبوكاى وغيرهم ممن استوعبوا الفكر الغربى وكانوا من صانعيه ، إن كل قولة لهؤلاء هى بمثابة سهام بحماة بالنار تقذف فى عيون التبريديين وشواخهم لأن أصحاب الحضارة الغربية أنفسهم اليوم هم الذين يعترفون بأن ما كتبته هؤلاء ونقلوه هو حصاد الهيم وقبض الريح .

إن الدكتور زكى نجيب محمود إنما يدافع عن وجوده فهو لا يستطيع أن يقدم نفسه إلا فى إطار طه حسين والنقاد وسلامة موسى ، لأنه ليس شيئاً مستقلاً ، لقد عاش حياته كلها فى التبريديين الوضعية المنطقية ودعوه خرافة الميتافيزيقا (أى خرافة الغيب) ولا رأى إزرار الناس عنه وجنائف أساوبه ، عاد يخدع بالحديث عن عن الإسلام وليكن كتاباته عن الألوهية كشفت عن أنه يؤمن بوحدة الوجود

والخول على حد تصويره الذى أورده فى حديث آخر ساعة (يونيو ١٩٨٤)
وهو نفس التصور الذى يؤمن به ميخائيل نعيمة والباطنية .

ونرى عاطف العراق يصل إلى القول بأن التأثير بالمستشرقين هو ظاهر محمية
وأن كل مفكر لابد أن يتأثر بالسابقين ولماذا يتأثر برنيان ولا يتأثر بالغزالي
وما هو التتوير العقل الذى نادى به طه حسين : أليس هو حرية عرض المذاهب
الملحدة والأباحية ، إن ما قدمه طه حسين لنا من سموم الاستشراق قد رفضته
القطرة الإسلامية العربية لأنها وجدته معارضا لطبيعتها المؤمنة بالله تبارك وتعالى .

إن قصة الأخذ من الغرب لأن الغرب أخذ منا قصة أشبه بالمؤامرة ، فنحن
نعرف كيف أخذ العرب العلوم ولم يأخذ العقائد ونحن الآن يشترط علينا أن
نأخذ الفكر قبل العلوم ، إن طه حسين لم يأخذ من المفكرين الغربيين الاصلاح
ولكنه أخذ من المسيحيين اليهود الذين كانوا يهدون الطريق لمفهوم تقليم
فى المشرق الإسلامى ، إن حركة البقطة الإسلامية استطاعت أن تكشف المؤامرة :

لقد كشف الشيخ مصطفى صبرى أخطاء كتاب السيرة العصرية فى شأن
مهمجات النبى :

وفى مقدمتهم هيكل وكشف مصطفى عبد الرازق وتلاميذه (على سامى النشار)
عن أحالة الإسلام وكشف مالك بن نبي مخططات التغريب وكشف الخالدي
وعمر فروخ مخططات التبشير وكشف الأستاذ محمود محمد شاكر عن دخائل لويس
عوض وكشف الدكتور محمد محمد حسين عن كتب الغرب ، وكشف محب الدين
الخطيب عن خطط الفارة على العالم الإسلامى وكشفت الدكتور نفوسة زكريا
سميد مؤامرة العامية على الفصحى وكشف كيرون خديعة طه حسين ولويس
عوض وزكى نجيب محمود وتوفيق الحكيم ودعا فتحي رضوان منذ عشرين عاما
إلى إعادة تقييم ما كتبه هذا الجيل الرائد .

٣ - إعادة تقييم ما كتبه هذا الجيل الرائد

ما قيمة ما كتبه الجيل الرائد (يقول الأستاذ فتحي رضوان) :
أول ما يستوقف النظر في إنتاج هؤلاء الكتاب أنه كان جزئياً لا يتكامل
لم يجرؤ أحدهم في الغالب على إخراج كتاب إلا بعد أن تقدم العمر وطال عملهم
في الكتابة والصحافة المطال ان ما أخرجه في النصف الأول من حياتهم
مى مجرد مجموعات تضم مقالاتهم (في أوقات الفراغ لهيكل) يقابله عن العقاد
(مطالعات في الكتب الحية ، ساعات بين الكتب ، مراجعات في الآداب والفنون
وعند (المازني) حصائد النسيم وفيض الريح وصدوق الدنيا وعند سلامة موسى
مختارات سلامة موسى) .

لم يكن تأليف الكتب بطريق تجميع مقالات متفرقة مجرد مرحلة من مراحل
الحياة الفكرية لهؤلاء الكتاب بل كان ذلك صفة من صفاتهم العقلية تكشف عن
طبيعتهم تكوينهم وعن حدود قدراتهم ومواهبهم فقد كانوا منذ البداية عاجزين
عن أن يكون لهم نظرة شاملة لشيء من الأشياء السياسية أو الأدبية أو الحياة ، كان
الامر عندهم تنقلا بين الشخصيات والأفكار والكتب ، وكان ما يصدر عنهم
انطباعات سريعة من قراءات لا تستولى عليهم ، ولا تملأ حياتهم ولا وجدانهم ،
ولنما أقصى ما تستطيع هذه القراءات أن تدخل إلى نوسانهم تشوّه الإعجاب
بفكره أو بشخص ، ولكنها لا تلبث أن تنطفئ لتحل محلها إعجاب بفكرة أخرى
وشخصية تالية .

فهيكال الذي ألف كتاب عن (روسو) من جزئين لا يكاد يذكر روسو
فيما كتب بعد ذلك وكأنه لم يقرأ له أو يقرأ عنه ، دع عنك أنه ألف كتابا طويلا
عن حياته وأفكاره ، والمقالات التي تقرأها في كتب العقاد أو المازني عن نيته
ودوركايم وغيرهما أشبه بشيء بقاعات في متحف حور ، نند فيها لتأني كل الغد في
في حياذ يفق من جميع على بعد واحد تقريباً .

ولذلك إذا فرغت من قراءة ما كتبه العقاد والمازني وهيكمل فعلا ، لا تعرف بالضبط ما الذي يريد أي منهم ، ثم لا تعرف الفارق بين واحد منهم والآخر ، فيما عدا القوارق المادية من حيث الوضوح أو الغموض ، أو الجزالة الأسلوب ورخاوته ، فإنهم في واقع الأمر أبناء مدرسة واحدة ،^١ وقد انتقلوا جميعاً إلى التاريخ للإسلام ، والدفاع عنه ، وختموا حياتهم الفكرية بهذا الطور كأنهم كانوا جميعاً على موعد في كل خطوة يخطونها ، ويسوغ لك أن تتسامل بعد أن تقرأ كتب العقاد عن عقريات محمد وعمر وأبو بكر الصديق والصديقة بنت الصديق والإمام علي والحسين وعن الإسلام بين حقائقه وأباطيل خصومه ، وكتب هيكل عن محمد وأبي بكر وعمر ومنزل الوحي ، وكتب غيرهم ممن ينسبون إلى نفس العصور ونفس المدرسة عن الإسلام ، لك أن تتسامل بعد أن تفرغ من قراءة هذه الكتب الكثيرة ما انفارق بين هيكل والعقاد وغيرهما حينما لم يكونوا يذكرون القرآن إلا نادراً وهيكل والعقاد وزملائهم حينما وجها جهدهم الأدبي ووقفوا دراساتهم أو كادوا على الإسلام وأبطاله وأحكامه ، ومواقع معاركة دائرة في الفكر الإنساني ، وقد لا يروك أن تعلم أنه لا شيء مطلقاً أو لا شيء تقريباً ، فكما كنا يؤلفان في الماضي عن روسو وجيته ويكون ، كتبنا وكما كنا يكتبان مقالات عن فرانس ونيتشه وعن الفلسفة الغربية وعن زعماء الفكر الأوربي ، يكتبون الآن كتباً عن الإسلام ونبية وصحابة رسوله ، وعن أثره وفلسفته ، فما من شيء في حياتهما تغير بتغير موضوع دراستهما وكتابتهما وما من شيء تأثر في أسلوب تفكيرهما ، وكان من الطبيعي وقد بلغ الإعجاب عندهما بالإسلام إلى هذا الحد الكبير أن ينعكس على مسلكهم في الحياة العامة وعلى تفكيرهم السياسي وهم رجال سياسة وصحافة^(١) ، هذا أقدر من الإعجاب والكتك لا ترى له أمراً ، وليس هذا إلا مظهراً كاشفاً عن موقف كتاب هذا الجيل كله ، فالكتابة

(١) يؤيده ذلك أنه بعد أن تولى هيكل وزارة المعارف وقد ألف كتاب محمد وكانت له آراء في التخريب وأثره في المدرسة والتربية فلم يعمل بها

عندهم لم تكن معاناة روحية ولم تكن إعلاناً عن إيمان وعقيدة ، ولا ارتباط وتصميم .

بدأ هؤلاء الشبان حياتهم الفكرية وهم يتمتعون أن يكونوا طليعة فكر (علماني) لاديني ، طليعة حرة ، لمدرسة من الأحرار لا تخيفهم التقاليد الموروثة ولا القيم التي أسيغ عليها الخوف والسكسل والتراخي العقلي والوجداني هالات قداسة لا تستحقها بل لعلمهم تاقفوا إلى الذهاب إلى أكثر من ذلك بالدعوة إلى التحرر من الدين كله أو الإقلال من شأنه ، ولكنهم لم يجرؤوا في البداية على التصريح بشيء من هذا ، وتركوا للجمهور أن يستنتج من مسلكهم العام أنهم لادينون وأنهم يريدون أن يخلقوا حركة فكرية لتهاب عمامة الشيوخ ولا الخرافات الشائعة بين الناس^{١١} وأن يقتحموا قلاع الرجعية الفكرية فإذا فعلوا ، كان أقصى ما استطاعوا أن يفعلوه أن يذكروا اسم الرسول مجرداً من لقب (سيدنا) وألا يتبعوه بالصلاة عليه ، فسيدنا محمد هو عندهم (محمد) كما أن سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر ليسا سوى أبي بكر وعمر وقنعوا بهذا وكفى الله المؤمنين القتال .

أما ما هم به طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) من الدعوة إلى استبعاد القرآن كرجع تاريخي ، عند تحقيق العصور التي تعرض لها في آياته فقد حذفه من كتابه في الأدب الجاهلي ، وأثر المافية ، وقد نهج نفس المنهج (على عبدالرازق) حينما أصدر كتابه (الإسلام وأصول الحكم) والذي قال فيه أن الخلافة لم تكن أصلاً من أصول العقيدة الإسلامية ولا عنصراً من عناصر رسالة الرسول ﷺ وأن القرآن والسنة لم يبيناً أصول الحكم ، فقد عزل من القضاء فكان كتابه هذا بيضة الديك وأمسك عن القول في الإسلام والخلافة .

ثانياً : موقف هذه الجماعة من الاحتلال والملكية .

هذه الجماعة التي أرادت أن توهبنا أنها متوثبة وتحررة أن تقف موقفنا

١١) وأيد ذلك دفاع المقاد من طه حسين ، ومجموع الدناد على لفتي ال بدني لؤان الحركة السياسية ثم لا تطاوا تحت لواء فكره بعد أن وصل بهم اللغة

لا هوادة فيه من عدوين خطيرين : الاحتلال والمسيكية فإذا كان موقفهما منهما ، كان العقاد أول الأمر أعنف في مخاطبة الانجليز وفي محاسبة الملك ، فكان محاسبة الانجليز تأتي عادة في المرتبة الثانية بعد العراك مع خصوم الوند وخصوم سعد بل أن محاسبة الانجليز والتصدي له كان فرعاً عن محاسبة عدلى ، فالانجليز ليسوا مكروهين لذاتهم ، بل مكروهين لأنهم يستبدون عدلى ، وهم في الواقع يدارلون الحكيم بين سعد وعدلى .

أما هيكل فكان يحكم كونه المتحدث باسم (الأحرار الدستوريين) أضعف صوتاً في محاسبة الانجليز وإن لم يتورط فقط في اثناء عليهم .

ولكن ماذا انتهى هذا الجيل من المفكرين في شأن الانجليز والملك لقد هدأت المعركة مع الانجليز فقد استحال النضال الوطنى حرباً أهلية بين الأحزاب يصيب الانجليز خلالها بعض الرشاش ، ولكن السهام والحرب والقذائف وجهت إلى الخصوم في الداخل ولذلك هبطت الوطنية المصرية إلى مستوى كان له أسوأ الأثر على الفكر .

لم يكن الناس يسمعون ولا يرون شيئاً يثير طموحهم الروحي ، ولا يحرك عواطفهم إلى مثل أعلى ، ولا يقودهم إلى تضحية نبيلة ، أو مغامرة جلييلة ، كان الصراع تأفها وحبليلاً ، وكانت أسلحة ضعيفة وصغيرة ، وكان كل ما يكتب مكرراً ومماذا فلم يؤثر في كتابتنا جميعاً في هذه المرحلة كلام يستحق أن يخلد ، كب العقاد وهيكل والمازني وعزى آلاف بل عشرات الآلاف من المقالات السياسية الحزبية فلم يبق منها شيء معلقاً ، بل أن العقاد شكك لي يوماً في بنية عصر الجديده أنه يشعر بأن ما يكتبه كأنما يلقى به في بئر ولذلك لم يكن غريباً ألا يرسم في الذهن صورة المناضل العنيد للانجليز إذا ما ذكر اسم واحد من كتاب العصر الذي تؤرخ له

قال كل منهم كلاماً حاداً أو ليناً ، متصلاً أو متقطعاً ضد الانجليز حسب مقتضيات ظروف الساعة ، فلما انقضت تلك الظروف لم يبق في الذهن أثر إذا لم تكن محاسبة الانجليز وإجلاؤهم عن البلاد شغلاً شاملاً لواحد من كبار كتابتنا بل

أن العقاد خلال الحرب كان يذيع من الاذاعة المصرية لصالح الحلفاء وتوج جهوده بإصدار كتاب عن (هتلر) فلما قرئت جيوش الألمان من الاممكتندرية هاجر إلى السودان .

ولما فسد الملك وفسدت بطانته وتوالت الفضائح لم نسمع لكبار كتابنا شيئا ذا قيمة في هذه السكائرة القومية ، وكان من المنتظر من العقاد الذى بدأ حياته متمرا يتوئب لمنازلة الملك ويهدد بتعطيم رأسه إن هو فسكر فى المساس بالدستور أن يقود حملة ضد الملك فاروق فلم يفعل بل أن الحملة بدأها غيره وحمى وطيسها والعقاد لاصوت له فيها وكبار كتابها لا يساهمون بقليل أو كثير بل أن بعض كتابنا ضفروا أكاليل الغار فوق رأس الملك فاروق وأحرقوا بين يديه البخور ، الأمر الذى يسجل كيف أفلس هذا العصر إفلاسا مروعا .

ولذلك أصبح من الهين أن يجتمع كبار الكتاب فى معسكر واحد ، فقد كانوا جميعا ينتهروا إلى مدرسة واحدة هى مدرسة حزب الأمة ، ثم باعد بينهم حينما تنافس على الحكم ثم عادوا كما كانوا .

٤ - محاولة تغيير الهوية والالتواء والعرف الاسلامى

هذه تجربة الأستاذ فتحى رضوان أضعا بين يدى اقراء دليلًا كاشفا على وائع قضية جيل الرواد والقمم الشواخ وهى صيحة مدوية لم يهدأ أوارها فإذا أضفنا إليها صيحة الأستاذ محمود محمد شاكر وجدنا أن الموقف يأخذ طابعا لاسييل إلى التشكيك فيه .

يقول الأستاذ شاكر تحت عنوان : طه حسين هدمنى ونسفنى منذ خمسين سنة

(جريدة الاخبار ١٩٨٤/١/٤) :

منذ أن تلورت فى ذهنى اقضية اتى صرت أحارب من أجلها وهى أن حياتنا الأدبية والثقافية والفكرية عامة قد بذرت منها بذور من العبث والاستخفاف والتعالم . ومع ذلك فإن الذى رأيته فى شبابى أفضل مما أنا فيه الآن ، لأن الادهور

الثقافية في نزول لافي صعود وربما يسوء أبناء هذا الجيل أن يقال هذا ، ولكن هذه هي الحقيقة ، وليس معنى هذا أنني متشائم ، لقد بدأ الصراع منذ أيام طه حسين وكان طه حسين يهدم نفسه هدمًا وينسف أدبي نسفًا ، لقد توصلت إلى حقيقة تشك الدكتور طه في الشعر الجاهلي وهي أنه اقتبس مقالة المستشرق الاعجمي مرجليوث وادعى أنه امتلك ما اقتبسه ، ثم كان ماهر أبشع من هذا فقد كان من أساتذتنا منشرفان آق بهما طه حسين من إيطاليا أولهما « نليزو » ثم « جويدي » الصخير وكان أمرهما عجبا فهما يلمان يقينا أن محصل ما يقوله طه حسين إنما هو ما كتبه مرجليوث ولكنهما كانا معي شديدي المراوغة وكل ما كنت أظفر به منهما هو مطالبتي بتعظيم الدكتور طه وتوقيره بحق الاستاذية ثم استدراجي إلى تيه الألفاظ الغامضة ، البحث العلمي والأدبي ، وعالمية الثقافة ، وما شاب ذلك من ألفاظ التخريب فكنت امتنع عن التسليم لهما ، وهذا ما زاد الأمر إشاعة في نفسي وسقطت هبة الاستاذية ، ولم أبال بما أنا مقدم عليه من مفارقة بلادى وأهلى ومن هجر الدراسة الجامعية أيضا غير مبال ولا آسف ، صارت قضيتي هي قضية طلب اليقين فأحسست وأنا والجيل الذي أنا منه - وهو جيل المدارس المصرية - قد تم تفريقنا يكاد يكون كاملا من ماضينا كله ، من علومه وأدابه وفنونه ، وفي ظل هذا التفريع وهذا التمزيق وهذه الكثرة التي تخرج مفرغه أو شبه مفرغة إلى (البعثات) وهذا التحول الاجتماعي والثقافي المضطرب ، انتعشت الحياة الادبية والثقافية انتعاشا غير واضح المعالم ولكن يقوم على أصل واحد في جوهره وهو ملء الفراغ بما يتناسب أديبا وفنونا غازية ، المسرح مثلا : كان له شأن أى شأن يعتد اعتمادا واضحا على المسرح الاوربي في تكوينه كله وأيسر سبيل كان إلى امداده بمادته هو السطو على مؤلفات المسرح الاوربي مسلوخة يعاد تكوينها بألفاظ عربية أو عامية دون أى إشارة إلى هذه السطو وكانوا يسمون هذا حياء وفكرا : «التصير» . واقصة أيضا كانت ضربا من السطو والتقليد هذه خطوط من صورته لجانب من الحركة الادبية والثقافية في ذلك العهد وأكثرها باق إلى يومنا هذا ومقبول أيضا بلا استبشاع له ، لقد شهد طه حسين نفسه بهذا من موقع الاستاذية وقلته أنا من موقعي بين أفراد جيل الذي أتمنى إليه وهو جيل المدارس المفرغ من كل أصول ثقافة أمته ، ولم يتعصب

أحد لوصف هذا التدمير الذى يشترك فى جريمته مثقفون كثيرون فى الأدب وفى الاجتماع وفى الفلسفة وفى الفن كله، من مسرح سينما وموسيقى وغيرها وكل منهم كما يقول المذكور طه حسين : « ينفت السمع ويفسد العقول ويمسح فى نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة التجديد » وقد زاد الأمر فلم يبق مقتصرأ على التطليم والكتابة والتأليف بل دخل كل بيت دخولا مفرعا عن طريق الإذاعة والتليفزيون . كنت من أكثر الناس تعلقا بإنشاء المجمع (مجمع اللغة العربية ١٩٣٤) ولكنى أصبحت ياحباط عندما رأسه أحمد لطفى السيد فهو فى رأى ليس إلا (كرافته ودبوس) وهذا الرجل شديد انتافض ، ينبغى أن يعاد درسه ، لأنه هو الرجل الذى كان يطالب بإحياء العربية باستعمال العامية .

هناك من يرى أن تراثنا العربى ماهو إلا فن (أرابيسك) وأنه مجرد حفريات قديمة وهذه دعوة يروج لها المستشرقون وأعداء اللغة ، أن التراث بمعناه الحقيقى هو الانتماء ، ولا أكون موجودا إلا به ، والذين يريدون فصلنا عن تراثنا لا يحجبون التراث ولا اللغة العربية ولا العقل العربى وينظرون إلى التراث (الذى هو الانتماء) على أنه تحف ويبدو أن الدكتور زكى نجيب محمود ممن يحتنون هذه الرؤية . أن كتابنا لا يقدمون شيئا مفيدا لمجتمعهم ولا لقضايا مجتمعهم ، ولو كانوا يسرون فى طريق صحيح لكان لهم شأن آخر ، صحيح أنهم يجتهدون ، ولهم مجوداتهم ولكنهم ضلعية وباهتة ، فعندما أنظر إلى الوجود الحقيقى لطله حسين أو توفيق الحكيم أو نجيب محفوظ أو إحسان عبدالقدوس أراه وجودا ليس مفيدا لقضايا مجتمعنا ومشاكل وطننا .

أن الثقافة العربية فى الانكسار عام أمام الغزو الغربى وليس لدينا مثقفون بل أسماء ثقافية ، هذا الانكسار الذى يشكل ، تلك الثقافة التى حطمتها الغرب بعد أن هزموا تركيا واتجهوا إلى هذه الأمة لأنها تملك لغة الإسلام فسيحوا للتريق المنطقة أيضا ، فقد اختلفت المفاهيم وساء استخدام اللغة ، وأصبحت الالفاظ غير محددة ، حتى مفاهيم الثقافة والازدهار والانعقاد باتت كلها غير واضحة ، مايسمونه بفترة ازدهام ثقافى مصرى كان فى حقيقته مظاهر ارتباط بالحياة السياسية فى مصر خلال

الستينيات ، فثقافة الامة المفروض فيها أن تزيد ، لا أن تتوقف عند درجة معينة ، وأن تنمو بشكل مستمر ، وبالتالي فإن أزمة الثقافة ، هي أزمة في اليكبان الحقيقي للامة الذي قهره الغرب ومزقوا أصالته عندما مزقوا لغته ، أن الثقافة الحقيقية هي ما يأتي من داخلك ، داخل أرضك ، لابد من البحث في الذات والتعمق فيها ، واكتشاف موروثها الثقافي وتسييده والتخلص من أوهام العالمية والمعاصرة . أن ممكن الأزمة الثقافية هي سيادة (فكر الغوام) وما يدعيه البعض من مظاهر جديدة للتعبير الثقافي سواء في الأدب أو الفن هو في حقيقة بعد عن التعمق وفهم الذات ومكوناتها فهما صحيانها والانطلاق منها لآفاق أرحب وصعقت ركنة الاستمرار والتقدم وأصبح كل جيل يأتي أقل تميزا من الجيل الذي سبقه ، فهناك جيل شوقي والبارودي وغيرهما من الشعراء العظام ثم جاء جيل (علي محمود طه و ابراهيم ناجي) جيل عظيم ولكن ليس على مستوى تميز وتألق الجيل الذي سبقه وهكذا نلاحظ أن انحدار المستوى الثقافي يرتبط بضالة الجهد المبذول للحفاظ على نفس مستوى السابقين لأن الجهد الحقيقي للارتقاء بالحياة الثقافية لهذه الامة لا يجب أن ينحدر عن مكنون سته عشر قرنا ولا ينحدر عن ابداعاتها فلم يحدث مثل هذا الانقطاع في صدر الإسلام ، فقد كان هناك شعر جاهلي عظيم ، وكان هناك شعر بعد الإسلام عظيم ، فلم يحدث انقطاع ، أما في حياتنا الثقافية اليوم فإن الواقع يبدو رديئا ، فالشاعر تخلف عن فكره ولا حساسه ولغته ولم يعد هناك ما يشعرك بأن هناك قوة كامنة في الداخل تمليه حتى عندما حاول بعضنا أن يقدم الأعمال الدينية كان يقلد الغرب فيما يقلد ، فادكتور طه حسين عندما كتب (على هامش السيرة) كان يقلد كتابا أوريبا كتب عن المسيح وهو نفسه اعترف بذلك ، وعلى مستوى آخر : ليس فقط كم المعارف ولكن الصيغة الانشائية لحركة الامة ، فإذا كانت هي محركها ومكوناتها الحضارية من ناحية فهي مؤشر السلوك وموجه الحركة العامة ، وهنا فإن أسأل في أى مجتمع يمكن أن يوجد مثل هذا السكم من الاعلانات عن سلع تصنع في دول أخرى ، وفي أية أمة يوجد هذا السكم من الانتماء الأجنبية لمواقع العمل ومحلات الخدمة ، أسبانيا بدخلها ٢٤ مليون سائح سنويا ولا يوجد اسم أجنبي لفندق أو مطعم أو محل ، ولا معرض فيلم دون (دوبلاج) بلغة البلد . أن هناك جهلا بالقواعد الأساسية

لمكونات هذه الأمة ، وليس أدل على ذلك من أنه عندما تتمتع الأمة بتدفق الحياة في شرايينها ولديها علم كالفقه وأصول الدين فإن ذلك لابد أن يطرح قوته وحيويته على كل مظاهر الثقافة حتى على من يصنع عبوداً في مسجد ، فالجو العام ينمكس على أدواته الفنية ومظاهرها ، فالأسس السليمة السائدة في مجتمع ما ، تفرز أشكالها على مظاهر السلوك فما ظنك بالآداب والفنون .

الحقيقة أنه ليس لدينا متقنون ، بل هناك متعللون ، هناك جيل (متخرب) ومع سلامة نيته تكون في إطار محدد ، إطار الثقافة والمعرفة الغربية ، ويحطى في هذا الإطار الذي صاغه الاستشراق الغربي للثقافة المنطقة ، وأنا أرى أن هذه الأسماء التي ترددها هي أسماء ثقافية وليست لمثقفين ، حتى أن الثقافة لبذرهم بانت تفكير الغرب سلوكياً وفكرياً وفصل الأمة عن ماضيها ، وأكثر من ذلك فإن نظام دنلوب الاستعماري في التعليم ظل مستمراً في صياغة العقل الثقافي للأمة بطريقة استعمارية ، وبأت الأسماء المنتشرة تعكس أسماء عاجزة عما تدعى تقديمه تحت وهم (الابداع) وهي في الحقيقة تنقل فلسفات الغرب وأفكاره وأشكاله الأدبية والفنية والسينائية لتبرهنها العوام وتدعي أنها امتلاك أساس الثقافة وذلك ليس بصحيح ، ما يمكن أن أقوله باختصار شديد أن تردد تركيبات لغوية بدون مناقشة ، هو في حقيقته مأساة أخرى ولا بد من العودة للجوهر الأصيل في مكونات الأمة أن ما يكتب الآن تحت شعار (المساقل حول هوية مصر) أو عن تاريخ المنطقة ما هو إلا امتداد لتاريخ الاستشراق والتبشير في المنطقة والذي بدأ من أكثر من ثلاثمائة عام ، والواقع أننا نعيش عصراً سخيفاً افتقد فيه المثقفون الرؤية الحقيقية لما يواجهونه لأن الحركة بإسقاط شديدة هي العداء التاريخي بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية ، أي إغفال لذلك هو خطيئة ، عن نفسي لقد حددت قضيتي من أكثر من خمسين عاماً وهي الدفاع عن كيان أمتي في مواجهة هذه الحضارة الغربية العنصرية الغازية ، فالغرب يريد أن يستمر قابلاً ، ولا خلاص إلا بالتمرد من طبيعته ، لقد قسموا المنطقة سياسياً والآن يجتهدون في تمزيقها فكرياً وثقافياً ، حتى تتمسك أوصار الأمة الإسلامية العربية ، أنا في حاجة إلى وقفة جمادة لاستعادة تراثنا التاريخي ، وعلى هذا الأساس فإني أنظر بريبة لكثير من القضايا العربية

التي يثيرها البعض الآن لأنها في حقيقةها لا تستهدف خير الأمة ، بل الاستمرار في حقيقةها لا تستهدف خير الأمة ، بل بالاستمرار في حلقة منزعجة ، بل انني اعتبر أن الذين يتحدثون عن محرر ، هل هي عربية أم إسلامية أم فرعونية أم متوسطية ينسجون في الواقع قصصا للخيالة بفرض الاستمرار في تمزيقنا لأنه لابد من النظرة الكلية للأمور فأصحاب الحضارة الأوروبية ينظرون لها بنظور كلي ، فكيف نخرج نحن عن النظر لحضارتنا بنفس المنظور ، أين هو التاريخ الذي عند علماءه وانتصاراته مثلنا ، أين الذين تنكروا لحضارتهم مثل الكثير من مثقبينا ، لماذا لا نتذكر تشرشل عندما قال أنه يدافع عن الحضارة المسيحية ، ولماذا فشلنا في رؤية ستالين وهو يضع يده في يد تشرشل من أجل نفس الهدف ، نعم كان ستالين يدافع عن نفس الحضارة المسيحية ونفس ما يلتقي فيه الأمريكي الرأسمالي والشيوعي الروسي ، حتى عندما نادوا بالشيوعية في الاتحاد السوفيتي لم يتخلوا عن لغتهم بل وضعوها في القمعة ، ستالين دافع عن لغته ، وظلت كما هي بكافة ألفاظها ومرادفاتها التي لا تتفق ومفاهيم الشيوعية ، لأنهم أدركوا حقيقة هامة هي أن اللغة هي أنا وبدونها لا أكون شيئا .

أن أخطر ما يحدث لنا الآن أننا نردد المفاهيم التي أرادوا لنا ترديدها ، فالذين يتكلمون عن (العصر) الذي نعيشه ويجب أن يعلوا : أن العصر هو أنا - أنا الذي أوجد عصرى ، وأوروبا ليست هي العصر الذهبي الذي يجب أن أركع أمامه ، بل أن الموقف الأهم هو كيف أكون شيئا صحيحا وليس شيئا تابعا ، على مستوى العالم ليس قرية واحدة ، بل أن كل أمة متميزة لها قضية تشغلها هم يخفيهم الأمة المسيحية بينما قضيت أنا هي العالم العربي والإسلامي ، ولا يعني ذلك المزوف عن مبتكرات العلم والتكنولوجيا أو التحلي عن الطب أو الكيمياء ، لا بل أعرفها باستقلاليتي أنا لا غيرها يقدر إمكانياتي سواء أخطأت أم أصبت ، عصريتهم هم لا تنطبق على أنا ، ويجب أن نتذكر جيدا أن الحضارة الإسلامية كانت هي الحضارة المتعمرة والمهيمنة لأنه كان لديها ما يضارع ما لدى الأمم الأخرى فأخذت ما أرادت ولم يمنع إرادتها الواعية وليس تحت زعم العصرية وتماثلت معه على قدر زمانها .

أما ما أخذته أوروبا في العصور الوسطى ، فقد أخذوه للاستفادة به ، ولم يأخذوا
معه العقائد والتقاليد أو اللغة أو حتى المنهج ، كما يطالب الأستاذ بعض متفقيها .

أن موقفي هو أن متفقينا مقلدون للغرب ولهذا لم أتردد في القول بأنهم يسرون
في الطريق الخطأ ، فتمنونا مقلدون وليسوا مبتكرين فهم يقلدون نفس مصطلحاته ،
نفس الرؤى التي ينادى بها ، أن موقفي من أي كاتب هو في حجم رؤيته لقضايانا
الكلية ، وموقفه من المخاطر التي تهددنا ، ليس يبنى ويبنهم خلافا شخصيا ، ولكن
ذلك لا يمنعني من الدعوة إلى إعادة تقييم كل هؤلاء الذين نصبرهم أعلامنا الفكرية
ونعيد النظر لتاريخنا ولكن المخاوف التي يرددها البعض ، ليس هناك أم تعيش
على بضعة أفراد في مرحلة معينة ، أن ما يجمله البعض أننا نملك أعلام ستة عشر
قرنا وملك الوثيقة الإلهية الكبرى وهي القرآن الكريم فلا يمكن أن ننسى ذلك كله .

إذن فالدعوة إلى تقييم كتابات جيل الرواد والقسم الشواخ ليس جريمة محرمة
بل أنها طبيعة الأشياء ، على الأجيال أن تقيم ميراثها القريب وأن تعرضه على مفهوم
الإسلام الأصيل ليري هل كان موافقا له أم معارضا ، لقد علت سحابة التغريب
والغزو الثقافي حتى حجبته الرؤيا الصحيحة سنوات طويلة ، حتى ظن أن كل ما يقدمه
هؤلاء الذين لم يراع عن طريق النفوذ الغربي هو الحق والحقيقة وهو القول الفصل
في الأمور كلها ، ولكن سرعان ما يتبين أن هؤلاء لم يكونوا إلا قناطر للفكر الغربي
إلى ساحة الفكر الإسلامي وأن أمانتهم لا متهم ولقيم الأصلية كانت ضعيفة واهية ،
وأنهم خدعوا أساسا بأنهارهم بالحضارة الغربية ثم كانت رسالتهم أن يمدعونا وأن
يقدموا لنا النصح بأن طريق الغرب هو الطريق الصحيح وأن علينا أن نتجاوز
ذلك (القديم) الذي وصفه بالجمود وبالبلى لتأخذ (جديد) الغرب لنصبح مثله
ولنبهض به ، ولم تكن نصيحة صادقة ، أو مخلصة ، هكذا اعتقدوا أو خيل لهم ،
أو كان منهم المسكرة الخادعون ، ولكن هذه الخائثر كلها التي طرحوها تتكشف
اليوم في ضوء شمس الإسلام الساطعة بأن كثيرا منها كان زائفا وفسادا ، وليس
هذا الذي يحدث اليوم من إعادة تقييم هذه المرحلة التي أطلق عليها (جيل الرواد
واقسم الشواخ) والتي امتدت منذ جاء لورد كرومر إلى مصر وأنشأ مدرسته .

مدرسة المتفرغين الذين يحكون مصر بمقل الغرب والذين يؤمنون بالحضارة الغربية
وينتقصون الأزهر والإسلام واللغة العربية ويذهبون وراء البربرية وحرية الفكر
ومذهب الغرب في السياسة والاجتماع ، هؤلاء الذين كون عقولهم قانون نابليون
الذي ورث الشريعة الإسلامية التي حُجبت وحُجبت معها التربة الإسلامية والاقتصاد
الإسلامي والمجتمع الإسلامي القائم على التوحيد والخلق والعدل الاجتماعي . فإذا
يدهش العلمانيون والتفرغون اليوم حين يرون أن حركة اليقظة الإسلامية تقوم
منذ فجرها على نقض هذا الأسلوب الواحد في جوانبه المعارضة للضراط الإسلامي
المستقيم إيماناً بأن هذا الركام كله الذي اختلط فيه الخير والشر ، إنما يهدف إلى
إزالة التميز الخاص والذاتية الإسلامية ويرى إلى الاحتواء والحصار والانصهار
في بوتقة الأمم والتفريب وإخراج المسلمين من طابعهم الرباني الخاص ومنهج حياتهم
وأسلوب عيشهم وليعلم التفريديون والعلمانيون الذين يدهشون من حركة إعادة
التقييم لهذه المرحلة ، أن المسلمين على مدى تاريخهم كان عليهم أن يخوضوا هذه
المعركة مرة بعد أخرى ، للحفاظ على كياناتهم ووجودهم ، وأنهم لن يكونوا قادرين
على مواجهة الاحتواء الغربي الذي يحاصرهم الآن إلا بفهم هذه الحقيقة والتحرر
من هذا الأسر ، وبما ساعد على ذلك أنه ظهرت في السنوات الأخيرة حقائق كثيرة
وانكشفت مغالطات كثيرة وتصححت مسائل ظلت مغالطة بالضباب زماناً وتحطمت
مسلمات كاذبة ظل النفوذ الأجنبي يخدع بها المسلمين أعواماً ومع الأسف فإن أجيالاً
كثيرة قد نشأت على هذه الأخطاء . بل أن جيلنا نحن نفسه قد خدع ثمة قبل أن
يتكشف أمامه الفجر الصادق . وجرنا مع الخيال حول السلطان عبد الحميد
والاعجاب ببعض البطولات المعاصرة

ومن ثم فإن (العودة إلى المنابع) هي صاب دعوة مدرسة الأصالة منذ
أحمد بن حنبل حتى صاغها ابن تيمية وابن القيم في منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف
عن أن يحمله المجاهدون الأبرار جيلاً بعد جيل فلم يخل منه جيل .

ويجب أن يعلم العلمانيون والتفريديون العرب والمسلمون أن هناك مقاييس
أصلية شد أقالها الفكر الإسلامي في النظر إلى أمور الثقافة والبحث العلمي والتاريخ
تختلف اختلافاً واضحاً عن تلك المفاهيم المستمدة من الفكر الغربي الوثني السادي

ورث الفلسفة اليونانية والقانون الروماني والمسيحية الغربية، هذه المفاهيم الإسلامية مستقاة من الفطرة الأصيلة ومن القيم الأساسية التي قدمها القرآن وعرفتها أمتنا منذ أربعة عشر قرناً بينما مفاهيمهم الوافدة لم تعش أكثر من مائة عام .

وليعلم التغريبيون والعلمانيون أن محاولتهم لبناء فهم فكري تابع تحت اسم الخطيئين قديم الإسلام وجديد الغرب مرفوض تماماً لأنه منهج زائف لا يرمي إلا إلى سيطرة الفكرة الغربية وهزيمة الفكرة الإسلامية ، وهو تكرار لمحاولات الغاشين السابقين طه حسين وسلامة موسى وعلي عبدالرازق ، وهو ليس أصيلاً ولا مستقيماً من تراث هذه الأمة أو ميراثها ، أنها محاولة لتبرير الواقع ولخداع المستيقظين وتغيير الله أن جلده ، لطرح مفاهيم مسمومة ترمي إلى الانحلال عن مفهوم الإسلام الأصيل في مواجهة الأعداء .

وليطلبوا أن الأمة واعية فطرية غير خادعة ولا خدوعة ، تفتح الأبواب لكل فكر (لنستفيد منه ونعني تجارب الأمم) وأماننا بتجارب الغرب كلها التي طبقها في بلادنا وقد تكشف فسادها وتبين فشلها ، تجارب الماركسية والقومية ، والعلمانية ، والاقليية ، والعمالية ، والإنسانية (الهوميزم) وإحياء الحضارات القديمة الفرعونية والفينيقية وكل هذا هزم وتحطم ، كذلك فإن فرض مجموعة من التواغيت تحت اسم القمم الشواخ ، وهي بدولات وهمية أمثال طه حسين وغيره فقد أسفدت تماماً فإن مقايستنا في ميزان الإسلام للبدولات والقمم يختلف .

٥ - سقوط المسلمات الباطلة

لقد سقطت كل المسلمات الباطلة التي جاءها المتغريبون في طرحها في أفق الإسلام وعاشوا حياتهم يشونها ويرددونها ويخدعون الناس بها ، فقد تكشف باطلهم وزيفهم وعرف المسلمون أنهم كانوا مضللين وأن هؤلاء القادة الرواد الشواخ كانوا غاشين لآمتهم خادعين لها لا يقولون لها الحق ولا يدلونها على الخير.

كذلك فإن اليقظة الإسلامية اليوم أصبحت قادرة على مواجهة هذا الزيف ، وقد رأى توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود ولويس عوض ومصطفى مرعي ، وغيرهم من كيف واجههم الباحثون بالحجة بالحجة في أدب الإسلام الجم ، أنهم يعيشون اليوم مرحلة الهزائم وتنكيس الفكر الواقف لإعلامه ، فقد تبينوا أن هناك فارقا عميقا بين الشورى الإسلامية والديمقراطية وبين العدل الاجتماعي وبين الاشتراكية ، أنهم يحسون بالهزيمة عندما يرون سقوط الكثير من مفاهيمهم الضالة ، عن فرويد وماركس وسارتر ودوركايم وزعيمهم دارون كذلك فهم يعرفون اليوم هزيمتهم عندما يسمعون صيحة عودة المرأة إلى البيت وفشل دعوتهم بانفصال الدين عن الدولة وفصل المروية عن الإسلام ، وفساد دعوى العقلانية بالمعتزلة ، لقد كان لكل منهم مهمة : إحسان عبد القدوس للجنس ، وزكي نجيب محمود للمادية ، وأنيس منصور للوجودية وإدريس الباركمبية وتوفيق الحكيم للفكر التلويدي وصلاح مجاهد للعامة وسهاء وكامل زهري للنتوجات الخادعة ولويس عوض للفرعونية والإنسانية والشرعية لتزييف تاريخ الإسلام ، أنهم يحاولون إعادة فكرة القومية والعلمانية بعد سقوطها سقوطا نهائيا ، وهناك دعاة التصوف الفلسفي ، وأحياء الفرق الباطنية ، أنهم يفرقون اليوم عندما يرون خيبة العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، أنهم يدعون إلى تنحية الإسلام عن الحياة الاجتماعية للمسلمين وحصره في مجموعة من الشعائر والطقوس ، وحصار القرآن الكريم والفصحى وأمثال التراث ، أنهم يدعوننا إلى الانصراف في الحضارة المادية والاممية وهي في مرحلة الهزيمة والسقوط وينكرون الهوية الخاصة واتميز الذات ، ويعملون على تحطيم فاعلتين أساسيتين في الفكر الإسلامي وهما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦ - رواد الأصالة ورواد التبعية

أنى أرجو من المثقفين المسلمين ألا يخلطوا الأوراق ولا يذهبوا فى -كم على الأسماء الالامة مذهبا واحداً ، لأنهم شواخ أو بارزين أو مشهورين فيضعون جمال الدين ومحمد عبده مثلاً فى صف طه حسين وسلامه موسى ، فهذا أمر يجب الحية فيه والحذر منه .

إذا كانت هناك دراسات جادة مخصصة تكشف عن انحراف بعض الأسماء الالامة أمثال طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق وتوفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ، فإنه من قصر النظر نقبل ما يكتب عن جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والسلطان عبدالحميد على أنه داخل فى دائرة واحدة ، هذه هى مؤامرة خلط الأوراق التى يعمل التغريب على وضعها للتضليل .

كذلك فإن الأمر يختلف بين كاتب له أخفاء وتجاوزات فى بعض نظرياته وآرائه سواء فى التاريخ أو الأدب أو الفكر أو الثقافة وبين كتاب أعدوا إعداداً تاماً ليكونوا أداة من أدوات التغريب والتزو الثقافى .

ونحن فى هذا المجال لانحيز وجهاً للبقارة مثلاً بين طه حسين والعقاد (وهم يحرصون على أن يضربوا الاسمين معاً) فى إطار واحد ، فارق كبير بين الكاتبين وبين أهدافهما وبين حساب كل منهم ، وهل حظى العقاد فى هذه الفترة الأخيرة بمثل ما حظى به طه حسين ، هل أقيمت المهرجانات واستقدم المستشرقون ليتحدثوا عنه وليطوفوا البلاد العربية يلقون المحاضرات له فى الدفاع عنه .

وأنا قد تأخذ على بعض كتابنا أخطاء أو تجاوزات ولكن ذلك لا يجعلنا نضعهم فى دائرة الخصامة ، ولكن كتابا آخرين قد نعترض تماماً على الخط الذى رسموه وساروا به من أجل تحويل هذه الأمة عن قيمها وعقيدتها ، إذن فليس هناك حكم واحد ، ولكن هناك تقدير منضبط لا يظلم ولا يتقص الناس أنفسهم .

أقول هذا للذين كتبوا بحسن نية أو بسوء نية يخلطون بين جمال الدين الأفغانى

وطه حسين أو بين سلامه موسى والعقاد، أن البعض يريد أن يخطط الأوراق ليدعى أن الحملة على التغريبيين ظالمة، ولكن الواقع أن كتاب اليقظة يفرقون بين أخطاء الدكتور محمد حسين هيكل اليسيرة في السيرة أو تجاوزات العقاد في مفهومه للعبقريه وبين تلك الوجهة الكاسحة من التغريب التي يقودها طه حسين وسلامه موسى وعلى عبدالرازق وتوفيق الحكيم ولويس عرض وزكي نجيب محمود.

أما الذين لا يريدون أن يصدقوا أخطاء لطفي السيد وسعد زغلول وطه حسين فهم أولئك الذين يخذعون أنفسهم بالجرى وراء وهم القداسة الكاذبة للشخصيات البشرية التي تخطئ وتصيب، فانهم لا يقبلون أن يفهموا حقائق التاريخ التي ظلت خافية عليهم زمنا طويلا.

أن أبرز الظواهر التي حققها عملية إعادة تقييم مرحلة التجمعية التي بدأها لطفي السيد وطه حسين واستمرت في توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود ولويس عوض هي انكشاف مخطط التغريب والغزو الثقافي ومؤامرة الاستشراق والتبشير.

١ - انكشاف ظاهرة المصطلحات الأجنبية المنقولة وهي المعبرة عن تصورات مصالح أجنبية غريبة عن كيان الأمة الإسلامية وعقائدها ومصالحها مع تأكيد أهمية الالتزام بمصطلحات نابعة من عقائد الأمة وتاريخها وميراثها وجوهر شخصيتها الإسلامية.

٢ - انكشاف محاولة تفسير القضايا الكبرى تفسيراً خاطئاً كما يقال عن أن الأديان الثلاثة واحدة، ومحاولة دعوة العرب إلى بدأ جديد للفكر والأدب والثقافة منذ الحملة الفرنسية أو محاولة تجديد القومية والاشتراكية التي أثمرت نكسة ١٩٦٧

٣ - كشف زيف الاقتصاد الوضعي، القانون الوضعي، التعليم العليّ، سقوط منهومها الماركسي، كشف خطأ تفسير معارك حطين والقدس ودمياط والمنصورة وعين جالوت على أنها معارك صراع عربي بينما هي معارك إسلامية أساسية.

٤ - انكشاف زيف أخبار الفكر الباطني والوطني والإباحي، كتابات ابن سينا والحلاج وأبو نواس ورسائل اخوان الصفا وابن عربي وتهذيب الأخلاق

لابن مسكويه، وكلها لا تمثل المفهوم الإسلامى الأصيل وإنما تمثل المفهوم الوافد من الفكر اليونانى .

٥ - انكشاف أخطاء ايدولوجيات القرس وفلسفاته اسارتر وفرويد وماركس ودوركايم وانكشاف الشخصيات التى لمعت بالباطل على المدى الطويل : جرجى زيدان ، لطفى السيد ، عبدالعزيز فهمى ، سعد زغلول ، قاسم أمين ، طه حسين ، على عبدالرازق .

٦ - انكشاف ظاهرة سيطرة اقصاصيين على الحياة الفكرية الحديثة مع أنهم لا يمحاون أدوات هذا العمل (يوسف إدريس ، توفيق الحكيم ، إحسان عبد القدوس نجيب محفوظ) .

٧ - انكشاف فساد نظرية الاستسلام لروح العصر وتبين أن روح الامة أعظم من روح العصر ماهى إلا طائفة من التقاليد التى سيطرت على المجتمعات مع الزمن بصرف النظر عن اقيم الإسلامية وفساد فكرة الولاء والتبعية والمتابعة وتحسين الواقع وتعميقه بالنسبة لانحراف المجتمعات وفروعها عن أمر الله وحدوده فيه ، فالإسلام لا يقر الاستسلام لروح العصر أو التبعية للأوضاع التى رسمتها الظروف وتراكت عليها شتات الأمم وأهواءها .

الباب الأول

جيل العمالقة والقمم الشوامخ

لطفى السيد وأكدوبة أستاذ الجيل

خلقت لنا فترة التبعية للغرب مساهمات خطيرة وكلمات دخيلة وحاولت سحب كثيرة من سحب الغزو الفكرى والتغريب أن ترسم صورة خادعة لبعض الشخصيات وكان أخطر ما أطلق فى هذه الفترة كلمة عميد الادب على الدكتور طه حسين وأستاذ الجيل لطفى السيد فى أى مدى كان هذا اللقب صحيحاً بالنسبة لمنشئ حزب الامة ومترجم أرسطو والخصم الاول للعروبة وللوحدة الإسلامية جميعاً

و فى الحق إن اسم لطفى السيد لمع لمعاناً شديداً وخدع به كثرون وكان لإمتداد العمر وتغير الأوضاع وإقتناص بعض القرص التى جاءت بها الظروف عاملاً من عوامل القداسة التى منيت بها مثل هذه الشخصيات بالرغم من فساد جوهرها .

وليس علينا ان نصدر حكماً جازماً على شخصية ما، يسلم به الجميع ولكن علينا أن نلقى الأضواء الكاشفة على مثل هذه الشخصية من واقع التاريخ وبالوثائق الثابتة ثم ندع القارئ ليحكم هو : هل كان لطفى السيد حقيقة أستاذ الجيل وأى جيل

أولاً : الدعوة إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان باعتبار أنهم وحدهم الذين سيتولون الحكم ومقاومة تعليم سواه الامة وممارسة الاتجاه إلى المجانية وذلك حتى يمكن المحافظة على وجود طبقة معينة تتولى حكم البلاد دون أن يتاح ذلك لباقي أفراد الشعب .

وقد رد عليه مصطفى كامل اللواء رئيس الحزب الوطنى ولخص آراءه وكشف عن فسادها .

ثانياً : الدعوة إلى العامة : وقد سار فى هذا التيار مؤيداً الخطوات التى كان قد قطعها المستشرقون والمبشرون (مولار - وبلوكوكس) وكان أبرز ما دعى إليه لإبطال الشكل وتغييره بالحروف اللينة وتسكين أواخر الكلمات وإحياء الكلمات العامة والمتداولة وإدخالها فى صلب اللغة الفصحى والتبول باللغة المكتوبة إلى

ميدان التخاطب العامى وكانت وجهة دعوته : تمصير العربية بإحياء العامية (مقالاته فى الجريدة خلال شهرى أبريل ومايو ١٩١٣) . وقد رد عليه عبد الرحمن البرقوق ومصطفى صادق الرافعى بما يكشف زيف هذا الاتجاه

ثالثا : مقاومة انتضامن العربى الإسلامى وقد عارض مساعدة المصريين لجيرانهم فى طرابلس الغرب أثناء الغزو الإيطالى الاستعمارى عام ١٩١١ وكتب فى هذا المعنى تحت عنوان (سياسة المنافع : لاسياسة العواطف) مقالات متعددة دعا فيها المصريين إلى التزام الحياد المطلق فى هذه الحرب الإيطالية التركية وإلى الضن بأموالهم أن تبثر فى سبيل أمر لا يفيد بلادهم وقد أثارَت هذه المقالات على لطفى السيد عاصفة بل واطنا جارحا على حد تعبير تلميذه الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته .

رابعا : أيد وجهة النظر البريطانية الاستعمارية فى التعاون مع الجاليات المسيطرة المحلة ودعا إلى أن تملك هذه الجاليات فى الأراضى المصرية فيكون لها الحق فى التملك والسيطرة على البنوك والتجارة وغيرها .

خامسا : مجد اللورد كرومر : الحاكم البريطانى الذى أذل المصريين لمدة ربع قرن مسيطرأ على سياسة البلاد وساحقا لكرامتها وذهبا ثروتها وحياتها يوم خروجه من البلاد تحية الأبطال وقال عنه :

« أمامنا الآن رجل من أعظم عظماء الرجال ويندر أن نجد فى تاريخ عصرنا ندا له يضارعه فى عظام الأعمال : هو اللورد كرومر وقال : أوتيق اللورد كرومر عالما واحدا فى منصبه لعيد عيده الذهبى فى خدمة دولته ، نشر هذا فى الجريدة فى نفس اليوم الذى أتى فيه كرومر خطاب الوداع فشب المصريين جميعا وقال لهم أن الاحتلال البريطانى باق إلى الأبد .

سادسا : رسم لطفى السيد خلال عمله فى الجريدة (١٩٠٨ - ١٩١٤) مهجما للحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبى والاحتلال البريى انى والفكر الغربى تحت اسم عبارة ماكرة خادعة هى

(مصر للمصريين) وقاوم بهذا الفكر ذلك الاتجاه الاصيل الذي كان يجعل لواء دعاة الوطنية الصادقة والفكر الإسلامى الثير وكون مدرسا تحقق لها بعد الحرب العالمية الأولى السيطرة على مقدرات الأمور بعد أن أقصى رجال الوطنية الحقنة .

سابعاً : تبين أن مترجمات لطفي السيد عن أرسطو (التى ترجمت من الفرنسية) (السيادة . الكون والفساد . الأخلاق) وهى منسوبة إليه ، تبين أنه ليس مترجما وأن مترجما الحقيقى هو قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية وذلك بشهادة عديد من معاصرى هذه الفترة .

وممنهم (الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب السابق ولا يزال حيا يرزق) ثانياً : بالرغم من دعوة لطفى السيد العريضة إلى الدستور والحرية فإن الوزارات التى قبل الاشتراك فيها كانت كلها تنقسم بطابع واحد فى جميعا وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والحرىات العامة .

يقول الأستاذ فاروق عبد القادر : أن الباحث فى لطفى السيد ليس بوسعه أن يشجأ على هذا التناقض كسيف للرجل الذى كتب مطالباً بالدستور مدافعاً عن الحرية أن يشترك فى وزارات عبثت بالدستور وصادرت الحرية ، كيف يشترك فى وزارات طابعها الإرهاب والمحاو على الحرىات .

ثالثاً : إن حزب الأمة الذى أنشأه لطفى السيد كان ياجمع الآراء صاعدة بريطانياً أراد بها اللورد كرومر أن يواجه الحركة الوطنية بجمع من الإقطاعيين والثرأة والأعيان (الذين ومنهم بأنهم) أصحاب المصالح الحقيقية ، وقد كان هدف حزب الأمة والجريدة بقيادة الفيلسوف الأكبر لطفى السيد تقنين الاستعمار والعمل على إيجاد شرعية للاحتلال مع والدعوة إلى المهادنة مع العاصب وتقبل كل مايسمح به دون مطالبة لشيء .

هذه مجموعة من الحواطط العامة نضجها بين يدى الفاروى العرقى المثقف دون أن تقدم حكماً على لطفى السيد وندهم هو أن يصدر هذا الحكم . ولقد تعددت المصادر والأبحاث التى تكشف حقيقة هذا الرجل فليرجع إليها من يشاء وكلها تجمع على أن هذه الدعوة التى حملها لطفى السيد إنما هى خطة دقيقة محكمة من خطط الاستعمار

للغربي والتفوذ الاجنبي ، فإن اللورد كرومر أراد في إطار عمل مرسوم أن ينشئ في مصر جيلا جديدا يسير في ركب الاستعمار معجبا به مقدراً له ومحبا ولذلك عمل خلال عشرين سنة أو يزيد على صياغة هذا الجيل عن طريق المدرسة وعن طريق الثقافة وكانت دعوته الملحة الحارة أن يريدا نيا ستسلم مصر لابنائها متى ظهر هذا الجيل الذي يعمل بالتعاون مع الاستعمار ولفت نظر الشباب المتعلم وهم جميعا من أبناء الطبقة التي أنشأها التفوذ الاستعماري وسودها وجعلها مركز القيادة السياسية إلى أنهم هم حكام مصر في المستقبل اقرب .. وكان حرصا على أن تشكل هذه القوة أو هذا الحزب في نفس الوقت الذي كانت الاحتلال يضرب القوى الوطنية وأصحاب الأصالة ليقضى عليهم ويفرغ البلاد منهم ويسلمها لهذا الجيل الذي كان من قيادته : لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمي وقد تشكل حزب الأمة من مجموعة من أصحاب التفوذ وكبار الباشوات والملاك مثال محمود سليمان وحسين عبد الرازق وحمد الباسل وغفرى عبد النور وسليمان أباطة وعبد الرحيم الدمرداش والطرزي وغيرهم وكان رأى هؤلاء أن السلطة الفعلية قد آلت كلها إلى كرومر الذي يمثل سلطة الاحتلال وأن مصالحهم الشخصية تقضى عليهم أن يكونوا على وفق معهم فألقوا حزبهم بصفة رسمية في ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ برئاسة محمود سليمان باشا وتولى لطفى السيد قيادة فكرهم وصحيفتهم التي جمعوا لها في ذلك الوقت مبلغ ٣٠ ألف جنيه : وقد ظهرت الجريدة في ٩ مارس ١٩٠٧ تصور الاحتلال على أنه حقيقة واقعة وترى أن عدم الاعتراف بشريته لا يخفى عدم وجوده ولا يقلل من سلطته أو نفوذه وكانت ترى أن هؤلاء المحتلين ماضون في طريقهم مستغلون بتصرف الأمور ، رضى المصريون بذلك أم كرهوا وأن التخلص من الاحتلال يحتاج إلى قوة لم تتوفر للمصريين وأن دعاة الحركة خيالون ينفقون الوقت فيما لا طائل تحته وأنهم أصحاب خيال وتهريج .

وبذلك استطاع لطفى السيد أن يرسي مفاهيم الانجليزية المصرية الضيقة التي تكره العرب وتكره المسلمين وتعارض كل تقارب وكل صلة بل وتكره الاتصال بالتمسك الاسلام الفصحى هو أساس الثقافة والتعليم . وقد صور هذا المعنى واستشرف

غربي هو لبرت حوراني حين قال عن لطفى السيد مايلي : كان يرى أن بريطانيا قوية وأن لها مصالح جوهرية في مصر وأنها هي نفسها قد أعلنت عن لغاتها في مصر إلى أن تصبح هذه قادرة على حماية المصالح وإذن لا يمكن إخراجها بالقوة . وقد أعانت بريطانيا تجديد احتلالها وخلقت الشعور بأنها باقية إلى الأبد وأن مصلحة مصر تقتضى التعاون معها في أى تدبير تتخذه في سبيل إنشاء قوة البلاد وهكذا كان ينفث لطفى السيد سموم التمييز والاسترخاء في وجه دعاة الوطنية ولا يقف عند هذا الحد بل يتهمهم بأنهم خياليون مغالون في الخيال ويتهم خطتهم بأنها ولاء لتركيا بينما لم يكن مصطفى كامل ومحمد فريد إلا دعاة إلى الحرية والاستقلال والجلاد دون أن يلبسوا أى لين لتقبل عود بريطانيا وكانوا في دعوتهم لا يستهدفون العودة إلى النفوذ التركي العثماني وإنما كانوا يؤمنون بأن حركة الحرية يجب أن تتم داخل إطار أوسع من الإقليمية ويجب أن تكون في إطار الجامعة الإسلامية والمفاهيم الإسلامية الأصلية التي كانت بريطانيا عن طريق حزب الأمة تهدف إلى تجريد المصريين منها ودفعهم إلى التبعية في التشريع والتعليم والاقتصاد لتسكون مصر خاضعة تمام الخضوع للقانون الوضعي ولمفاهيم العرب في التحليم والثقافة ولتتقطع الصلة تماما بين مصر وبين جيرانها عربا ومسلمين وبين الفكر والثقافة في مصر وبين الفكر الإسلامى الأصل المستمد من القرآن والسنة . ولقد كان لطفى السيد في دعوته هذه يلتفت إلى أهمية الأرضية الإسلامية للفكر والثقافة والتعليم ويغالى في التوجيه للفكر الليبرالى الغربى الذى كان في هذه الفترة خصيصاً الدين والأخلاق .

* * *

يقول ألبرت حوراني : وإن الانطباع اقوى الذى تتركه قراءة مقالات لطفى السيد التي نشرها في الجريدة (وهي كل ثروته الفكرية) هو الاندهاش من الدور الصغير الذى لعبه الإسلام في تمكين رجل تتلمذ على (محمد عبده) لاشك أنه كان يشعر بأنه هو وممظم مواطنيه مسلمون بالوراثه ، وأنهم جزء من الأمة ، لكن الإسلام لم يكن المبدأ المسيطر على تفكيره فلم يهتم بالدفاع عن الإسلام

كالاتفاق ، ولا يتم كعهد بلإعادة الشريعة الإسلامية إلى مركزها كأساس
خلقى للمجتمع. وفي هذا يقول : لست مما يتشبثون بوجوب تعلم دين بعينه أو قاعدة
أخلافية بعينها ، ولكنى أقول بأن التعليم العام يجب أن يكون له مبدأ من المبادئ
تعمشى عليه المتعلم من صغره إلى كبره ؛ هذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر .

وهكذا ترى أن مفهومه للأخلاق والدين مستمد من الفكر الغربى ويعلق
حورانى فيقول : 'وهكذا نرى أنه تخلى عن أول مبدأ من مبادئ محمد عبده
واستعاض عنه بمبادئ جديدة . ويقول : لقد أخذ يطرح أسئلة جديدة لانتدور
حول الشروط التى تؤدى إلى ازدهار المجتمع الإسلامى أو انحلاله . بقدر ما تدور
حول الشروط التى تؤدى إلى ازدهار أى مجتمع أو انحلاله ، كذلك لم تكن المفاهيم
التي أجاب بها على هذه الأسئلة هى مفاهيم الفكر الإسلامى ، بل مفاهيم الفكر
الأوروبى حول التقدم والمجتمع الأفضل .

ويقرر حورانى أن لطفى السيد ورفاقه تأثروا بنماذج من التفكير الأوروبى :
أولاً : تفكير كونت ، ورنان ، وبيل ، وسبنسر ، ودوركايم الذين ذهبوا
إلى أن المجتمع البشرى متجه بحكم سنة التقدم نحو طور مثالى يتميز بسيطرة العقل
والتوسع أفق الحرية الفردية وحلول التعاقد الحر والمصلحة الفردية محل العادات
والأوضاع الراهنة .

ثانياً : تفكير جوستاف لوبن الذى يقول بفكره الطبع القومى ، وأن كل
شعب له بنية ذهنية ثابتة بثبوت بنيته الجسدية .

ويقول الحورانى :

إن لطفى السيد يحدد فكرة الأمة على أساس الأرض ، لا على أساس اللغة
والدين ، وهو لم يفكر بامة إسلامية أو عربية بل بامة مصرية هى : أمة القاطنين أرض
مصر ، وكان شعوره بوجود مصر شديد بحيث أهمل الأحرار على عناصر الوحدة
الأخرى . فمظم القاطنين فى مصر يشتركون فى الأصل واللغة والدين .

ولا تستطيع أن يتجاوز عرض حياة لطفى السيد دون أن نذكر زيارةه للإمام
الأبيري فى القدس ١٩٢٤ واشترائه فى استقبال الوفد الصهيونى إلى مصر بزعامة
الكتور وايزمان حيث أقام له حفل شاي فى فندق الكونتيتال ١٩٢٦ .

(٢)

الحملة على اللغة العربية الفصحى

والدعوة إلى العامية

كانت حملة لطفى السيد على اللغة العربية الفصحى هي أخطر الأعمال التي قام بها والتي دفعته بالتبعية لأنه يواصل الخطأ التي بدأها الاستعمار البريطاني بقيادة ولكوكس وقد كانت محاولته مأكرة خبيثة بدأها في ١٨٩٩ في مجلة الموسوعات حيث ادعى أن اللغة العربية أصبحت تعلمها أبعد من أن تعلم اللغات الأجنبية ، ودعا إلى تسكين حروف الهجاء ، وفك الإدغام ، وإهمال الشكل ، وسخر من هذه الضوابط كلها ، ثم وسع نطاق الدعوة عام ١٩١٣ في جريدة الجريدة فكتب أكثر من سبع مقالات (أبريل ومايو ١٩١٣) وهو في هذه الحملة كان خادعا فهو لم يفاجم القارئ بالحملة على اللغة العربية (وكذلك خصوم اللغة العربية يفعلون ذلك فلا يكشفون عن خصومتهم) بل يصدرون عن غيرة مفتعلة تدعوهم إلى إدعاء المحافظة عليها حين يوجهون سمومهم وهو لم يدع إلى ترك الكتابة بالفصحى إلى العامية بل تسلسل إلى ذلك بطريقة فيها كثير من المكر والمداورة وكانت دعوته إلى إدخال الكلمات الأجنبية (الأتومبيل واليسكيت والجاكيت والبنطلون وغيرها) إلى اللغة العربية وقال أنها دخلت اللغة فعلا وأنها لا نستطيع أن نضع لها ولا لغيرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة .

وقال الأسماء الجديدة هالها لو أخذناها (زى ماهيه) .

وقال أن اللغة ملك الأمة والكتاب الحربة في الزيادة عليها بأساليب جديدة أنماط جديدة ، وأنه لا حرج على الكتاب أو المترجم أن يستعمل من اللفاظ ما شاء لما شاء من المعاني ، ويقول تريد أن لا تندر (اللغة العامية) أو لغة الشعب نموت بأبعاد عربيتها وفصحيتها عن عالم الكتابة والعلم ونريد أن نرفع لغة العامة إلى استعمال الكتابي ونزول بالضرورة من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب

والتعامل، وقال أن العامية وأسماء لغة، لها مشخصات ثابتة تحددها من جميع الجهات وتجعلها مميزة تميزا تاما ودعا إلى استعمال العامية في الكتابة .

وقال أن كل الحروف تكون ساكنة ولا تتحرك إلا بحروف الجله .

هذه هي المؤامرة التي حل لوائها لطفى السيد الذي أختير بعد ذلك رئيسا لجمع اللغة العربية وقد عاشت هذه الأفكار قائمة في حياته وفكره بل وعمل الجمع إلى تحقيقها بعد أن ضم إليه عدد من خصوم اللغة العربية أمثال طه حسين وعبد العزيز فهمي الذي دعا إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ومن بعد ذلك عدد كبير من هؤلاء السطووين الثوريين .

وقد وقف عبدالرحمن البرقوقي ومصطفى صادق الرافعي في مجلة البيان موقفا حاسما جريشا في الدفاع عن اللغة العربية وقد حملوا لواء الاتهام للنفى السيد مؤمنين بأن القضاء على اللغة العربية هو قضاء على أقدم مقدسات الأمة الإسلامية .

وكتب مصطفى صادق الرافعي يرد عليه تحت عنوان :

الرأى العامى فى اللغة العربية الفصحى

زعموا أنهم يريدون أن تسهل الألفاظ وتكشف المعاني وتكون الكتابة فى استوائها وجمالها كصفحة السماء فهل البلاغة العربية إلا تلك، وهل هذا أمر غر عربى إلى وهل يعرفون أصلهم الله أن الطفل يرى كل ما يدور فى مسجحه من ألفاظ والده كأنه إنما يلقى لهما اعتصاما واعتسافا واستكراها إذ لا يفهم من كل ذلك شيئا إلا بمقدار ما يعتاد وعلى حسب ما تبلغ حاجته .

ثم ما هو حكم العامى - وهو فى كل أمة الطفل العلمى - بجانب أهل العلوم، أنراه يلقى عنهم إلا بميزان تلك الضرورة الفطرية فى الفقل الصغير مع أبويه فلم لا تحصى العلوم وألفاظها وأساليب التعبير عنها ونحو ذلك مما تراخى به شدة الفهم إذا تعاطاه ذهن العامى أو حاوله ويكون سداد العلماء فيما تطيقه العامه وسداد العامه فيما يطيقه الأطفال .

وأنت إذا تخطيت أمر الطفل اللغوى والطفل العلمى وأسندت فى حده هذه

الطفولة لم تر إلا طرازاً أصحابنا وهم أطفال الانكلام فهل يكبر عليهم أن يسكبوا ويشيدوا وأن يساقوا القطرة في جراحها فيأخذوا الشيء بأسبابه ويأتوا الأمر من بابهِ ، يصدرون رأيهم على جهل فإذا كشفت لهم معناه وبصرتهم بمصايرِهِ ووقفت بهم على حدودهِ وأرذلتهم وجوههم في مرآة النصيحة أنكروا واجتنب به وحسبك تمترى الكذب وأصروا واستكبروا استكباراً لأن رأس عليهم أن يظنوا لا أن يحققوا ما يظنون فالرأي هو الرأي في ذاته لا ما يتعلق به ولا ما ينادى إليه .

اللغة مظهر من مظاهر التاريخ والتاريخ صفة الأمة فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث أقسامها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها وجدتها الصفة الثابتة التي لا تتحول إلا بزوال الجنس فيه وانسلاخ الأمة من تاريخها واشتمالها جلد أمة أخرى ، فلو بقى للمصريين شيء متعين من نسب القراعة لبقيت لهم جملة مستعجلة من اللغة الهيردوغليفه وأن في العربية سرأ خالدا هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب أن يؤدي على وجه العرب الصريح وبحكم منطقا وأعرابا بحيث يكون الاخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيف بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤداها ثم هذا المعنى الإسلامي (الدين) المبني على الغلبة والمعقود على أنقاض الأمم واثم على الفطرة الإنسانية هو القرآن الكريم ليس كتابا يجمع بين دفتيه ما يحسمه كتاب أو كتب لحسب ، إذ لو كان هذا أكبر أمره لتحللت عقده ، وإن كانت وثيقة ولأني عليه الزمان ، أو بالحرى لنفس من أمره شيء كبير عن الأمم ولا استيتبان من منه مساع لتحريف وتمثيل من قال أو مبطّل ولكانت عربيته الصريحه الخالصة عذراً للعوام والمستعجمين في إحاطته إلى أوضاعهم إذا ثابت لهم قدره على ذلك . وليس يقول بهذا إلا ظنين قد انطوى صدره على غل واجتمع قلبه على داخله مكروهه ولا جامل من طراز أوئك لا يستطيع نظره بتجربه ولا ينفذ بعلم ، ولما هو أخذ بذنب الرأي لا بوجهه ولكن بتوجه معه ولا يقبل به ولكن يدبر به الرأي .

لأنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية فلا يزال أهله

وطى هذا البسيط ، ولولا هذه العربية التى حفظها القرآن على الناس وردم إليها وأوجبها عليهم لما أطرده اتاريخ الإسلامى ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية ثم لتلاحمت أسباب كثيرة بالمسلمين ونضب ما بينهم فلم يبق إلا أن تستلحقهم الشعوب وتستلحقهم الأمم على وجه من الجنسية الطبيعية - لا السياسية - فلا تقبل من آثارهم بعد ذلك إلا ما يثبت عن طريق الماء إذا انساب الجدول فى المحيط، على أنك لو اعترضت على من يهجن العربية ويزرى على سبكها لرأيت أنه أجهل الناس بتركيبها وحكمه اشتقاقها ووجوه تصرفها ثم لرأيت له غرة فى تاريخ قومها فهو أن عرف منه شيئا فقد تجرد من ثمرة المعرفة كان يحفظ طلاسم لا يتخبط فيها حتى يتخبطه الشيء إن من المس ، ثم ترى الآفة الكبرى أنه مستدرج من حيث لا يعلم فهو يكافؤ عجة لغة أجنبيته أحكمها بعدواة لفته إلى جهلها ويجزى منفعة تاريخ عليه بمضرة اتاريخ الذى لم يعلمه والناس أعداء ما يجهلون .

٣٠ ربيع الثانى ١٣٣٠ (البيان)

(٣)

سياسة الجريدة

قال الدكتور محمد محمد حسين : أن الجريدة كانت تصور الاحتلال على أنه حقيقة واقعة ، وترى أن الاعتراف بشرعيته لا تعنى عدم وجوده ولا يقلل من سلطته أو نفوذه وقد دعا لطفى السيد إلى الولاء للثقافة الغربية والفكر الغربي ومهاجم الحركة الوطنية وتناول تصرفات الاستعمار البريطاني وبرر وجوده في مصر وقدم مقاييس مختلفة عما كانت يؤمن به التوجه الوطنى والإسلامى في ذلك الوقت وأيد سعد زغلول في عدم تعليم العلوم باللغة العربية وتعليمها اللغات الأجنبية ، ودعا إلى مقاومة تعليم سواد الأمة وعارض الانتماء إلى المحمية ومجد مزاي السياسة البريطانية ومدح اللورد كرومر عدو الوطنية المصرية وقال عنه أنه رجل من أعظم الرجال.

هذا هو المنهج الذى سارت عليه الجريدة لسان حال حزب الأمة .

قال الشيخ عبدالعزيز جاويش : أما الجريدة فإنها منذ اليوم الأول لها وهى موالية للاحتلال على نحو فيه ذكاء وبراعة فهى تدعى أنها تمثل وجهة نظر أصحاب المصالح الحقيقية وهم أصحاب البيوتات والمقصود ويمثلوا الطبقة الأرستقراطية المصرية التى كونها كرومر وقدمت ولاءها للانجليز وتؤمن الجريدة بأن الاحتلال أمر واقع لا سبيل لمقاومته ومن المصلحه الانتماع بما يمكن الحصول عليه ولكن المواقف المموالية كانت تكشف تبعية الجريدة يوما بعد يوم ولم يكن طيبا من الجريدة على لسان لطفى السيد ففلسوف الحرية أن تؤيد عودة قانون الطبوعات ومن رأى جاويش أنها فعلت ذلك لأنها تعلم أنه لن ينفذ عليها :

« وفى الوقت الذى يدعو فيه الحرب الوطنى إلى مجلس الأمة المنتخب المثل الأمة يذهب لطفى السيد إلى أن (مجلس الشورى) الذى صنعه الانجليز يصح أن يطلق عليه مجلس الأمة ويقول جاويش في استهلال إحدى معاركه مع مدير الجريدة .

« إذا سألتنا مدير الجريدة عن المجلس المثل للأمة ، ذلك المجلس الذى تطالب

به ونلج في طلبه ، لأننا الآن محرومون من مجلس يمثل الأمة تمثيلاً بكافة طبقاتها ، وإذا جارينا مدير الجريدة في اعتبار مجلس الشورى ممثلاً للأمة لاعتبر أن كل ما نقرره كأنه صادر عن مجموعها وهذا مالا يقول به أعضاء الشورى أنفسهم فأين هذه القواعد التي يقررها الآن مدير الجريدة من مبدأ سلطة الأمة الذي ينادى به في كل حين ، هل ينطق هذا المبدأ الشريف السامي مع اعتباره مجلس الشورى بنظامه الحاضر ممثلاً للأمة أمام السلطة التنفيذية .

و (يلاحظ أن مجلس الشورى ليس مجلساً منتخباً على النحو البرلماني وليس رأيه ملزماً للحكومة ، وقد صنعه الإنجليز بعد أن ألغوا الدستور) ثم يعرض جاويش لما ذكره لطفي السيد من وصف (مصطفى كامل) صاحب اللواء بأنه لا ينطق إلا بالكفر ، وأن سياسة اللواء خرقاء وكتاباتة عصوية ليست من العقل في شيء) .

وقال جاويش : إذا كان ماتحتوى عليه خطبة الاسكندرية لمصطفى كامل كفراً فالإيمان في مذنب (الجريدة) هو الرضا بالاحتلال وعدم المطالبة بالاستقلال وهل يمكن أن يقال أن حزب الأمة متحد مع الحزب الوطني .

وأشار جاويش إلى موقف لطفي السيد من الذين هاجروا تذكريم كرومر عند انتهاء مدة حكمه وحلته مصطفى كامل عليه إذ ذاك وقال جاويش :

(انسبت حملته الصادقة على الجريدة عندما كانت تدعو القوم إلى إقامة احتفال بلورد كرومر ونشر في صحيفتك الجريدة هذه العبارة :

(وما يذكر لجناب اللورد كرومر من علو الهمة والثبات على مبدأه أن كبار الأعيان طلبوا إليه أن يقدموا له هدية تذكراً لشخصه يذكر به المصريون الذين أقام بينهم هذا الزمن الطويل موفور القسط من الرفعة الذاتية والشمع وحسن اللقاء والحلم) .

وردد جاويش في مجال تصوير الفرق بين مفاهيم الجريدة واللواء للوطنية قول مصطفى كامل (أن سياسة الجريدة تدلنا على أنها أشد الجرائد تعلقاً بالاحتلال وحسيناً فحبها فيمن استنكروا الاحتفال باللورد كرومر أعداء المصريين

والطاعن على الإسلام والمسلمين (١٩٠٧/١١/١٨ اللواء) وأضاف جاويش :
قوله ولا عجب من أن يكون مدير الجريدة هو الآلة الخاضعة لهذه السياسة .

وأشار جاويش إلى الفارق الواضح بين اتجاه الجريدة وحزب الأمة وبين اتجاه
الحزب الوطني في موقف خليل ، عندما هوجت طرابلس الغرب فنهضت مصر
كلها لتدافع عنها وتقدم لها الأموال والرجال والأسلحة لمقاومة الاحتلال الإيطالي
الباطش ، الذي كان يدمر السواحل الليبية جارة مصر ، هنا لك تصدى لطفى السيد
للأمر فسخر من المصريين لموقفهم من طرابلس وقال :

مالنا نحن وهذا الأمر ، أن ما يحدث هناك لا يهم مصر ولا دخل لنا فيه ودعا
إلى السياسة المنافع لا العواطف ، ودعا الحكومة إلى محاكمة من يمحاون لواء الدعوة
إلى مساعدة طرابلس .

وقال جاويش (لقد خسر الذين فقتهم وسأوس صدورهم ، وأعتهم عن الحق
سخافات مكشفتهم ، يحاولون أن يصرفوا الأمة المصرية الإسلامية عن تخفيف
ويلات إخوانهم الذين أغارت عليهم دولة الخيانة والعدو ، إخوانهم في الإنسانية .
أن مساعدة المصريين للدولة العثمانية مساعدة حربية أمر لا يصح معه اتهامهم
بالتعصب .

أى مدير الجريدة ، أى عدو نفسه ، هل وقعت منا أن ندعو المسلمين لنجدة
المسلمين ، وأن نستنفر الموحدين لإغاثة الموحدين ، فإذا كنت تريد ، أن الأمر
لم يزد على أعمال الاغاة ، أعمدنا إلى السيوف فسللناها وإلى البنادق فصوصبناها وإلى
الرماح فشدناها .

أى عدو بلاده ، رأيت مصر العزيزة مشرفة على مسمها المسالى ، ثم رأيت
بنظارتك كيف تجلب لإليها الأموال من كل جانب فمر عليك أن تحسد ذا نعمة ،
وشق على نفسك أن يستفيد غيرك من أصحاب المزارع ، ثم تعلم (ومثلك من تعلمه
الغاسفة) .

مكانك مكانك أيها الجبان فسا لك يمادين تيمتك صورتها وتصحك ذكراها

إن لم تنشأ غيرك أن تحفر الأرض بأظفرك ، وأن تتردى فيها ثم ارطم رأسك بالحجارة حتى يخرج من دماغك ذلك المخ الذي كان سبب شغائك وأصل بلائك .

وقد أخرجت مدرسة الجريدة جيلا من الكتاب عرف فيما بعد بحزب الأحرار الدستوريين وانطوى تحت لوائه في هذه المفاهيم طه حسين ومحمد حسين هيكل ومحمود عزمي وعلي عبدالرازق ، وقد تمتدت هذه الأفكار في هؤلاء مقاومة للوحدة الإسلامية وللعروبة وقبول الاحتلال والتفاهم معه وقصر التعليم على أبناء البيوتات وحدهم والولاء للفكر الغربي والفلسفة اليونانية والديمقراطية الليبرالية الغربية .

(٤)

لطفى السيد

وترجمة مؤلفات أرسطو

، لم يكن أرسطو معلما للمسلمين .

كان الأستاذ أحمد لطفى السيد (أستاذ الجيل) هو أول من ترجم فلسفة أرسطو بترجمة كتاب (الأخلاق) إلى العربية عن الترجمة الفرنسية التى قام بها من اليونانية (بارتلى سانيلر) كمنطلق لتبدار جديد أراد به (التغريب) إدخال الفكر الفلسفى اليونانى إلى الأدب العربى الحديث من طريق شخصية لامعة مثل (أرسطو طاليس) وكانت تلك خطوة خطيرة غاية الخطورة ، ذلك أن العرب والمسلمون فى العصر العباسى عندما ترجمت الفلسفة اليونانية رفضوا أرسطو وهاجموه وكشف ريف منهجه وأنشأوا المنهج العلمى التجريبى الذى تنبأه ووجع ليكون وكان أول خطوات الغرب نحو التجريد بعد التبعية لعصر التأمل الذى كان سمة الفكر الاغريقى وهكذا نجد أن الغرب أخذ من المسلمين المنهج التجريبى فى أول عصر النهضة ، ثم جاء فأعطى المسلمين منهج أرسطو فى أول عصر النهضة العربية على يد لطفى السيد فى مقدمة ترجمة كتاب (الأخلاق) .

يقول : مع أن نقل كتب الفلسفة لم يكن مقصوداً على كتب أرسطو فإن فلسفة أرسطو هى التى غلبت على الفلسفة العربية وطبعها بتأثيرها والواقع أن الفلسفة العربية ليست شيئاً آخر غير فلسفة أرسطو طاليس طبعت بالطابع العربى وسميت الفلسفة العربية وبقيت حملة النصب بين الفلسفتين طيبة إلى حد أن الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى كانت تدرس الفلسفة العربية باعتبار أنها فلسفة المشائين : أى فلسفة أرسطو : هذا ما أورده لطفى السيد ، وقد علق عليه الدكتور صروف محرر المقتطف (يناير ١٩٢٥) فقال :

أن ما قاله الأستاذ (يعنى لطفى السيد) يؤيده الكتاب الأوربيون الباحثون فى الفلسفة العربية : أن ما يعرف بالفلسفة العربية ليس فيه من العربية سوى الاسم (٢ - ٤)

واللغة فهو فكر يوناني منظم عبر عنه بلغة ساهية وحوار بالمؤثرات الشرقية وأدخل بين أهل الإسلام بمؤازرة الواسعي الصدر من خلفائهم وبقي حيا بغيرة جماعة من المفكرين الذين لم يمشوا من المجاهرة بأرائهم على أن أمتهم أساءت بهم الفطن وردد ما ذكره لطف السيد مما يراه سلبا في رجوع العرب والمسلمين والمصريين إلى فلسفة أرسطو فقال : وكما أن النهضة الأوروبية الحديثة عمدت إلى درس فلسفة أرسطو من نصوصها الأصلية فكانت مفتاحا للتفكير المصري الذي أخرج كثيرا من الواهب الفلسفية الحديثة فلا جرم أن نتخذ نحن من فلسفة أرسطو لاسيما أنها أشد المذاهب اتقلافا مع طباعنا والطريق الأقرب إلى نقل العلم إلى بلادنا وتأمله فيها رجاء أن تنتج في النهضة الشرقية مثل ما أنتج في النهضة الغربية ، وقال أن فلسفة (العلم الأول) خالدة ماجدها وطن وأخفى عليها زمن ، فقد بنت عليها كل مدينة صروح مجدها العلمي حتى مدينتنا الجديدة ، هذا هو الاتجاه الذي بدأ به لطفى السيد عمله مديرا للجامعة المصرية واتباعه بوجهه أستاذ الجيل رئيسا لها وفتح الباب لطفه حسين وغيره في الدعوة إلى الاغريق وأرسطو ومذهب علم الأصنام اليوناني .

والسؤال هو : هل حقا كان لطفى السيد أستاذ الجيل صادقا فيما قال وفيما دعا إليه العرب والمسلمين من اتخاذ أرسطو منطلقا إلى النهضة الجديدة وقد مضت كتاباته وكتابات طه حسين وغيره من بعد دعوة ملحة إلى هذا الطريق . أم أن الأمر كان فيه شبهة وخدعة . وهل كان حقا (أرسطو) هو منطلق الحضارة الغربية في عصر النهضة وما بعدها ، أم أن أول عمل قامت به النهضة هو نقض أرسطو وتزييفه والحلقة على منهجه واعتبار منهجه هو عامل التجميد الذي عاش فيه الغرب معقلا قرونا حتى جاء نور الفجر مع منهج التجريب الإسلامي الذي أطلق الطاقات إلى عصر العلم الحديث ، ندع هذا للباحثين ، لقد كان علماء المسلمين إنطلاقا من القرآن هم الذين أنشأوا المنهج العلمي التجريبي الذي كان أول حجر في بناء الحضارة واللم لم يشهاده :

دراير وبريفولت وجوستاف لوبون في القديم وسارتون وهونكه وغيرهم في العصر الحديث ومن أهم الكتب في هذا الشأن كتاب هونكه (شمس الله تشرق عن الغرب) وكتاب (أوروبا ولدت في آسيا) .

إذن فلم يكن لطفي السيد صادقا في دعواه ولم يكن عميد الأدب العربي طه حسين أميناً حين نقل إلينا هذا المعنى ، ذلك أن المسلمين نقدوا أرسطو أولاً (في القرن الرابع الهجري) ثم جاء الأوروبيون فنقدوه ورفضوه في القرن (الخامس عشر الميلادي) واستعملوا أسلوب المسلمين في نقده ، واتمسوا بمنهج المسلمين الذي دفعهم إلى ذروة الحضارة والعلم والتكنولوجيا الآن .

إذن فلماذا هذا التعارض : يسأل عن هذا الاستشراق والاستعمار ، ذلك بأنهم على حد تعبير الدكتور محمود قاسم : نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين (جابر وابن الهيثم والبيروني) .

ذلك أن أرسطو هو الذي سبغ المسلمين مرة أخرى داخل القوقعية المنطقية التأميلية ويحرمهم من ثمرات منهج التجريب الذي أنشأوه دعاة الغرب .

وهكذا نجد أن هذا المنطلق على يد لطفي السيد وطه حسين وجماعة من أتباعهم يتسع ويمتد حتى يقرر : أن العرب خضعوا للمنهج اليونان وأرسطو في القديم ولما كان الفكر الحديث هو ثمرة فكر اليونان فإن تبعية المسلمين والعرب له لا يعد شيئاً غريباً ولا جديداً ، لأنهم كانوا تابعين لليونان من قبل فلا عجب أن يتبعوا ما جرده أحفاد اليونان ، لم يكن أستاذ الجليل صادقا إذن ولم يكن الدكتور طه حسين صادقا في هذا ، فإن المسلمين لم يقبلوا أرسطو ولم يعتنقوا فكر اليونان وإنما العكس هو الصحيح ، ذلك أنهم قاوموه ونقدوه وأبأنوا عن وجوه الخلاف العميق بينه وبين منطق القرآن وقصدى كثير من منهم لهذا وفي مقدمتهم الشافعي وابن حنبل والغزالي وابن تيمية .

وإذا كان الخلاف مازال واسعا حول ما كتبه الفارابي وابن سينا وهل هو فلسفة إسلامية أو متابعة للشائين اليونان من المشائين المسلمين ، فإن رجلا كريما قدولى قسم الفلاسفة في كلية الآداب هو الشيخ مصطفى عبد الرازق قد فصل في هذا الأمر على نحو صحيح ، ومن خلال دراسات الجامعة نفسها ، وبالرغم من سيطرة طه حسين على عمادة كلية الآداب حين قال : إنما نلتهم الفلاسفة الإسلامية في كتب المتكلمين والفقهاء ، وأن الإمام الشافعي واضع (علم أصول الفقه) هو

أول الفلاسفة في الإسلام وأن مقامه في العربية هو بمثابة أرسطو في اليونانية ، وبذلك أنشأت مدرسة الأصالة في مجال الفلسفة وامتدت من بعد واتسعت وكان من أتباعها الحضيري وأبو ريده وعلى سامي النشار ، ومنذ ذلك الوقت وقد صدر كتاب (تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية) عام ١٩٤٧ وقد كان منهجه تدنقر قبل ذلك بوقت طويل ، فقد تحررت الفلسفة من التبعية الغربية وبرزت مدرسة الأصالة فيها وهو ما يزال عسيراً في مجال الأدب والنقد الأدبي فإن التبعية لمذاهب النقد الغربي الوافد مازال قويا .

وقد أثبتت مدرسة الأصالة في الفلسفة الإسلامية (مصطفى عبدالرازق - أبو ريده - النشار) أن المنطق الأرسطو طاليسي : هو منهج الحضارة والفكر اليوناني لم يقبل في المدارس العقلية الإسلامية وأن المنهج التجريبي الإسلامي هو الذي عرفته أوربا بعد قرون من مطلع حضارتها الحديثة لمبايئته الحضارة اليونانية وأن اكتشاف وجود هذا المنهج لدى المسلمين يفسر روح الحضارة الإسلامية ، فالحضارة الإسلامية حضارة عملية تجريدية تتجه إلى تحقيق الفعل الإنساني في ضوء نظرية حية ملبوسة كذلك ، فقد كشفت الأبحاث المتعددة عن اضطراب خطير في المراجع التي اعتمد عليها الفارابي وإعتراف الدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا : أن الفكر الذي نقل إلى المسلمين من اليونان والإغريق لم يكن صحيح الأصول بل كانت صورة زائفة دخلت عليها مفاهيم الميريانية والفساطرة المرحمين وعقائدهم وكانت تهدف إلى خدمة مفاهيم دينية ، ومن هنا كان فسادها في أن تعطى الفكر الإسلامي شيئا ، ومن ناحية أخرى فقد تبين أن المقاومة للفلسفة اليونانية ومذهب أرسطو بالذات قد بدأت منذ أن تمت الترجمة وأن المعارضة بدأت منذ اليوم الأول ، ذلك أن الفكر الإسلامي كان قد تم تشكيله قبل الترجمة على أساس قيمه أقرأته من التوحيد والأخلاق ، ومن الربط بين الرحي والنقل ، ولذلك فإنه كان من العسير أن تنصهر فيه الفلسفة اليونانية أو ينصهر فيها ، خاصة وهي فلسفة مجتمع وثني قام على العبودية واعلاء الشبهوات وعبادة الجسد فضلا عن أن محاذير الترجمة من فساد وانتحال وتحريف نصوص وأن كانت طائفة من الفلاسفة أطلق عليهم اسم المشائين قاموا بمحاولة شاقة وعسيرة لإدخال الفلسفة اليونانية في إطار الإسلام

ولكن المحاولة فشلت تماما ، وكانت وقفة الإمام الغزالي في وجه الفلسفة اليونانية وقفة صارمة ردت السهم إلى صدور أصحابه فقد كشف عن الفرق بين الفلسفة الرياضية والطبيعية وبين الفلسفة الإلهية ورفض الأخيرة لأنها متعارضة مع التوحيد وأعلن أن الكلام في الطبيعيات برهاني ، أما في الإلهيات فهو تخميني . وفي الفلسفة الإلهية عارض الغزالي القضايا الكبرى الثلاث : التي تقرها الفلسفة اليونانية وتختلف مع مفهوم الإسلام .

١ - ما يقولون به من إقيم العالم .

٢ - وأن الله (جل وعلا) لا يحيط علما بالجزئيات .

٣ - وإنكارهم البعث ، وهاجم الفلاسفة التي جحدوا الصانع وزعموا أن العالم قديم كالدهرية والزندقة ، والذين قالوا أن النفس تموت ولا تعود ومن أنكروا الآخرة .

وقول الدكتور النشار : أن المنطق الارسطي قد نقل إلى العالم الإسلامي وأثر فقط في المدرسة المشائية الإسلامية وبقيت المدارس الأخرى المنبثقة عن النظام الإسلامي بعيدة كل البعد عنه ، تحاربه وتجاهده ، وكانت قد وضعت منطلقا مختلفا تمام الاختلاف في روحه وجزئياته .

وقد وصل علمائنا في مجال البحث من منهج أرسطو إلى حقيقة أساسية هي أن : منطق أرسطو يعبر تعبيرا دقيقا عن المجتمع اليوناني العبودي المنقسم إلى سادة يتأملون وعبيد يعملون ، السادة هم الصورة والعبيد هم المادة ، ولكن المجتمع الإسلامي يختلف عن المجتمع اليوناني اختلافا كبيرا تقوم دوائته على الأخوة والمساواة وتبطل من نقطة النظر في السموات والأرض والعمل والعكس والسعي والتجريب ومن هنا اختلاف منهج المجتمع الإسلامي عن مجتمع اليونان من جملة جوانب أهمها : التوحيد وإلغاء العبودية والممارسة في مجال العلم وبذلك بدأ ذلك التعارض الراسخ العميق بين مجتمع وفكر وفكر خرج الفسك الإسلامي من الطبقة الارسطية التي ترى أن العلم لا يكون إلا بالكلية أما العلم الجزئي فليس علما ، فتقدم الفسك الإسلامي لحطم هذه القاعدة ، وبدأ النزعة التجريبية من الجزئيات وبذلك خرج

المفكرون المسلمون عن المفهوم الارسطى للحد والتعريف ، واستطاع رجال
الاحول والفقهاء أن يقيموا نظرة جديدة للتعريف تقوم على أساس الواقع ، وأدى
ذلك الخروج عن حدود القياس الارسطى إلى الحصول على نتائج عملية وأصبح
طابع الفكر العلمى الاسلامى هو طابع التجريب ، ونقد المفكرون المسلمون
قياس ارسطو وقال عنه ابن خلدون أنه قياس ذهنى ، أما المسلمون فقد عرفوا ما لم
يعرفه اليونان وخطو أخطر خطوة فى تاريخ البشرية وهى بناء قاعدة العلم الحديث
نفسه : تلك هى التوحيد بين التأمل والممارسة العملية وأولى المسلمون اهتمامهم
بالرابط العلية بين الأشياء وعلى هذه الرابطة بين الأشياء قامت التجارب ، وعلى
هذه الرابطة العلية (البحث عن العلة) أقام البيرونى والرازى وجابر بن حيان
وابن سينا تجاربهم العلية وفى نفس الوقت قام المنهج العلمى فى الفكر حيث فسر
ابن خلدون حركة التاريخ وتطور العلاقة البشرية .

وبهذه النظرة المتطورة للكون والانسان اختلف الفكر الاسلامى اختلافا
كبيرا عن الفكر اليونانى المترجم وتناقض معه فى مختلف فروع الثقافة من علم
وأصول وفقه وفلسفة عقلية ونظرة إلى الإنسان ولم يكن هذا الاختلاف عابرا
أو طارئا وإنما كان نتيجة طبيعية لاختلاف التكوين الاجتماعى للدولة الإسلامية
عن الحضارة اليونانية وبذلك ظهر الفكر الاسلامى فى جوهره فكرا تجريبيا
تجاوز منطق أرسطو وأطل على التجربة العلية رابطا بين التأمل النظرى والممارسة
العلمية وخرج بذلك على الفلسفة الارسطية والافلاطونية .

وقد صور كثير من الباحثين أثر منهج أرسطو فوصفه الدكتور محمود قاسم
بأنه كان منهجا عقيما وأنه ضلل كثيرا من مفكرى العرب ثم وقف حائلا دون
ازدهار الحضارة العربية ويرجع عقمه إلى أنه كان خلوا من الخيال وأنه كان
أكثر اهتماما بالقضايا العامة المجردة منه لدراسة التفاصيل والجزئيات ، يستدل على
صديق دعوانا وتواضعها بتاريخ النهضة الأوربية فإنها لم تتحرر من الجود الذى
فرضه عليها منهج اليونان إلا بعد أن عرفت مناهج العرب فى العلم والفلسفة ولنا
أن نثبت ببيان نفسه ، ذلك أنه يصف (دوجي بيكون) بأنه الأمير الحقيقى

للفكر الأوربي في القرن الثالث ، ويجب أن تعلم كيف جاءت إمارة الفكر ،
إذ ليس في هذا المجال خلق من العدم ومن اليسر أن نكتشف سر أصالته إذا نحن
بيننا أنه أول من نادى بمهاجمة المنهج الأرسطاطليسي في أوربا ودعا إلى اصطناع
نهج العرب فهو يأخذ على معاصريه بأنهم يصبون لعنائهم على الرياضة من أنه من
الممكن أن يبرهن بالرياضة على كل ما هو ضروري لفهم الطبيعة ولولا الرياضة
لاستحال علينا أن نعرف أشياء هذا العالم معرفة صحيحة تمود علينا بالنفع في الأمور
الإنسانية والأمور الدينية أيضا ، كذلك يأخذ عليهم الانصراف عن استخدام
الملاحظات والتجارب مع أن الطبيعة لا تكشف أسرارها إلا بدراسة الأمور الجزئية
حتى تصعد بنا إلى القوانين السلكية .

وهكذا انتصر المنهج الإسلامي على المنهج الأرسطاطلي وحطمه في عقر داره بعد
أن حطمه في مجال الفكر الإسلامي نفسه .

فلماذا أردنا أن التين فسكر أرسطو وجدناه يقول بالنظام العبودي اليوناني
ويرى أن (نظام الرق) هو أصلح نظام للبشرية وأن العبد إذا تحرر من عبوديته
فهو عبد والإمبر إذا استعبد فهو أمير ، ومنهمو لله تبارك وتعالى ناقص وضال
وماديته في التفكير بكونه أساس المذهب المادى واضح لإشبهه فيه ، ولذلك فقد
كان لابد أن يصبح الفكر الإسلامي موقفه من أرسطو وفلسفته وخير ما يذكر
في ذلك ما كتبه الإمام الجليل ابن تيمية في كتابه مناهج القرآن في مواجهة منطق
أرسطو مما فصلناه في دراسات أخرى .

مراجعة عامة

في مراجعة عامة لحياة لطفي السيد تتكشف مجموعة من الحقائق تلقى الضوء على شخصيته والدور الذي قام به :

أولاً : أن مترجمات أرسطو (التي ترجمت عن الفرنسية) السياسة ، الكون والفساد والأخلاق هي منسوبة إليه ولكنه ليس هو مترجمها في الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة في دار الكتب المصرية وقد شهد بذلك الأستاذ أحمد عابدين أحد مديري دار الكتب .

ثانياً : دعوته على قصر التعليم على أبناء السراة والأعيان .

ثالثاً : حضائمه وحمايته لطه حسين في كل المواقف التي تعرض فيها طه حسين للخيل .

رابعاً : كراهيته للعالم الإسلامي والعروبة ومعارضته للانضمام إلى أحدهما وللحاحه حتى وفاته على الاقليمية المصرية .

(من حديث عبد الحميد السكاك في أخبار اليوم)

خامساً : أنشأ جريدة الجريدة شركة يرأسها محمود سليمان باشا من كبار المتعاونين مع المحتل ، لمواجهة الحزب الوطني ودعوته إلى الجلاء ، اشترك في انشائها الاقناعيون المصريون أعوان الاستعمار وحزب الأمة الذي تولى جريدته هم الذين كان كرومر يطلق عليهم أصحاب المصالح الحقيقية ، وكان لطفي السيد يرى أن السلطة الفعلية في البلاد هي سلطة المعتمد البريطاني ويقف الموقف المهادنة مع الاحتلال .

سادساً : الوزارات التي اشترك فيها تنقسم كلها بطابع واحد فهي جميعها وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والحريات العامة ، والتي كتب لطفي السيد مقالات مطروقة يطالب بها .

سابعاً : هجومه الشديد على اللغة العربية الفصحى ودعوته إلى تطوير العامية واستعمالها ووصف زكي مبارك أسلوب لطفي السيد بأنه كالرحي التي تظعن القرون

ثامناً : تعد مدرسة الجريدة لطفى السيد هي الأساس للتيار العدائي للتغريبي الذي حملته من بعد جريدة السياسة بقيادة طه حسين وهيكل ومحمود عزمى وعلى عبدالرازق وكانوا يسمونها الفكرة الليبرالية وكانوا جميعاً يكرهون الفكرة الإسلامية والوحدة الغربية وعاشوا يحاربونها .

ومن العجيب أن عدو اللغة العربية هو الذى تولى رئاسة مجمع اللغة العربية فقاده نحو الأهداف التغريبية .

ويقول أحد الباحثين أن لطفى السيد هو أول من ضرب وحدة الفكر العربى الإسلامى وقسمه إلى تيارين : قومى ودينى وسارت الأحزاب المصرية المنبثقة من حزب الأمة (الوفد ، الأحرار الدستوريين) على نفس الطريق الذى رسمه كرومر ونفذه لطفى السيد والذى كان سعد زغلول أكثر إيماناً به ، وقد حمل لوائه سعد زغلول بعد ثورة ١٩١٩ واستطاع هذا الاتجاه أن يسيطر بعد الاستقلال وأن يمتلك نفوذ الحكم والسيطرة السياسية بيننا وقتب الاتجاه الإسلامى فى حدود ضيقة وبرز من خلال الجمعيات الإسلامية والأزهر بعد أن انتشرت حركة التبشير فى الجامعة الأمريكية وسقوط الخلافة وظل مسيطراً حتى أسلم نفسه لحركة يوليو التى عمقت خطر العلوانية تعميقاً كبيراً وفتحت الباب واسماً أمام الماركسية اللينيه .

الفصل الثاني

جورجی زیدان

نفاذ الحجة

نفاذ الحجة

(١)

تاريخ آداب اللغة العربية

تاريخ آداب اللغة العربية ، مؤلف ألفه ماروني تروى فى مدارس الشيوعيين هو جورجى زيدان وعليه باللغة العربية وآدابها لا يؤهل لفهم مؤلفاتها وهو الضمنى الثقافة ، ولذلك كان الشيخ السكندرى يقطا فيها كتب عنه .

قال الشيخ السكندرى : الأمور التى تؤخذ على الكتاب كثيرة :

أولا : الخطأ فى الحكم الفنى ، أى تقرير غير الحقيقة العلمية سواء أكان ذلك بقصد من المؤلف أم بغير قصد .

ثانيا : الخطأ فى الاستنتاج ، وهو ما يعذر فيه المؤلف لأنه اجتهاد من عند نفسه .

ثالثا : الدعوى بغير دليل ، وهو ما يقرره المؤلف من غير دليل عليه ، وقد يكون فى ذاته صحيحا ولكن سوقه ساذجا يتيح مجالا للشك .

رابعا : الخطأ فى النقل وهو آت من تصرف المؤلف فى عبارات المؤلفين بقصد اختصارها ، أو من تسرع فى الجمع ، وقلة مراجعة الأصول .

خامسا : قلة تحرى الحقيقة بمراجعة الكتب المعتمدة والتواريخ الصادقة ، ووزن كل عبارة بوزان العقل والانصاف وقياس الأمور بأشبابها ، بل كثيرا ما تروج عند المؤلف أقوال الخصوم فى خصوصهم ، وأقوال الكتب الموضوعة لأخبار الجان ، أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها .

سادسا : تناقض بعض أقوال الكتاب .

سابعا : الاختصار فى كثير من التراجم والمباحث ، وإهمال ما ليس من شأنه أن يوصل .

ثامنا : ادخال ما ليس من موضوع الفن فيه ، لغرض مناسبة أو لمناسبة ضعيفة جدا .

تاسعا : الاستدلال بجنسية واحدة على الأمر الكلي ، وهو كثير الحصول في جميع كتب المؤلف وفي أكثر استنتاجاته ودعاواه .

عاثرا : تقليد المستشرقين في مزاعمهم أو نقلها من غير تمحيص .

حادى عشر : اضطراب الباحث وصعوبة استخراج فائدة منها لاختلال عبارتها ، أو لعدم صفاء الموضوع للؤلؤ .

ثانى عشر : اضطراب التقسيم والتبويب ، أما بذكر الباحث في غير موضعه ، وبعد رجال عصر في عداد رجال عصر آخر .

ثالث عشر : التهرب واللحن وهما كثيرا الشيوع في جميع كتب المؤلف .

رابع عشر : تنهات المؤلف على تطبيق قانون النشوء والارتقاء حتى على الأمور التي فيها تدل وانحطاط لانشوء ولا ارتقاء .

أولا : الخطأ في الحكم الفني :

١ - قول المؤلف (وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى أنه لم يكن يحسن الاعراب ولا يتألى به) .

وقد عزا هذه العبارة إلى (ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٢) فالذى يثق بالمؤلف يصدق عبارته بعد أن تبرأ من تبعاتها ونسبها إلى مؤرخ عظيم ، ولكنه إذا أعزها ابن خلكان في هذه الصفحة ، بل إذا قرأ ترجمة أبي حنيفة من أولها إلى راجع لم يشم منها رائحة هذه الألفاظ بل المعاني .

٢ - فقول المؤلف (وكان أئمة الفقه في المدينة ، فأراد المنصور تصغير أمر العرب واعظام أهل الفرس لأنهم أنصارهم - أى العباسيين - وأهل دولتهم ، فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل أنظار المسلمين عن الحرمين ، فبنى بناء بماء القبة الخضراء بمحيط الناس (كذا) وقطع المسيرة عن المدينة ، وفقه المدينة يومئذ الإمام

مالك الشهير فاستفتاه أهلها في أمر المنصور ، فأفتى بخلع بيعته فخلعوا ، وبايعوا محمد بن عبد الله من آل علي بن أبي طالب .
ومن عبارته يفهم أن جمهرة أئمة الفقه كانت بالمدينة فقط ، وأن المنصور كان يكره العرب كراهية حملته أن يرتد عن الإسلام ويحاول صرف المسلمين عن تولية وجوههم شطر قبلتهم ، وأن أهل المدينة استفتوا مالكاً في خلع المنصور فأفتاهم .

وكل هذه الوازم باطلة فلم تكن جمهرة الفقه بالمدينة بل كانت في كل الأنظار ثم كيف يكره المنصور العرب هذه الكراهية وهو عربي ، وابن هم النبي ﷺ وخليفته في أمته وشريعته .

أما عن الثالث فينا فيه مانع ، واعتذار المنصور بعد ذلك للملك عما وقع ، كذلك فإن المنصور لم يقطع عن أهل المدينة إلا بعد مبايعتهم محمد ابن عبد الله .
ومن خطئه في الحكم عده ظاهر بن الحسين - فاتح بغداد وقاتل الأتراك - في عباد المنشئين كتاب الرسائل ، مع أن هذا الاسم لا ينطبق عند علماء الأدب إلا على الكاتب في ديوان الرسائل ، ولم نجد فيه طاهر بن الحسين منشأ قط .

ومن الخطأ في الحكم زعم المؤلف أن علم الكلام ومذهب الاعتزال نشأ في العصر الثاني من حكم بني العباس أي بعد ١٢٢ هـ مع أن المشهور في التاريخ أنه لما كثرت الزنادقة والملاحدة في زمن المهدي ، أوعز إلى العلماء أن يحاجوهم بالأدلة العقلية ويدون ذلك في الكتب ففعلوا وسماوا المتكلمين .

ومن الخطأ في الحكم جعله أبا منصور عبد الملك الثعالبي صاحب بَيْتِ الدَّهْر ، هو صاحب التفسير الكبير المعروف بتفسير الثعالبي ، والثعالبي هو الامام الحجة الثالث (أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعالبي) فهو شخص آخر غير أبا منصور الثعالبي .
ومن أخطائه قوله أن القصائد طالت في العصر الثالث من حكم بني العباس وطول القصائد لم يختص في عصر دون عصر ، وقوله : أن العرب لم يدركوا شأو اليونان والفرس في تطويل القصائد ، فإن المؤلف لم يفتن إلى الفرق بين الشعر البصراني والإعجازي ، فإن الشعر العربي تنظم القصيدة فيه من بحر واحد

واقفية واحدة وروى واحد ، وشعر الأمم الاعجمية ليس له قافية .
ومن الخطأ في الاستنتاج ، زعم المؤلف أن التصوف لم ينشأ إلا في العصر
الثالث أي بعد ٣٢٤ هـ . ويعنى على ابن خلدون وغيره ممن يرى أن اشتقاقه من
الصوف ، ويرى أن اشتقاقه من كلمة سوفيا اليونانية (بمعنى الحكمة) .
وأقول أن طريقة القوم قد اشتهرت بهذا الاسم قبل شيوع ترجمة الكتب
اليونانية وانتشار الفلسفة .

ومن خطأ الاستنتاج واضطراب الكلام واختلاطه : الفصل الذي كتبه
المؤلف عن السيرة النبوية ، فقد جعل سيرة ابن ابيحقق وابن هشام واحدة ، وابن هشام
لم يكن راوياً ، والحقيقة أن سيرة ابن ابيحقق سيرة كبيرة مستقلة عن سيرة ابن هشام ،
وهي التي يطعن في شعرها ولم يتفق على صحتها وأن ابن هشام لم يكن هو الراوى
لهذه السيرة بل لحسن سيرته النبوية عن سيرة ابن ابيحقق وغيرها من كتب البخاري .
ثانياً : دعاوى المؤلف :

ومن دعاوى المؤلف بغير دليل دعواه أن ابن قتيبة أول من تجرأ على النقد
الأدبي فالف في أكثر فنون الأدب المعروفة .
فإن أراد المؤلف : أنه أول من كتب في نقد الشعر ، فليس بصحيح إذ سبقه
إلى ذلك كثير منهم محمد بن سلام الجمعي ، في كتابه طبقات الشعراء ، وقوله
أنف أبو عبيدة كتاب نقائض جرير والفرزدق .

ومن دعاوى المؤلف قوله : أن الشعر في العصر الأول من بني العباس قد بطل
استعماله في العصبية ، كما بطل استناد الخلفاء للشعراء بسبب انتصارهم لفرق
على غريق .

والحقيقة أن الشعر بقي يستعمل في العصبية طوال العصر العباسي الأول وبعض
العصر الثاني ، بل لقد فتح الخلفاء العباسيون في العصبية باباً شراً من عصبية القبايل
وهو تفضيل العباسيين على الطالبيين .

ومن دعاوى المؤلف قوله : ولم يكن للشاعر العربي يد من الرحلة إلى بلاد
العرب لاقتباس أساليبهم ، فليقل لنا المؤلف ما هي رحلات أبي نواس ومسلم

والحسين بن الضحاك ، ومطيع بن اباس وحامد عجرد وأبان اللاحقي إلى بادية العرب .
أن الرحلة إلى بلاد العرب كانت خاصة بالعلماء ورواة الأدب واللغة أمثال
الخليل والاصمعي وأبي عبيدة والكسائي .

ومن دعاوى المؤلف أن ابن المقفع كان يعرف اليونانية جيدا ، ولم ترق كتب
الأدب والتاريخ من ذكر هذا .

ومن دعاوى المؤلف في الكلام على طريقة أبي الحسن الأشعري في علم الكلام :
أن الناس عولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين الآراء ، فكيف يعقل أن مذهبا
يسوى بين آراء كل الطوائف ، وفهم من يناقض مذهبه مذهب الآخر ، وظاية
الأمر أنه اعتدل بين مذهبي المعتزلة والسلفية من أهل السنة .

ومن دعاوى المؤلف : عن المتوكل الخليفة العباسي أنه أهلك جماعة من العلماء ،
وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله .

فإن المؤلف هذا الكلام وكل هذه الغارة على المتوكل من جراء أنه رفع
السنّة بمخلق أقرآن ، ونهى الناس عن الجدل فيها بعد أن أنهكت دينهم وأخلاقهم
وأنه أمر أهل الذمة بلباس شاربات تميز رقيم وأنه صادر بمخيشوع الطبيب وبعض
الكتاب لحيانة ظهرت له منهم .

ومن دعاوى المؤلف أن الانشاء في العصر الثالث العباسي قد صار له طريقة
خاصة تماما (كلاسيك) أخذ من اصطلاح الافرنج ، ثم أخذ يسرد شروطا
للانشاء المدرسي ، والمتتبع لها يجد أن أكثرها لا يختص بعصر دون عصر ، وأن
أغلبها أمور طبيعية وعادية في كل زمان .

ومن دعاوى المؤلف زعمه أن العرب نقلت محاضراتها عن اليونان ، وما نقله
المؤلف من تعريف المحاضرات إنما يؤكد أنها فن عربي بحث كان يطلق قديما على
عدة علوم من أنواع التاريخ والأخبار والذوادر والشعر ومنه كامل المنبر وآمال
القبلى وكثير من كتب الجاحظ وأبي حنيفة الدينوري .

ومن دعاوى المؤلف أن كتب (السيراني) لم يصلنا منها شيء . وعد منها كتاب
البحر بين البصريين والكتاب في دار الكتب المصرية في نسخة قديمة وأظنها
من كتب الشنقيطي .

ثالثا - الخطأ في النقل :

أخطأ المؤلف في نقل عبارات المؤلفين أما بتصرف فيما تصرفوا فبغيره .
وأما بتحريف الكلم وأما بنقلها من نسخة معرفة من غير تمحيص . وهو كثير .
ومنها خطأه في تسمية أسم رجل واحد على مسمين (أحمد بن يوسف
ابن صبيح) فقال أحمد بن يوسف وزير المأمون . وابن صبيح .

ومن نقصير المؤلف في توضيح ما نقله عن السيوطي ، ناقلا عن كتاب العين
ومختصر الزبيدي ، أحصاء المستعمل من الألفاظ العربية والمهل منها . فاستخرج
المؤلف من كتاب الزبيدي أحصاء المستعمل من الألفاظ العربية ٦٥٢٠ لفظا
مع أن كتاب القاموس (وهو ليس إلا قطرة من بحر اللغة العربية) يشتمل
على ستين ألف مادة ، متوسط ما في كل منها من المزيد والمشتق عشرون كلمة
على الأقل أي نحو مئة ألف كلمة فكيف ولسان العرب ، به ثمانون ألف مادة
متوسط ما في كل منها ثلاثون كلمة على الأقل .

رابعا - عدم تحرى الحقيقة والضوابط :

إعتاد المؤلف أن ينقل إلى كتبه ما يعتقد بذاته ، أو ما يكون دائما
على السنة عامة القراء والرافين من غير تمحيص لحقيقتها . لكل من تعرض
لتدوين التاريخ في السياسة أو الأدب ألا يكتفى برواية كتاب واحد أو كتابين
أو بما يذيع على السنة الناس بل يجب عليه تحقيق الخبر وتمحيصه والاخذ بالرواية
أقربها من العقل .

ومن ذلك نقله عبارة ابن خلسكان عن أن الامين جمع بين سيوبة
والكسائي في مجالس المناظرة وأن الكسائي زعم أن العرب تقول كنت أظن

الزئبور أشده لسا من النحلة فإذا هو لهاها . . والمشهور أن المناظرة جرت في مجلس يحيى بن خالد البرمكى .

ومن ذلك أنه لم يتحر الحقيقة والصواب في تعداد كتب الراقدى .

خامسا — التناقض :

فن ذلك ما ذكره عن ابن الرومى والمتنبى وما شكك من نسبة كتاب العين إلى الخليل ، وناقض المؤلف نفسه في نشأة علم الجغرافيا في العصر العباسى الثانى . ومن تناقض المؤلف قوله : نشأ علم الجغرافيا في هذا العصر (العصر الثانى العباسى) بعد نقل علوم القدماء إلى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس ، وعليه معولهم في تقويم البلدان .

على أن المسلمين بدقرو بوضع الجغرافيا قبل اطلاعهم على هذا الكتاب ، لأسباب غير التى دعت اليونان إلى وضعها الخ .

وهذا تناقض من المؤلف إذ ذكر الجغرافية أول بمعنى الجغرافيا الرياضية ، وأعادها ثانيا باسم الجغرافيا التخطيطية ، التى كانت تسمى علم المسالك والمعالك ، والمعروف أن العرب أشتغلوا بالجغرافية اليونانية قبل العصر الثانى ، والمأمون وعلماؤه ممن صحح أغلاط بطليموس وغيره ، فى محيط الأرض وقطرها ومقياس الدرجة الأرضية .

ومن تناقض المؤلف وتحمده قوله فى أى العتامية : ، قد نظم فى كل أبواب الشعر وأمتاز منها بالزهد ورؤخذ من سيرة حياته أنه كان مترددا متقلبا على أن تنجح أى العتامية عن قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة . والراى أن هذه العلل لو صدقت على كل شاعر يتكسب بالشعر لتبرمت الدنيا بكثرة المحرورين والموسوسين .

سادسا — الاختصار فيما يجب الاطّباب فيه :

ومن أعجب أمور المؤلف أنه يعلم ، ويعلم أن الناس تعلم ، أنه يؤلف كتاب فى آداب اللغة العربية لا آداب اللغة اليونانية القديمة ولا الفارسية ولا اللغات

الأوربية ، ثم تراه إذا خاض في ذكر بحث من مباحث الآداب العربية أو عند النبغاء أو ذكر ترجمة شاعر أو كاتب ، أقتصر على ذكر تنقطة قليلة أو أقتصر على المبدأ القليل من مشهورى النبغاء وأختصر تراجمهم مكنياً بذكر ما لا يلزم الناقد الأديب ويذكر الكتب التى يراجعها من شاء التوسع .

وأشار إلى تقصير المؤلف بأعماله ذكر الجرمى من تحاة العصر الثانى مع ترجمته لابن ولاد وأبى جعفر النحاس ، وأعماله ذكر الأوزان والقوافى التى طرأت على الشعر فى جميع العصور التى ذكرها كالموالي والنويث ، وتخصيصه لثنى عشر صفحة من كتابه لموضوع أجنبى عن موضوع آداب اللغة العربية بالمره ، وهو آداب اللغة اليونانية وأطوارها وتراجم فلاسفة اليونان .

وهو ذلك لإسهاب المؤلف فى شرح الآداب والانشاء عند الأفرنج وذكره لبعض قصص الأفرنج الخرافية .

ومن التطويل المخل بالنظام وضع الكلام فى مبحث تأثير القرآن الكريم اللغة العربية فى هذا الجزء ومن حقه أن يدرج فى الجزء الأول ومن التطويل تكرار الكلام فى موضعين أو ثلاثة لغير موجب مثل وصف التهنك والحلاعة عند الشعراء .

سابعاً — الاستدلال بحادثة جزئية على أمر كللى :

أعتاد المؤلف فى كتبه أن يستتبع من حادثة جزئية أمراً كللياً وهذه الخصلة من أكثر ما ينبغ عليه النقد وقد عمل بها فى كتابة هذا غير مرة (وقم الباحث فى ذلك نماذج متعددة) .

ثامناً — تقليد مستعربى الفرنجة حتى فى الخطأ :

للمصنف ولع بنقل ما يكتبه المستعربون عن العرب وأدبهم ولو خالف الواقع . ومن ذلك نقله فصولاً برمتها مشوبة بالخطأ من كتاب نيكلسن الانجليزى ويكلمان الألمانى مثل مقالة الشعر فى العصر الأول وغيرها .

من ذلك أن وضع ما يصلح أن يذكر في أداب الفرائجة في أداب العرب ، وما ينبغي أن يجعل في عصور ظهور الاسلام جملة في عصر بني العباس . ومن يجب أن يترجم له في عصر معين أو في طائفة بعينها ترجم له في عصر غيره . عصره طائفة غير طائفته ، بحيث تضطرب المباحث وتداخل العصور .

من ذلك ذكره أن الخلاف بين التحوين للمكوفيين والبصريين حصل في العصر الثاني وما بعده من عصور الدولة العباسية ، والحقيقة أنه حصل في العصر الأول .

ومن ذلك تأخير الكلام عن نشأة علم الفرائض إلى العصر الثالث مع قديمه من مذاهب الفقه في العصر الأول .

عاشرا - تهافت المؤلف :

للمؤلف تهافت وولع بالشئ لا يؤبه له ، أو بالأمر يناسب مقامه خاصة فيصححه في كل مقام ، كما فعل هذا في كتابة في مواضع شتى .

من ذلك حالة النشوء والارتقاء يقيس بها كل أمر حتى خرج به القياس إلى عكس ما يراد بها وذكر أن اضطراب العلاقة الإسلامية وإخلالها إلى أمارات وممالك صغيرة متنافسة متشاكسة من دواعي النشوء والارتقاء في حين بعده المؤرخون من دواعي الانقراض والفتناء .

حادي عشر - اللحن والاعلاط اللغوية :

لا تكاد تمر بأقارى صفحة إلا وهى مشتهة على خطأ لفظي ، أما في التحقير أو الصرف أو اللغة ، وإذا كانت هذه الاعلاط تبد بالعشرات بل بثلثات فانتا لا تستطيع تعدادها .

وفي النهاية يختم الشيخ السكندري رحمه الله نقده ختاماً مؤبداً حيث يقول :
والنتيجة أن الكتاب على ما فيه من مواضع النقد لا يخلو من منافع في موضوعه وغير موضوعه . وهى عبارة مؤيدة تبنى أن المؤلف لم يكن منضبط المنهج فكان كلامه أحياناً يخرج عن موضوع الكتاب .

تاريخ التمدن الإسلامي

يقول العلامة « شبل النعماني » المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في لاهور بالهند (نشر النقد في مجلة المنار والتي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا رحمه الله على حلقات المجلد ١٥ ، ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م) :

« إن الدهر دار العجائب ، ومن احدى عجائبه أن رجلا من رجال العصر (جرجي زيدان صاحب الهلال) يؤلف في تاريخ تمدن الإسلام كتابا يرتكب فيه تحريف الكلم ، وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة في النقل وتعمد الكذب ، مما يفوق الحد ويتجاوز النهاية » .

وينشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد وقبة الإسلام ومقرس العلوم ثم يزداد انتشارا في بلاد العرب والعجم ، مع هذا كله فلا يتعطن أحد لدنائه .

ولم يكن ليحزى على مثل هذه الفظيعة في مبتدأ الأمر ، ولكنه تدرج إلى ذلك شيئا فشيئا ، فإنه أصدر الجزء الأول من هذا الكتاب ، وذكر في مثالب العرب دسيسة يتطالع بها على احساس الأمة وعواطفها ، ولما لم يذنب لذلك أحد ، ولم ينبض لأحد عرق ، ووجد الجوصافيا ، أرخى الحنان وتماهى في الغي . وأسرف في السكاية على العرب عموما ، وخلفاء بني أمته خصوصا .

« إن الغاية التي توخاها المؤلف ليست إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساوئها ، ولكن لما كان يخاف ثورة القلم ، غير مجرى القول ولبس الباطل بالحق » .

• بيان ذلك أنه جعل العصر الإسلام ثلاثة أدوار : دور الخلفاء الراشدين ، ودور بني أمية ، ودور بني العباس ، فدح الدور الأول ، وكذلك الثالث ولما ظهر الناس بمحبة الخلفاء الراشدين ، وهم سادتنا وقدوتنا في الدين ، وبهذه لف العباس وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم وبهم نخارتنا في تمت التمدن وأمة

الملك ، ورأى أن (بنى أمية) ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ، ولا مدافع عنهم ، تفرع لها وحل عليهم حملة شنعاء ، فما ترك سيئة إلا وعزاها إليهم وما خلى حسنة إلا وأبترها منهم .

ثم لو كان هذا لأجل أنهم من آل مروان أو لكونهم من سلالة أمية لكننا في غنى عن الذب عنهم والحماية لهم ولكن ذنبهم أنهم « العرب » على صرافتهم ماشابهم العجمة مطلقا . وقد حصر الباحث أخطاءه في عدد من الأصول العامة :

أولا : عصبية العرب على العجم :

أطال المؤلف وأطنب في اثبات هذه الدعوى ، وقال أن العرب يهاملونهم معاملة العبيد ، في عديد من المواضع (العنوان العام في الجزء الرابع صفحة ٥٨) . وأعلم أن المؤلف في اتقان باطله أطوارا شتى :

منها تعدد الكذب ، ومنها تعميمه لواقعة جزئية ، ومنها الخيانة في النقل وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنها الاستشهاد بمصادر غير وثوقة ، مثل كتب المحاضرات والفكاهات ، وغير خاف على من له ألبان بتاريخ الفرس والعرب ، أن الفرس كانت قبل الإسلام تحتقر العرب وتزدرهم ، ولما أرسل رسول الله ﷺ كتابه إلى كسرى العجم ، اشمأز وقال : عبيد يكتب لي ؟ وكتب يردجده إلى سعد بن أبي وناص فاتح القادسية أن العرب على شرب ألبان الإبل وأكل الحنظل بلغ بهم الحال إلى أن تمنوا دولة العجم فأف لك أيها الدهر الدائر .

ثم لما شرف الله العرب بالإسلام ، انتصفت العرب من العجم ، واستعكفوا من سيادتهم عليهم وجاءت الشريعة الإسلامية ماحية لكل فخر ونخوة ، فقال رسول الله ﷺ في خطبته الأخيرة في حجة الوداع :

« أن لا فضل للعربي على العجمي ولا للعجمي على العربي ، كلكم أبناء آدم ، حينئذ ارتفع التمايز وتساوى الناس ، ولكن مع ذلك بقيت في بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كاهنة في صدورهم ، كانت سببا لحبوسه جزين متسكمانين في صهي أحدهما :

الشعوية : وهي التي تحتقر العرب وترميمهم بكل صعيبة ، والثاني : المتعصبون للعرب وقد عقد ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) بابا في حجاج كل من الطرفين وصدر هذه الأتوال بقوله (قال أصحاب العصبية من العرب) وأنت تعلم أن هذه العصبية ليست كل العرب ولا أكثرها ولا عشر معشارها ، فهؤلاء شردمة مغمورون في الناس ، ولكن المؤلف ما اقتنع بذلك ، بل ربما نسب قول رجل معين معلوم الاسم إل العرب عامة .

وقد مضى جرجي زيدان في دعواه متابعا كتابات المستشرقين في اتهام العرب بانتقاص الموال فقال أنهم منصوصون من المناصب الدينية المهمة (الجزء الرابع ص ٦) .

فقال الشيخ النعماني : إن البلاد التي كانت عواصم الأقاليم وقواعدها في عصر بني أمية ، كان كل أئمتها من الموال ففي مكة عطاء ، وفي اليمن طاووس ، وفي الشام مكحول ، وفي مصر يزيد بن أبي حبيب ، وفي خراسان ضحاك بن مزاحم ، وفي البصرة حسن البصري ، ومع كونهم أعجماء وكونهم أولاد الإمام ، كانوا سادة الناس وقادتهم ، تدعى لهم العرب ويحترمونهم خلفاء بني أمية وولاة الأمور . وقد عالج هذه النقطة بما عرض مطولا بما يؤكد أن الموال كانوا في أيام بني أمية بأعلى محل من الشرف والمكانة وأن كل ما أورده جرجي زيدان وسابقيه من المستشرقين افتئات ظاهري وتجن وظلم .

استند جرجي زيدان على نص حاول فيه الادعاء بأن عمال بني أمية كانوا يفرضون نوعا من الجور والشدّة . يقول : ولذا أتى أحدهم بالدرهم ليؤديها في خراجه يقطع الجاني منها طائفة ويقول : هذا رواجها وصرفها واستند في هذا على كتاب الخراج لأبي يوسف .

ويقول الشيخ النعماني :

أيها المؤلف الفاضل : أليس لك وازع من نفسك ؟ أليس لك وادع من فإنتك ؟ أعجز على مثل هذا الكذب الظاهر ، والمين التماحش جبرة ، فإن

أما يوسف ماتكلم في شأن عمال بني أمية بنت شقة ، وإنما ذكر عمال هارون الرشيد واسماهم العمل في جباية الخراج .

وكتاب الخراج لأبي يرسف بين أيدينا . وأن ما استند إليه عن عمال هارون الرشيد ، فكيف يأخذ المؤلف أقواله وينقلها من حيث أنها هي العارق التي كان عمال بني أمية يجمعون الأموال بها .

ثانيا : مساوىء بني أمية :

ويقول الشيخ الذهبي : أن موضوع الكتاب ليس إلا بيان تمدن الإسلام ؟ فأى متعلق في ذلك لإبداء مساوىء بني أمية .

ولعلك تقول لابد في تاريخ تمدن الإسلام من بيان منهج السياسة ، هل كانت مؤسسة على الاستبداد والجور أو العدل والصفه ، فجر ذلك إلى كشف عوار بني أمية عرضا ، أأشددك أنه أما كان لأحد منهم مآثرة تذكر ومنقبة تنقل ، وسياسة تنفع البلاد ، وعدل يهم الناس ، نعم أن خلفاء بني أمية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين ، وليس هذا عارا عليهم ، ولا فيحط بانزلتهم فإن إدراك شأن الراشدين واللاحق بهم أمر خارج على طوق البشر ، وليس فيه مطمع لأحد ، ولا موضع رجاء لمجتهد .

ولكن التوازن والتطابق بين الأموية والعباسية ، وإنما هم ملوك فيهم المحسن والمنفي والعادل والجائر بل الذي أعد لهم سيرة وأوفاهم دما لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات لا تذكر .

فلو لزم المؤلف جادة الصواب ، ووفى لكل أحد قسطه وأعطى كل ذي حق حقه ، لاستراح واسترحنا ، ولكنه مال إلى واحد فأطرى في مدحه (العباسي) ونال من الآخر فأسرف في تمجيته وذمه (الأموي) .

ثم أنه لم يفارق في مدحه وذمه عمود الكتاب أى ذم العرب والخط من شأنهم فإنه ذم بني أمية لأنهم العرب ، ومدح العباسيين لأنهم العرب ،

ولا لأنهم من سلالة بنى هاشم أو من أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم بل الأمر واحد : لأن دولتهم دولة أعجمية .

ثالثا : حريق خزانة الاسكندرية :

عقد المؤلف بابا لإثبات أن حريق خزانة الاسكندرية كان بأمر عمر بن الخطاب ، وأطال وأطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل (الجزء الثالث) أهمها رغبة العرب في صدر الإسلام في محو كل كتاب غير القرآن .

وقد كشف الشيخ النعماني أن هذا غير صحيح ، وأن المسلمين نظروا في كل الكتب ، ونقلوا في تفاسيرهم روايات مختلفة ، فيها الغث والثنين عما نقل إليها من الأديان الأخرى ، فلو كان أهل القرون الأولى يبغضون ماسوى القرآن ويحسون ما كان قبله من العلم - كما يدعى المؤلف - فمن روى الاسرائيليات وأقاصيص التلود والتوراة وحشاها في التفسير ؟

ثانيا : أورد ماجاء في تاريخ مختصر الدول لأبى الفرج ثم نقل رواية الإحراق برمتها وأطال في إثبات أن أبى الفرج ليس بأول من روى هذه الرواية ، بل ذكرها عبد اللطيف البغدادي عرضا في ذكره عمود السوارى وذكرها القفطى في تاريخ الحكماء .

ولا تنازع المؤلف في أن أبى الفرج مسبوق في ذكره هذه الرواية بالقمطى والبغدادي ، ولكن ماذا ينفعه ذلك ، فإن البغدادي وهو أقدمهما من أهل القرن السادس للهجرة ، قد ذكر الرواية من غير إسناد ومن غير إسناد ومن غير إسالة على كتاب .

ويقول : لقد تمود المؤلف من صباه قبول مختلفات أهل الكتاب وأوهامهم وسبب ذلك أنه ين التاريخ الإسلامى بميزان غير ديزاننا ، ولذلك يسعى إلى كل صوت ويستمع لكل نقائل ، ولكل فن أصول وقواعد ، وما لم تكن الرواية مالمابقة لهذه الأصول اليقينية لا يلتفت إليها أصلا .

ومنها أن الناقل للرواية لابد أن يكون شهد الواقعة ، فإن لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها ، حتى تتصل الرواية إلى من شهدها بنفسه .

ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ، وأنت تعلم أن البغدادى واقف على من رجال القرن السادس والسابع ، فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول يذكر أنها من غير سند ولا رواية ولا إحالة إلى كتاب .

أما كتب القدماء الموثوق بها ، فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين وهذا تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبة ، والأخبار الطوال للدينورى ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، والتاريخ الصغير للبخارى وثقة ابن حبان والطبقات لابن سعد ، قد تصفحناها وكررنا النظر فيها ، ومع أن فتح الاسكندرية مذكور فيها بقصصها وتضيضها فليس لحريق الخزانة ذكر .

والحاصل أن محقق أهل ربه قصصوا بأن الواقعة غير ثابتة أصلاً ، منهم (جيبون) المؤرخ الشهير الإنجليزى و (دربير) الأمريكانى و (سيديو) الفرنسى و (كارليل) الألمانى والمعلم (ربنان) الفرنسى وعمدتهم فى أفسار ذلك أمران : الأول : أن الواقعة ليس لها عين ولا أثر فى كتب التاريخ الموثوق بها كالتبصرى وابن الأثير والبلاذرى وغيرها مما ذكرنا .

والثانى : أن الخزانة كانت قد ضاعت قبل الإسلام ، ائتمنوا ذلك بدلائل لا يمكن إنكارها .

رابعا : الضغوط على أهل الذمة :

ادعى المؤلف أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كتب عهداً لنصارى الشام ، وذكر نصه منقولاً عن سراج الملوك للطرطوشى واعترف بأن فيه ضعفاً على النصارى ، ثم اعتذر لعدم بأن نصارى الشام كانوا يميلون إلى قيصر الروم ، وكانوا من بطائنه يتجسسون له فلذلك احتيج إلى الشدة بهم والتضييق عليهم .

يقول الشيخ النعمانى : كل من له أدنى مسكة فى التاريخ يعرف أن الطرطوشى

ليس من رجال التاريخ ، وكتابه كتاب أدب وسياسة ، وهو من رجال القرن السادس ، وإنما المعول على المصادر القديمة الموثوق بها : كتاريخ الطبري والبلاذري واليعقوبي وابن الأثير وغيرها ، وهذا ما كان يخفى على المؤلف ولكن لأجل هوى في نفسه أعرض عن كل هذا ، وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة بإسنادها ورجالها . وقدم الشيخ النعماني رواية اتقاضى (أبو يوسف) في كتابه الخراج ، وهي تكشف عن اعتراف أهل الذمة بوفاء المسلمين لهم وحنن السيرة فيهم .

خاتمة :

وقد أشار السيد رشيد رضا - رحمه الله - في دراسة له عن جرجي زيدان صاحب الهلال ، بعد وفاته ، كشف فيها وجه هذا الشعوبي ، فقال :

أنه أظهر بعد الانقلاب العثماني (١٩٠٩) نزعة جديدة ، هي لإحياء المذهب الشعوبية ، ذلك أنه زار الاستانة ولقي فيها بعض زعماء الاتحاد والترقي ثم عاد متشعبا بالنهضة التركية الزائفة ، مستنكرا عدم مجاراة العرب لإخوانهم الترك في الانضمام على خطة الاتحاديين وارتقى إلى تدريك العناصر وادغام العرب في الترك .

وقد كذب في الهلال ما يشر بهذه النزعة من مطاعن في العرب ، أودعها بعد ذلك في كتاب تاريخ التمدن الإسلامي ، وفتان لها أخيرا من لم يكن يحفل بها ، وزادهم التفاتا إليها ترجمة جريدة (أندام) التركية لتاريخ التمدن الإسلامي ونشره بالتتابع ، وهذا ما حفر الشيخ شبلي النعماني إلى الرد عليه وأخفى شبهاته .

الاستاذ والتلميذ :

وكان الأب لاهنس اليسوعي تدورته في نقد العرب وبني أمية ، كما كان سوفان فلهوزن دليله في الحديث عن ما اسماه الحملة على الموالى ، وهو أكبر متعصبى المستشرقين ، ولجرجي زيدان سموم أخرى في كتابه عن أدب العرب .

(٣)

روايات جورجى زيدان لارو آيات الاسلام

بهدف افساد مفهوم الشخصية الاسلامية والبطولة

إن إعادة النظر في كتابات جورجى زيدان تكشف بوضوح أنه يمثل اتجاه الاستشراق والتشهير والتغريب حاملاً شبهاته وسمومه وعاملاً على غوسها في آيات التاريخ الإسلامى ، وقد كانت هذه الكتابات محاولة المصدر إلى أن تترجم دائرة المعارف الإسلامية ، التى كتبها متعصبو المستشرقين ، وتبين أنها تصادها من حيث وحدة المصدر .

ثم جاء بعد ذلك طسه حسين وأحمد أمين وأمين الحولى وغيرهم ، فأدخلوا التاريخ الإسلامى فى مراحل جديدة أشد خطورة ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادى للتاريخ الإسلامى التى حل لراءها عيد الرحمن الشرقاوى وغيره .

روايات جورجى زيدان :

أما المجال الذى استطاع جورجى زيدان أن يبت فيه سمومه ، فهو مجال القصص فقد ألف عددا من اقصص تحت أسم روايات الإسلام ، دس فيها كثيراً من الدسائس والمؤامرات والاهواء ، وحاول افساد مفهوم الشخصية والبطولة الإسلامية حيث أساء أساءة بالغة إلى الأعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبى ، وهارون الرشيد والظاسن عبد الحميد وعبد الرحمن الناصر ، وعبد الرحمن النافقى وأحمد بن طولون . والأمين والأمنون ، وعبد الرحمن الداخل ، وشجرة الدر الخ . وما زالت هذه الروايات تظهر بين وقت وآخر مطبوعة طباعة فاخرة لتخدع الشباب بذلك الأسلوب القصصى المسموم ، وقد أفام جورجى زيدان تصوره على أساس خطير :

أولاً : تصويره للخلفاء والصحاب والتابعين بصورة الرحوليين الذين يريدون

الوصول إلى الحكم بأية وسيلة ، ولو كان على حساب الدين والخلق القويم ، مع تجريدهم وأتهم بعضهم بالحق وتدمير المؤامرات .

ثانيا : تعريف النصوص التي نقلها عن المؤرخين القدامى وحولها عن هدفها تجولا أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصا غرامية باطلة .

ثالثا : استهدف من حشد العلاقات الغرامية ، ذات المواقف المذبذبة داخل روايات أريخ الإسلام إثارة غريزة الشباب وتحريك شهوة المراهقين ، مستغلا ضعف ثقافة الكثيرين منهم وجهلهم بالغاية التي يرمى إليها في رواياته مع الاستشهاد بالآيات الشرعية المكشوفة الساقطة ، التي تحرك الغرائز الدنياء .

رابعا : تبين من البحث الذي قدمه عالم أزهري درس باستفاضة روايات جرجي زيدان أن معظم الأحداث التاريخية في رواياته قد خرفت وبنيت على أساس فاسد فقد ظل جرجي زيدان - على حد تعبير الباحث - ينقب وينقر ويجهد نفسية في مزج الحق بالباطل وتقديمه في أسلوب براق جذاب مقبدا على فن أدبي ذي أثر بالغ ، وذلك هو فن القصة والرواية ، حيث لم يكن حريصا على تحرى الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحبكة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقا ، وقد عمل جاهدا على طمس التاريخ الإسلامي وتشويه معاملة ، بغية تنفير أبناء العرب والمسلمين من ماضى آبائهم المجيد .

خامسا : من أخطر شبهاته أنه قال بإشربة القرآن ، وشكك في مصادر العربية الأولى ، ودمج بنى العباس لأنهم أنزلوا العرب منزلة السكاب (على حد قوله) ونسب أحراق مكتبة الأسكندرية إلى عمر بن الخطاب .

وقد طبع اللبنانيون - ودار الهلال في مصر - روايات جرجي زيدان مزدانة بالصور الملوونة والألوان الصارخة بقصد استمراء الشباب وحشهم على قراءة هذه الكتب التي لا تفيهم إلا صورا مشوهة لتاريخ أممهم وأخبارا ملفقة بغية التشكيك في ذلك التاريخ .

سادسا : أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم رواياته ، أستنادا إلى ما يسمى موقف الأديب من التاريخ ، وكانت تفسيراته متعسفة متكلفة ، تخفى محاولة لإثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين .

سابعا : تفسيره لتصرفات هارون الرشيد مع أخيه العباسية وجعفر البرمكي وما أثير حولهما من أخبار ، بما لا يتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج عاما ويغزوا عاما ، بل وبما لا يتفق مع ايسر قواعد التفكير والمنطق السليم وفي رواية (الرمانوسة المصرية) - والتي تحكى قصة فتح عمرو بن العاص لمصر حاول أن يقول أن الحب بين أرمانوسة وأركادوس قائد حصن الروم ، هو السبب في هزيمة الروم وأنتصار المسلمين ، وأتهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينهبون ويسلبون عندما فتحوا بلبس ، وهو مناقض تماما لما أورده المؤرخون المنصفون من المسلمين وغير المسلمين .

فتاة غسان :

ثامنا : في رواية [فتاة غسان] والتي تحكى فتوح الشام وبدء ظهور الإسلام أورد شبهة بأن النبي محمد ﷺ أخذ تعاليمه من الرهبان ، وتأثر بتوجيهات الراهب بحيرا واتسمت كتابته بالسخرية والاستخفاف بوثائق العهد النبوى ووصف حادثه شق صدر النبي ﷺ بالغرابة ، وادعى أن هناك خصومة بين خالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وأخذ مصادره في هذا من كتب المستشرقين .

ثاسعا : في رواية (عذراء قریش) - والتي تناولت عصر الخلفاء الراشدين ، ألام منقذة على تجريح الصحابة رضى الله عنهم ، وإتهام بعضهم بالهقد وتدبير المؤامرات ، وأتهم السيدة عائشة رضى الله عنها بالميل إلى سمتك الدماء والتزوع إلى الشر .

ووصف الخليفة عثمان رضى الله عنه بأنه رجل إمامة وذليل ومستسلم لابن حمة ، وأقرى على (على ابن أبى طالب كرم الله وجهه) وفسر الفتنة تفسيراً مخرضا وأتهم عليا رضى الله عنه بالتهاون في المطالبة بدم عثمان .

عاشرا : وفي رواية ، العمامة ، التي تحكى قصة نكبة البرامكة - أنهم الرشيد بالاستهتار والمجون والاستبداد والظلم ، وقدم تفسيراً خاطئاً ومغرضاً لقبل بنى برمك ، وشوه شخصية العباسية أخت الرشيد .

الحادى عشر : فى رواية (شارل وعبد الرحمن) - والتي تحكى جزءاً من عصر الولاة بالاندلس - زعم بأن القواد وأمرأه الجند من المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات التصارى وقد قعدوا بجحالهن ، وأن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح ، فتركوا جنودهم فى ساحة القتال وادعى أنهم كانوا يتمتعون بالغنائم أكثر من اهتمامهم بما عداها ، وجرى على تصوير حروب الإسلام عى أنها حروب غنائم .

الثانى عشر : أجرى على لسان أبى سلم الخراسانى من الافتراء ، ما قال من أن العرب كانوا يحتقرون غير العرب ، ويسومونهم سوء العذاب ثم يفتخرون عليهم بالنبوة ، وطمس معالم التاريخ الإسلامى فى هذه الرواية بالدس والافتراء ، وقدم صوراً باهرة للكنيسة ورهباتها ، وأشاد بالاديرة والرهبان حيث جعلها ملجأ الضعفاء وملأ التائبين والخائفين .

وفى رواية الأمين والمأمون كان واضح التحامل على العرب ، واصفا أيام بالاستبداد وسوء التصرف مع الأجناس الأخرى التى تربطهم رابطة الإسلام قبل كل شىء .

وفتاة القيروان :

الثالث عشر : فى رواية ، فتاة القيروان - التى تحكى أخبار الفاطميين ومن عاصرهم - حاول التشكيك فى إنساب الكثيرين من حكام المسلمين ، وكذلك عهد إلى التشكيك فى نسب الخليفة المعز لدين الله وأعتد فى قصصه القرامية على الخيال إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف فى جميع كتب التاريخ وخاصة حاكم سلطنة المير حمدون ، بل أن صاحب سلطنة فى كتب التاريخ يختلف تماماً عما جاء فى رواية زيدان ، مما يؤكد ميل زيدان إلى التزوير والتحريف .

بل أن صاحبت سلجماسه هو محمد بن داسول ، وليس الأمير حميدون ، ولم يقل ابن الأثير أن له بنتا شغلت قائد جوهر نخطها لابنه ، وقد أعطى زيدان لليهود في روايته دورا إيجابيا ، وجعلهم أصحاب الفضل الأول في إزالة الدولة الأخشيديّة ، وأقامة دولة الفاطميين مقامها .

الرابع عشر : في رواية صلاح الدين تلقيق وتزوير وأفساد للتاريخ ، فقد ذهب إلى أن الخليفة العاضد لما ضعف أمره استدعى صلاح الدين وأوصاه بأهله خبرا وأن صلاح الدين تقبض هذا العهد بعد سويحات ، وحاصر قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه .

ولا ذكر في كتب التاريخ لتلك الوصية والإشارة في كتب التاريخ إلى سيرة الملك هذه .

وهذه الوصية التي ذكرها (زيدان) لم ترد في الكامل لابن الأثير ولا غيره فهي مائة موروّة ، كذلك فقد زيف زيدان النصوص التي نقلها من ابن الأثير ، وحوّلها تحويلا أراد به المسخّرة والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصا غرامية باطلّة .

ولم يكن المؤلف بالتصوير الحي لشخصية صلاح الدين ، ولم يسجل موافقة الخاتمة ، وصرف الشبّاب عن الحديث عن الدور المهم الذي قام به صلاح الدين ، بالحديث عن مكائد الخشاشين - الأسماعية - وتهديم نصّاح الدين ، وأعتمد على روايات طائفة الخشاشين ، تلك الجماعة الضالّة المنحرفة ، وحاول أن ينسب إلى صلاح الدين قصصا غرامية كاذبة .

الخامس عشر : وفي رواية (شجرة الدر) والتي تحكي أحداث نهاية العصر الأيوبي وبداية المماليك في مصر - حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللاتي يتاجرن بأعراضهن ، في سبيل الحصول على ما يتطلعن إليه ، وليس معه أي دليل من التاريخ وهذه الدعاوى التي أودعها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في الكتب التي أرخت لهذه الفترة من أمثال النجوم الزاهرة لأبي المحسن ، والمواظ والمواظ والاعتبار في الخطط والآثار ، وصبح الاعشى للقلقشندي .

التلاعب بالمراجع :

السادس عشر : و خلاصة ما يصل اليه البحث حول روايات جرجي زيدان :

- (١) تحوير مواقف الشخصيات التاريخية .
- (٢) إثارة الشكوك حول البطولات الإسلامية .
- (٣) تهمد أغفال الحوادث التاريخية المهمة .
- (٤) أضعاف حالات مثالية على الاديرة والرهبان ودور النصارى واليهود في التاريخ الاسلامى .
- (٥) التلاعب بالمصادر والمراجع .

رأى مجلة الموسوعات

قالت مجلة الموسوعات (١٨٩٩) : لم يلتزم جرجي زيدان بتمحيص الحوادث التاريخية ، فاختلق شخوصا ونسب إلى بعض الشخصيات الإسلامية البارزة ما ليس فيها ، مما أثار جمهور المسلمين .

فعدراء قريش (أسماء) بطلة الرواية لا وجود لها ، ألا فى ذهن المؤلف ، وقد يكون له بعض العذر التأليفى كفاص ، ولكن الباطل أنه نسب لمحمد بن أبى بكر ، المعروف عنه الزهد عشق هذه العدراء ، بل أن صاحب الهلال بنى على هذه الباطل باطلا ، فاختلق سببا من عنده ليس له أسانيد تاريخية ، وفى تفسير بعض الأحداث وزعم أن عشق محمد بن أبى بكر (كان سببا) فى ازدياد هياجه على عثمان رضى الله عنه ، ونسب إلى الحسين بن على رضى الله عنهما عشقه لهذه العدراء الوهمية ، وغرة محمد بن أبى بكر منه .

وأدعى أن الإمام عليا رضى الله عنه أعجب بعدراء قريش ، عندما أدخلت عليه فى زى رجل مع أن الدين كان يحث على عدم تشبه الرجال بالنساء بالرجال وقد عرف عن (على) كرم الله وجهه تمسكه بالدين مما ينهى عنه أنه يعجب بمثل هذا .

وقد أقر (جرجى زيدان) بخطئه في هذه الرقائع (هلال مايو ١٨٩٩)
وحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذى وقع فى شبكة الصياد .

ونقول : (أن المجلة أنطوت و بقيت القصة فى أيدي القراء ، يعاد طبعا
دون التفات إلى هذه الملاحظات) وقد ارسل العلامة رفيق العظم ، إلى جرجى
زيدان (١٨٩٩) يؤاخذة على أغفاله الاعتبارات التاريخية ويستنكر تأليف
التاريخ الإسلامى برمته فى قالب قصصى .

وهذه الملاحظة قد تكررت من الناقدين ، وقد إنتقدوه فى شأن هذه القصص
وما أورد فيها من أخبار الكاذبة ، وثانيا بسبب العشق والغرام إلى رجال سلفنا
الكرام ، وقد أشارت جريدة المؤيد إلى ذلك فى التعليق على قصة (الحجاج
بن يوسف) فقالت : الحوادث الغرامية لم تسند إلى احد من رجال السلف العظيم
والأئمة الذين يحملون عن هذه الانحرافات ، هذا فهتلا عن الاخطاء فى الامور
التاريخية المشهورة .

[illegible]

1. Die Bedeutung der Sprache
 Die Sprache ist ein zentrales Element der menschlichen Kultur und dient der Kommunikation zwischen den Menschen. Sie ermöglicht es, Gedanken und Erfahrungen zu teilen und ist somit ein wesentliches Werkzeug für das soziale Leben.

الفصل الثالث

أحمد أمين — فجر الإسلام

علي عبد الرازق — الإسلام وأصول الحكم

Handwritten text, possibly a signature or name, in a cursive script.

Handwritten text, possibly a signature or name, in a cursive script.

أحمد أمين — فجر الإسلام

يقول الدكتور مصطفى السباعي في بحث مطول نشره في مجلة الفتح (في ١٤
حلقة) إن كتابي (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) للاستاذ أحمد أمين (عميد
كلية الآداب بالجامعة المصرية) ١٩٤٠ م ، من أشهر الكتب الحديثة المؤلفة في
تاريخ العلم والثقافة في عصور الإسلام الأولى .

ومع أن المؤلف معروف لدى الأوساط العلمية بفزارة العلم ودقة البحث وحب
التأليف ، فقد وقعت له في هذين الكتابين أخطاء ، لا أحب أن أصفها ، حتى لا أتهم
بالمبالغة ، وحسبي أن أقول : أنها بما لا يجوز السكوت عليها بحال من الأحوال .
ولما رأيت أن السكوت عن تلك الأخطاء والتحريفات جنابة في حق الدين
والعلم فقد أسرعت بكتابة هذا البحث ، في نقد فصل واحد من كتاب فجر الإسلام
وهو فصل « الحديث » . وسيرى القارىء أن الاستاذ أحمد أمين :
أولا : تأثر إلى درجة كبيرة ببعض المبتدئين وكتاباتهم في علم الحديث .
ثانيا : تأثر بأراء رقوس المعتزلة وطوائف الشيعة من يتشبع لبعض صحابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم .

ثالثا : استنتج من عنده بعض آراء ليس لها أساس علمي ولا مستند تاريخي

صحيح .

رابعا : لم يلتزم الأمانة ولا الدقة فيما نقله من النصوص والآثار .
خامسا : لم يعتمد في تاريخ الحديث على كتب علوم الحديث ، بل اعتمد على
كتب الأصول ، وخاصة كتاب (مسلم الثبوت) وشرحه ، ومن هنا أورد
كثيرا من الأحاديث ، منها ما لم يثر له على أصل في كتب السنة ، ومنها ما جاء
بأسلوب مغاير لما في تلك الكتب .

وقد كان يستطيع الرجوع في معرفة هذه النصوص إلى مراجعها الحقيقية ،
لولا أنه يسعى إلى غرض معين فهو يتصيد الأدلة من هنا وهناك من غير تحقيق
ولا تدقيق .

والأستاذ أحمد أمين أسلوب خاص في بث آرائه التي يخالف بها الجمهور ، متبعاً فيها بعض ذوى الأهواء من المسلمين أو ذوى الأغراض من المستشرقين ، ومن خصائص هذا الأسلوب أنه يأتي بالفكرة فلا يليقها إليك في كتابه دفعة واحدة ولا يظهرها لك على أنها رأى لمبتدع أو مستشرق ، ولكنه يوزع شيئاً منها هنا وشيئاً هناك ملتطفاً في الأسلوب ، متظاهراً بالبحث والتحقيق ، ولا يفتنى أن يستند في خلال ذلك إلى نص محرف أو حديث ضعيف أو رأى هزيل أو ينسب إلى العلماء قولاً له يقولوه ، وإلى بعض المذاهب آراء لم يذهبوا إليها ، فلا يكاد ينتهي من بحثه حتى يكرن قد أحكم بث الفكرة في ثانياً كتابه من غير لزجاج للقرارى ولا إستفزاز لشعوره .

وهذا الأسلوب لإستطاع الأستاذ أن ينجو مما لحق برملانه من سخط الجمهور وأن ينال ثقته بإخلاصه وتجرده للحق والعلم .

وكم كان الأستاذ أحمد أمين بارعاً في التشكيك في أحاديث السنة ، مما يدل دلالة قوية على أنه يشك فيها جملة - كما يقول كثير من المستشرقين - وكما قال من قبل بعض رؤساء المعتزلة والفرق الضالة والمبتدعة .

ومما يؤكد هذه الدلالة أن أحد المنتسبين إلى الإسلام في مصر ، ممن تلقوا علومهم في جامعات روسيا الشيوعية (يقصد : إسماعيل أدهم أحد) قام منذ سنين بوضع رسالة عن تاريخ السنة ، انتهى به البحث فيها إلى أن هذه الأحاديث التي بين أيدينا ، مشكوك في صحتها على العموم ، ومن مزاعمه أن ما ذهب إليه قد وافقه عليه : فلان وفلان ، والأستاذ أحمد أمين بكتاب أرسله إليه .

وانظرنا من الأستاذ أن يكذب هذا الاتهام النظيم الذي نسبته إليه ليلة الشيوعيين فلم يفعل ، بل قرأنا له في بعض المجلات الأسبوعية ما يفيد تأمله بما حصل لصاحبه ، وعد ذلك محاربة لحرية الرأي ، وحجر عثرة في سبيل البحوث العلمية الحالية من كل تعصب وهوى .

قال أحمد أمين : ويظهر أن الوضع في الأحاديث حدث في عهد الرسول ﷺ

الحديث : من كذب على عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، يغلب على الظن أنه إنما قيل للحادثة زور فيها على الرسول ﷺ أ . هـ .

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي : أن هذا الذي استظهره أحد أمين لا سند له في التاريخ ، ولا في سبب الحديث المذكور ، أما التاريخ فقاطع بأنه لم يقع في حياة الرسول (ﷺ) أن أحداً من الناس زور عليه كلاماً ، ورواه على أنه حديث من أحاديثه عليه الصلاة والسلام ، ولو وقع مثل هذا لتوافر الصحابة على نقله لشاعته وفضاعته ، كيف وقد كان حرصهم شديداً على أن ينقلوا لنا كل ما يتصل به ﷺ .

أما الحديث المذكور فقد إنفقت الكتب والسنة على أن الرسول (ﷺ) إنما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه إلى من بعدهم . وظاهر من الروايات أن النبي (ﷺ) وقد علم أن الإسلام سيبشر ، سيدخل فيه أقوام من أجناس مختلفة فيه بصورة قاطعة حث على وجوب التحري في الحديث عنه ، وتجنب الكذب عليه بما لم يقله .

وليس في هذه الروايات إشارة قط إلى أن هذا الحديث قيل لوقوع تزوير على الرسول (ﷺ) .

قال أحمد أمين : وحسبك دليلاً على مقدار الوضع ، أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال : لم يصح عنه منها شيء ، قد جمع فيها آلاف الأحاديث ، وأن البخاري وكتابه يشمل على سبعة آلاف حديث ، منها نحو ثلاثمائة مكررة ، قالوا أنه اختارها وصححت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره . أ . هـ .

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي : أن كثرة الوضع في الحديث مما لا ينسكه أحد ، ولكنه عندما أراد أن يستدل على مقدار الوضع فاستشهد بشيئين : أحاديث التفسير وأحاديث البخاري - وظاهر عبارته في أحاديث التفسير أنه يشك فيها كلها ، إذ ينقل عن الإمام أحمد أنه قال (لم يصح منها شيء) مع أنهم قد جمعوا فيها آلاف الأحاديث .

والإمام أحمد لا يخفى مكانته في السنة . فإذا قال في أحاديث التفسير (لم يصح منها شيء) كان ما روى فيها مشكوكا بصحته أن لم يحكم عليه بالوضع ، أليست هذه نتيجة منطقية لكلام الأستاذ .

الصحیح صحیح دون شك :

أما أحاديث التفسير ، فلا يخفى على كل من طالع كتب السنة أنها أثبتت شيئا كثيرا منها بطرق صحيحة لا غبار عليها ، وما من كتاب في السنة إلا وقد أفرد فيه مؤلفه بابا خاصا لما ورد في التفسير عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو الصحابة أو التابعين .

وقد اشترط علماء التفسير على أن ما يفسر كذاب الله عن وجل أن يعتمد فيه على ما نقل عن النبي ﷺ في ذلك .

وقد جعلوا التفسير بين منقول وغير منقول ، وأوجبوا على المفسر أن يرجع إلى الأول ويعرفه لو لم يصح منه شيء ، بل لو لم يصح منه شيء كثير ، لم يفعلوا ذلك .

أما ما نقله عن الإمام أحمد ، فهو يشير بذلك إلى ما روى عنه من قوله : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي » ، والكلام في هذه العبارة من وجوه :

أولا : أن في النفس من صحته شيئا ، فإن الإمام أحمد نفسه قد ذكر في مسنده أحاديث كثيرة في التفسير ، فكيف يعقل أن يخرج هذه الأحاديث ، ويثبتها عن خيرة شيوخه في مسنده . ثم يحكم بأنه لم يصح في التفسير شيء ؟؟

وأیضا فمقتضى هذه العبارة : أن يكون كل ما روى عن أخبار العرب ، ومغازي المسلمين مكتوبا من أصله ، وليس هناك من يقول بهذا .

ثانيا : أن في الصحة لا يستلزم الوضع ، والضعف ، وقد عرف عن الإمام أحمد خاصة نفى الصحة عن أحاديث روى مقبولة ، وقالوا في تأويل ذلك أن هذا استعمال خاص به .

ثالثا : ان الإمام أحمد لم يقل أنه لم يصح في أحاديث التفسير شيء ، وإنما قال وثلاثة ليس لهما أصل ، ولا يخفى ما بين العبارتين من فرق ، إذا يحتمل أن يكون مرادة نفى أن يكون للتفسير كتاب مأثور .

ولا يلزم فيه نفى صحة شيء من أحاديث التفسير .

رابعا : يحتمل أن يكون مراد الإمام أحمد ما صح من التفسير قليل بالنسبة لما لم يصح .

والسلام في أحاديث البخارى :

وننتقل إلى أحاديث البخارى وقد زعم الأستاذ أحمد أمين أنهم قالوا : ان البخارى لإختار أحاديث كتابه وصحت عنده من ستائة ألف حديث ، ولا أدري من قال هذا القول ؟؟

أما علماء الحديث ورجال المصطلح ، فقد ذكروا ان البخارى لم يجمع في كتابه كل ما صح عنه ، فإذا كان العلماء يقررون ان البخارى لم يخرج كل ما صح عنده سيكون ما نقله الأستاذ أحمد أمين عنهم نقلا غير صحيح .

وحاول الأستاذ أحمد أمين التشكيك في عدل الصحابة فقال : الذى جرى عليه العمل من أكثر نقاد الحديث - وخاصة المتأخرين منهم - على أنهم عدلوا كل صخابى ولم يرموا أحدا منهم بالكذب ولا وضع وإنما جرحوا من بعدهم .

ويقول الأستاذ مصطفى السباعى : مما أنفق عليه التابعون ومن بعدهم ، من جماهير المسلمين ونقاد الحديث قاطبة : (تعديل الصحابة) وتنزيههم عن الكذب والوضع ، هذا هو الواقع والمعروف في هذه المسألة .

ولكن المؤلف لغرض في نفسه - سبق التنبيه إليه - يريد أن يشكك في هذه الحقيقة فزعم أولا (أن أكثر) النقاد عدلوا الصحابة ، مع أن النقاد قاطبة عدلواهم لم يشك في ذلك أحد .

وزعم ثانيا : أن قليلا منهم من أجرى على الصحابة ما أجرى على غيرهم ،

مع أن هؤلاء الذين تكلموا في الصحابة ليسوا من نقاد الحديث ، ولكنهم من ذوى الاهواء والفرق المعروفة عند المسلمين ، بالتعصب لبعض الصحابة على البعض الآخر .

وزعم المؤلف ثالثا : أن هذا التعديل كان من أكثر نقاد الحديث ، وخاصة المتأخرين منهم ، مع أنه لم يؤثر عن أحد من المتقدمين من أهل العلم - من التابعين فما بعدهم - أنه طعن في صحابي أو ترك الحديث عنه ، أو وضعه في ميزان الجرح والتصديق .

وهناك ثلاثة مزايع يأتي بعضها أثر بعض ، ليس من ورائها إلا تهوين القول بعدالة الصحابة على الإطلاق ، وتجرى ذوى الاهواء في حقهم ، إذا روى عن أولئك الاصحاب ما يخالف أهواءهم ، مع أن اصحاب رسول الله ﷺ هم حماة الدين وثقله السنة أمناه الشريعة .

لم يكف المؤلف بهذا ، بل زاد على ذلك زعما آخر تأكيدا لما روى اليه ، وتقريرا له في نفس القارىء ، حيث قال بعد ما تقدم :

(ويظهر أن الصحابة أنفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضا موضع النقد وينزلوا بعضهم منزلة أسمى من بعض . . الخ)

وحاصل كلامه في هذا الموضوع أن الصحابة كان يشكك بعضهم في صدق بعض ويضع بعضهم بعضا موضع النقد . . وما ذكره أحمد أمين من أن الصحابة كان بعضهم يضع بعضا موضع النقد ، مع أن كل ما كان يقع من الصحابة من رد بعضهم على بعض ، إنما هو نقاش علمي محض مبني على اختلاف أنظارتهم وتفاوت مراتبهم في الامة تنبسط أو الاجتهاد ، أو على نسيان أحدهم حديثا وتذكر الآخر له ، وليس ذلك ناشئا عن شك أو ريبة أو تكذيب واحد لآخر .

ويقول الاستاذ مصطفى السباعي : أن الاستاذ أحمد أمين كان لبقا في توجيه المطاعن نحو (أبي هريرة) - رضي الله عنه - وبجارة المستشرقين والنظام ومن شاعة من المعتزلة في التحامل على هذا الصحابي الجليل ، لقد وزع طعونة في مواضع

متمفرقة من بحثه ، كان حديثه عنه حديث مختصر متلطف ، يحاذر أن يجهر بما يعتقد في حقه من سوء .

ولكن أسلوب الأستاذ وتحريفه لبعض الحقائق في تاريخ أبي هريرة ، وحرصه على الشك في صدقه وتصديق الصحابة له ، كل ذلك قد تم على سريرة الأستاذ ، وأزاح الستار عن خبيثة نفسه (قال عليه السلام) : « من أسمر سريرة البسه الله رداءها » .

ومن الانصاف أن نقول أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن أول من إساء الظن بهذا الصحابي الجليل ، ولا أول من حرف تاريخه ، بل هو مقلد لأساتذته من المستشرقين ، المتعصبين الذين دأبوا على تشويه الحقائق .

وعندما ترجم أحمد أمين لأبي هريرة : أقتصر على ذكر نسبه وأصله وتاريخ إسلامه وأشار إلى ما روى من دعاية أبي هريرة ومزاحه .

وكان من حق الأمانة العلمية : عليه أن يذكر لنا مكانته بين الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، وثناءهم عليه وأقرارهم له جميعا بالحفظ والضبط والصدق .

ولكن الأستاذ أحمد أمين لم يفعل شيئا من هذا بل تعرض لأمور يسيء ظاهرها لأبي هريرة جد الإساءة فكانت محاولة مستورة للظلم فيه تشبها مع جولد زهر وأضرابه من المستشرقين .

وقد أقتصر المؤلف على ذكر الشك في حفظ أبي هريرة من بعض الصحابة ، دون أن يذكر لنا إقرار جمهورهم بحفظه وثبته ، ودون أن يذكر لنا ثناء أهل العلم عليه من التابعين من بعدهم ، وأعرافهم له بأنه أحفظ صحابة رسول الله ﷺ وأرواهم للحديث ، وهذا دليل وأصح على أنه لم يقصد بمقالته ألا الطعن الخفي في صدقه والشك في أقوى في أحاديثه ومروياته وقد أعتمد المؤلف على دائرة المعارف الإسلامية في هذا الاتجاه .

إذا تذكرت أن الأستاذ أحمد أمين تابع جولد زهر (اليهودي) في تمجيد

أبى هريرة - رضى الله عنه - وأتاهم ، علمت السر فى توخى الاستاذ لهذه المسألة هنا وتنبع خطرات جولد زهر ، ثم رأيت إلى أى حد يكون التلاعب بالحقائق فى سبيل الأهواء .

ماذا يضرب أبى هريرة أن ينحله الواضعون أحاديث كثيرة ، ثم كيف يكرن الكذب عليه داعياً للشك فى أحاديثه كلها ، لو أن العلماء لم يميزوا الثابت عنه من المحتمل ، لكان هناك عذر فى التشكيك بأحاديثه كلها ، أما وأن أئمة الأحاديث ميزوا الصحيح من الموضوع وبينوا ما ثبت عن أبى هريرة مما لم يثبت ، بطرق هى غاية فى الدقة والتحري ، فلا عذر لأحد أن يتشكك فى أحاديثه جملة ، إلا أن يكون صاحب هوى وغرض يتلصق بنشر هواه كل طريق ملتو ومعوج .

ولعل إقارء أدرك من كل ما كتبنا ، أن الأستاذ أحمد أمين تابع المستشرقين المتعصبين فى التعامل على ذلك الصحاحى الجليل ومنزلته فى الحديث .

بماذا يفشخرون :

والاستاذ مغرم جدا بمحاكاة المستشرقين ونقل أقوالهم ، ومن ذلك قول رضى الله عنه :

أن أحمد أمين لاجل أنه أن يرد الحقوق إرهابها إلا فى موطن واحد ، هو الموطن الذى يقول فيه : أنه استأنس بأراء المستشرقين ليقال أنه يطلع على أقوال المستشرقين .

والغرض الأول من نشر هذا البحث هو لفت أنظار الباحثين وخاصة علماء الأزهر الشريف إلى ما فى كتاب (جسر الإسلام) ، (وضواء) من أخطاء يعتبر السكوت عليها بعد الاطاحة بها جناية فى نظر الدين والعلم ، وحتى لا يتصحروا تلاميذهم باتخاذ هذا الكتاب وغيره مرجعاً أساسياً .

والغرض الثانى من نشر هذا البحث

هو لفت أنظار الباحثين إلى ما فى كتاب (جسر الإسلام) ، (وضواء) من أخطاء يعتبر السكوت عليها بعد الاطاحة بها جناية فى نظر الدين والعلم ، وحتى لا يتصحروا تلاميذهم باتخاذ هذا الكتاب وغيره مرجعاً أساسياً .

(٢)

على عبد الرازق - الاسلام وأصول الحكم

كانت القوى الأجنبية قد تأمرت على إسقاط الخلافة الإسلامية في دولة طويلة تكافست فيها الصهيونية والغرب الاستعماري وجماعة الاتحاديين الذين اسقطوا السلطان عبد الحميد واستولوا على الحكم في الدولة العثمانية تمهيداً لتسليم فلسطين إلى الصهيونية العالمية ، وجاء دور مصطفى كمال أتاتورك بعد انتهاء الحرب العالمية التي دخلتها الدولة العثمانية وهزمت فيها ، وكان لسقوط الخلافة رنة أسي وتطلع ضخم إلى هذا الحديث الذي أصبح من بعد عهد من عهود حركة البقعة الإسلامية بإعادة الخلافة .

في هذا الجو المضطرب - الذي انحل فيه عقد الجامعة الإسلامية وبرزت دعوات الإقليمية والقومية وتمزق العالم الإسلامي إلى قوى محلبة - صدر كتاب الشيخ على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) الذي كان بمثابة صيحة تنويرية جائرة تحاول أن تقضي على مفهوم الإسلام الجامع ديناً ودولة بإثارة شبهة ماكرة لثيمة خادعة هي القول بأن الإسلام دين عبادة وان الرسول ﷺ لم يكن في ذات الوقت حاكماً اقام دولة .

وقد صدر الكتاب في مجال معارضة الخلافة الإسلامية لأسباب سياسية كانت بريطانيا والنفوذ الأجنبي توازرها وكانت تعمل دون عودة هذا النظام الإسلامي الجامع .

ولكن الخطر الحقيقي من وراء كتاب الشيخ على عبد الرازق كان هو : هدم مفهوم الإسلام بوصفه ديناً ودولة ونظام مجتمع ومجتمع حكم جامع .

ولقد إهتزت دوائر الأثر والأمر والعالم الإسلامي لهذا السكتيب المزور وأعلنت هيئة كبار العلماء فساد المنهج الذي قام عليه ، وإن المؤلف قد أخطأ خطأ بالغا حين (جعل الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور

الدنيا، مع ان الدين الاسلامى على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات هى لاصلاح امور الدنيا والآخرة، وان كتاب الله تعالى وسنة رسوله يشتملان على احكام كثيرة فى امور الآخرة .

كما اشار حكم هيئه كبار علماء الأزهر إلى ان المؤلف :

اولا : زعم ان الدين لا يمنع من ان جهاد النبي ﷺ كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لا بلاغ الدعوة إلى العالمين .

ثانيا : زعم ان نظام الحكم فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان ووضع غموض وإبهام او نقص، ووجب للحيرة .

ثالثا : زعم ان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشرعية مجردا من الحكم والتنفيذ .

رابعا : أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لا بد للأمة من يقوم بأمرها فى الدنيا والآخرة .

خامسا : أنكر أن القضاء وظيفة شرعية وقال أن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعا من الخلافة .

سادسا : زعم أن حكومة أبى بكر والخلفاء الراشدين من بعده - رضى الله عنهم - كانت لادينية . وهذه جرأة لادينية .

صدر كتاب الإسلام وأصول الحكم عام ١٩٢٥ سابقا لكتاب الشعر الجاهلى لطله حسين، وقد كشف الأيام من بعد كيف أن هذا الكتاب من تأليف المستشرق اليهودى مرجليوث المقيم فى لندن وأنه أهده لعلى عبدالرازق عندما زارها دارسا (١).

وقد ظل هذا السر محجوبا إلى وقت قريب حين كشف عنه الدكتور ضياء الدين الرئيس فى كتابه (الإسلام والخلافة فى العصر الحديث) الذى صدر عام ١٩٧٢ تقريبا وكان المظنون خلال أكثر من خمسين عاما أنه من تأليف الشيخ عبدالرازق، وقد عد هو وكتاب طه حسين عن الشعر الجاهلى من الأسس الثغرية التى اعتبرها الشيوعيون والعلمانيون مرجعا لخطتهم وأهدافهم فى هدم مفهوم الإسلام فى السياسة

(١) درس على عبد الرزاق فى إنجلترا عام ١٩١٢ لاسكنورد ثلاث سنوات واضطر إلى العودة تحت ظروفي الحرب العالمية .

وفي الأدب ، وقد قوبل الكتاب عند صدوره بمعارضة شديدة وألفت كتب كثيرة في ارد عليه وكتبت فصول عديدة في الصحف ومن ذلك كتاب الفاضل ابن عاشور ، ومحمد نجيت ورشيد رضا وكثيرون .

وجد المنحرفون ضالّتهم :

ولقد كان كتاب (الاسلام وأصول الحكم) لعنة على الشيخ علي عبد الرزاق فقد اصاب حياته بالظلام والغربة ولا حقته لعنته مدى حياته حتى أنه عندما اراد الماركسيون اغناعه بأعادة طبعه قال لهم : ان هذا الكتاب اثار عليه متاعب كبيرة ، ومع ذلك فإن بعض الماركسيين اعاد طبعه وقدم له ، رغبة منهم في تأكيد مفهوم فاسد لا يقره الاسلام ، ويتخذ الكتاب الماركسيون - المعارضون لمفهوم الاسلام بوصفه ديناً ودولة - من هذا الكتاب خطة عمل توالى بث سمومها في الصحف والمؤلفات والمؤتمرات ، ويولى كبر ذلك امثال محمد عماره ومحمد احمد خلف الله وحسن حنفي وعبد الله العروى وسيكون هذا الكتاب لعنة عليهم كما كان لعنة على علي عبد الرزاق ، فمات الكتاب قبل أن يموت صاحبه ، وانطوت صفحاته وصاحبه حي .

ومع الاسف فقد كان صدور مثل هذا الكتاب مما تافقه المستشرقين ليثيروا به دعوى عريضة بأن في الاسلام مذهبين : أحدهما ان الاسلام دين ودولة والآخر يقول أن الإسلام دين روحي ويضعون على عبد الرزاق على رأس الفريق الذي يقول هذا القول ، والواقع أنه ليس في الإسلام غير رأى واحد ، وهو الرأى الاول ، وأن ما ذهب إليه علي عبد الرزاق عام ١٩٢٥ م لم يكن من الإسلام في شيء ، ولم يكن علي عبد الرزاق إماماً مجتهداً ، وإنما كان قاضياً شرعياً تلقفته قوى التغريب فاصطنعته تحت اسم التجديد ، حيث دعى إلى لندن لحضور حلقات الاستشراق التي تروج للأفكار المعارضة لحقيقة الإسلام وهدم عقوماته ، وأهدى أصل هذا الكتاب الذي وضع عليه اسمه مترجماً إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التي يستطيع إقتباسها من كتب الأدب .

أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قزم من أقرام الاستشراق وداعية من دعاة الصهيونية واليهودية العالمية هو المستشرق مرجليوث الذى شاعت الصدق أن يكون هو نفسه صاحب الأصل الذى نقل منه كتاب الأدب الجاهلى والذى أطلق عليه الأستاذ : محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث) ويمكن (حاشية على عبد الرازق على بحث مرجليوث) وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور أن يطلق الآن اسم : ضياء الدين الرئيس فى بحثه القيم « الإسلام والحلابة فى العصر الحديث » .

وهكذا نجد أن السموم المثارة فى أفق الفكر الإسلامى توضع أساسا من رجال التغريب ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لواءها وتديعها إيماناً بأن الاسم العربى أكبر تأثيراً وأبعد أثراً فى خداع الجماهير .

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلى) و (الإسلام وأصول الحكم) على أنهما دعائمان للنهضة ، التغريبية فى الفكر الحديث ، .

ويع أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت كتاب على عبد الرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطائه فإن قوى التغريب ما تزال تعيد نشره وطبعه مع مقدمات إضافية يكتبها شعوبيون يتحدعون الناس بألقابهم وأسمائهم ، وهم يجدون فى هذه المرحلة التى يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة الإسلامية مناسبة لنفث السموم مرة أخرى ولن يجديهم ذلك نفعا فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنتشر وتدحض باطل المضللين مهما تجمعوا له وقدموه فى صفحات برأفة مزخرفة وأساليب خادعة كاذبة .

إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ محمد نجيب الذى رد على الشيخ على عبد الرازق فى كتابه « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » وهو واحد من الكتبة التى صدرت فى الرد عليه حيث قال :

« لأنه علنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع اسمه عليه فقط ، فهو منسوب إليه فقط ليضعه واعتمده من غير المسلمين ضد حجة هذا العار واللبسوه ثوب الحزى إلى يوم القيامة » .

وقد علق على عبد الرزاق على هذا المعنى بأن هذا الكتاب كان شؤماً عليه ،
وقد ألقى به كثيراً من المتابع والشهات ، والحقيقة أنه بعد أن طرده الأزهريون
من هيئة العلماء ظل منفياً ومهجوراً وعاش بقية حياته منقطعاً عن الحياة العامة بالرغم
من أن محاولات جرت لإسقاط الحكم وضعه إلى مجمع اللغة العربية وجعله وزيراً ،
فقد كان الكتاب أشد شؤماً على حياته من كل ما ألم به .

ومن هذا الخيط الرفيع الذى ألقاه الشيخ محمد نجيب بدأت محاولة الدكتور
ضياء الدين الرئيس فاستداع أن يصل إلى الحقيقة وهى أن كاتب الكتاب هو
المستشرق مرجليوث اليهودى الأصل ، وهو أول من شن الهجوم على الخلافة لأن
بلاد « بريطانيا » كانت فى حرب مع دولة الخلافة ، وقد أعلن الخليفة العثمانى
الجهاد الدينى ضدها ، والنصوص فى الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة
العثمانية فإنه يذكر بالاسم « السلطان محمد الخامس » الخليفة فى ذلك الوقت الذى
كان يسكن « قصر يلدز » وهناك نص على « جماعة الاتحاد والترقى » وهى التى
كانت تحكم تركيا : أى دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى .

ويقول الدكتور الرئيس : أن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين وقد تربوا فى
مخائهم واعتنقوا شعارهم ومفاهيمهم وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين
أمام اليهود المهاجرين ، وكان السلطان عبد الحميد قد رفض عروضهم ، وكانوا هم
(أى الاتحاديين) أداة الصهيونية العالمية فى إسقاط هذا السلطان المناضل .

ورجح الدكتور الرئيس أن مرجليوث اليهودى الذى كان أستاذاً للغة العربية
فى جامعة كسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب ، لأن آراء الكتاب هى آرائه
التي كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية ، وفندها الدكتور الرئيس فى كتابه :

« النظريات السياسية فى الإسلام » واثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية ، وهو
يكتب عن الإسلام بنزعة حمق شديدة ، ويتم أسلوبه بالمغاضات والمعلومات
المضللة والقدرة على التمجيد ، كما يتصف بالإلتواء ، وهذه الصفات كلها تظهر فى
هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ على عبد الرزاق ، ومعروف أن الشيخ ذهب

إلى بريطانيا وأقام فيها عاين فلا بد أنه كان متصلاً بالمستر مرجليوث ، أو تتلذذ عليه ، وكذلك توماس أرنولد الذى يشير إليه الشيخ ويصفه بالعلامة فقد ألف كتاباً عن الخلافة بشكل عام والعثمانية بوجه خاص ، وقد نقدناه .

يقول الدكتور الرئيس فى كتابه : « النظريات السياسية الإسلامية » :

والقصة تلتخص فى أنه إبان الحرب العالمية الأولى والحرب دائرة بين الخليفة العثمانى وبريطانيا أعلن الخليفة الجهاد الدينى ضد بريطانيا ودعا المسلمين أن يحاربوها ، أو يقاوموها ، وكانت بريطانيا تحشى غضب المسلمين الهنود بالذات ، أو ثورتهم عليها ، فى هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالإسلام ويشوه تاريخها ليهم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين .

وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب فى الهند وفى غيرها ، وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرازق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه ، هذا إن لم يفترض أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذى انفصل به حينما كان فى إنجلترا أو فى بعض الجهات البريطانية التى كانت تعمل فى الخفاء على مدم فكرة الخلافة ، أو التى تحارب الإسلام ، فأخذ الكتاب فترجمه إلى اللغة العربية أو أنه لمح لغته أن كان بالعربية ، وأضاف بعض الأشعار والآيات القرآنية التى يبدو أنها لم تكن فى أصل الكتاب وبعض الهوامش والفقرات ، وأخرجه للناس على أنه من تأليفه ظناً منه أنه يكسبه شهرة ، ويظهره باحثاً علمياً ، ومتفلسفاً ذا نظريات جديدة ، غير مدرك ما فى آرائه أو فى ثنائيه من خطورة ، ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعى هو إنكار لوظيفته نفسها وعمله ، وإنهاء لوجوده وكانت هذه البدعة السائدة فى ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أحموا أنفسهم « حزب الأحرار الدستوريين » وهذا هو الذى فهمه الأستاذ الجليل أمين الرافعى فكتب فى جريدة الأخبار أنه لم يستطع أن يقدم الشيخ على عبد الرازق على إصدار هذا الكتاب لماعرفه عنه من الضعف فى تحصيل

العلوم ، والآحاد في العقيدة ، ثم قال : هذا إلى أنه انقصر منذ سنين في بيئة ليس لها من أسباب الظهور سوى الاقتيات على الدين وتقصص أبواب الفلاسفة والملاحدين وصار خليقاً باسم « الأستاذ المحقق » والعلامة الكبير .

ولم يعرف الأستاذ أمين الرافعي أن المؤلف الحقيقي ربما كان غير الشيخ علي عبد الرازق ، ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك وهناك قرائن أخرى أوردتها الدكتور الرئيس :

أولاً : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة ١٩٢٤ بيننا هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ وأنها ذكرت اسم السلطان محمد الخامس وقيل في الهامش أنه كتب في عهده وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانياً : يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه ، فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول (عندنا) أو (العرب) أو نحو ذلك كما يقول المسلم ذلك .

ثالثاً : يكرر الشيخ عبد الرازق (عيسى وقيصر مرتين) ويكرر هذه الجملة التي يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أن مسلماً صحيح الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير ، وأن قيصر وما لقيصر لله رب العالمين .

رابعاً : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام وشنوا الحرب على المسلمين فيدافع عنهم في نفس الوقت الذي يحمل على أبي بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله ﷺ فينكر خلافته ويقول أن محاربتة لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين ، ولكن كانت نزاعاً في ملوكية ملك ولأنهم رفضوا أن ينضموا للوحدة أبي بكر وما هي وحدة أبي بكر يا عدو أبي بكر والإسلام ؟

أليست هي وحدة المسلمين ، ويقول « حكومة أبي بكر » ، أو ليست هي حكومة الإسلام والمسلمين ، ويتكلم عن أبي بكر هكذا بغير احترام أو تجميل ، كأنه رجل عادي أو كما يتكلم عدد .

هل هذا هو أسلوب المسلم ، فضلا عن تماهت الشيخ في الكلام عن الصحابة وهم أفضل الناس وأحبههم إلى رسول الله ﷺ وخير من دافعوا عن الإسلام وجاهدوا في سبيل الله عن وجل .

وخامسا : أن الأسلوب الذي كتب به الكتاب أسلوب غريب ، ليس مألوفا في الكتب العربية ، فهو أسلوب مناورات ومراوغة ويتضمن بالالتواء واللف والدوران ، فهو يوجه الطعنة أو يلقي الشبهة ثم يهود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويفلت منها ثم ينتقل ليقدر شبهة أو طعنة أخرى على طريقة (اضرب واهرب) وحين يهاجم يصوغ عبارته في غموض وهذا يدل على أسلوب رجل سياسي متمرن في المحاوراة والخذعة ، وهو أشبه بالأسلوب الأفرنجي . وأسلوب الدعايات السياسية أو الدينية التبشيرية وليس هذا أبدا أسلوب العربي الصريح ، فضلا عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين في الأزهر وهذا مما يغاب الرأي بأنه كتاب مترجم .

سادسا : لم يعرف عن الشيخ على عبد الرازق - من قبل - انه كان كاتبا تدرس في الكتابة ومرت على التأليف فيكتب بهذا الأسلوب ويتعمد الطعن في الإسلام وتاريخه وعظماء رجاله ، ولم يعرف للشيخ كتاب او مقالات قبل هذا الكتاب (أى في السياسة والتاريخ) بل ما كتب من قبل كان (كتيبا) في اللغة أو في علم البيان ، وهذا كل إنتاجه في أربعة عشر عاما بعد تخرجه من الأزهر ، ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاما لم يكتب كتابا آخر في نفس موضوعه أو مثله ولم يحاول ان لم يستمع حتى ان يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر .

سابعا : هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى ان يرجع صحة الخبر الذي رواه فضيلة المفتي الشيخ محمد نجيت ، نقلا عن كثيرين من اصحاب الشيخ على عبد الرازق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير

المسلمين ، وقد غلبنا نحن انه أحد المستشرقين ، ولكننا نقيد هذا الخبر بان الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وأنه هو الذى أورد الآيات من القرآن .

والظاهر أنها محشورة حشرا بمجموعات فى كل مكان ، وأبيات الشعر التى استشهد بها ، كما كتب المقدمة التى زعم فيها أنه بدأ البحث فى تاريخ انقضاء منذ ١٩١٥ وذلك ليخطى المقارنة الظاهرة بين وضع الكتاب ووقت صدوره ، فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

وفى مثل هذه المسائل بالذات فإن هذه الحالة أسهل ، لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول ، أو كانت المسألة بتصريح أو إتفاق لخدمة غرضين فالطرف الأول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية ، والطرف الثانى له مأرب سياسى ولكن الدافع الذاتى أنه يريد الشهرة أو الظهور أو الغرور ، (وقد انتفعنا فى هذا البحث بدراسة الدكتور الرئيس وببحث مجلة المجتمع الكويتية وكتاب المعارك الأدبية) .

الحقيقة أن كتاب الإسلام وأصول الحكم ، من الأعمال الثغريبية والاستشراقية الخطيرة التى أريد بها هدم القاعدة الأساسية للإسلام وهى قاعدة أن الإسلام دين ودولة فى محاولة تنصير الإسلام وجعله مشابها للنصرانية التى هى بمثابة دين قائم على الوصايا وليس له تشريع ، لأن تشريعه فى اليهودية ، وهذه القضية هى مفتاح الهزو الفكرى الذى واجه به النفوذ الاستعمارى بلاد المسلمين من أجل هدم هذه القاعدة وحصر الإسلام فى المساجد وفى الصلاة والصوم وفرض الأيدولوجيات الغربية فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والترفيه ، ومن هذا فتح الطريق أمام قانون الوضعى وكسر الحدود التى وضعها الاسلام شأن واقضاء على محرمات اسلام : الربا والزنا والسرقة والإختلاس والميسر وإباحتها وجعلها فى نظر الناس مشروعاً ، ومن وراء ذلك إمبراطورية الربا التى ترمى إلى تحطيم الضوابط والحدود وذلك للسيطرة على الاقتصاد الإسلامى وهدم المجتمع الإسلامى وإذاعة روح التملل والترف وتغليب مفهوم المجتمع

الإستهلاكى القائم على الشهوات والذات والإباحيات وهدم قاعدة أخلاقية المجتمع وهدم مفهوم المسؤولية الفردية للإنسان واتزامه الأخلاقى فى بناء المجتمع الربانى فى الأرض .

وهكذا نصل إلى أن هذا العمل كان من المؤامرات الخطيرة التى ما تزال تتخذ سورا يقذف منها الإسلام على أيدى خصومه والراغبين فى هدم شرعته .

وبالجملة فإن كتاب الشيخ على عبدالرازق أحدث شرخا استغله خصوم الشريعة اعتمادا على أن كاتبه رجل من الأزهر ومن علماء الإسلام وليس الأمر كذلك فى الحقيقة وإنما هى المؤامرة الشيوعية الضخمة التى قام بها التبشير والاستشراق لإحتراء أمثال على عبد الرزاق وطه حسين وهى مؤامرة مآلها الهزيمة وانقراض يافى الله . .

الفصل الخامس

سعد زغلول

(١)

دعوة صريحة إلى الكتاب المؤرخين :

انثروا مذكرات سعد زغلول المخطوطة لتكشفوا حقيقة هذه الشخصية الخادعة ولتضعوه في مكانه الصحيح من تاريخ مصر .

لأن الحقائق تكشف عن دور سعد زغلول :

أولاً - تجميد اللغة العربية وإتاحة الفرصة للغة الإنجليزية بوزارة المعارف .

ثانياً - بحث قانون كرومر للطبوعات لمحاكمة الصحفيين والكتاب الوطنيين .

ثالثاً - التعاون مع الأجانب لادخال الحضارة الغربية إلى مصر الإسلامية .

سعد زغلول

كان من أم الأسئلة في ندوة الاعتصام ما قدمه عدد من الشباب استفساراً عن صحة ما نشر عن تاريخ سعد زغلول من فصول في إحدى الصحف اليومية وهدى تطابق هذا مع واقع التاريخ ومن خلال نظرة إسلامية صحيحة .

ولا ريب أن شخصية سعد زغلول هي واحدة من أكثر شخصيات العمل الوطني في مصر بعد الحرب العالمية الأولى ، ولكنه لا يمكن دراستها ، إلا يفهم الإطار السياسي الذي بدأ منذ أن احتلت بريطانيا مصر وواجهت الحركة الوطنية التي قاومت النفوذ الأجنبي بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد وعدد من المجاهدين الذين علت الثورة البريطانية على تصفيتهم وتقديم جيل جديد من أصحاب الولاء للنفوذ البريطاني وفي مقدمة هؤلاء أحمد لطفي السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمي .

هذه المرحلة السابقة لظهور هيئة الوفد المصري التي قادها سعد زغلول لها أهميتها في الكشف عن الدور الذي قام به سعد زغلول في معارضة الحركة الوطنية وكبح جماحها ، وتقديم رجانا للحاكم كما فعل مع قديس الوطنية محمد فريد إبان توليه منصب وزيراً لقانية ، وكذلك دوره في تجميد اللغة العربية وهو وزير المعارف وإتاحة

الفرصة للغة الانجليزية ، وكذلك دوره في إعادة بحث قانون المطبوعا القديم الذى كان كرم قد أجازته ثم أوقفه وذلك لحاكة الكتاب والصحفيين الوطنيين والحكم بأقصى العقوبات ، هذه الصفحة لسعد زغول يجب أن تعرف قبل أن يقدم على المسرح كزعيم وطنى بعد الحرب العالمية الاولى .

ولقد اختلفت حول سعد زغول كتابات المؤرخين والباحثين ، فوضحه كتاب الوفد وأحباب الولا لحزبه موضع اقداسة (وفى مقدمة هؤلاء الأستاذ العقاد) وكشف عن حقيقته مؤرخو الحزب الوطنى (وفى مقدمة هؤلاء الأستاذ عبد الرحمن الراعى) وجاءت كتابات كثيرة بعد ذلك لتضع سعد زغول فى حجمه الصحيح ، وكان فى مقدمة ذلك تلك الدعوة الصريحة الموجهة إلى المؤرخين والكتاب والباحثين أن ينشروا مذكرات سعد زغول التى كتبها بخط يده فإنها هى وحدها القادرة على أن تقدم للناس بغير ولاء ولا خصومة حقائق هذه الشخصية ودورها وعلمها وحقيقتها من خلال كتابات صاحب المذكرات نفسه ، تلك التى كتبها بكل حرية وإرادته خلال فترة تزيد على ثلاثين عاماً من أكتوبر ١٨٩٧ إلى ١٩٢٦ ، وتضم مراحل عضوية الجمعية التشريعية وتولية الوزارة وفترة المنفى وفترة رئاسة الوزارة وتضم ثلاثاً وخمسين كراسة فقد كان يسجل الأحداث يوماً بعد يوم عقب وقوعها مباشرة .

تكشف هذه المذكرات عن أشياء كثيرة أهمها :

أولاً : علاقة سعد بالانجليز :

يقول عن المورد كرومر : « كان يجلس معى الساعة والساعتين ويمدني فى مسائل شتى كى تنور منها فى حياتى السياسية » (مذكرات سعد زغول كراس ٢٨ ص ١٥١٦) والمعروف أن كرومر فى تفاريره السنوية كل حريصاً على أن يذكر أنه يهدج يهدجاً من الشباب المصرى المتفرنج الذى يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطانى وقبل العمل معهم .

ومن هنا كان حملة كرومر بسعد زغول عن طريق صهره (مصدق فىه)

الذى كان أول رئيس وزراء بعد الاحتلال ، والذى قضى في الحكم ثلاثة عشر عاماً ، وكان أبرز الإنجازين محروبا عندهم ، وقد أءبر إليه سعد زغلول فأعد نفسه ليكون أول وزير مصرى . ولعل من الحقائق العجيبة أن اللورد كرومر عام ١٩٠٧ أعلن أنه يترك مصر مستريحاً . لأنه أقام فعلا القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال وكان في هذا العام قد أئف حزب الأمة ، وأصبح لطفى السيد هو حامل لواء (الجريدة) وسعد ناظرأ للعارف ، وقد كرومر سخر في خبة الوداع الذى أقامها له رجال حزب الأمة من أولياء النفوذ الأجنبى من المصريين جميعاً ، ولم يمح في خطابا إلا رجلا واحداً : هو سعد زغلول .

ومن هنا نجد سعد زغلول يكتب في مذكراته أثر استعفاء كرومر من منصبه في ١٩٠٧/٤/١١ وكان مجلس معه كل من حسن باشا عاصم ومحمود شكرى عندما تلقوا خبر الاستعفاء فقال : أما أنا فكننت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه أو كمن وخز بألة حادة فلم يشعر بألمها لشدة هولها (كراس ٦ ص ٢٤٠) . وكتب في موضع آخر يقول : (قد أمتأت رأسى أوهاما وقبى خفقاناً وصدرى ضيقاً) (كراس ٦/٢٤٦) .

ويقول لورد كرومر في تقريره السنوى عن تعيين سعد زغلول ناظرأ للعارف : لم يكن السبب الرئيسى في تعيينه كما يظن أحياناً أنه إستثناء من الحالة التى كانت تسير عليها مصلحة المعارف المصرية فىلا زالت قاصرة فى أن توفر أية بادرة لتغير جذرى فى السياسة التعليمية ، إنه يرجع أساساً إلى الرغبة فى ضم رجل قادر ومصرى مستقبر من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالإصلاح فى مصر .

وقال كرومر : د كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم (جيروند) الحركة الوطنية المصرية ، والذى كان برنامجهم تشجيع اتحاون مع الأجانئ لادخال الحضارة الغربية إلى مصر ، الأمل الذى جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد فى قيام الوطنية المصرية .

وكان سعد في مقدمة الداعين لاقامة حفل لتوديع اللورد كرومر وكتب في مذكراته يملن ضيقة بالذين انتقدوا كرومر عقب استعفائه وقال : إن صفاته قد انفق الكل على كمالها (كراس ٢٤٥/٦) وأشار إلى علاقة غورست خليفه كرومر به وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حديقة دار الوكالة البريطانية .

ثانيا : أخلاقيات سعد .

وتكشف المذكرات أخلاقيات سعد ومواقفه المتعددة من الحياة الاجتماعية : وأبرز هذه الجوانب علاقته بالقرار وقد كتب فيها طويلا فقال في (كراس ٢٦ - ص ١٢٩٠) : كنت أنردد بعد عودتي من أوروبا على السكلوب (أى نادى محمد على) إلى لعب الورق ، ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض فأنى لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسى من التردد على النادى ومن اللعب وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود وخسرت فيه مبالغاً طائلاً .

وقد بدأ ذلك حوالى ١٩٠١ فقد كتب في أبريل ١٩١٣ يقول : كنت قبل ١٢ سنة أكره القمار واحتقر المقامرين وأرى أن اللهو من سفة الأحلام واللاعبين من المجانين ثم رأيت نغمة لعبت وتهورت في اللعب وأنى على زمان لم أشتغل إلا به ولم أفكر إلا فيه ولم أعمل إلا له ولم أعائش إلا أهله حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالا وثروة (مذكرات سعد - كراس ١٢٩/٣) .

وكتب خلال زيارته لأوروبا صيف ١٩٠٨ (أفطر مع الست والباشا (أى مصطفى فهمى) وحسين (ابن محمود صدق) في الساعة تسعة وبعد أن تمشى مع الأشا قليلا نعود إلى البيت لنلعب البوكر مع الست وحسين إلى الساعة ثمانية و تمشى قليلا ثم نعود لنلعب البوكر إلى الساعة ١١ مساء وقد أنفعل أثناء اللعب عند الخسارة وصادف أن الزهر كان يعاكس وكان يزهر حسين سعيد ولكن مع ذلك كسبت ولم أخسر غير أن خسارتي كانت من طريقين : طريقى وطريق الست (كراس ١٣٠٠ - ١٣٠١ ص ٢٤) .

ويتساءل سعد عن الأسباب التى دفعتة إلى القامرة فيكتب ما يلى :

أريد أن أعرف ما أريد حتى أتمكن من معالجة نفسي من هذا الداء ، هل أريد بسطة في الزرق ، أنه يقبضه في الكثير الغالب ، هل أريد سمة الجاه ، أنه يضيقه بما يخطط من القدر في نفوس الناس هل أريد تناسي آلام تتردد على النفس عند خلوها من الشغل وهو كثير ، لا أشعر بهذه الآلام ، ويقول : ما كنت أصغى لنصائح زرجتي ولا أرق لتألمها من حائتي ولا ارعوى عن نفسي ، وأشار إلى توباته المتعددة ، وعردته عنها فيقول : وقد يخيل لي ان كتابة هذه الخواطر وتسجيل هذه الواردات مما يساعد على الاستمرار في ارتكاب هذا الإثم ، كأن النفس تجسد في هذه الاعترافات المكتوبة والاشتمزازات المرسومة ، فضيلة تكفها عن الانصاف بها وعن الإفلاع عن نفس الرذيلة او ان الاعتراف كفارة عن الذنب والجريمة المركبة ترجيحاً .

ويقول : إني أوصي كل من يعيش بعدى عن لهم شأن في شأني اني إذا مت من غير أن أترك اللعب أن لا يحتفلوا بجنائزي ولا يحذوا علي ولا يجلسوا لقول تعزية ولا يدنفوني بين أهلي وأقاربي وأصهارى ، بل بعيداً عنهم وأن ينشروا على الناس ما كتبت في اللعب حتى يروا حالة من تمكنت في نفسه هذه الرذيلة وبئست العاقبة . الكراسة ٢٨ ص (١٥٧) :

وتقبض مذكرات سعد زغلول بالتفاصيل المسهبية التي تبين مدى سيطرة هذه الغواية عليه ومحاولة الإفلاع عنها وللتخلص منها وعودته إليها المرة بعد المرة فقد وردت تفاصيل إضافية في الكراسات ٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ في اثني عشر موضعاً من هذه الكراسات .

وقد أشارت المذكرات بوضوح إلى أثر القمار في حياة سعد وخاصة حياته الاقتصادية كما يشير إلى ذلك الدكتور (عبد الحائق لاشين) فقد وقع سعد الذي انتهى الضياع الواسعة تحت طائلة ديون كثيرة مما دفعه عام ١٩١٠ إلى أن يبيع الضيعة التي اشتراها بناحية قرطسا (بحيرة) لقاء اثني عشرة ألف جنيه يقول : (بهت هذه الأطيان وذهب كل ثمنها أدراج الرياح فلم أستفد منه فائدة) كما باع الضيعة الأخرى بلسونس ومطونس عام ١٩١٨ بمبلغ ١٦ ألف جنيه ومزاج كل

لإيرادات سحدي في مد عامين وكانت ٢٠٠٠ جنيه مرتب الناظر (الوزير) ١٥٠٠ جنيه لإيجارات باقى أطمائه وأصبح لدينا بمبلغ ٦٥٥٠ جنيه وبذلك بدد سعد الكثير من ممتلكاته يقول فى مذكراته (٢٥ مارس ١٩١٢) :

أصبحت منقبض الصدر ، ضائق الذرع ، ولم أتم ليلى بل بت طوله ساعداً
تساورنى المصوم والأحزان وأنفَس الصعداء على فرط مَنى من اللعب وضباع
الأموال التى جمعتها بحد العمل وعرق الجبين وسيرورتى إلى حال سيئة .

وهكذا أجهز أقمار على ثروته التى كونها من المحاماة وكانت لا تقل عن ٤٠٠
فدان و ١٨ ألف جنيه فضلاً عما ورثه من صهره مصطفى فهمى : الذى كان يملك
٦٤٨ فداناً و ٨٦٠٠ جنيه وألف أردب قمح وألفى جنيه مواشى وكانت صفية
زغلول التى أطلق عليها أم المصريين واحدة من ثلاث بنات خلفها مصطفى فهمى
جلاد شعب مصر ثلاثة عشر عاماً .

وبعد فهل هذا وحده ما تكشفه مذكرات سعد زغلول التى نطالب بطبعها
وإذا عتيا لترسم صورة حقيقية لهذه الزعامة التى اختلف فيها الرأى فرفحها بالهوى
والصدافة والولاء السياسى إلى مكان آخر ، وما نريد أن نظلم أحداً ولكننا نطالب
بالكشف عن الحقائق عن طريق الوثائق وما يمكن أن توجد وثيقة أشد صدقاً
من مذكرات كتبها الرجل عن نفسه .

ومن خلال المذكرات سوف تتكشف أشياء كثيرة خطيرة ومثيرة .

(٢)

سعد زغلول

رأس المدرسة الحزبية في مصر

طل الناس وقتا طويلا يظنون أن سعد زغلول زعيم وطني ، وذلك تحت تأثير التبريح السياسي . والأوهام التي صنتها الصحف الحزبية وأيدتها تجار الوطنية منذ عام ١٩٢٠ حتى اليوم . فلما أنقسمت الحزبية وأخذت تتصارع ونقدت عند الناس مظهرها وأطار الزعماء بعضهم البعض وأبلا الاتهامات تكشف الحقائق .

كان الناس يظنون أن سعد قديسا وقد كذبته حقائق التاريخ . فسعد رأس المدرسة التي جاءت بعد ثورة ١٩١٩ ، هو الثمرة الأولى لحزب الأمة الذي صنمه اللورد كرومر عام ١٩٠٨ ليحارب به الحركة الوطنية التي كانت مثله أذاك في جهاد الحزب الوطني : مصطفى كامل ومحمد فريد وقد أعلن حزب الأمة منذ اليوم الأول أنه يقبل الالتقاء بالإنجليز في منتصف الطرق .

وليس صحيحا ما يقال من أن سعد وشعراوى وعبد العزيز فهم هم الذين وضعوا بذور الثورة . فلم يكن من المنقول أن أقام هؤلاء بالمندوب البريطاني هو العامل الرئيسي في اندلاع ثورة ضخمة جليلة الخطار كالثورة المصرية عام ١٩١٩ ولا تقوم الثورات نتيجة لمثل هذه المقابلات ، وإنما تقوم نتيجة لتوجيه دائب طويل المدى بتغلغل في نفوس الأمة زما طويلا حتى يأتي اليوم الذي ينقش فيه هذا الشعور وينفجر بصرف النظر عن الأشخاص .

وقد سمى ذلك اليوم المين الذي قابل فيه الزعماء الثلاثة المندوب البريطاني بعيد الجهاد (١٣ نوفمبر ١٩١٨) ولو أننا قرأنا المصنطة الرسمية للحديث الذي دار في ذلك لحصلنا حتى من مجرد ذكره .

في ذلك اليوم قال سعد للتمدوب العرياني هذه العبارات بالنص : . متى ساعدتنا أنجلترا على استقلالنا التام فأتانا نعطيا ضمانه معقولة على عدم تمكن أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة أنجلترا . فتعطيا ضمانا في طريقها الهند . هى قناة السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عن الاقتضاء . بل نحالفها ونقدم لها ما تستلزمه مخالفه من الجنود .

وفي حديث سعد ثلاث هنات : تسليم قناة السويس . وقبول الاحتلال . والموافقة على الدفاع المشترك .

وأذا كان ما قيل من أن كرومر خلال وجوده في مصر كان يهدف إلى أعداد مصريين ليحكموا مصر باسم بريطانيا فهذا يعنى أن هذا الهدف قد تحقق إلى أبعد مدى في إختيار سعد زغلول .

ونستطيع أن نرجع إلى تاريخ سعد زغلول قبل ثورة ١٩١٩ وقبل الحرب العالمية الأولى فنراه واضحا لا غموض فيه فقد عاصر حركة عرابى وهى أكبر حركة شعبية في عصره فلم يعرف له فيها دور واضح . وعندما قام مصطفى كامل بحركته وقف في صفوف حزب الأمة وحارب الحرب الوطنى الفتى . وعندما صاهر مصطفى فهمى صديق الانجليز الوحيد في مصر ، والوزير الذى حكم مصر آنفى عشر عاما متواليه كان أنما يريد أن يؤهل نفسه لمنصب الوزراء .

تولى مصطفى فهمى وزارة الاستسلام المطلق للانجليز من نوفمبر ١٩٨٥ أى نوفمبر ١٩٠٨ وفي خلال حكمه باع البواخر المصرية بأبخس الاثمان إلى شركة (الن والدرسن) وعددها ١١ باخرة قدرت بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه ونصف مليون وقد باعها الوزير الشريف بمبلغ ١٥٠ ألف جنيه .

وقال مصطفى فهمى أننا مدينون لانجلترا بثروتنا وسعادتنا وهنائنا .

وفي عهده وقعت اتفاقية السودان . وأنشئ حزب الأمة . واحتفل بوداع كرومر .

وقد عين مصطفى فهمى صهره سعد زغلول وزيرا فإذا فعل سعد زغلول

انسحب من لجنة مشروع الجامعة عقب هذا التعيين وكان نائباً للرئيس ودين أن انسحابه كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال لكي يحبط المشروع . وقد أصاب المشروع الفتور فعلاً بعد أن تركه سعد .

قال مصطفى كامل : كيف بهم سعد المستشار بالاستئناف بمشروع على ثم ينسحب منه بعد أن يصبح وزيراً للمعارف .

واتجه سعد إلى إنشاء الكتائب بعد أن جدد مشروع الجامعة . وطلبت الجمعية العمومية جعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية فاعترض وزير المعارف على هذا الاقتراح وقال بالنص :

أنا إذا فعلنا ذلك أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا أساءة كبرى .

وقد كانت حسنة زغلول أن رفضت الجمعية العمومية اقتراحه وأقرت المشروع بالأغلبية العظمى ودافع سعد مع الأسف عن سياسته الاحتلال في التعليم . كتب مصطفى كامل يقول : أن الناس قد فهموا الآن بأوضح مما كانوا يفهمون من قبل لماذا اختار لورد كرومر لوزارة المعارف صهر رئيس الوزارة الأمين على وحيه ، الخادم لسياسته .

وعندما احتفل بتدريج كرومر طعن المصريون ولم يعان تقديره إلا لسعد وقالوا أن سعد زغلول قاوم دنلوب وقيل في الرد على ذلك أنه فعل ذلك ليكون أشد على مصر من دنلوب واخلص منه لرغبات الإنجليز .

وأن كان سعد قد اصطدم بدنلوب - وهو ما لم يحدث - فأنما فعل ذلك لاعتداده بشخصيته وليس لمصلحة مصر . ولم يعرف عنه أنه اختلف معه في أمر من أمور الوطن .

وعند ما قام فريد بالدعوة إلى المطالبة بالدستور واجمعت الأمة عليه ، صرح سعد زغلول بأن مصر لا تصلح للحكم التباقي .

وعندما عين وزيراً للدول سن قانوناً بأحالة تهم الصحافة إلى محاكم الجنايات وفي عهده - ١٩١١ - حوكم محمد فريد بإعاز منه وحكم عليه بالسجن ستة شهور كما حوكم عبد العزيز جاويز . وأغلقت صحف الحزب الوطني واحدة بعد الأخرى .

وقد اشترك في وزارات مصطفى فهمي وبطرس غالي ومحمد سعيد ووافق على اتفاقية السودان .

ثم جاء الوقت الذي حدده الإنجليز للدور الذي قام به سعد زغلول :

نفى الإنجليز جميع زعماء الحزب الوطنى إلى الخارج . واندلعت الحرب وأعلنت الحماية على مصر . فكان سعد زغلول أول من استقبل مندوب الحماية وأدلى إلى « المقطم » الأغر ! بحديث قال فيه أنه استبشر خيرا بمقدمه .

وتولى سعد زعامة الأمة أعتباطا ، كان في سن مرتفعة . وكان مريضا معتلا الصحة في الوقت الذي وكلت إليه زعامة الأمة !

ولكن سنده في زعامتها كان شيئا هاما هو رضا الإنجليز عنه وأعجاب الإنجليز بتلميذ كرومر وصهر مصطفى فهمي أما ماضيه فلم يكن شيئا يشرف أو يحل على الإعجاب .

ومن صفحات ماضيه غير ما ذكرنا موقعة يوم ٩ فبراير سنة ١٩١٠

عندما وقف وحده في الجمعية التشريعية يدافع عن مطالب شركة قناة السويس لمدة عقد امتياز القنال أربعين عاما بمسدد موعد نهاية عقدها أى من ١٩٦٨ إلى عام ٢٠٠٨

وكان الوزير متحمسا لذلك . شديد الحماس . قوى المعارضة في تأييد المشروع . يوانقه رئيس الحكومة « بطرس غالى باشا » الذى قتل في ٢١ فبراير ١٩١٠ قبل أن يتم نظر المشروع . وقال التحقيق أن تأييد المشروع هو سر اغتياله .

وفي ٤ أبريل ١٩١٠ عاود هذا الوزير تأييد المشروع . ولكن المجلس لم يأخذ برأيه ورفض أغلب النواب المشروع . وصفت النواب . وصفت الشرفات الخاصة بالزرايين . وانهمز سعد والمندوب البريطاني .

وبدأت مظاهراته لم تتكرر في تاريخ مصر : خمسة عشر ألفا من المصريين كانوا قد تجمعوا خارج القاعة . فما أن عرفوا باتقرار حتى طافوا شوارع القاهرة بموسيقاهم وأعلامهم .

وكانت أول مظاهرة ضد الاحتلال : ثم ماذا ؟

ثم أصبح هذا الوزير بعد ذلك زعيم مصر فاطبة . وأصبحت هذه الألوف الخمسة عشر التي هتفت بسقوط مشروعه ، تهتف له : بالسخرية أقدر حين يصبح صنيعة الاستعمار زعيما لوطنه .

يقول جورج لويد في كتابه [مصر منذ عهد كرومر] يصور سعد زغلول « بفضله مجرود اللورد كرومر أنشئ في مصر في أكتوبر ١٩٠٧ حزب جديد هو حزب الأمة وصحيفته الجريدة .

كان أكثر أعضاء هذا بعثا للامل رجل أصبح اسمه فيما بعد أمم الاسماء في تاريخ مصر الحديثة . ذلك هو سعد زغلول . ولما كان سعد قد أختار لنفسه مهنة المحاماة فقد وقع عليه اختيار الأميرة نازلي فاضل ليكون محاميا ووكيل قضاياها . وقد أوحى إليه أن يتعلم الفرنسية . وكانت الخطوة الثانية من خطواته اقترانه بأسم مصطفى فهمى رئيس الوزراء الذى كان صديقا لدولتنا . مواليا لبريطانيا .

وقد كان سعد فى تلك الفترة من حياته قد ظفر بهالات سياسية من طبقة هالیه وكان مؤمنا بالصدافة البريطانية . وخصما شديدا قويا لسياسه الخديو ونشاطه السياسى ولذلك كان لامناص لكرومر إذا أراد أن يشجع الرأى العام المعمرى السياسى الموالى لبريطانيا ولما أراد فى الوقت نفسه أن يقدم عربونا لصديقه مصطفى فهمى أن تخار سعد زغلول لوزارة المعارف المنشأة حديثا اه .

بقى أن أحدثك عن الدور الذى قام به سعد :

كانت الاحكام العرفية قائمة فى ذلك الحين . وكانت الصحف لا تكسب حروفا وحداً الا بأذن الرقيب . وكان فى أماكن السلطات انفاضية - اذا شاءت أن تجعل خير القبض على سعد فى نطاق حديدى لا يفسده منه ولحسبها هى التى سمحت للصحف بنشر الخبر والتعليق عليه .

بل طبعه السلطة على نفقتها مئات الألوف من النشرات مملئة أمر القبض على سعد وحجبه . ونشرتها على طول البلاد وعرضها . لتلفت نظر الأمة إلى الزعيم

الجديد في الوقت الذي كانت السلطة تخشى فيه أن يستعيد الحزب الوطنى سيطرته على الجمهور فيوجه الحركة التوجيه الصحيح الذى تحاول انجلترا تفاديه .

وحدث ما توقعه الانجليز ، فبالرغم من ماضى سعد وموقفه من الحركة الوطنية فإن الشعب العليب نسي كل ذلك .

وهكذا اشتعلت الثورة وتعالى الاصوات هائفة ، بالاستقلال ،

ووصلت ابنائها الى سعد وصحبه في مفاه فاندش لها لانهم لم يعملوا بها ولم يكونوا يتوقعونها .

وخدعت مصر أى خدعة بوطنية سعد زغلول فاسلمت قيادته لمنهضة العيين تحت أغراء الألفاظ الرنانة .

أنه زعيم المصادفة البحتة . الذى تسلم آمال شعب في الوقت الذى خلا فيه عزير الأسد . الأسد هنا هو بالطبع : [قديس الوطنية « محمد فريد »] تسلم هذه الآمال التى رباها مصطفى كامل ومحمد فريد وضحيا في سبيلها بحياتهما وما يملكان .. وضعت هذه الآمال الغالية بين يدى الرجل الذى كان خصم الحركة الوطنية وجلادها .

وبفضله حدث الانحراف الذى أصاب الوطنية المصرية فانتقلت من الطريق السليم الثابت الصريح إلى أسلوب انقضايها والمخامين . الدوار الملفوف المضطرب . لم نجر على لسان سعد كلمة « الجلاء » ، كلمة الحزب الوطنى الصريحة الواضحة . ولكن سعد قال كلمة أخرى : « الاستقلال » ، وهى كلمة غامضة مبهمه مطاله غير واضحة ولا محددة .

وحارب سعد الحزب الوطنى أعنف الحزب وسخر منه وحارب مست كل خصومه بكل وسيلة ولو كانت غير شريفة .

كانت الفاظه تتطوى على الخداع والتضليل . فيها مظهر براق يثير النفوس والاسكنه في حقيقته « الماء » الذى وضعه سعد على نار الثورة الى قامت بغير قيادته وفي غيبته .

ولما أسلمت الأمة له قيادها . مزق وهدمها في سبيل الخصومة الشخصية . ولم يستطع أن ينكر ذاته وغروره في سبيل الحفاظ على القوة التي في يده ، فحضر الإنجليز به خصومة وضربوا خصومة به . فسكن للخلاف الحاد وألمات الروح الوطنية القواره .

ونقل معركة الوطنية من ميدانها الاصيل في الصراع مع الغاصب المحتل إلى الصراع بين أبناء الوطن نفسه . وسلك سبيل التنازع على العظمة التي أنقأها لهم الإنجليز وأطلقوا عليها « الحياة الدستورية » .

وهن يومها أصبحت الحياة السياسية المصرية سلسلة من المؤامرات والمناورات في سبيل سقوط وزير وتولى وزير آخر .

وتحت ضغط شهوة الحكم رفض سعد أن يظل زعيما وطنيا . وكان هذا أول الوهن فقد خدعه ما كدونالد خدعه كبرى حين قال له أنه يستطيع أن يحل معه « القضية » المصرية وهما يتناولان فنجانا من القهوة .

وسد زغلول هو أول من قبل بدأ « المعارضة » والجلوس مع الغاضب على مائدة واحدة وأول من أجاز فضل قضية السودان وتجميدها ، ولم يلبث أن صرح هذا التصريح الخطير « الإنجليز إخصوم شرفاء معقولون ، ولم يكن قدوة للشعب في تصرفاته . بل كان متعاليا وأرستقراطيا . ولم يؤثر عنه أنه اتصل بالفلاحين أو العمال على وضع شعبي .

وفي بياناته عن مشروع ملأ أظهر روح الرجل اليأس الميتوس الذي يرى أن شيئا خير من لا شيء . ولم تكن فكرة « الجلاء » يوما من برنامجهم .

وعندما طرد الجيش المصري من السودان وسئل عن موقفه قال : ليس عندنا ثمريدة . وكانت صبيحة سعد الانتخابية « الإخلاص فوق الكفاءة » .

وعندما قتل زعيما حزب الأحرار الدستوريين حسن عبد الرازق واصماعيل زهدى وهاجم الوفديون دار الأخبار التي كان يحرقها أمين الرافعي ولما سئل فقال : لا تطلبوا في حماية أنصارى من خصومى .

ولم يتقدم الأمة ببرنامجه كامل وكانت سنة استنها الزعماء من بعده .

وعندما أصدر التوكيل اختلف مع الأحزاب على صيغته، وغلب على الفأظة الإجمال والإيهام . وآل أن وكالة الأمة قانونيا وشرعيا تسقط يوم اجتماع مجلس الأمة . ولكن سعد ظل يذكر التوكيل . والواقع أن التوكيل كان لهيته خاصة ففرقت وتمزقت .

وعندما قتل السردار فرمن الميدان فراراً مخزياً واستقال وأعطى الفرصة لمن خلفه التسليم بكل مطالب الإنجليز وأذعن لرأى الإنجليز حين أصروا على ألا يكون رئيساً للوزراء .

واختلف رأى سعد في الدستور قبل الحكم حين قال : أننى كلما قرأت دستور ثررت باشأ أعترق الحى، وأخذنى الدوار . . . وحين وصل إلى الحكم بعد شهر . وقال عنه أنه « موضوع على أحدث النظم العالمية » .

وعندما ولي الوزراء أمدد المالية إلى توفيق نسيم ورئاسة مجلس النواب إلى أحمد مظلوم وقد كانا من خصوم الوطنية .

وقد وضع سعد نفسه ، ووضع القداسة حتى انتشرت على السنة الناس الالتفاف
الدينية الملبئة بالكاذب والتضليل ..

ومن هذا عباراته : أن في إحراج زغلول إحراج للأمة . لو رشح الوفد حبرا لانتخبوه . الاختلال على يد سعد خير من الاختلال على يد عدلي
ووقف سعد من خصومه موقفا غاية في الضمعة . فقد كان ديكستورا بطله ،
عنيفا في خصومته يرى شخصية أهم من القضية الوطنية .

حارب وفد المفاوضات برئاسة عدلى . وأرسل المنفذ بين البرقيات للاتفاص
من قدره . واعتمد على ثقة الشعب .

ولم يعرف بالإتياء . بل عرف بقلّة الصبر وسرعة الغضب ، مما صرف عنه أعوانه وأنصاره . ولم يبق حوله إلا الخاضعين الذين يطمعون في المناصب دون الأعداء .

وقال سبحانه في هذا الانجاء : **الإناني الفردى** ، وعدت لو أن أجعلها دولة

زغلولية لها ودما . . . مبررا بذلك تصرفاته في تعيين أهله وأقاربه وبالرغم من ازهريته ، تنسكركم للذين ودافع عن القوانين الاوربية ، ولجا إلى الصلاة لغرض واحد هو كسب الازهرين إلى صفه .

وقد وصف ملتر الوفد على عهد سعد زغلول ، أن هيئة مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسو من الغلاء المتطرفين . بل أصلهم من حزب الأمة القديم ، الذي كان عرضه التقدم الدستوري تدريجيا بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة الإنجليز

وقال ملتر ، أن الهيئة المستحقة للاعتراف هى المعروفة بالوفد والتي يرأسها سعد زغلول باشا والتي تتسلط على العقول المصرية تمام التسلط .

ولو فى هذا الحين على الأقل — مؤلفه أعضاء أكثرهم ليسو من الغلاء المتطرفين ، بل أصلهم من حزب الأمة القديم . الذى كان عرضه التقدم الدستوري تدريجيا بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة البريطانيين .

ومن أدلة غطرسته وطغيانه أن طلب إليه ثروت العودة إلى الوحدة فكاتب إليه سعد يقول : « أمامك المنابر العامة فاعلم أن وجدت سمعاً . والجرائد السيارة فاكتب فيها أن وجدت قارئاً . والنوادى الخاصة فتحدث فيها أن وجدت نصيراً ما أنت بزعم فى هذه الأمة ولا رئيس حزب فيها حتى تكون هناك أهمية لحلافك أو وفائك . . . »

وبالرغم من هذا فإن سعد عندما فرض الإنجليز ثروت رئيساً للوزارة دبره قبل هذا الوضع وصانح ثروت .

ومن آيات « شرفه » أن محمد فريد الزعيم المصرى المنفى فى برلين أرسل برقية إليه بعد تشكيل الوفد المصرى هذا نصها .

« نحيي فيكم الوطن الغائب . ونرجو لكم كمال التوفيق والنجاح » ورنض سعد أن يجيب .

وعندما ذهب الطلاب إلى سعد في باريس يعلنونه بأن محمد فريد مريض في برلين وفي حاجة إلى الدواء وطلبوا إليه من مال المصريين الذي أرسل إليه ما يعين الزعيم البطل ، رفض سعد بشدة وقال أنه لا يعطى لمجنون .

وقال : مصطفى الشوربجي أن سعد زغلول كان يريد أن يكون ملكا على مصر قال علوبه باشا (٧ ديسمبر ١٩٢٣) أن سعد بعد وصوله إلى باريس من منفاه للدفاع عن القضية المصرية وعلم أن ولسون رئيس الولايات المتحدة قد اعترف بالحماية على مصر . بدأ سعد يقول لنا يكرر قوله بألا أمل لنا في شيء وأن واجبنا قد انحصر في تنظيم هزيمتنا . وإن علينا أن نرجع إلى مصر متفرقين حتى لا تقع علينا مسؤولية الفشل . . . وقال الشوربجي : أن سعد ألح على عدلى في أن يفتخر إلى باريس فحضر . وسعى سعد حتى مهد لنا طريق المفاوضات مع ملتر . . وكان يطمح في الملك .

وعما سجله عبد العزيز فهمي في مذكراته : أن سعد كان يقول للملتر : شعبي يريد كذا وأنه حين فاتح ملتر في عرش مصر صدمه ملتر صدمه ولحقه اليأس من أول صدمة في الوقت الذي كانت الأمة فيه تنادى باسمه .

وبعد فلعل هذه الصورة تعطيك حقيقة المدرسة السياسية التي صنعها سعد زغلول وعاش عليها زملائه وتلاميذه بعد ثورة ١٩١٩ إلى أن تلاشت بعد حركة يولييه ١٩٥٢

سعد زغلول واللغة العربية

كانت الحملة الأولى على اللغة العربية قد بدأت بقيادة ولكوكس ثم انتهت إلى لطفي السيد في جريدة (الجريدة) لسان حال الإنجليز تحت اسم أصحاب المصالح الحقيقية ، غير أن الاستعمار تابع هذه الحملة بحملة أخرى في مجال التعليم فعمد إلى فرض لغته على تعليم جميع المواد باللغة الإنجليزية في مختلف فروع التعليم .

وكان كرومر قد أشار بتعيين (سعد زغلول) ناظراً للمعارف في أكتوبر سنة ١٩٠٦ واستقبل تمييزه بالتحفظ من جانب الوطنيين الذين تمنوا له أن يحقق آمال البلاد في تعليم العلوم باللغة العربية وخفض مصاريف التعليم وتحقيق مشروع الجامعة ، غير أن سعد زغلول لم يثبت أن انسحب من مشروع الجامعة وتبيل أن ذلك تحقيقاً لرغبة الاحتلال في إحباط المشروع ، وكانت بريطانيا قد وضعت مخططاتها منذ اليوم الأول لاحتلالها على أساس القضاء على اللغة العربية فقد أشار مسر دو فرين في تقريره الذي وضعه لتنظيم الاحتلال عام ١٨٨٢ إلى خطر اللغة العربية في مصر وقال :

لأن الأمل في نجاح تهذيب العلم في مصر لا يزال ضعيفاً مادام الصبيان لا يتعلمون اللغة العامية بدلاً من تعلمهم لغة القرآن الشريف كما يفعلون الآن ، فإن نسبة العامية إلى الفصحى في اللغة العربية هي كنسبة اللغة الإيطالية الحديثة إلى اللغة اللاتينية القديمة .

ثم لم تلبث أن توالى الدعوات إلى العامية والتي وجدت من الرد عليها وتنفيذها ما حمل بريطانيا على تأكيد عملها بوسيلتين :

الأولى : التعليم باللغة الإنجليزية وجعلها اللغة الأساسية على أن تصبح لغة

ثانوية وقد أيد هذا الاتجاه « سعد زغلول » وزير المعارف إذ ذاك ودافع عن اللغة الإنجليزية .

الثاني : هو قيام المصريين أنفسهم بالدعوة إلى العامية وقد بدأ لطفى السيد حملته هذه عام ١٩١٣ وتبعه قاسم أمين .

وقد هبت الجمعية العمومية (مارس ١٩٠٧) في مصر بالدعوة إلى التعليم باللغة العربية وطالبت بها وألقى الشيخ على يوسف خطابا ضافيا في هذا الموضوع أمام الجمعية العمومية .

قال : من القواعد التي لا خلاف فيها أن تعليم العلوم بلغة الأمة أكثر نفعا وأعظم فائدة ، على نحو لا يقدر من تعلمها بلغة أجنبية ، ذلك لأن التعليم بلغة الأمة ينقل العلوم لطاقتها إليها بخلاف العلم باللغة الأجنبية فإنه ينقل أفراد الأمة المتعلمين فقط من هذه الأمة لهذه العلوم ، وإذا كان بالعلم حياة الأمم فهو لا تحيا إلا إذا دب في جسمها كالدّم في الشرايين ولا طريق له في حلاله سوى اللغة التي هي إله التفاهم .

لذلك كانت الحكومة المصرية أول ما فكرت في إنشاء المدارس المنظمة على سبيل الحكومات الرقمية قد جعلت اللغة العربية أساسا للتأهيل حتى كان الأستاذ الأوربي يعلم والمترجم المصري بجانبه حتى وجد من المصريين الأساتذة الأكفاء في جميع العلوم العصرية لأنهم كانوا يترجمون الكتب ويؤلفونها بالعربية في جميع العلوم .

ولكن حصل خطأ في طريقة التعليم في المدارس الأميرية من بعض الذين كانوا قاطنين على أزمته منذ بضع عشرة سنة إذ قال باستعمال اللغات الأجنبية أداة للتعليم في المدارس العالية ثم حصل التوسع في هذا الخطأ بمقادير تزيد كلما طال الزمن لأنها منحصرة في ثلاث علل كما يقولون :

(١) قلة الأساتذة الوطنيين الأكفاء . (٢) الكتب العربية المؤلفة في العلوم

المدرسة . (٢) فقر اللغة في الاصطلاحات الفنية التي تزيد كل يوم في العلوم
باللغات الأجنبية .

والمعتقد أن ما يسمونه عللاهما في الواقع نتائج معلولة لعله واحد هي هجر
تعليم العلوم لأن هذا الهجر استدعى جلب الأساتذة من غير المصريين وفي كل عام
منذ تقرر التعليم باللغات الأجنبية يزداد عددهم في مدارس الحكومة وهذا الجلب
أفضى إلى قلة الأساتذة المصريين الأكفاء بالضرورة كما أفضى إلى قلة الكسب
المدرسية بل إلى فقدانها بالمرّة .

ولما كان استمرار طريقة التعليم باللغات الأجنبية مؤديا ولا ريب إلى حصر
العلم في دائرة ضيقة جدا من الأمت ، ودفعلا بالضرورة للأساتذة الأكفاء من
الوطنيين وملاشيا للكتب العلمية والفنية التي باللغة البلاد وميتا لهذه اللغة شيئا فشيئا
وكل هذه النتائج مضار كبرى تلحق بالأمة المصرية ولا علاج لها إلا تعديل طريقة
التعليم الجارية الآن باللغة الأجنبية ، فأنا أقسم من هيئة الجمعية العمومية الموافقة
على طلب تعليم العلوم في مدارس الحكومة وامتحان طلبتها باللغة العربية وأن يكون
الشروع في ذلك من السنة المقبلة (المؤيد ٢ مارس ١٩٠٧) .

وكانت هذه هي وجهة نظر جميع الوطنيين الميوريين ، غير أن سعد زغلول
بوصفه ناظر المعارف ألقى كله في الجمعية العمومية ردأ على وجهة نظر أصحاب
هذا الرأي معارضا إياه معارضة تامة فقال :

أن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبة أو إتباعا لشبهتها ،
ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة ، أن مركز الأمة من الأمم الأخرى
وإحتلالها بالأجانب وإشتباك المصالح الأجنبية بالمصالح الوطنية كل ذلك أوجب
تعليم العلوم باللغة الانجليزية لكي يتقوى بها التلاميذ فيها كما ينبغي ، ويمكنهم
أن تستفيدوا من المدنية الأوروبية ويفيدوا بلادهم بها ويقفوا على الدخول مع
الأجانب في مترك الحياة : حياة العلم والعمل ، شمرت الأمة بهذه الضرورة

قبل شعور الحكومة بها فأرسلت كثيراً من إثباتها إلى المدارس الأجنبية كمدارس
الفرير والجزويت والأمريكان التي تعلم علوم فيها بلغات أجنبية .

واضطرت الحكومة أن توجب التعليم باللغة الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية)
وعندما أنشئت مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية التي أنا أحد مؤسسيها رأينا أن
لا تدخل اللغة الأجنبية فيها ولكننا لم نثبت أن شعرنا بهذا الخطأ فعدنا عنه
واضطررنا لإدخالها ، وفي الحقيقة إذا فرضنا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية
فإننا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن الذين
يتعلمون على هذا النحو أن يتوطقوا في الجمارك والبريد والمحكم المختلطة والمصالح
العديدة التابعة للحكومات والشركات والبنوك ، وإذا قلنا النظر عن هذا كله
صادقتنا صعوبة مادية هي قلة المعلمين الأكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة
باللغة الويد ويستحيل مع وجود هذه الصعوبة الشروع الآن في التعليم باللغة العربية
وإذا كنتم مع ذلك توافقون على الإقتراح المقدم لكم عن (تعلم العلوم باللغة
العربية) كنتم كن يحاول الصعود إلى السماء بغير سلم ، أ . ه .

هذا هي وجهة نظر زعيم الأمة في اللغة العربية فهو يرفض تعلمها ويصر على
إبقاء اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم في مختلف العلوم (ماددا اللغة العربية نفسها)
وقد رد الشيخ على يوسف صاحب المؤيد على إقتراءات سيد زغلول فقال :

إن ما فعلته نظارة المعارف من نسخ التعليم باللغة العربية وجعله باللغات
الأجنبية لم يكن لحاجة البلاد وليس سببه إقبال الأمة على المدارس التي كانت تعلم
باللغات الأجنبية كما تقول ناظر المعارف بل الأول أن تولى إن إقبالها على مثل
مدارس الجزويت والفرير كان منشوره ضعف التعليم من حيث هو في مدارس
الحكومة ، وقد قل ناظر المعارف إن اتعلم في مدارس الحكومة ضعف إلى حد
أننا نلتجئ إلى إرسال أبنائنا إلى المدارس الأجنبية .

هذا وقد وافق المجلس على التعليم باللغة العربية ، غير أن ناظر المعارف وضع
عبارة مألها لأنه لا يمكن تنفيذ المشروع الآن للصعوبات الموجودة ومضى ذات
الصعوبات أمكن تنفيذه .

ومما يذكر أن أحد حشمت عند تولي وزارة المعارف جعل التعليم في أكثر المدارس باللغة العربية .

هذا وقد هاجمت كبريات الصحف الوطنية سعداً وإتجاهه ولم تدافع عنه إلا جريدة الأخبار لصاحبها يوسف الخارن التي كانت تسير في فلك الإستعمار تحت عنوان اللغة العربية وسعد زغلول في ١٠ مارس ١٩٠٧

ويقتضينا الموقف هنا أن يتحدث عن موقف سعد من دنلوب ، فقد أثار العقاد وبعض أنصاره أنه عارضه دنلوب وكان يتجاهله وتلك أكذوبه لها طابع زائف ، فكيف يمكن أن يعارض سعد دنلوب والذي هو وزير المعارف الحقيقي وقد اختير سعد عن ولائه للإنجليز الذي هو مصدر الثقة فيه ، وإذا كان سعد قد اتخذ موقف مامن دنلوب فإن هذا من المسرحيات الإستعمارية التي تريد أن تعطى أول وزير مصري لاختاره كرومر من تلاميذه صورة البطولة والوطنية الكاذبة وهل من المحقول أنه جاء وزيرا على غير رغبة المستشار الإنجليزي وأصحاب السلطة الفعلية في البلاد .

مواقف سعد

وتستطيع أن تلخص مواقف سعد على النحو التالى :

أولاً : موقفه من المتمدن البريطانى فى مقابلة ١٣ نوفمبر وعبارته معروفة [متى ساعدتنا إنجلترا على إستقلالنا التام فإننا نعطىها ضمانه م مقولة على عدم تمكن أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا ، فنهضها ضمانه فى طريقها إلى الهند وهى قناة السويس ونجمل لها دون غيرها حق إحتلالها عند الاقتضاء بل ونحالفها على غيرها ونقدم لها ما تستلزمه من المحالفة من الجنود .

وقال سعد : لا نلتجئ لسواك هنا ولا فى الخارج إلا لرجال الدولة الإنجليزية .

ثانياً : موقفه من اللغة العربية فى التعليم وهى واضحة تماماً حتى بعد أن صدر قرار الجمعية العمومية بالموافقة فقد وضع سعد زغلول المقبات دون تنفيذه ، وقد هدد سعد المصريين فى خطابيه بقوله . أن عدم تعلمهم باللغة الإنجليزية سيحول بينهم وبين التوظيف فى الجمارك والبريد والتحاكم المختلفة وقد أغضب هذا التصريح الوطنيين وحمل عليه الشيخ عبد العزيز جاويز حملة قاسية تحت عنوان : (ظلودك يا سعد) .

ثالثاً : موقفه من تجديد إمتياز قناة السويس وقد كان معروف أنه فى صف الإستعمار وأن الأمة كلها خرجت تهاجم القرار وتأيد سعد له بل أن الجمعية العمومية رفضته أيضاً .

رابعاً : موقفه من زعيم الأمة محمد فريد ، حين رفض معونته وهو فى أزمة مرضية فى برلين وكانت البلاد قد جمعت لسعد زغلول قليل سفره إلى أوروبا بضعة ألوف من الجنحات .

خامسا : القائد الحقيقي لثورة ١٩١٩ هو عبد الرحمن فهمي وهى ثورة جاءت
وليدة الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل ومحمد فريد . وقامت بعد سفر سعد
وزغلول وقد دهش ابا حين علم بها .

سادسا : عين سعد زغلول وزيرا للمعارف ثمنا لموقف شقيقه (فتحى زغلول)
الذى كان رئيسا لمحكمة دنشواى ، وما كاد يلى وزارة المعارف حتى إستقال من
عضوية لجنة لإنشاء الجامعة الأهلية معتذرا بأن أعماله ومشاغله تحول بينه وبين
إستمراره فى عضوية اللجنة بينما كانت اللجنة هنا أدخل فى عمله كوزير للأهالى منها
فى عمله كاستشار يفصل فى قضايا الناس .

وقد قال مصطفى كامل :

كان سعد زغلول أول وزير رحب المصريون بدخوله الوزارة وكان قد أختير
رئيسا للهيئة التى تألفت لإنشاء الجامعة المصرية الأهلية وكان لورد كرومر يرى فى
إنشاء هذه الجامعة ما لا يتفق مع سياسته فى أن الغرض من التعليم فى مصر هو
تخريج موظفين للحكومة لكنه لم يكن يستطيع التصريح بهذه الممارسة من غير
أن يجد مسوغا لتحويل التيار إلى ناحية أخرى لذلك بدأت أبواقه تذيع أن نشر
التعليم الاول بين فئات الشعب أجدى على البلاد من إنشاء الجامعة وأخذت
الحكومة تشجع إنشاء الكتاتيب فلما عين سعد وزيرا للمعارف قيل أن الغرض
من تعيينه أن يترك رئاسة مجلس الجامعة أضغاثا لهذا المشروع .

وقال عبد الرحمن الرافعى (فى كتابه مصطفى كامل ص ٤٠١) : وقد تبين أن
إسحاب (سعد زغلول) من رئاسة اللجنة كان تحقيقا لرغبة الإحتلال لى
يحبط المشروع وقد أصابه الركود فعلا بعد إنسحابه من اللجنة وبخاصة لأن
الحكومة خلقت فى هذا الحين بإيعاز من الإحتلال حركة لإنشاء الكتاتيب .

أما ما ذكره العقاد من أن سعد كان مع حركة اللغة العربية وإنشاء الجامعة
فهو دفاع غير مؤيد بسناد حقيقى .

سادسا : إتياء سعد إلى الماسونية :

نشرت المصور (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٧) تحت عنوان الأمة والحكومة
تشييعان الفقيد العظيم) : أشارت إلى وفد البنائين الأحرار الماسون في تشييع
جنازة الزعيم فقد كان رحمه الله قطبا من أقطاب الماسونية وقالت جريدة المقطم :
الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ في الصفحة الأولى ما يلي :

حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم :

فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الحالد عضدا كبيرا وفضلا كبيرا
وزخرا وفيرا كانت تعزّز بفضلِه وستقام حفلة جناز ماسونية للفقيد الأعظم يعطن
عن مواعدها فيما بعد .

وقالت المقطم : إن درجة سعد زغلول في الماسونية ورواد صالون نازلي فاضل
في التنظيم الماسوني يفسر لنا نوع الصداقة مع قاسم أمين ويوضح الخط الفكري
الذي سار فيه رائد تحرير المرأة وإهدائه كتاب المرأة الجديدة إلى سعد زغلول .
ونشر المحفل الأكبر الوطني المصري (المقطم ٢٥ أغسطس ١٩٢٧) بيانا إلى
الأخوان الماسون جاء فيه .

لقد ريعت البناية الحرة من الفاجعة الاليمة التي أصابت عصابة البنائين الأحرار
خاصة والأمة المصرية عامة بموت زعيم مصر وواحد المرخوم المقفور له سعد
باشا زغلول الأستاذ الأعظم الفخري الخ الخ .

وأشارت المقطم إلى تاريخ سعد زغلول فقالت :

كان سعد زغلول من المتأثرين بتأثير الشيخ محمد عبده ، وكان الشيخ أول
من لفت نظر اللورد كرومر إليه وقال أنه يتفاهل بأن يكون من خير دعاة
الإصلاح والتجديد المصريين وأنه مستعد لأن يعمل مع إنجلترا ولما خطب
اللورد كرومر خطبة الوداع في القاهرة ١٩٠٨ قال : أن زغلول رجل نزيه

مقتدر شجاع وأن مجال التقدم أمامه متسع وقد دفع زغلول باشا عن الاقتراح الذي
اقترحه بريطانيا لإطالة مدة إمتياز قناة السويس فلقى معارضة شديدة دبرها
الحذير السابق غير أن زغلول أدى المهمة التي عهد إليه بها بشجاعة وبلاغة .

وقالت المقطم في ١٨ مايو ١٩٢٤ : تحت عنوان [أول دليل ماسوني] شرح
داود تغمياس أفندي من واضعي الدليل المصري الكبير بموافقة المحفل الأكبر
الوطني المصري بإصدار دليل مفيد يجمع بين دفتيه كل ما يهم الإخوان الماسون
وغيرهم معرفته مصدرا يرسم ذى الرئاستين الأخ الكلى الاحترام صاحب الدولة
سعد باشا زغلول المهدي له الدليل بصفته الرئيس الفخري الأعظم حلاوة على رسوم
زعماء العقيدة ... الخ .

الفصل السادس

قاسم أمين

...and the fact that the *in vitro* and *in vivo* results are in good agreement.

doi:10.1371/journal.pone.0142040.g002

$\frac{d}{dt} \left(\frac{1}{r^2} \right) = -\frac{2}{r^3} \frac{dr}{dt}$

كانت حركة تحرير المرأة التي قادها قاسم أمين مؤامرة إستعمارية تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم حتى قال محمد فريد : إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة وأحدثت إنتشاراً مفرعاً لمبدأ العزوبة وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هنك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلن .

لقد تراجع قاسم أمين بعد قليل من دعوته إلى تحرير المرأة وجاءت [هدى شعراوى] فاحتضنها دوائر الماسونية والتغريب واليهودية العالمية .

في محاولة لتقوم حركة قاسم أمين لتحرير المرأة بعد أن تسربت وثائق عدة تكشف عن خطة أشبه بالمؤامرة وراء هذه الدعوة ، وتطارقت الاسئلة إلى أم المصريين « صيفية زغلول » ، وإلى زعيمة النهضة النسائية في مصر « هدى شعراوى » التي دعت بعض الأقلام التي تجهل الحقيقة أو تتخضع كتبها إلى إقامة تمثال لها والحقيقة أنه لكي تعرف خلفيات هذه القضية يجب أن نذكر شيئاً مهماً هو أن كتاباً ظهر في مصر عام ١٨٩٤ (أى بعد الاحتلال البريطاني بمصر) واحد لحمام مصرى موال لكرورم والنفوذ الأجنبي يدعى « مرقص فهمى » تحت عنوان « المرأة في الشرق ، صور فيها خطة الاستعمار في المطالبة بتحقيق أربعة أغراض :

أولاً : انقضاء على الحجاب الإسلامى .

ثانياً : إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثاً : تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .

رابعاً : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامساً : إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين ،

وكان هذا المخطط هو النواة الأساسية للنفوذ الأجنبي الذي تدرس على ضوئه حركة قاسم أمين وهدى شعراوى . . . ذلك أنه لم تحض سنوات خمس حتى ظهر كتاب " تحرير المرأة " فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض وما يزال يظن سلامتها ونقاءها وبعدها عن الهوى وتحررها من أى خلفية موحية .

فما هى هذه الخلفيات لذلك الحدث الخطير ؟

أولا : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام بحريته الصادرة فى ١ مايو

١٩٢٧ مقالا :

فقال فيه : إن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور ، المصريين ، ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند إتهاماته ، لها ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن فى صف النهضة النسائية ، فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة ، كما ندد بالدعايات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلى فاضل تمريضا بها . . ثم استورد يقول (وكانت الأميرة نازلى فاضل ولها هالون يحضره سعد زغول ومحمد عبده وجماعة من النامعين إلى تولى السلطة فى مصر تحت قيادة النفوذ البريطانى وبرعاية اللورد كرومر) .

ويقول داود بركات متابعا :

وقد أشير على جريدة المقطم - وهى لسان الإنجليز فى مصر فى ذلك الوقت أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاءه باسم فى هذا الاتجاه ، ودناعه عن الحجاب ، رباسته كاره اختلاط الجنسين . ثم أوقفت الحملة بعد اتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . . . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى " الرواق العباسى " بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور فى مراجعتها وما أوردته لطى السيد أنه اجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ بالشيوخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغول

وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تتم
عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه .

ثانياً : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالاً في مجلة الحديث (الحلية)
عام ١٩٢٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال :

« إنه ظهر كتاب للدوق داركور يهين فيه على المصريين طعناً مرأ ، ويخص
النساء بأكبر قسطنته .. إذ رهاهن بالجهل وضعف مكاتهن في المجتمع .. فاهتاج
الشباب وتطوع قاسم أمين للرد على كتابه .
ويستطرد فارس نمر يقول :

وهنا أثير حقيقة لا يكاد يعلمها إلا نادرة في مصر .. هذه الحقيقة أن كتاب
قاسم أمين الذي رد فيه على « دوق داركور » لم يكن في صف النهضة النسائية التي
كانت تمثلها الأميرة نازلي .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف
الفرنسي « ويرفع من شأن الحجاب ، ويعد دليلاً على كمال المرأة ، ويندد
بالأدعيات لآل السفور » وإشترك المرأة في الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه
هذا ساء ما به إخوانه من أمثال محمد المويلحي ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول ..
ورأوا فيه تهريفاً جارحاً بالأميرة نازلي ، وتشاوروا فيما بينهم في الرد ، واتفقوا
أخيراً أن أتولى الكتابه عن هذا الموقف وعرض فصوله وانتقاد ما جاء به خاصة
بالمرأة ، وبدأت في الكتابة سلسلة مقالات عنه .

ولكن ذلك النقد لم يرق في نظرقضاة محكمة الاستئناف ، ورأوا فيه مساماً
بهم .. لأن قاسم أفندي كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبدلونهم لكي أعف
عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلي فاضل لكي تطلب إلى ذلك وتطوع
الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة .. وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة
كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحي .. وبعد قليل تحدث الشيخ
محمد عبده مع الأميرة في هذا الشأن .. فالتفت إلى سموها وقالت لي : أنها لا تجد

بأسا في أن أكف عن الكتابة في الموضوع . . وكانت هي لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعو إليه . . فلما رأى ذلك محمد المويلحي قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها . . فبدت الدهشة عليها ، وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها . . وعشنا حاولت أن أقفل باب الحديث في هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الاضطراب والجد والعنف . . فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . . لأنه توسط في هذا الموضوع . . ومرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحي وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالاعتذار إلى سمو الأميرة . . فقبلت إعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها . . وكلما مرت الأيام لإزدادات في عينه ، وإرتفع مقامها لديه . . وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلي والذي أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب .

(انتهى كلام فارس نمر) :

ثالثا : أشارت هدى شعراوي في محاضرة لها إلى هذا المعنى ، وكشفت هذا السر الذي ظل حافيا زمنا طويلا ولم يكشف إلا بعد وفاة قاسم أمين بمئتين سنة : غير أن الذي يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعد ، وتبين له أنه أخطأ الطريق . . وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين في حديث له إلى صحيفة « الظاهر » ، التي كان يصدرها المحامي محمد أبو شادي حيث أعلن رجوعه عن رأيه وأعلن أنه كان مخطئا في (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة . . هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » ، في أكتوبر ١٩٠٦ .

قال قاسم أمين :

« لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى إقمتاء أثر الترك بل الإفرنج في تحرير نسائهم وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب . ولملم

لإشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم . . ولكنى أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس . . فلقد تبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة إحترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي وأستغفر الناس إلى معارضتي . . رأيهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تناولوا إليها بالسنة البذاء ، ثم ما وجدت رجلاً في طريق مرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسن جميعاً . . أنى أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل . .

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذى نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التى جاءت لإستدراجاً ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أساسها الصحيحة وهى الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله ، وأنها لم تكن على طريق الحق . . أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وإطفاء نفوذ تازلى فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفف من هذه التبعة . . وربما كان لبعض التجارب أثرها فى نفسه . . وما يروى أن صديقاً عزيزاً زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ! ! فدهش قاسم . . كيف يذنب مقابلة زوجته . . فقال له صديقه : ألسنت تدعو إلى ذلك ! ! إذن لمسأدا لا تقبل التجربة مع نفسك . . فأطرق قاسم أمين صامتا . . وما يذكّر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح .

وقال محمد فريد وجدى :

أن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً فى الآداب العامة ، وأحدثت انتشاراً منزعجاً للبداية العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم خاصة بمضايقاتك الأعراس وهرب الشباب من دور أهلهم .

ونعت الدكتور بـنت الشاطيء ما تكشف من حركة تحرير المرأة بما أسمته
مهزلة أليمة موجهة .. تقول بنت الشاطيء :

« إن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا أننا نعمل ويعملون
هنا لحسابنا . ذلك أن الرجال رثبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثرونا على أنفسهم
ولكنهم كذبوا في هذا المزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السامة والضخمر في
دنيائهم » .

ثم قالت بنت الشاطيء :

« إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمنًا للتطور ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ
الأكبر الذي شوه نهضتنا .. وأعني به إنحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي
وترفعها عن التفرغ لما تسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد .. ونحن نرى
البيوت أصبحت مقفرة منهن .. أما الأبناء فتركوا للخدم .. وقد نشأ هذا
الإنحراف الضال نتيجة أن نادت مناديات بمحذف نون النسوة في اللغة كأنما
الانوثة نقص ومثله وعار .. وأهدر الإعراف بالأمومه كعمل من الأعمال
الاصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمسة برثة معطلة .. يقصد بالرثة
المعطلة هؤلاء الباقيات في بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا أن المرأة تستطيع أن
تجمع بين عملها في البيت ووظيفتها في الخارج .

إنتهى كلام الدكتورة بنت الشاطيء .

أما ما هي ملابس زعامة هدى شعراوي للحركة النسوية .. فالواقع أن هناك
عدة ملابس لا يفصرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية في مصر لرجلين : أحدهما
والدها محمد باشا ن ساطواو الآخر زوجها علي باشا شعراوي .

أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعي في كتابه « محمد
سلطان أمام التاريخ » :

لأنه كان من أعلام النورة العرايية ، ولكنه تنسك لها في أحلك أوقاتها ، ومثلي

في ركاب أعدائها : الخديو والإنجليز ، حتى نال حظوته من الخديوى بالإحسان ، ومن الإنجليز بالتقدير ، وقد أثبت ما أورده السيد محمد رشيد رضا في كتابه : « الأستاذ الأمام محمد عبده » ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذي لعبه محمد سلطان في خدمة محازبات الإنجليز في سبيل الوصول إلى معسكر العراقيين في التل الكبير وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العراقية ، وطاف ببور سعيد والإسماعيلية لمعاونة الجيش الإنجليزي الزاحف والإيقاع بجيش عراقي معلنا الثقة في الجيش الغازي ومعلمنا الأهالي على حياتهم . وقد أفهمهم حسن نيات الإنجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم أنهم لا يستهدفون غزو البلاد ، بل يستهدفون تأديب العصاة .

وتابع سلطان نشاطه فأخذ يفرق الناس عن عراقي ، ويجمعهم لمعاونة الإنجليز فأرسل إلى شيخ بدو الهنادى المقيم في الصالحية ويدعى سعود الطحاوى والآخر إلى محمد صالح الحوت ليتفق معهما على إستمالة العربان ولم يكتب محمد سلطان بنشاطه في الجاسوسية وبث الدسائس في منطقته القناة وفي ميدان المعركة ، بل مد نشاطه إلى داخل البلاد ليقضى على كل محاولة شعبية لحركة عراقي ، ووافق « ولسلى » قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان .

كما كانت الأموال التي أعدها الخديوى لرشوة شيوخ البدو في سلطان عهده (راجع بلغت : التاريخ السرى ومذكرة سلطان إلى الخديوى في الإسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسيه رقم ٢) .

وكان سلطان هو الذى أبلغ الخديو هزيمة عراقي ، ودخل سلطان القاهرة مزهوا يتقاع لفجر جديد في حياته بعد أن سجل خيائته ، وكتب تاريخها بنفسه ، وتلقاه الخديو النيشان المجيدى الأول رفيع الشأن ووضع على صدره بيده ، وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضا للأضرار التي لحقت به ثم عينه رئيسا لمجلس شورى القوانين .

ولكن ضربة القدر لم تمهله ليتمتع بما اشترى من أطياف زفافه مرض

السرطان واشتد به المرض وتوفي في أوروبا سنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشيل وسان جورج الذي يحول صاحبه لقب « سير » .

هذه هي خلفية الحياة الاجتماعية لقائدة النهضة النسوية والتي تزوجت وهي في الرابعة عشر من رجل غني موسر صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو على شعراوى باشا أحد الثلاثة الكبار الذين قابلوا المندوب البريطانى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (سعد زغول وعبد وعبد العزيز فهمي) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالي للإستعمار البربرية التي تعرض مطالب البلاد .

ولم يلبث شعراوى باشا أن توفي وقد كان الثلاثة هم دعاة الولاء البريطانى والتعامل مع الإنجليز والشاغبين لمفاهيم الحزب الوطنى في المفاوضات قبل الجلاء .

واقف وجدت السيدة هدى شعراوى القرصة سائحة التبريز خاصة وأن السيدة صفية زغول إبنة مصر في فهمي الذي حكم مصر بالحديد والنار خلال أول الإستعمار البريطانى ثلاثة عشر عاما وزوج سعد زغول والمسماء بأسماء الأعداء أم المصريين ، تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالا جديدا تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة خاصة وأنها نزعَتْ ثيابها في ثورة ١٩١٩

واقف تلقفتها جماعات تحرير المرأة العالمية والمنبئة في أوروبا وخاصة في باريس وبرلين وبروكسل والتابعة للحافل الماسونية ومنظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طبراً سميماً فدعتها إلى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التي كانت الصهيونية العالمية تدبرها من وراء ، والتي كانت تستهدف بأحداث الضجيج حول حقوق المرأة السياسية في البرلمان والحكم خلخلة المجتمعات الإسلامية ودفعها إلى طريق الإنهيار .

والمعروف أن هدى شعراوى لم تنطلق في دعوتها من أى منطلق إسلامي ، بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة برزة لها صالون ويتعلق حولها عديم الرجال المجتدين لكثافة الخطب والكلمات التي كانت تلقيها في الاحتفالات وكانت تنفق على ذلك من أموال سلطان باشا التي دفعت ثمنها الثورة العراقية ، وكان في

مقدمة هؤلاء إبراهيم البلباوى باشا محامى دنشواى والشيخ محمد الأسمر الشاعر . .
وقد استطاعت أن تجند بعض الشباب ، وأن ترسل بهم فى بعثات تعليمية خاصة
على حسابها إلى أوروبا ومنهم من عمل فى الصحافة من بعد ، وحمل لواء الدعوة إلى
تهديش هدى شعراوى ودعا إلى تلك الأفكار التى تحرص المرأة على التحرر من
القيود الاجتماعية ، والإنطلاق حتى كان أحدهم يقول لواحدة سألته :

« لو كنت بغر أولاد لقلت لك إنركيه ورزقك على الله ، والمعروف أن
السيدة هدى شعراوى لم تكن تعبا فى دعوتها بالمفهوم الإسلامى للمرأة ، أو تهدر
عن فهم حقيقى لرسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك فى هذا الإطار . . وإنما
كانت تضع أمامها المرأة الغربية كمثل أعلى . . وذلك فقد شجعت أسباب الزينة
والأزياء والمودات المستحدثة . وكانت أجنحتها من المثقفات ثقافة فرنسية وذات
الولاء الماركسى والصيوانى ، ولم يكن للمفهوم الإسلامى لديهم أى أهمية .

ويقول الأستاذ حسين يوسف :

إنه لم يكن عجبا أن يعمل الاتحاد النسائى بزعامة هدى شعراوى الأهداف التى
يحرص الاحتلال على الوصول إليها ، وأن يردد فى عام ١٩٧٣ نفس المبادئ
التي نادى بها مرقص فحى من قبل ، وتورط فيها قاسم أمين . ولما كان دعاة تدمير
مفاهيم المرأة المسلمة لا ينامون فإنهم يدعون اليوم إلى تجديد ذكرى هدى شعراوى
بإقامة تمثال لها . والهدف هو دعم هذه الأفكار المسعومة التى تستهدف تدمير
الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

المرأة المسلمة وموقفها من قضية تحرير المرأة

منذ مطلع اليقظ الإسلامي ، وقد استبان حقيقة موقف قاسم أمين وجماعة صالون نازلي هاتم فاضل من المرأة ومن الحجاب ومن مختلف قضايا المجتمع الإسلامي في ضوء تيار الغزو الثقافي والتعريف الكاسح الذي كان يشكل وجوده . ومن أجل ذلك كان سعد زغلول هو الرجل الذي أهده قاسم أمين كتابه (المرأة الجديدة) وكان لسعد موقفه من المرأة في المظاهرات حيث انتزع النقاب من وجه إحدى السيدات علامة على الدخول في عصر السفور .

: الصحافة : لطفي السيد	} وهكذا مضت خطة كرومر إلى غايتها
: التعاليم : سعد زغلول	
: تحرير المرأة : قاسم أمين	

وتأخر دور عبد العزيز فهمي قليلا حتى انشئ الجمع اللغوي ندعا إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية .

وبهذا الآن أن نعرف موقف المرأة المسلمة من قضية تحرير المرأة .

تقول السيدة صافي ناز كاظم :

وفي مولد هذا الشمار البراق (تحرير المرأة) انفسخ المجال أمام الرواد العظام من تجار الثقافة القادمين من أوروبا ومن أمريكا أخيرا ليصلوا ويحولوا محلين بأشكال وأنواع بضاعة الثقافة الغربية بموروثاتها الساحلية اليونانية الإغريقية ، ومعها نماذج المرأة الأوروبية والأمريكية التي كانت قد نالت حريتها حديثا متشكلة من رصيد فكري واجتماعي وديني خاص بها .

كانوا يعرفون الكلة التي تقال نهر وتجذب والبضاعة التي تدمر لتسكت

وتندش الآن (من صباهه وصليبين وماسون) دعوتهم إلى هجر التأصيل من الذات لحساب التبعية الفكرية لغرب يمتتنا ، ديننا وجنسا وتاريخنا ، ويمارس علينا تفوقا وغطرسوا احتقارا وهو يقذف الأنشطة لهورا الأنشطة لتلتف حول أعناقنا جاذبه جباهنا عند أقدامه .

جباهنا نحن : المسلمين أصحاب العزة من الله (والله العزه ورسوله وللمؤمنين) كان مطلبهم أن ننظر يا كبار لإنجازات أوربا بسبب ماوصلت إليه من قوة البخار والكهرباء ، ونضمها أمامنا قدوة ومثلا أعلى نسعى للوصول إليه ونتشكل بشكله ومن ثم يصير كل شيء ينتسب إلينا أو ننسب إليه يتعلق بنا إذ يتعلق به من أصولنا يصير سلفيا جامدا مرفوضا .

كان المطلوب أن تعتقد معهم بأن أوربا والغرب قلعة للحرية والديمقراطية والقرن وإحترام الإنسان بينما يدوس النعل الأوربي الغربي وجه الوطن الإسلامي إغتصابا وإرغاما وحقا تاما للإنسان وحرية وكرامته وإستقلاله .

هؤلاء يكتب عنهم لويس عوض : ملهم اليوم يؤيد أبائهم أبناء الثقافة الغربية والوثنية الفرعونية (القومية المصرية) ويضعهم موضع الاستحسان والإفتخار ، مما يثبت لنا أن عمليتنا الحسائية سليمة حيث نضعهم نحن موضع الاستياء والإدانة .

جمعوا القضية : قضية تحرير المرأة مع إسقاط التعيين (المسلمه) ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة في العالم ، كأنما صارت هناك قومية خاصة إسمها القومية النسائية تربط المرأة المسلمة بالمرأة المسيحية بالمرأة اليهودية بالمرأة عابدة البقر والأوثان بالمشركة بالمبعدة ، كأن قضيتهم واحدة ومطالبتهم واحدة وأهدافهم واحدة ومعتقداتهم واحدة وكان السعي فعلا حينئذ لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية وكلما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها وتفريظها حتى سقطت المرأة المسلمة فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر التي ظلت معترزة بزعمها الخاص (الساري) وتميزها بالنقطة الحمراء بين عينيهما .

كذلك كان الدأب الأهم لفصل قضية تحرير المرأة المسلمة عن قضية تحرير الوطن المسلم وفصل قضية الظلم الواقع عليها من الرجل المسلم ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أن جعلت المرأة المسلمة تقف خصماً أمام لوطن المسلم ، ضد شريعتها تمتلئ رعباً وهدماً .

كما قيل لها هناك من يطالب بتطبيق حكم شريعتك وتتفرح أساورها وفرحة بانتصار إنهنزامي كلما خرجت النظم العلمانية بقانون غائب للأحوال الشخصية مستلهم من قوانين العرب المستعمر لبلادها ، المهين على مقدرات أهلها ، المستذل لناسها ، المقيد لحرياتها .

وكان قاسم أمين ممن أسهموا بجسارة في التواء النهضة المصرية عن إنبعاثها العربي الإسلامي لتكون نهضة ثقافية إجتماعية صورية مستهلكة لاتباع مصانع الفكر الغربي ونافذة عرض دعائي له تدعو بحماس وتدفرق معه الدموع أحياناً لتقليد رجاله ونسائه ونظام معيشتهم .

إن دعوة قاسم أمين خدعت أهداف الماسونية الداعية إلى إضعاف سيطرة الاسلام الأيدلوجية بإعتباره دنيا ودولة ، إن دعوة قاسم أمين في حقيقتها هي دعوة لمحاكاة أوروبا .

إن قضية السفور حاله طارئة بدأت على إستحياء منذ ما يقرب من خمسين عاماً ولم يكن السفور مسيطراً إلا على شريحة صغيرة من تعداد المرأة المصرية (المسلمة والقبطية على السواء) فإن المرأة الريفية والصعيدية لم تنخل أبداً عن الحجاب .

كانت المحجبة هي الحرة والسافرة هي الآمة (العبدية) ومن هنا فإن هناك علاقة بين الماسونية والصهيونية في الإستراتيجية مع إختلاف التكتيك للقضاء على الاسلام بمقتضاها هذا تعطى السفور بعداً سياسياً .

إن الاستعمار يستهدف الاسلام ويضرب أى صحوة إسلامية فقد تركز على اللغة العربية - لغة القرآن - وعلى المرأة المسلمة وأضرب إلهما أن تمسك المرأة

الجزائرية بحجتها كان سلاحاً ضدّ فرنسا المرأة وصناع سمعتها العربية والإسلامية .

وتكشف السيدة صافي ناز كاظم معلوم قاسم أمين في كتابه المرأة الجديدة حيث يهاجم المدنية الإسلامية ويدعو إلى التغريب :

يقول : نحن : لا نستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس غلطوها في ذلك أكبر من خطأها في كثير من الأمور الأخرى .

ثم يقول : الذي أراه أن تمسكنا بالماضي إلى هذا الحد هو من الأهواء التي يجب أن نهض جميعاً لمحاربتها لأنه ميل إلى التدني والتقهقر ، وهذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه وليس له من دواء إلا أننا نربي أولادنا على أن يعرفوا شؤون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها وأنارها .

فاذا أتى هذا الحين ونرجو أن لن يكون بعيداً — لانجلت الحقيقة أمام أعيننا — اطاعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم المصرية الحديثة .

ولا يمكن أن يوصف هذا الكلام إلا أنه (ردة) من مستشار وصف بالعقل والحكمة ولكنه إنزلق مع المنزلقين إلى مطامع المناصب الكبرى والخطوة في صالون نازلي فاضل .

والمعروف أنه بعد أن دافع قاسم أمين عن حجاب المرأة المسلمة في كتابه (المصريون) حدثت مؤثرات من الأميرة نازلي على قاسم أمين مما أدى حدوث متغيرات في فكر قاسم عرفت في كتابه تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة .

وكان كتاب تحرير المرأة نوعاً من الاعتذار للأميرة التي أغضبها كتابه الأول ، وقيل أن الشيخ محمد عبده ومحمد المويلحي وسعد زغلول إتفقوا على أن يقدم قاسم الاعتذار للأميرة نازلي (عندما هاجم المرأة غير المتحجبة في كتابه

المصريون) ودفع قاسم أمين الثمن غالبا يتجنى على الحقائق ويحاول أن يلوي عنقها حتى خرج كتابه (تحرير المرأة) .

وجاء في كتابه (المرأة الجديدة) فخرج عن أفكاره الأصلية التي كانت تعمل من شأن المدنية الإسلامية .

ولإنجته إلى حجاب المرأة المسلمة وأخذ يحاول أن يدلل على أن حجاب المرأة ليس من الإسلام وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن مبادئ الإسلام .

ومما عله الإستشراق إياه : القول بأن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب ، على الطريقة المعهودة ، وإنما هي (عادة) عرضت للسلبين من مخالطة الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وألبسوها لباس الدين ونسى قول الله تبارك وتعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وليضربن بخصرهن على جيوبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » .

حاشية : وفي رسالة السيدة صفاء ناز كاظم (في مسألة السفور والحجاب) .

تجاملت تماما موقف صالون نازل فاضل (سعد زغلول ، محمد عبده . إلخ) وموقف الأميرة من كتاب المصريون وموقف جريدة المقطم كما أنها لم تذكر نصوص قاسم أمين في تكريم المرأة المسلمة أولا (يراجع أحمد خاكي في كتابه قاسم أمين) كما لم تذكر تراجع قاسم أمين عن دعوته قبل وفاته .

الفصل السابع

ساطع الحمري

«عرب نعم ، إسلام لا : أنا (لا ييك) ،



سقطت نظرية ساطع الحصرى فيلسوف القومية العربية ، لأنها قامت على
على أساس التفسير الغربى للتاريخ ، ففصلت العروبة عن الإسلام وهو أول من
جعل النصرانية والعرق والدم بديلاً لمفهوم الإسلام الذى يقوم على الأخاء الإنسانى ،
وهو أول مسئول عن التحليم العالى التركى فى الوزارة التى شكلها الاتحاديون بعد
سقوط الخلافة مباشرة وأول من صرح بأن قومية إسرائيل تقوم على الدين وأن
الإسلام دين تعبد وينكر أنه نظام حياة ومجتمع ، والحقيقة أنه ما ذنب العروبة
والإسلام إذا كان ساطع الحصرى غربى الفكر والذوق أعجمى النطق يتجاهل أن
لغتنا لغة فكر وعقيدة وأن ديننا يجمع بين المسادة والروح وبين العقل والقلب
وبين الدنيا والآخرة .

حدثنى الدكتور مختار الوكيل مدير مكتب الجامعة العربية فى جنيف ، وهو
رجل صادق مؤتمن ، أنه فى خلال عمله زار الأستاذ ساطع الحصرى سويسرا
ورأى السيد عبد الفتاح حسن السفير المصرى دعوته إلى طعام للغداء فلما قدم مع
الدكتور اتوكل حياه السفير المصرى فقال :

مرحبا بالمناضل الكبير فى خدمة العروبة والإسلام ، وقد عجب الرجلان من
ساطع الحصرى الذى رد فى عنف وحدة .

عرب نعم . . إسلام لا . . أنا لا إليك . .

وكلمة لا إليك ، تعنى أن صاحبها علمانى أو لادىنى .

ما تزال ندوة الاعتصام تركز على تاريخ الإسلام والعرب المعاصر وعلى
الاعلام البارزين : سعد زغلول ، لطفي السيد ، ساطع الحصرى الخ وقد أحرز
ساطع الحصرى شهرة وافرة فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية باعتباره
فيلسوف القومية العربية ، حيث روج لنظرية خطيرة كانت بعيدة الأثر فى حجب
العروبة الأصيلة المرتبطة بالإسلام فكراً وعقيدة ، وبالعالم الإسلامى تكاملاً
وأخاء . . لقد كان دعاة حركة اليقظة فى البلاد العربية يرون أن الجامعة الإسلامية

قائمة بين العرب والمسلمين (فرساً وتركاً) بعد زوال الدولة العثمانية . ولكن ساطع الحصرى كان من أوئل الدعاة إلى فصل العرب عن المسلمين بمفهوم القومية العربى الوافد الذى طرحه في أفق الفكر السياسى العربى . وهذا يرجع إلى أن ساطع الحصرى كان ثمرة من أنضج ثمار المدرسة الاتحادية التركية ، وأكبر الدعاة الذين نقلوا مفهوم القومية الطورانية التركية إلى أفق العروبة التى كانت ترتبط بمفهوم الإسلام في العلامة بين الشعوب التى جمعها التوحيد و القرآن ونبوته محمد صلوات الله عليه وآله والفكر الإسلامى الأصيل .

لقد كان ساطع الحصرى مديراً للتعليم في الدولة الاتحادية التى حكمت تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد بمفهوم العلمانية والطورانية .

وقد عمل في مدرسة الاتحاديين ، وآمن بفلسفتهم ، ونقل فكرهم ومضاميتهم إلى العرب ، وذلك في سبيل تمزيق الوحدة الإسلامية الجامعة عربياً وتركياً وفرساً ، وخلق أسلوب اقرميات والآفليميات التى تقوم على الصراع والاستعلاء بالجنس والعنصر .

وهو أول من حمل لواء العنصرية والعرق والتم بديلاً لمفهوم الإسلام الذى يقوم على الأخاء الإنسانى . وقد كان فلاسفة الفكر القومى التركى من الاتحاديين تلاميذ الفلسفة الوضعية متشبعين بالنزعة الطوانية العدوانية . وقد استمد ساطع الحصرى مفهومه للعروبة من مفهوم قومسية الغربية ، والنظرية التى طبقها الاتحاديون في تركيا . فقد ركز على اللغة والتاريخ وعزلهما عن الفكر الإسلامى الجامع ككل كما ركز طه حسين على الأدب وعزله عن وحدة الفكر الإسلامى .

ونظرية ساطع الحصرى التى روجت لها بعض الأحزاب السياسية الغربية قد أثبتت خلال أكثر من ثلاثين عاماً فشلها الذريع ، وعجزها عن العطاء ، لأنها فرغت مفهوم العروبة من قيمة وتاريخه وعناصره الأخلاقية الروحية وجعلته مفهوماً مادياً خالصاً .

وتند اعترف ساطع الحصرى بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين ورفض

لمعتبر الإسلام مقوماً بوصفه ديناً (بمفهوم اللاهوت) . ذلك أن مفهوم ساطع الحصري للإسلام ناقص ، فهو يراه ديناً لا هوتياً وليس ديناً ومنهج حياة ونظام يجتمع على النحو الذي يؤمن به دعاة العروبة الإسلامية .

لقد فهم الإسلام على أنه « دين عبادى » ، كما فهم الأوربيون المسيحية ، ولم يفرق بين الدين بعامة والإسلام ، ولم يفرق بين العصر والبيئة والجذور الثقافية التى يختلف فيها عن مفهوم القومية فى أوربا .

ولقد كان مفهومه للعروبة ناقصاً . فلم يصل إلى مفهوم العروبة المترابط مع الإسلام ، هذا الترابط الجذرى الذى لا سبيل للانفكاك عنه .

ويرى كثير الباحثين أن ساطع الحصري لم يعايش المناخ العربى قبل أن يضع مجموعة آرائه ، وأنه استهدى بمناخ البلقان والنظرية الألمانية فى حركته القومية التى رفع فيها شعار اللغة فى مواجهة الدولة العثمانية للتحرير منها ، وأنه كان حاقداً على الترك فقد المحافل الماسونية التى احتضنت الاتحاديين ووجهتهم وجهتها ، ودفعتهم إلى الدعوة إلى الذئب الأغبر كرمز لها بديلاً للقرآن .

وقد كان أكبر أساتذته فى مفهوم القوميات « ماكس مولر » ، « ونوردو » وهما فيلسوفان يهوديان قصداً من وراء نظرية اللغة إلى إحياء القومية اليهودية .

وقد اعتبر ساطع الحصري اللغة أساس القومية ، وعارض نظرية الأرض التى دعا إليها أنطون سمادة دون أن ينتبه إلى أن الفكر لالغة هو مصدر الوحدة .

وقد أجرى ساطع الحصري الجدل حول عديد من النظريات الأوربية فى القومية دون أن يواجه جوهر المفهوم العربى الإسلامى المصدر والجذور : هذه الجذور التى تجعل من العسير فصل اللغة عن الفكر وإعتبارها مقوماً منفصلاً ، أو الاعتماد على نظرية بقاء اللغة أو ضياع اللغة مع أن الأساس هو بقاء العقيدة والفكر الذى يحمى وجود الأمة الحقيقية .

والواقع أن ساطع الحصري كان غريب الفكر أساساً بل وغريب النطق

أعجمى النطق ، وأن تركيبه الثقافي والاجتماعي يحول بينه وبين تبني نظرية عربية إسلامية أصيلة مستمدة من واقع الأمة الإسلامية وكيانها ، وذاتيتها التي لا تنفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه . وفي ذلك مغالطة أو جهل . ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمه حسب ولكنها في نفس الوقت لغة فكر وعقيدة ، فإذا كان العرب وهم مائه مليون يتحدثون بها فإنها لغة العقيدة والفكر لآلاف ما يرون من المسلمين يرتبطون بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وذلك التراث الضخم من الفقه والعلم والتاريخ . وأن اللغة لا تنفصل عن الفكر وأن تاريخ العرب لا ينفصل عن تاريخ الإسلام .

ومرجع ذلك إلى أن ساطع الحصرى نشأ - كما ذكرنا - في بيئة الاتحاديين الأتراك الذين كانوا صناع للفكر الغربي ، والذين نشأوا في أحضان المنظمات الماسونية ، وحملوا لواء الإيمان بالفصل من الدين والمجتمع ، وفهموا الإسلام فيها غربياً على أنه دين لاهوتي .

وعلى هذا الفهم الخاطئ . القاصر قامت نظريته ساطع الحصرى التي لمعت سنوات تحت تأثير الخداع والأهواء حتى أن بعض دعاة الماسونية في العالم العربي راح يفسر عن طريقها تاريخ الإسلام كله فيرى أنه تاريخ قومي عنصري عربي . ومن ثم وجهت عبارات الحقد والخصومة إلى الأمة الإسلامية وهذا هو الثمرة الحقيقة التي تهدف إليها حركة الغزو الثقافي التخريبي من طرح هذه النظرية القومية ، الإقليمية الضيقة العدوانية الوافدة . بديلاً عن المفهوم الأصيل العروبي في إطار الإسلام كما كان يفهمه شكيب أرسلان ورشيد رضا وعبد الدين الخطيب وحسن البنا ومصطفى السباعي ومحمد المبارك .

هذه النظرية المضطربة التي خدع بها ساطع الحصرى الكثيرين ، التي سايرها كثير من المقتضين قبل أن يعرفوا سموها العميقة . فلما عرفوها هاجموها وكشفوا زيفها .

والنظرية مضطربة من أساسها . ولو كان ساطع الحصرى حسن النية لصحح

مفوفة من فهم الدين فهماً غريباً لا تكياً وفهم الإسلام بمعناه الجامع بين العقيدة ونظام المجتمع . لقد أعتد أساس نظرية مفهوم الدين اللاهوتي بمفهوم أوربا والغرب للدين ، ولذلك عجزت النظرية عن أن تنجح في إطار الفكر الإسلامي ، بل إن كل العناصر التي عالجها كانت عناصر البيئة الغربية في مواجهة الصدع بين الجامعة المسيحية الأوروبية وبين القوميات الأفريقية والتي كانت وراها اليهودية الصهيونية لتزيق هذه الوحدة والسيطرة على كل قطر على حدة . وهو نفس ما أرادته بالنسبة للجامعة الإسلامية التركية التي وقفت أمام دخول الصهيونيين إلى فلسطين وموقفهم من السلطان عبد الحميد واضح معروف .

لأن كل التحديات التي تعالجها نظرية القومية الوافدة لا توجد أساساً في المناخ الإسلامي هذا فضلاً عن اختلاف مفهوم (العروبة) عن مفهوم القومية في الغرب فضلاً عن اختلاف مفهوم الإسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ومصدر خطأ ساطع الحصرى أنه عجز عن فهم أبعاد الفكر الإسلامي وأعماقه ، وعلاقة العرب بالإسلام ، وعاش في مؤلفاته خادماً لنظرية القومية الأوروبية الوافدة التي قدمها النفوذ الأجنبي من بين ما قلتم ليحطم الوحدة العربية الإسلامية الجامعة بعد أن عجز عن فرض الأقليسيات القائمة على التاريخ القديم كالفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية .

وذلك أنه لما رأى هذه المحاولات تنهاوى ورأى أن العرب يتجهون إلى الوحدة أراد أن يفرغ هذه الوحدة من مضمونها العقائدي الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة إلى مفهوم اقتصادي مادي صرف ، وبذلك فشلت نظرية القومية الوافدة كما فشلت مناهج التعليم الغربي ، والقانون الوضعي وأسلوب التنظيمات السياسية الليبرالية وغيرها .

ولقد وقف ساطع الحصرى في وضوح موقف الخصومة والمقصد والتحصب على الإسلام كلما عرض له ، وقد تجاهله طويلاً في أبحاثه كأن العرب لم يعرفوه خلال تاريخهم الطويل . وكانت محاولاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الإسلامي

من ناحية . وبين تاريخ العرب وتاريخ الإسلام محاولة ساذجة . ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين أعترف بالقومية اليهودية القائمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين في فهم القومية العربية وإن كانت كلمة (دين) لا تؤدي معنى الإسلام حين يكون البحث حول العروبة .

وقد ثبت أن ساطع الحصري قد خدم بدعوته وفكره مفاهيم الماسونية والنظرية القومية الوافدة التي كان النفوذ الغربي حريصاً على تلقينها للعالم العربي . وهي ليست إلا صورة من مفهوم الأقلية اللبنانية والمعروف أن ساطع الحصري كان من أعمدة وزارة المعارف في تركيا منذ أوائل حكم الاتحاديين في تركيا العثمانية إلى أن انتهت الحرب الأولى . ولأنه كان من أخطر الموجهين للبرامج التربوية والتعليمية في العراق . حيث عمد إلى فصلها عن الإسلام فصلاً تاماً ، وكان دوره أشبه بنور الدكتور طه حسين في التعليم المصري .

لقد حاول ساطع الحصري أن يقيم (فكرياً عروبياً إقليمياً) منفصلاً عن الإسلام في روحه ومضامينه وشريعته . ولقد تجاهل أعصاف الأثر تركه الإسلام في الفكر والثقافة ، واللغة والتاريخ وتجاهل أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وفي العرب ، ومدى ترابط ذلك إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة بالامة الوسطى الخنيفية السمحاء التي جاء بها إبراهيم عليه السلام فربطت هذا العالم الوسط (عالم العرب والإسلام) بروابط تاريخية وثقافية عميقة دعمتها الأديان المماوية التي نزلت في أرض الرافدين ، وختمتها رسالة الإسلام العالمية التي نزلت في الجزيرة العربية .

عجز الحصرى عن فهم الفارق بين الكتلة الإسلامية

والقومية الغربية وبين العروبة والإسلام

أشار وليام ل . كليفلاند في كتابه [ساطع الحصرى من الفكرة العثمانية إلى العروبة] إلى التربية الحصرى (غير الإسلامية) من أثر في توجيه القومى فيما بعد مؤيداً في ذلك فلسفة الحصرى التى نسبت إلى التربية خطراً عظيماً في تكوين الآراء والأهواء والاتجاهات فالحصرى تعلم في المدرسة الملكية في إستانبول ولم يستظهر القرآن مثلاً كان يفعل معظم تلاميذ السلطة العثمانية في عصره .

ويركز كليفلاند على هذا الفعل في حياة الحصرى ويرى أنه هو السبب في أن ظهر في كتاباته بصورة المعادى للإسلام لا اسبب واضح إلا أن النمط القومى الأوروبى معاد للكتلة لسبب تاريخى أوروبى خاص .

فالدين في أوروبا أخفق فعلاً في منع إتحاد أوائلك الذين قددر لهم الارتباط بأسباب تمنى الدين ، كما يقول كليفلاند : لكن الإسلام استطاع أن يوجد شعوباً لم تكن العوامل الأخرى قادرة على توحيدها .

لقد أشار كليفلاند إلى تأثير الحصرى بموقفه المتناقض الحاد بين القومية والكتلة في أوروبا وهو ما ليس له مثيل في المجتمعات الإسلامية بل أن كليفلاند يرى أن موقف الإسلام من القوميات يختلف عن موقف المسيحية في الغرب .

ويرى أن الإسلام كان قادراً على التوحيد الحضارى الذى يقرى على الزمن ، حيث يزع الباحثون إلى اتخاذ عروبة القرآن نموذجاً على عوامل التوحيد الحضارى وإن كان الإسلام أحدث تناجات حضارية أخرى فأنشأ تراثاً غنياً يستوعب أن

يوجد مجتمعات لم تكن جميعها مسلمة بالضرورة فالفتوحات الإسلامية دعت المسلمين إلى دراسة الجغرافيا والعلوم العسكرية وتدوين الوقائع والتاريخ وتنظيم الإدارة وتطوير النظم الضريبية والرياضيات والموسيقى والعصارة، وهذه جميعها شكلت حضارة إسلامية ذات سمه خاصة وهي سميت الانسان المنتمى إليها أيا كان دينه أو مذهبه .

أما الانتاج الحضارى فى أوربا فى عصر ظهور القوميات فسلك مسالك مختلفة أهم ما فيها اللغات العامية هى التى عبرت عن هذا الانتاج الحضارى فكانه لابد من أن تتور القوميات الناشئة على السلطة الاسمية التى كانت تمثلها الكنيسة ، فى مؤسساتها وسلطانها ، أما الاسلام فلم يكن له يوما تلك المؤسسة الدينية المركزية الكهنوتية ولا احتكرت فيه التشريع جهة من الجهات وكانت له فى المقابل لغة واحدة لجميع المسلمين اه .

هذه هى الفوارق العميقة بين الاسلام والعروبة وبين المسيحية والغرب والقوميات التى يعجز ساطع الحضارى عن فهمها حين حاول أن يطبق النموذج الغربى فى العلاقة بين المسيحية والقوميات على الاسلام والعروبة .

ومن هنا كان فشله وسقوط نظريته وعجزها عن الاستجابة الحقيقية ، على هذا النحو الذى كشف عنه وايام كيلفلاند فى كتابه عن ساطع الحضارى .

ويقول كيلفلاند : أن الاسلام لم ينقض العروبة بل أغناها وأهداها بكباحت حضارية جعلتها صفه وسمة خاصة بين الامم وأمكنها من أن تثرث مرهه بمقارعة الغرب التى حملها الفرس على عاتقهم عشرة قرون منذ ما قبل الاسكندر ، وأصبحت هذه الحضارة الاسلامية عند العرب من سمات قوميتهم وملاحمهم المميزة أيا كانت عقيدتهم الدينية .

وغاية ما يقول كيلفلاند : أن التناقض الحاد بين القومية والكنيسة فى أوربا

لا نجد له مثيلا في المجتمعات الاسلامية ، وهذا هو سر موقف الحصرى الجاف من الاسلام غير أن البعض يرى : أن ساطع الحصرى إنتقل من مفهوم الاتحاديين حول القومية الطورانية إلى العروبة أو نقل مفهوم الاتحاديين إلى العروبة أو حاول تقديم المفهوم الملباني الذي تجمع حول فكر الطورانية الذي قدمه أعداء الاسلام وأصحاب الولاء العربي ، حيث حاول تقديم هذا الفكر في قضية الاسلام والعروبة ومن هنا كانت تجاوزاته ومخاذيره .

الفصل الثامن

سلامة موسى

1894

1895

1896

1897

1898

(١)

محاولة إعادة سلامة إلى الحياة محاولة خاسرة وقد بآت بالفشل الذريع .
سلامة موسى الرجل الذي لم يعرف في تاريخه الطويل موقف يدعو فيه لتحرير
مصر من الاستعمار البريطاني وقد سقطت جميع آرائه وكشفت حركة البقطة عن
زيفها وفسادها .

لقد كانت كل كتابات سلامة موسى وأفكاره في حقيقةتها جماع خيوط المخطط
الماسوني التلويدي بباطله وهدمته وأخطاره ولقد عرف أن سلامة موسى كان
يلفظ الإسلام والمسيحية معاً وهو الذي أضاف إلى قائمة الرسل والأنبياء: فرويد
وماركس ودارون ولينين .

كان السؤال الهام في الندوة عن الظاهرة الخطيرة التي حاولت بها بعض الجهات
طرح كتب سلامة موسى في السوق مرة أخرى بأعداد كبيرة ، ونشرت عديداً
من كتبه ماعدا كتابه (اليوم والغد) الذي قال بعض أصحاب الولاء أنهم لن يعيدوا
طبعه والسر أن هذا الكتاب يكشف حقيقة سلامة موسى ، ودعوته المسمومة ،
والشعبوية والماركسية جميعاً .

والحق إن كتابات سلامة قد تجاوزها الزمن ، ولم تعد تمثل أى عطاء ثقافي
بعد أن سقطت كل هذه الدعاوى التي روجها الاستشراق والتغريب في الثلاثينات
والأربعينات . . شأنه في هذا شأن طه حسين ومحمود عزمي وعلى عبد الرازق
ومن تبعهم أمثال حسين فوزي وتوفيق الحكيم ولويس عوض وغيرهم .

والواقع أن النفوذ التغريبي لايمد ولا يتوقف عن ظاياته وإن بدا أنه يغير
جلده بين حين وآخر ليخدع أجيالا جديدة بتلك السموم التي قدمها على أيدي
علائقه ثم تكشف زيفها .

دعا سلامة موسى إلى استعمال العصامية وهدم العربية ، وجدد الدعوة

لويس عوض في مصر ويوسف الخال وانيس فريخه في الشام وكانت النتيجة هي الفصل المحقق .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية ، وجدد الدعوه بعده كثيرون ولم يصلوا إلى شيء .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية ، وجدد الدعوة إلى إبطال حكم من أحكام الدين وذلك بشأن ميراث المرأة ، وقد لقنه الباحثون درساً قاسياً مريراً .

دعا سلامة موسى إلى الماركسية وقد كشفت الأيام زيف دعوته وفساد وجهته . والحقيقة أن سلامة موسى لم يكن إلا رجلاً يحمل القرب فيذروه في وجه الناس حقداً وكرهية لهذه الأمة أن يتحقق لها أملاك لإرادتها وخدمة لكل التيارات الخاقدة عليها والكارهة لها . واقد كان الكاتب في هذه الفترة يعترف بأنه ماركسي أو غربي أو داعياً لفرنسا أو إنجلترا ولكن سلامة موسى كان يعمل لكل هذه الجبهات عن طريق الماسونية والمخطط الصهيوني الذي كان يحتضن كل فكر هدام . فكان ينثر من كتاباته مقتطفات عن (دارون) ومذهبه ، وعن (فرويد) ومذهبه ، وعن إقليمية مشربة بالفرعونية ، وعن العامة مشوبة باللاتينية ويحتضن كل كتاب هذه السموم من (ولسكوكس) إلى (ماركس) ويدعى أو يناقض دعوته بدمج الخديو إسماعيل ، وموالاته الاستعمار البريطاني ولارب فقد تخرج سلامة موسى من مدرستين :

من مدرسة تربيته أبناء العرب الذين يقعون في فخاخ القوى العظمى فقد ذهب سلامة إلى بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت الباكر وجند لهذه الغاية أما الأخرى فقد كان تابعاً لمدرسة شبلي شميل ، جورجى زيدان ، وفرح أنطون ، ويقرب صروف . هذه المدرسة التي كونها التبشير في بيروت ، ثم قذف بها إلى مصر والبلاد العربية فتولت مقاليد الصحافة والثقافة وحملت حقدوها الوافر على الإسلام والخلافه الإسلاميه ، واللغة العربية ، واريخ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ .

إن هناك وقائع خطيرة كاشفة لحقيقه سلامة موسى بعد أن فضحه أصحاب

دار الهلال الذى كان يعمل عندهم ، ويتصل من ورانهم ببعض الجهات ليشي بهم (أبريل ١٩٣١ — مجلة الدنيا الجديدة) وقد نشرت بالزكغراف خطاباتته التى يقول فيها لمستول :

« فأننا أكتب لسعادتك وإدارة الهلال تهنئة عددنا خاصا من المصور لسعد زغلول تستكتب فيه عباس العقاد وغيره من كتاب الوفد ومثل هذا العمل يتفق مع التجارة ولكنه لا يتفق مع الدعوة للحكومة الحاضرة ومشروع المعاهدة . لأن الاكبار من ذكرى سعد . وتخصيص عدد له هو فى الحقيقة إكبار من شأن الوفد ودعوة إليه — إلى مستعد للدعوة للمعاهدة فهل لى أن أنتظر معاوتكم » .

كتب هذا أبان وزارة البد الحديدية التى شكلها محمد محمود ، وتاريخ الخطاب ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ وهو لا يزال فى دار الهلال ما يزال يتقاضى مرتبه منها ، ويدخلها كل يوم يتسم فى وجه أصحابها ، ويظهر لهم الود والاخلاص وفى الوقت نفسه يدس لهم ، ويتجسس عليهم ، ويرسل التقارير إلى وزارة الداخلية .

ثم عاد يتمسح بالوفد (أبريل ١٩٣١) فكتشفت دار الهلال هذه الوثيقة وقالت : « أنت تمسح اليوم بأعتاب الوفد ، وتتعلق بزعماء الوفد . إن لدى دار الهلال البرهان القاطع على تلونك وغدرك » .

ولم تقف الأمر عند هذا الحد . . فقد أرسل خطابا (نشرت صحف دار الهلال) صورته الزكغرافية موجهة إلى الأستاذ حسين شفيق المصرى فى ٣ نوفمبر ١٩٣٠ هذا نصه :

عزيزى حسين :

بعد التحية : تعرف الخصومة بينى وبين السوريين (أى أصحاب دارالهلال) فأرجو لك أن ترسل لى خطابا على لسان سورى وقح يشتمنى فيه بإمضاء إسكندر مكاروس أو غيره من الهكسوس . وأنا فى انتظار الخطاب .

أخوك سلامه موسى

وقد علق الأستاذ حسين شفيق المصرى على هذا يقول :

كان يريدنى أن أزور خطابا ، وأن أفترى على أمة ، وأن أنزل إلى الدرك الأسفل من النزلة بالكيد لقوم ليس بينى وبينهم غير الصداقة والمودة .

هذا اللعب من لعب الصبيان فعجيب أن يكون منه وهو يتادى بأنه فيلسوف من علماء النفس ، أغفر له كل شيء إلا أن يظن بى ماظن من الجهل والحق . وهو يدعوى إلى كتابة ذلك الكتاب الذى أشتمه فيه بتوقيع رجل برىء لا ذنب له إلا أن فى الدنيا رجالا لا يحاسبون ضمائرهم ، ولا يرون أبعد مما بين أنوفهم وجباههم .

بل ويندب سلامه موسى إلى أبعد من ذلك فيقول :

« وما يدل على أن حركتنا الوطنية بأيدى ناس غير قادرين على الاضطلاع بها أن الحركة التى قامت فى العالم الماضى وكانت غايةا إصطناع القبة قاومها زعمائنا وقتلوها فى مهدها . فأثبتوا بذلك أنهم لا يزالون آسيويين فى أفكارهم ، لا يرغبون فى حضارة أوربا إلا مكرهين . وقد أدرك مصطفى كمال الذى لم تنجب بعد نهضتنا رجلا مثله ولا ربه ولا يعرف مقدار ما للقبعة من القيمة والإعلان بالإنسلاخ عن آسيا ، والانضمام إلى أوربا ، ولم يتع لستعمال السيف فى هنا » .

ويقول :

هذا هو مذهبي الذى أعمل له طول حياتى سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق ، مؤمن بالغرب وفى كل ما أكتب أحاول أن أغرس فى ذهن القارئ تلك النزاعات التى لتسمت بها أوربا فى العصر الحديث ، وأن أجعل قرائى يؤلون وجوههم نحو الغرب ، ويتصلون من الشرق .. ليس هناك حد يجب أن نقف عنده فى إقتباسنا من الحضارة الأوروبية .

ويقول :

وليس علينا للعرب أى ولاء ، وإدمان الدرس لثقافتهم مضیعة للشباب ،

وبعده لقواهم . وكيف يمكننا أن نعلم على جامعة دينية بيتنا في العالم نظرية تقول:
أن الإنسان لم يكن راقيا فأنحط كما تقول الأديان . بل هو كان منحطاً فارتقى
تغنى بها نظرية التطور بل كيف يمكن لإنسان مستنيراً قرا تاريخ السحر والعقائد
أن يطلب منه أن يخدم جامعة دينية . إن الجامعة الدينية في القرن العشرين وقاحه
شنيعة .

ويقول :

« لا عبرة بما يقال من أن الاسلام أمر بالشورى فإن خطب جميع الخلفاء
ثبت أنهم كانوا ينظرون إلى أنفسهم نظرا بأبواب بل البابا نفسه إذا قيس إليهم في
بعض الأشياء يعد دستوراً » .

ويقول :

« إن أكبر تجربة إجتماعية رآها العالم هي الشيوعية الروسية الحديثة وظهور
الشيوعية هو بمثابة حاجز بين الماضي والمستقبل فهي تفصل الاثنين فصلاً واضحاً
وهي على ما فيها من نقائص اليوم وعلى ما ينال الناس البعيدين عنها من الرعب فإنها
ستكون بذرة لجملة أنظمة إجتماعية في المستقبل » .

وهكذا نحوى كتابات سلامة موسى كل التمدوم التي علوه أن يثيرها في أفق
العرب والمسلمين يوماً بعد يوم ، علوه أن الاشتراكية هي الهدام الأكبر للمسلمين
وأزدراء كل ما هو هربي ، والدعاية الشيوعية ، وكذلك الدعاية للإباحية .

يقول سلامة موسى :

« ليس من مصلحة الإنسان أن يعيش في قفص من الواجبات الأخلاقية
يقال له هذا حسن فافعله وهذا سيء فاجتنبه » .

وعليه الدعوة إلى التوجه القريب إلى الإنسانية

يشول سلامه وحى ايضا :

« أجل يجب أن ترتبط بأوروبا ، وأن يكون رباطنا بها قويا نتزوج من أبنائها وبناتها ، وناخذ عنها كل ما يجد فيها من اكتشافات واختراعات وننظر للحياة نظرها ، ونطور معها تطورها الصناعي ، ثم تطورها الاشتراكي والاجتماعي ، ونجعل أدبنا يجرى وفق أدبها بعيداً عن منهج العرب ، ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها . »

هذا هو سلامة موسى الذى يريدون أن يحبوه مرة أخرى ويجددوا فكره ، هذا الفكر الذى تجاوزته المسلمون والعرب اليوم وإن كانوا قد خلدوا به هناك يوم كان دعاة التغريب تعوى كتاباتهم بالسُموم !!

إن ما قدمه سلامة موسى عن الماركسية والفرويدية والداروينية هي كلمات بحجة قد جاوزها البحث العلمى الآن ، وكشف زيفها فقد ظهر الآن فساد مادعا إليه دارون وتبين أن وراء إذاعة دعواتها ونشرها كانت التلويديّة التي تريد أن تقول أن الإنسان حيوان لتمهد لفرويد اليهودى نظريته في الجنس وكانت الماركسية والفرويدية والداروينية من أدوات الفكر الصهيونى ، الذى حاول أن يؤسس مدرسة في البلاد العربية والإسلامية . كما دعا إلى الهائية التي عرفها في لندن سنة ١٩١١ عندما اتصل بجماعة الدهريين ولم يدع كتاباً من كتبهم لم يقرأه وكانت معظم مؤلفاتهم في نقض الأديان السماوية — على حد تعبيره — ولا بد أنه اتصل بمحافل الماسونية ، وتعلم فيها فإن كل اتجاهه كان ماسونياً تلويدياً ولم تعرف حقيقته إلا بعد أن ترجمت بروتوكولات صهيون إلى اللغة العربية عام ١٩٤٨ وأن كل خاولاته وخطاه كان ثمرة هذه التبعيه الماسونية التلويديه وقد أشار كثيرون إلى أنه لم يكن مسيحياً صادقاً وإنما كان ولاؤه لفرويد وماركس .

وقالوا الشجرة الفاسدة تثمر ثمراً رديئاً وكل شجرة لا تثمر ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار .

ولارب أن دعوة سلامة موسى إلى وحدة الأديان هي من مفهوم الهائية ، وأن اهتمامه بالسلطان « أكبر ، الهندي الذى أجرى هذه التجربة داخل في دعوته

كذلك دعوته إلى وحدة الوجود ، ومذهب (سيبوزا) في وحدة المادة والقوة
والروح والجسد هي من طريق خطه الواضح وكذلك فهو يرى أن حرق جثمان
الميت أطهر وأنظف ١١

وقد تمنى سلامه موسى أن يحرق جسمه بعد موته ، وقد عمل على نشر
آراء تولستوى وغاندى لأنها تحاول مواجهه مفهوم الإسلام الجامع ومفهوم الجهاد
وحتى دياناته المسيحية فإنها لم تسلم من هجومه وهو يعتقد أنها ججبت عن عقول
الناس نور ثقافته اليونانية وحريتها ، وأن هذا الحجب والخبر ظل ألفاً وخمسمائة
سنة حتى بدأت بشارت النهضة الأوروبية التي كان أسامها الخروج عن سلطان الكنيسة
وأطباقها على النفس والعقل البشريين ، والعودة إلى أسس ثقافته اليونانية
وحريتها .

وقد بشر بدين جديد دعا إليه ودخل هذا الدين في عقيدته ، أنه [دين البشريه]
كما يسميه هو مادعا إليه (أوجست كونت) ويرى أن دين البشريه بذره من ديانته
بوذا وهو دين لا يدعو إلى الإيمان بالله ، أو الخلود في العالم الثاني ، ولا ريب
هذا الاتجاه الذي استكملة بأنبياء آخرين آمن بهم هم ماركس وفرويد يوحى
بمساوئيه وولائه التلودى الصريح ، كذلك فإن دعوته إلى العالمية هي دعوه
الصهيونية العالمية التي تريد هدم الأمم المسلبة في مرحلة ضعفها واحتوائها للسيطرة
عليها وتذيقها في أتون الأليمه .

ولا ريب أن حملة سلامه موسى على اللغة العربية الفصحى ، والشعر والأدب
العربي هي دعوه مبطنة للجملة على الإسلام والقرآن وهي الدعوه التي حل لواها
لويس عوض مر بعد وتؤكد دعوته في مجموعة موالاته الدعوة الشعبية التي ترمى
من وراء القضاء على العرب وكيانهم إلى القضاء على الإسلام باعتبار أن تلك هي
قاعدته الأساسية .

لقد كانت أصدق كله لباحث معاصر أنه لم يعرف لسلامه موسى مقال وطني
واحد دعا فيه إلى تحرير مصر من الاستعمار البريطاني .

أن محاولة إعادته سلامه موسى إلى الوجود محاولة باطلة فقد سقطت آراؤه جميعها وكشفت حركه البقظه عن زيفها وفسادها .

ماهو رأى مصطفى صادق الرافعى فى سلامه موسى ؟

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى :

رأى فى سلامه موسى معروف . لم أغريه يوماً . فإن هذا الرجل كالشجرة التى تنبت مرأ . لاتحلو ولو زرعت فى تراب من السكر ، مازال يتعرض لى منذ خمس عشره سنه ، كأنه يلقي على وحدى أنا تبعه حمايه اللغة العربيه وإظهار محاسنها ويأيناها ، فهو عدوها وعدو دينها وقرآنها ونبيها ، كاهو عدو الفضيله أين وجدت فى إسلام أو نصرانيه .

دعا هذا المخذول إلى استعمال العاميه وهدم العربيه ، فأخزاه الله على يدي ، وأريه أنه لا فى غيرها ولا تغيرها . وأنه فى الأدب ساقط لا قيمه له . وفى اللغة دعى لا موضع له ، وفى الرأى حقير لا شأن له فلبا ضرب وجهه عن هذه الناحية وافتضح كيد دار على عقبيه واتدس إلى غرضه الدقى من ناحية أخرى ، فقام يدعو إلى (الأدب المكشوف) فأخزاه الله مرة أخرى ولم يزد بعمله على أن انكشف هو ، فلما خاب فى الناحيتين ، اتجه إلى الشارع الثالث فانتحل الغيرة على النساء والإشفاق عليهن ، وقام يدعو المسلمين إلى إبطال حكم من أحكام دينهم وإسقاط نص من نصوص قرآنهم ظناً منه أنهم إذا تجسروا على واحدة هانت الثانية ، وانفتح الباب المغلق الذى حاول هذا اللاحق فتحه طول عمره من نبذ القرآن وترك الإسلام وهجر العربيه كأن إبليس لعنه الله قد كتب على نفسه (كيمياء) تحت إذن وأمر (سلامه موسى) إذا محيت العربيه أو غير المسلمين دينهم أو أبطلوا قرآنهم ، فكانت البدعة الثالثة أن يدعو المسلمين جهرة إلى مساواة الرجل بالمرأة فى الميراث ، فأخزاه الله .

ثم قام هذا المفتون يدعو إلى القرعونية . ليقطع المسلمين عن أريخهم ، ووطن أنه فى هذه الناحية ينسبهم لغتهم وقرآنهم وآدابهم ، ويشغلهم عنها بالضرولوجيا ، والوطنولوجيا ، ثم أتم الله فضحه بما نشره أصحاب دار الهلال ،

ويقول الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني تحت عنوان :

سلامه موسى ليس بشيء لأن لم يكن دجالا !!

بضاعته بضاعة الخوافة المشعوذين وله حركاتهم وإشاراتهم وأساليبهم . يزعم نفسه أديبا ، وتعالى الأدب عن هذا الدجل ، ويدعى العلم ، وجل العلم أن يكون هذا دعاؤه ، ويحاكي الملاحدة ليقول عنه المفضلون أنه واسع الذهن ، وليتسنى له أن يغمز الإسلام ويبسط لسانه في العرب ، والحقيقة أنه لا أديب ولا عالم ، وإنما هو مشعوذ يقف في السوق ، ويصفر ويصفق ويصخب ، ويجمع الفارغين أحوله بما يحدث من الصياح الفارغ والضحجة الكاذبة .

لقد آن لمن تعنيهم كرامة الأدب أن يقتلوا هذه الطفيليات ، وأن يطهروا من حشراتنا ونباتها رياضه ، وأن يقصوا عن مجاله هؤلاء الوأغلين الذين يتخذون اسمي ما في الدنيا وأجل ما في النفس طبولاً لهم ، ويتذرعون بالتهجم على الدين - على دين واحد في الحقيقة - وعلى العلم والفلسفة والأدب لنيل ما يستحقون ، ويفسلمون عقول الناس ، ويبلبلون خواطيرهم بما يخاطبونهم فيه ويخادعونهم ،

سلامة موسى : دارون ونظرية التطور

حاولت قوى التغريب دفع أفكار سلامه موسى إلى أبعد مدى بعد أن فلك ، ولكن لم يكن ذلك ليوجد أى مدى ، فقد تقادم العهد الذى كانت كتاباته تملأ نفوس الشباب ببريق خاطف ، وتبين فساد النظريات الثلاث التى دافع عنها وسقوطها :

(١) نظرية اللادينية والعلمانية وهذه قد تداعت فى داخل المجتمعات التى دعت إليها وظهرت بها .

(٢) نظرية داروين التى تمكشفت الأخطاء عن فسادها وزيفها (على النحو الذى يراه القارئ فى الفصل النالى .

(٣) نظرية التحليل النفسى لفرويد وقد اعتورها زيف كبير ونكشفت عن أنها نظرية تلودية تستهدف تدمير الإنسان وتحطيم وجوده .

يقول الأستاذ لمعى المطيعي : أن سلامه موسى وجه سهم قلبه مباشرة إلى عقيدة المصريين جميعاً ، حيث ترجم فى وقت باكر كتاب (نشوء فكرة الله) لجرائت إليه ، فهم يؤمنون إيماناً راسخاً بالخالق (خالق السموات والأرض) فلماذا يأتى هذا الكاتب ليعرض عليهم هذه الأفكار وماملدى إقتناعه هو نفسه بها سيما وإن كان قد تقلد على أفكار شبلى شميل وكتب عن الدارونية ونظرية التطور ودعا إلى العلمانية .

ونال : الانطباع الأول هو الانطباع الأخير .

لقد غفل الكاتب عن حقيقة جوهرية ، وهى أن الأمة العربية تحرض على التطور والتقدم والتحديث من خلال المحافظة على العقيدة وليس عن طريق التناقض معها أو مواجهتها إذ أن الشعوب العربية تؤمن بأن العقيدة لا تتناقض مع العلم بل أنها تدعو إليه .

ومن أعالمه أنه طالب بإستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية في الكتابة على زعم أن الكتابة بالحروف اللاتينية أيسر ، فثار أهل العربية - على حق - ضد هذه الدعوة ووجدوا منها سلباً جديداً على اتجاه الكاتب : (المعادى لعقائد الناس ولعقدهم) .

وقد تتلبذ سلامه موسى على أفكار اطنى السيد وفرح أنطوان ويعقوب صروف ، .

ويقول نعمان عاشور الذى كان يحضر مجالسه الخاصة : أن آراءه واتجاهاته كانت تتجنى فى معظمها للتعارف الجارف والخروج عن المألوف ، وكان يخفى نزعه العائنية وراء ستار رقيق من العلمية ، ولكنه اضطر أن يكشفها فى مقالاته فى جريدة مصر ، وكان يكشفها لتلاميذه فى اجتماعاته الخاصة مع دعواه الدائمة فى كتاباته إلى نبذ التعصب وإبعاد الدين عن الخلافات السياسية والمذهبية الاجتماعية والتطالعات الوطنية والقومية .

وقد دعا إلى الفرعونيه، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وكانت له نظرات محددة فى معالجة الجنس فضلاً عن النظرة الاشتراكية .

وقد عمل سلامه موسى فى جمعية الشباب المسيحية ، ما وصفه نعمان عاشور بأنه « حذبه على الشباب ، وندواته ومحاضراته ومناظراته التى كان يشترك فيها وملتقى كبير من الشباب المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يؤمنون بما يعتقده .

(١) الاتجاه إلى المذاهب الاشتراكية .

(٢) الإيمان بالغرب .

(٣) كراهية الإسلام .

وكان يوزع على الجالسين ورقة صغيرة يكتب كل منهم رده على ما سيوجه لاهم من أسئلة شباب ليعطوها له فى آخر الجلسة حيث يقوم بعمل حصر ميدانى لمشاكل الشباب .

وقال أنه صودر فى جملة عام ١٩٤٦ مع زكى عبدالقادر وعصام الدين حنفى ناصف

وكان قد أقام في لندن أربع سنوات تأثر فيها بالحركة الإشتراكية الفابية وكان معجباً ببرنارد شو وتتلذذ على يعقوب صروف وفرح أنطون . وكان له دورة في مجلة الهلال .

ولاروب أن كتابة « نعمان عاشور » تكشف الكثير وتلقى الضوء على الخطوة التي كانت تقوم عليها جمعية الشبان المسيحية في الثلاثينات بالإشتراك مع الجامعة الأمريكية من ناحية أخرى في التثوير واجتذاب الشباب، ومع الدور الذي كان يقوم به طه حسين في كلية الآداب ، ومدرسة السياسة (محمود عزمي وعلى عبد الرازق) في حزب الأحرار الدستوريين .

وذلك مخطط مدروس كشفنا عنه في كثير من الدراسات وهو نموذج طبيعي للمدرسة سعد زغلول واطفي السيد في التعليم والصحافة والأحزاب الموالية لكرورم والاستعمار .

ولو أفصح الأستاذ نعمان عاشور لقال أن سلامة موسى كان يجتمع بالشباب بعد إختباره والتعرف عليه في غرفة مفصلة في جمعية الشبان المسيحية وكان يتناول أخطر المسائل بالنسبة للإسلام والقرآن بعد التأكد من أن الحاضرين عليه يحتقرون الاسلام ويسخرون منه وكان ذلك كله مدداً لمهدد شارع المناخ الذي كان يديره (هنري كوريل) اليهودي الميسور الذي أنشأ في مصر خلايا الشيوعية وأحزابها والذي ينتسب الى التلذذ عليه عدد كبير من الأسماء الالامعه الآن في مجال اليسار والشيوعية .

وعندما نطالع مواد العدد الأول من المجلة الجديدة (ديسمبر ١٩٢٩) التي أصدرها سلامة موسى بعد أن فصل من دار الهلال نجد أنه أراد أن يسجل برناجه التفرجبي كاملاً فأورد هذه الموضوعات :

العلم وحده (محمود عزمي)

المجددون يقولون بالتطور (سلامة موسى)

دارون ، الفرعونية ، الإغريق

الصراحة في المسائل الجنسية

البهايمية ، الرجعية ، الوطنية والعالمية

التجديد في تركيا

الشرق شرق والغرب غرب

المصريون أمه غير شرقية

دين البشرية

الأزمة الدينية في العالم

اللغة العربية

المادية

العقل وحده ، غاندى

السفر في العالم الإسلامى

فولتير ، هافلوك إليس ، نيتشه

البشرية دين جديد

التعليم

السلفيون والمجددون

أرأيت أيها القارئ المسلم أهذه الموضوعات : هل غادرت قضية واحدة من
قضايا التخريب ، ما أخرجنا إلى بحث جامع في الرد على العدد الأول من المجلة
الجديدة ؟

واليوم وبعض أبناء سلامه موسى يحددون تراث أبيهم نراهم يخافون طبع
كتاباه (اليوم والغد) لأنه يكشف خطته ومؤامراته على العرب والإسلام واللغة
العربية (وهو كتاب قرأته وأنا في السابعة عشرة) ولكنهم يطبعون كتاب

(الثورات) الذى هو خدمة أساسية للفكرة الماسونية التى تعمل على تعظيم الأنظمة الروحية والاجتماعية والأخلاقية فى العالم الإسلامى ، معلما من شأن الثورة الفرنسية على أساس أنها ثورة الثورات ، وإعلان الإعجاب بها مع عدم تعمق الفهم للدوافع والغايات التى أحاطت بها ، وأنها هى ثورة الماسونية الحقيقية التى أخذت تعد لها منذ عصر فولتير ، وروسو ، وديدرو والتى غيرت وجه أوروبا كله فى سبيل تمكين اليهود للخروج من الجيتو وإحلال الإلتواء الوطنى بديلا للإلتواء الدينى ، والقضاء على التنظيمات المسيحية التى حاولت وقف خطرهم وسيطرتهم ، وتخطيم وحدة الجامعة المسيحية فى أوروبا ، بل أن البروتستانتين كما يبين من بعد كانوا فى خدمة أهداف الماسونية والعهوية وأنهم حتى الآن هم المؤيدون لفكرة وجود اليهود فى إسرائيل .

وبعد فإن مفتاح شخصية سلامة موسى هى كراهيته للإسلام والعمل فى كل معسكر معادله ، ويبدو أن سلامة موسى حين ذهب إلى لندن جندته الماسونية العالمية فى ذكاء خارق وإستغلت نحلته على النحو الذى أستغل شيل شميل فى مهاجمة الدين بصفه عامة والإسلام بصفه خاصة .

نظرية دارون

كانت نظرية دارون من أولى السموم التى طرحها الفكر الغربى الواند فى أفق الفكر الإسلامى ، لقد جاءت مع الرياح الصفراء التى هبطت على بلاد المسلمين بعد الاحتلال البريطانى لمصر ومع مقدم جماعة خريجي الأرساليات التبشيرية : صروف ونمر ومكاريرس أصحاب المقطم والمقطف ، ومعهم الدكتور شيل شميل الذى كانت مهمته الدعوة لنظرية دارون الذى ترجم أشد الكتب الغربية تطرفا فى فهم هذا المذهب كتاب " بنجر " الذى يعد من أشد المتطرفين فى المذهب المادى المالحد .

وهكذا كان شيل شميل رائد هذه المدرسة التى سار فى طريقها فرح أنطون ، وإسماعيل منظر وسلامة موسى مع اختلاف فى الفرعيات ومحاولة اقتصاص سخط المسلمين ، حتى كان أصحاب المقطف حملة رسالة التهريب وأعداء اللغة العربية والقيم الإسلامية

الاساسية كانوا يظهرن الخلاف معه ، وذلك أنه درس الطب ولم يدرس العلوم الطبيعية ولكنه بعد أن سافر إلى أوروبا وقع الحادث الذى غير حياته كلها فقد التقى هناك بأحد علماء المادة ذلك الذى استمتع أن يدفعه فى عنف نحو ذلك الطريق الذى جرى فيه ليصادم عقائد الأمة وأن كان خلافه فى الأساس قائماً مع معتقداته فى مجال الفكر النصرانى الغربى .

لقد لى أحد علماء المادة الذى قال له كلمة هدمت معتقداته هدماً ، لقد كانت حملة شبل شميل على النظم الاجتماعية والقيم والدين المنزل أساساً ولم يكن مذهب دارون ودراسته إلا مدخلاً إلى هذه الحملة المادية التى كان يراد بها أن تحتجج الإسلام أساساً ، وقيم فلسفة الاجتماع على القوانين الطبيعية ، ولقد واجه السيد جمال الدين الأفغانى هذا المذهب عندما نشره الإستعمار البريطانى فى الهند وفى مصر بكتابه (الرد على الدهريين) وتناول الرد على شميل كثيرون فى مصر والبلاد العربية فى مقدمتهم العلامة فريد وجدى الذى وهب حياته لمهاجمة الفلسفة المادية وكشف زيفها .

ولقد حادى اسماعيل مظهر أن يقدم منهج النشوء والارتقاء على أنه ليس معارضاً للأديان فى محاولة أخرى لتقبله بين الجماهير ولكنه فشل ، كذلك فقد عرض سلامه موسى نظرية التطور ولم تلق رواجاً وقابلها الناس بمزيد من العبت وعدم الثقة فقد كانت تخالف مفهوم خلق الإنسان الذى جاء به القرآن الكريم واضحا صريحاً حين أعلن أن الإنسان خلق مستقلاً تمام الاستقلال عن الأنواع الأخرى .

ولقد عرضت القوى الاستعمارية (نظرية التطور) ومفاهيم دارون على دراسات العلوم الطبيعية فى أغلب بلاد العالم الإسلامى ، وأحدثت آثاراً بعيدة من الشكوك والازدواج بينها وبين مفاهيم الإسلام عن قصة الخلق وقد تعالت الصيحات فى الغرب تطالب بإسقاط هذه النظرية من مناهج الدراسة وفى الغرب رفعت القضايا فى المحاكم للفصل فى هذا الأمر .

أولاً : ليس الخطر الحقيقي في نظرية (دارون) ، ذلك أن دارون نفسه أعلن أنه على غير يقين من دعواه عن الصلة بين القرد والإنسان ، وقد قال في صراحة تامة : أن هناك حلقة مفقودة لم يصل إليها ، ولكن الخطر في علمه الفلسفة المسادية الذين يصدرون عن مفاهيم التلمسود والذين يطعمون في إسقاط صفة الإنسانية عن البشرية وإحلال صفة « الحيوانية » عليها ، فهم الذين حملوا هذه الأفكار ووسعوها ودفعوها دفعا وفرضوها على علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والدين والأدب ، كمنطلق للصهيونية اليهودية الراجية في تدمير المجتمعات الإنسانية بنشر دعوى المسادية والحيوانية وغيرها ومن هنا أصبحت فكرة (التطور المطلق) الذي يعارض طبيعه الحياة ومفهوم القطرة ومقررات الدين الحق ، ومن الجائز أن يكون (دارون) لم يكن يدري مدى الخطورة من وراء قوله بأن الأجناس كلها من أصل واحد ، وأن الإنسان من أصل حيواني فإنه قد فتح بابا خطيرا من الشبه التقطه أعداء الإنسان وساروا به للدعوة إلى « حيوانية الإنسان » ، الذي كرمه الله تبارك وتعالى وفضله على كثير من خلقه ولم يتنبه دارون إلى مفهوم الدين الحق الذي أعلن كرامه الإنسان واستخلافه في الأرض واتخذ كان لنظرية التطور وتحولها من نظرية بيولوجية إلى نظرية إجتماعية أبعد الأثر في ضرب القيم الثوابت ومنها العقيدة والشريعة والأخلاق .

ثانيا : أن دارون لم يفهم العلاقة بين الطبيعة والإنسان ولقصور نظريته وقلة أدلته أكبر من شأن التنازع (تنازع البقاء) وقد حال هذا بينه وبين رؤية (التعاون) بين الحيوان والنبات الذي هو أوسع وأكبر من التنازع .

ويرى العلماء أن (دارون) أخطأ خطأ فادحا عندما زعم أن تنازع البقاء هو كل شيء ، أو يكاد يكون كذلك ، فقد تبين للعلماء أن التعاون في الطبيعة أكثر من التنازع بل لا يكاد يكون هناك تنازع في عالم الحيوان بالإنسان البشري الذي تفهمه لهذه السكالكه .

ثالثا : فساد نظرية الانتخاب الطبيعي التي جاء بها دارون فقد أعلن العلماء في الأخير : أن هذا التفسير الذي تقدمه نظرية التطور والارتقاء قد اهتزت أساساته من جذورها ، وقد انفتح الباب أمام نظرية جديدة تفسر اختلاف أجناس المخلوقات .

ويقول جين روستند (عضو الأكاديمية الفرنسية للعلوم وعميد علماء البيولوجيا الفرنسية) أن نظرية التطور التقليدية بمعناها الحرفي قد غدت الآن شيئا ماضيا ، وأنه لا يجوز تفسير التطور بمثل هذه التفسيرات السطحية التافهة كاصطفاء الطبيعة للأجناس الأصحح لمجرد أن علماء البيولوجيا قد أخفقوا - حتى الوقت الحاضر في إثبات ما إذا كان المستطاع تأثير على تغير الأجناس أو التحكم به أو خلقه عن طريق العملية نفسها .

رابعا : راجع العلماء مفهوم التطور المطلق الذي أضفى على نظرية التطور قائمتها أن حقائق الأشياء ثابتة لا تتغير وإنما الذي تغير هو الصور فقط فنزعة الطعام لا تزال ثابتة وإنما الذي تغير هو صور الطعام وكذلك فيما يتعلق بنزعة اللباس والقتال واتخاذ السكن ، وبرهنوا على أن التطور ليس قانونا أخلاقيا وليس كل طور أفضل من الطور الذي سبقه فإن التطور قانون اجتماعي يتحرك في إطار اثبات ولا يقتضى مطلقا تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقة والتطور غير متساو ، والتطور ليس كله تقدما والجديد ليس الأصحح دوما ، وهم بذلك قد زيفوا زعم (سبنسر) بأن التطور الاجتماعي تطور حتمي لا شعوري .

خامسا : كشف الباحثون أن الداروينية قد استغلت في محيط السياسة مما أدى إلى إيجاد جو مضطرب أطلت منه مذاهب العنصرية ، فقد كان قول دارون بأن العناصر الضعيفة يجب أن تموت أو تستأصل مما استغلته حركة الاستعمار العالمي كنظرية لتطبيقها على البلاد المحتلة .

سادسا : اتخذت نظرية التولد الذاتي (التي قال بها دارون ولا مارك وأرنست

هيكل) منطلقا إلى الإلحاد وجعلها البعض سنداً في إنكار المسيحية الدينية ،
وأنخذت منها فلسفة متحالفة لنفى الخالق وإعطاء المادة صفة اقادر على كل شيء . ومن
ثم دعا هيكل إلى (تأليه الطبيعة) وإنكار وجود الله تبارك وتعالى وإقول بوجوده
الوجود .

سابعاً : اتخذت فكرة التطور وسيلة للقضاء على الأديان والقوانين وذاتية
الأمم بإعتبار أن كل شيء بدأ ناقصاً شيئاً يشير السخرية والإحتقار ثم تطور
فلاقداسة إذن لدين ، ولا وطنية ولا قانون ولا لمقدس من المقدسات وبدأ
كأنما أخرجت النظرية لخدمة رجال الاستعمار والسياسة أكثر مما أخرجت لعلماء
الأحياء فقد تركت آثار الصراع من أجل البقاء في أوساط السياسة والحرب ،
وكان لمبدأ بقاء الأصلح أثره في مخططات الاستعمار وإبادة الأجناس المغلوبة على
أمرها ، وظهرت من خلال نظرية التميز العنصرى والاستعلاء باللون ، وفكرة
الشعوب المختارة (الألمان واليهود) ، صيغت من خلال ذلك نظرة القوة عند
(نيتشه) ومن ذهب مذهبه من علماء الجerman ، وبها انتفع دعاة الاستقرارية
فوجدوا فيها سلاحهم فأعلنوا أنفسهم بأنهم المعتازون والمختارون الذين ورثوا
مزايا الأمة سادة البشر ومالكى العروش وصانعى التاريخ ، وتلقفها معلنوا الحرب
على الأديان فأخذوا يضربون بها جدار الدين ويعلون من شأن العلم عليه .

ثامناً : أكد العلماء أن التطور قانون إجتماعى وليس قانوناً أخلاقياً وإنه
يتحرك في دائرة الثوابت ولكنه لا يقتضى مطلقة تفضيل تطور الأخير على الطور
السابق له فليس كل طور أفضل من الطور الذى سبقه ، لأن التطور فى الحياة قد
يكون إرتقاء وقد يكون تردى وإتكاملاً .

تبين من عبارة بروتوكولات صهيون ، أن دارون ليس يهودياً ولكننا عرفنا
كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغها في تحطيم الدين ، 'نقدر أننا نجاح
دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم يتبين من هذه العبارة الهدف من

هذه العبارة الهدف هو ترويض نظرية دارون ، ولما كان كل باطل لا يستقر ولا بد أن تحترقه عوامل الفساد فقد تكشف اليوم وبعد مائة سنة فساد نظرية دارون ، وقد أعلن العلماء أنها أسطورة قد إنهارت ، كذلك فقد أثبتت الحفريات التي ظهرت في مختلف البقاع ، أن الانسان خالق خلقا مستقلا وأنه لم ينحدر من فصيلة القرد ، وقد عارض العلماء البيولوجيون إفتراض أن الخليقة كلها من أصل واحد وأن الانسان فرع من فصيلة الحيوان في أرقى درجات وهو القرد، وعرف أن قوى كبرى كانت وراء ترويض ذلك ، وقد جاء العلماء اليوم ليعانوا في صراحة تامة أنه لا علاقة للانسان بالقرد ولا تجانس بينهما .

أولا : البحث العلمي أسقط النظرية :

(١) جال بيشتو رئيس المجمع العلمي الفرنسي : لقد وقف هذا العالم نصف قرن تقريبا على دراسة أصل الانسان وإستداع أن يؤكد أخيراً أن الانسان ليست له علاقة تجانس بالقرد وأن النظرية التي تقول بذلك مفتقرة إلى البرهان الحاسم ، وأن هذه المشابهات بين القرد والانسان غير كافية للجزم بوجود أصل مشترك للانسان والقرد .

ثانيا : الحفريات أسقطت النظرية :

(٢) الدكتور رونالد جونسون : أستاذ علم الأجناس البشرية يقول : أن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بنسبة ٩٩ و ٩٩٪ من اكدقة أن الانسان ساد متصبا على قدميه منذ بداية تاريخه الانساني منذ ثلاثة ملايين سنة ، أعلن ذلك في مؤتمر صحفي (مارس ١٩٧٤) وهو يمسك في يديه بجنس قلع من العظام يرجع تاريخها إلى ثلاثة ملايين سنة عثر عليها في أواخر عام ١٩٧٣ في أثيوبيا ، وقد ظهر الانسان كائنا فريدا في نوعه وسط دنيا من الوحوش السكاررة ، وأن هذه العظام قد سدت الثغرة التي ظل العلماء يتحدثون عنها تحت اسم « الحلقة المفقودة » ، وأن ما وصل إليه الدكتور رونالد جونسون كان خاتمة حفريات كثيرة تمت خلال سنوات ١٩٦٩ وما بعدها في كينيا وواي أبار في الحبشة ومن أم ما نتج من

الجلجهم فريدة في نوعها تتميز بسمة الدماغ مما جعل العلماء يخرجون بانطباع عام وهو أن سلالة مشتركة تطورت مع إنما كانت له سلالاته الخاصة المستقلة .

(٣) الدكتور بير برسون الاختصاصي في علم الوراثة (جامعة اكسفورد) أصدر بالاشتراك مع ثلاثة من زملائه قانونا اشتهر باسم « قانون القرد » ، حظروا فيه على المدارس والجامعات أن تدرس المذهب الدارويني — مذهب الشوء والارتقاء — وذلك لبطان النظرية التي كانت تقول : أن الانسان هو الحلقة الأخيرة من تطور انطاق من أول أنواع القروود .

وبالجملة فقد أصبح العلماء الآن عن طريق الكشوف الاثرية وتقريرات العلم التجريبي — لا الفلسفة — متأكدين مما جاء به الدين الحق وجاء به الاسلام من أن الانسان خلق مستقلا وأنه سيد المخلوقات ، وصدق الله العظيم « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ومع ذلك فإن البحث لم يتوقف لتأكيد فساد نظرية دارون في السنوات الاخيرة رويت تجربة العالم ليسكي مدير المتحف الوطني في كينيا التي استمرت ثمانية وعشرين عاما قبل أن يصل إلى اكتشافه العام وكان أول اكتشافاته عام ١٩٥٩ عندما عثر على جمجمة وبقايا عظام متحجرة في شمال كينيا لها صفات تختلف كثيرا عن صفات القردة ثم اكتشف بعد ذلك جمجمة لانيسان أسماه (هو موها ياهي) أي الرجل البدوي ومن عام (٦٠ — ١٩٦٤) اكتشف مجموعة من المخلوقات في جبل كينيا وهي تتميز بأصابع سبابة تشبه أصابع الانسان وحجم مخ أكبر ثم اكتشف ليسكي في أحد جبال كينيا جمجمة وعظاما هزت الاوساط العلمية إذ بعد قياس عمرها الجيولوجي بواسطة أجهزة الاشعاع الذرية وجد أنها ترجع إلى مليون وستة ألاف سنة تقريبا وأهم ما يميزها هو حجم المخ فقد وجد أنه حوالي ٨٠ سنتيمترا أي ضعف حجم مخ القرد الجنوبي ويزيد عليه مليون سنة .

ثم أذاع العلماء بعد ذلك ما يلي :

أولاً : أنه لا يوجد دليل على واحد من ألف على أن الانسان من سلالات القردة وأن الانسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً .

ثانياً : الكائنات إنما خلقت مستقلة استقلالاً تاماً فيها الحيوان الذى يمشى على أربع ومنها الزواحف التى تمشى على بطنها .
وصدق الله العظيم إذ يقول (ومنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء) .

ثالثاً : أعلن العلماء ظهور المكشف العلى الذى هدم نظرية التطور هدماً تاماً وهو اكتشاف وحدات الوراثة التى أثبتت إستحالة تطور الكائن الحى وتحوله من نوع إلى نوع آخر ، فقد ثبت أن هناك عوامل وراثة كامنة فى خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه وتحتّم أن يظل فى دائرة النوع الذى نشأ فيه فلا يخرج قط من نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد وكل ما يمكن أن يقع حسب نظريات الوراثة هو الإرتقاء فى حدود النوع نفسه دون الانتقال إلى نوع آخر .

هذا المكشف العلى هو الذى أعدم نظرية دارون وأفبرها وقضى عليها .

ويبقى بعد ذلك أن نقول أن كل ما كتبه سلامة موسى فى هذا الموضوع هو من ركام الزيف .



الفصل التاسع

زکی نجیب محمود



كان السؤال في الندوة عن مخططات التغريب والغزو الثقافي في هذه المرحلة لمواجهة حركة اليقظة الإسلامية ، وانكشاف مخططات الاستشراق والتبشير ، واقتضاح كل خيوط المؤامرة التي جند لها عدد كبير من التغريبيين بقيادة (المعلم) طه حسين . ثم تحطمت كل هذه المخططات قبل رحيله .

والحقيقة أن التفوذ الأجنبي قد غير جلده بعد طه حسين وحاول أن يقدم مخططاتاً جديداً بانتقادات جديدة بعد أن هلك هذا التغريبي الكبير ووضع أمر ذلك في عدة خطوات اتخذت بسرعة لتغطية الفراغ . . منها عقد مؤتمر ثقافي مفتق في الكويت ضم مجموعة من اتباع الاستشراق والتغريب ، واليساريين ، واتباع الفلسفة المادية . وكان على رأسهم (زكي نجيب محمود) و (محمد النويهى) لمواجهة الموقف بعد وفاة ذلك الزعيم الصنم الذي كان يمر في السنوات الأخيرة من حياته بمرحلة الاحتضار .

وكذلك كلف المستشرق (جاك برك) بالطواف في البلاد العربية .

ودول الإمارات لإلقاء محاضرات عن طه حسين في محاولة لاستعادة الثقة به بعد أن تحطمت هذه تماماً نتيجة للأبحاث التي كشفت عن دخيلته وخاصة ما كتبه محمود محمد شاكر ومحمد نجيب الهميتى وكان هذه السطور .

كذلك فقد حاولت جريدة الأهرام في عهد هيكل أن تجمع في نطاقها مجموعة كبيرة من دعاة التغريب أمال توفيق الحكيم الذي وصف إسرائيل بأنها دولة متحضرة . وحسين فوزى الذي تنسكّر لعرويته واعتز بفرعونيته ورضى لنفسه أن يحمل درجة الدكتوراة من جامعات العدو . ونجيب محفوظ الذي عرف بتلذذه لزعم التغريب سلامة موسى وهى ما تزال تحتفظ بهم إلى اليوم بعد أضيف لآلهم أنيس منصور ويوسف إدريس .

وقد بدا في السنوات الأخيرة أن الأضواء كلها قد ركزت تماماً على الدكتور
 زكي نجيب محمود كقائد لهذه الكتيبة التفريعية وقد مهد الدكتور لذلك بأن أعلن
 أنه أعاد النظر في التراث الإسلامى (وأسماء العربى) في محاولة لخداع البسطاء
 ولتنظية ماص طويل في الفكر المادى كانت قننه كتابه المعروف (خرافة
 الميتافيزيقا) أى بمعنى صريح إنكار مفهوم الغيب الذى جاء به الإسلام والادعاء بأنه
 خرافة. وإنكار كل ماسوى المحسوس والمعقول متابعة في ذلك للمذهب الفلاسفى الذى
 اعتنقه طوال حياته مقلداً في ذلك فيلسوفاً أوروبياً مادياً ملحداً يسكر الأديان
 المنزلة ويفاخر بأنه يمثل مدرسته (أوجست كونت) . وفى طريق كسب
 الأنصار والتقرب إلى الشباب الواعى المكف يتحدث الدكتور زكى نجيب محمود
 عن الايمان بالله وعن الايمان باليوم الآخر ، وعن أعلام التراث : الغزالى وغيره ،
 ذلك كله محاولة لالقاء حاجز بين الماضى والحاضر وإحراز الثقة التى تمكنه من
 بث الفاهيم وآرائه .

ونحن لا نتهم أحداً في عقيدته ولا نتهقب العورات ولا نلتقط ما تنكشف
 عنه المرائر من وراء الوعى ولكننا نقرر بدءاً بأن المنهج الذى يدعو إليه زكى
 نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة وخاصة بالنسبة
 لتلك القضية الكبرى التى يثيرها في كل كتاباته وهى مسألة العقل والعقلانية
 فالإسلام لا يعطى العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى . وإنما
 يرسم للعقل طريقاً كريماً في ضوء الرسمى . والعقل في الإسلام مناط التكليف
 ولكنه ليس حكماً على كل شىء ، ذلك لأن العقل أداة تصلح تكوينها وتفسد إذا
 تكونتها . وهى إن اعتدت بالوحي أضاعت وأشرقت عليها أنوار الفهم . أما
 إذا اعتدت بالفكر البشرى فلإنها تكون بمثابة أداة تبرير لكل أهواء النفس .

فالعقلانية بالمعنى الذى يدعو إليه زكى نجيب محمود نظرية مادية صرفة ومرفوضة
 تماماً . وإذا كان هو وجماعة المستشرقين والتفريبيين يعتزون من التراث بالجانب
 الخاص بالمنزلة فإن هذا الاعتزاز لا يمثل إلا انحرفاً في مفاهيم الفكر الإسلامى .
 فالمعتزلة خرجوا عن مفهوم الإسلام الجامع المتكامل بين العقل والقلب ، والروح

والمادة ، والدنيا الآخرة . وأعلوا مفهوم العقل . فأنحرفوا وتحطموا وحكت عليهم الأمم كلها بأنهم خرجوا عن مفهوم الإسلام الصحيح حين دعوا إلى خلق القرآن واستعدوا الخلفاء على المسلمين والعلماء . وقد هزمهم الله شر هزيمة على يد الإمام أحمد بن حنبل ، وأعاد الإسلام مفهومه الأصيل الجامع .

والموقف نفسه يقفه الإسلام بالنسبة للدعوة إلى التصوف كنطلق وحيد لفهم الحياة والأمور من خلال الحدس والروحانيات وحدها ولقد كان هوى زكي نجيب محمود في دراساته في التراث مع ذلك المفهوم المثالي الذي أنحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذي أستمد مادته من الفلسفات اليونانية الوثنية المادية ، واللاحدية الإباحية التي غامت سماتها على الفكر الإسلامي ثم انفشعت تحت تأثير أضواء المفهوم القرآني الأصيل .

كذلك فإن مفهوم الدكتور زكي نجيب محمود للالهية مفهوم ناقص وقاصر لا يمثل مفهوم الإسلام (على النحو الذي أورده في مقاله في الهلال) .

لقد مرت البشرية بمراحل كثيرة في فهم الالهية ناقصة وسحرقة وجاء الإسلام بالمفهوم الجامع الحق فلم يعد هناك مجال لإعادة ترديد هذه المفاهيم بعد مرور أربع عشر قرناً على نزول دعوة التوحيد الخالص .

إن الذي يقبله شباب الإسلام اليوم من الباحثين هو مفهوم الله الحق لمفهوم الآلهة كما فهمه الوثنيون أو المعددن ، أو المشركون الذين كانوا يؤمنون بالله خالقاً ولا يؤمنون به مصراً للامور كلها . . . وقد جاء الإسلام ليكشف هذه الحقيقة وحدها ، ويدعو إليها : (إسلام الوجه لله) .

أما مفهوم الإيمان بالله على النحو الذي كتب عنه الدكتور زكي نجيب محمود فهو مفهوم عرّفه المشركون ولم يقبله منهم الإسلام . ولعل من أكبر الخطأ عرض مفهوم أرسطو وأفلاطون في الالهية ومحاولة تفسيره بمفهوم الإسلام مع أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك بل إن القرآن الكريم دحض كثيراً من مفاهيم أرسطو وأفلاطون والفلسفات اليونانية والوثنية والعنصرية لنفسها وقصورها ، وخاصة

ما أدعاه مؤلاء من أن الله تبارك وتعالى يدير ظهره للكون ولا يعلم الجزئيات ، وأن المادة خالدة إلى غير ذلك من تلك التفاهات ، بل إن مفاهيم أرسطو وأفلاطون للألوهية تدخل تحت ما أسموه (علم الأحصنام) فكيف يقدم هذا المفهوم للشباب المسلم اليوم على أنه مفهوم الألوهية الحققة ؟ ولقد كشف علماء المسلمين منذ وقت بعيد فساد مفاهيم الفكر البشري ونقصه . وكيف أنها منحرفة . وكيف أن الله تبارك وتعالى يعلم الأمور كلها (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس) .

وأن هذا الكون ليس مخلداً ، ولا باقياً ، وأن له نهاية كما كانت له بداية ، وأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا الكون لحظة ، ويديره ساعة بعد ساعة ، وأن كل ما يقوله الفلاسفه هراء .

المسلمون يعلمون أن الكتب المنزلة حرفت وغيّرت مفهوم الألوهية الحققة (الله رب العالمين) فنسبته البعض إلى أنفسهم وقالوا : إنه رب الجنود وربه وحدهم . وقال الآخرون بأن الله ولدأ وكذبوا ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ،

وليس مفهوم الألوهية صحيحاً ولا كاملاً إلا في الإسلام وحده فهو مفهوم لإسلام الوجه لله (إياك نعبد وإياك نستعين) .

ولقد حاول الفكر البشري أن يزيّف مفهوم الألوهية الحققة . وأخطأت الماسونية حين قالت « المهندس الأعظم » وهناك انحرافات الباطنية والماديين والوجوديين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد على النحو الذى عرف عن كثيرين . وهناك مفهوم الإسلام بوصفه ديناً لاهوتياً . والحققة أن المطلوب ليس إثبات وجود الله تبارك وتعالى ولكن المطلوب معرفة حقيقة هذا الوجود بعيداً عن هذه المفاهيم المنحرفة ويستتبع الإيمان بالله تبارك وتعالى ، الإيمان بشرية .

ولكن الدكتور ذكى نجيب محمود لا يلبث أن ينتقض من شأن هذه الشريعة

ويصفها بأنها قاصرة ومجافية للعصر وبطال بتخطيها في سبيل تحقيق المعاصرة ، وهو يقبل بالحضارة الغربية كما كان يقبل بها سلفه طه حسين (حلوها و مزها وما يحمدها وما يعاب) فما عرف عنه أنه دعا المسلمين إلى أخذ العلوم مثلاً دون أسلوب العيش ولكنه يدعو إلى شيء غريب هو أن المسلمين ليس لهم فلسفة حياة وهو ادعاء باطل وظالم .

فكيف يمكن أن يقال لأصحاب القرآن الذي وضع منهجاً للحياة والمجتمع غاية في الأحكام جريته الشعوب والأمم أف عام فأقام لها حياة الرحمة والعدل والأخاء البشرية . كيف يمكن أن يقال لهذه الأمة إنها لا تمتلك منهج حياة .

وكيف يقبل وهو العقلاني الحصري هذا المنهج الذي يعيشه الغرب سواء الغرب اللبني إلى أم الماركسي في ذلك الحظم العفن الفاسد المتآكل من الشهوات والإباحيات والانحصراف والتحلل والفرابة بشهادة كتاب الغرب والشرق على السواء .

وكيف يفضى وهو الأمين على الكلبة عن أزمة الحضارة وأزمة الإنسان الغربي . وقد قرأ عشرات من الكتابات آخرها ما كتبه (سلجوستين) ودفع به حضارة الغرب التي يكبرها زكي نجيب محمود وحسين فوزي وتوفيق الحكيم . ويفخرون بها ويفخسون بأقلامهم في تلك اللحم من الدماء والعفن والفساد . وهم يقولون لا إله إلا الله على الأقل ورائة ، ويرون كيف يقدم الإسلام ذلك المنهج النقي الطاهر الأخلاقي الكريم الذي يرفع من قدر الإنسان . وكيف يحق لأمة تحمل أواء القرآن (ألف مليون مسلم) أن تتخلي عن رسالتها في تبليغ كلمة الله الحق إلى العالمين وتنصر في بوتقة الأمية والحضارة المنهارة التي تمر بآخر مراحلها .

وعلى من الأمانة أن يدعو هؤلاء أمته إلى هذا وهم روادها والرائد لا يكذب أهله ولا يفشها . إن مسؤولية القلم وريادة الفكر وهى أعضنم المسئوليات عند الله تبارك وتعالى يوم الحساب . وقد كان أولى بهم جميعاً أن يدقوا أمتهم

النصح ويدعونها إلى أن تقيم حضارة الإسلام بمجدة في إطار (لا إله إلا الله) والأخلاق والرحمة والأخاء الانساني وأن يلتصوا أسلوب العيش الإسلامى ليقدموا للبشرية نموذجاً جديداً نقياً تتطلع إليه النفوس والأرواح اليوم بعد أن عم الفساد البلاد الغربية كلها من جديد . ولن يكون غير الإسلام . وسوف يدعمهم التاريخ بأنهم كانوا رواداً غير مؤتمنين على الأمانة ، وسوف تكتب أسماؤهم في سجل الذين عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق ، وأن ينصحوا لآمتهم وهم الذين عاشوا حياة الغرب ، وعرفوا فساد مناهجه وأساليب حياته ، وعرفوا أن هذه الأمة الإسلامية الكريمة على الله أعز من أن تسحق في أتون الشبوات وأن تدمر بأيدي أبنائها ودعاتها الذين تلمع أسماؤهم ونجدع الناس شهرتهم .

إن الدكتور زكى نجيب محمود قد أخطأ الطريق حين فهم التراث الإسلامى ذلك القيم الذى جعله بكرم أمثال (ابن الراوندى) و (مردك) ، و (مانى) ، و (الخلاج) ، و (الباطنية) ، و (الشمووية) و (إخوان الصفا) وتلاميذهم .

كذلك فهو مؤمن بمجموعة من المسلمات الخاطئة من عصارة مفاهيم الفكر البشرى الوثنى المادى فضلاً عن أن إيمانه بالعلم والعقل وخدمتهما هو فى مفهوم الاسلام قصور شديد عن المفهوم الجامع .

ولانى لاسال الدكتور زكى نجيب محمود : هل يؤمن بالوحى ؟ هذا هو مفع المع المفاصلة بيننا وبينه . وإذا كان يؤمن به فلماذا لم يعلن فساد منهج كتابه (خرافة الميتافيزيقا) وإذا لا يؤمن بهذا الوحى الذى جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة ؟

وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود قد تراجع عن « خرافة الميتافيزيقا » وغيرها من آرائه . أليس من الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكسب إلى صفه بعض الناس .

إن محاولة انتماء مكان طه حسين اليوم هو أمر مضيق . فقد انتهى ذلك العهد ومحا

الناس وخطت حركة اليقظة الإسلامية خطوات واسعة فكشفت عن فساد تلك النظريات والأطروحات الزائفة التي قدمها الآباء العتاة الذين كانوا يستقبلون أبناءنا في الجامعات الأوروبية وهم من اليهود أمثال مرجليوث ودوركايم وغيره .

أما قول الدكتور زكي نجيب محمود أن الثقافة الإسلامية في العصر العباسي قد عرفت ثقافات الدنيا بغير حساب فهو قول باطل . لقد وقفت الثقافة الإسلامية موقف التحليل والغربة لكل ما ترجم ، وأخذت منه ما وجدته صالحاً ومطابقاً لمفهوم التوحيد الخالص . أما ما عدا ذلك فقد رفضته وشتت عليه حرباً عنيفة ، وأخرجت دعائه من طريق الفكر الإسلامي فأطلقت عليهم اسم (المشاكسون المسلمون) إعلاناً لتبعيةهم للشائين اليونانيين ، ولم تقبل منهم ما جاءوا به .

وأعلن المسلمون أن منهج اليونان أو منهج العنوصية الشرقي كلاهما باطل وأن للإسلام منهج خاص مستقل كما فعل نحن اليوم إزاء ما يقدمه التغريبيون من فكر الشرق والغرب مما هو ليس مقبولاً في الإسلام بحال . كذلك فإن نظرية زكي نجيب محمود بالتوفيق بين المترجم الوافد الغربي وبين المجدد من التراث الإسلامي (وهو ما يسميه بالعربي استنكاراً) هذه نظرية ليست مستحدثة بل هي نظرية طه حسين وهيكال والزيات وغيرهم . وهي نظرية اتضح بطلانها . أما ما تعارفت عليه اليقظة الإسلامية فهو أن يقوم أساس إسلامي أصيل من مفهوم الإسلام الجامع (بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع) وفي ضوئه يحاكم التراث كله والوافد كله ، ولا يقبل إلا ما يريده المنهج قوة ودعماً مع الاحتفاظ بأسلوب العيش الإسلامي (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) ودعوى زكي نجيب بالمواومة مرفوضة . فالمسلمون على استعداد التضحية بالتقدم المادي في سبيل الاحتفاظ بالقيم الأساسية التي هي في حقيقتها لبست معوقة للتقدم المادي ولكنها حائلة دون فساد الحضارة الغربية وزيها وانحلالها الذي يود هؤلاء القوم إغراق هذه الأمة فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

يتابع الدكتور زكي نجيب محمود دعوته إلى « التفرغ » في مقالات أسبوعية موجهة على نفس مفهوم الدكتور طه حسين (أن نأخذ الحضارة حلوها ومرها) ولكنه لأن الوعي الإسلامى أصبح قويا يتناول عن فكرته التى ظل يدافع عنها ويدعى أنه قرأ التراث وأنه يقبل - فضلا منه ومنة - أن نأخذ التراث ونأخذ حضارة الغرب ، أما الأخذ من الغرب فهو بدون تحفظ ، إما التراث فيمكن أن نأخذ منه ما يتفق مع العصر ، أن كلمة التراث التى يستعملها عامة زائفة ومغشوشة ، لأنه يجعلها بديلا للإسلام (القرآن والسنة) .

فهم يضمها جميعا تحت كلمة (التراث) مع أن التراث هو العمل البشرى الذى قام به المسلمون في تفسير وشرح القرآن والسنة تحت إسم الفقه وتحقيق السنة وتفسير القرآن وغيره من العلوم .

إن الدكتور زكي نجيب محمود لم يطور نفسه كما ينبغي لتصبح مقبولا لدى الشباب المسلم اليوم لأنه مازال يأتى بأسلوبه الجاف الذى أنشأته دراسته للفلسفة (الوضعية المنطقية) فلا يستطيع أن يخرج منها ويقف الجفاف عشرة أمام دعوته ، يقول : (المصدر الذى استقيت منه معظم ثقافتى هو الثقافة الأوروبية بصفه عامة والانجليزية بصفه خاصة) وقد لبثت مع الأسف الشديد طويلا وأنا لا أعرف من التراث العربى إلا شذرات ، حتى تذهبت له منذ سنوات .

نعم ، لقد كان لابد أن يتحدث عن التراث (ليخضع) لإناسا مثل الذين خدعهم طه حسين حين كتب (هامش السيرة) إن القيادات التخريبية تريد أن تجعل الأمور أكثر يسرا ، ولكن زكي نجيب محمود لم يطور نفسه كما ينبغي مع تطور النقطة الإسلامية من ناحية ومع تطور الفكر الإنسانى نفسه وظهور عوامل كثيرة

تجعل الغرب بعيد النظر في فكره ، إن زكى نجيب محمود لا ينظر إلى الظواهر الخطيرة التي تبدو في كتابات فيلسوف العصر جارودي والطبيب بوكاي .. ويهر على قديمه ويعد الأساليب خدعة مع بقاء المضغون الذي يملأ نفسه في عناد .

إنه يتحدث عن العلم وهو يعنى الفلسفة ، إن ما يدعو إليه ويسميه العلم ليس هو العلم ، فالعلم هو ما يجرى في المعامل ، أما الفلسفة فهي محاولات الخداع بقرص الفلسفة المادية في ميادين العلوم الانسانية والأخلاق والاجتماع والنفس .

واصراره على [تقديس العقل] يوجد له نفوراً شديداً في بيئة الاسلام ، ذلك لأن الاسلام لا يقدر العقل ولكنه يؤمن بأن العقل مناط التكليف ولكن له حدوده وهو يتدى بالشرع ولا يستطيع أن يفرد بتوجيهه لأنه إذا وكل إليه الأمر خطأ وانحرف ، لأنه في الحقيقة إن بيئته التي شكلته وليس له قدرة إستقلالية في الحكم على الأمور ، وهو مدخل كبير للهرى والريف والانحراف .

إن زكى نجيب محمود يخطئ حين يدعو المسلمين إلى أخذ التكنولوجيا والعلوم الحديثة مفروضة مع فكرها ، والمسلمون لا يأخذون أدوات الحضارة ولهم أسلوب عيش خاص بهم وكذلك فعل الغربيون حين أخذوا أدوات الحضارة من مسلي الأندلس .

كذلك يخطئ حين يظن أن المسلمين أخذوا ثقافة اليونان وبنوا عليها أفكارهم (وقول : أن الثقافة الاسلامية أخذت بغير حساب كل ما عرفته الدنيا من ثقافات وأجرتها في شرايينها) قول باطل فهي حين أخذت غرابت ونقدت وكشفت وجه الخطأ وكل ما أخذته إنما أخذته كمادة خام لها حرية تشكيلها في إطار مفهومها الاسلامي الذي يختلف عن أركان اليونان الذي يقوم على العبودية والرق بينما يقوم مفهوم الاسلام على التوحيد والعدل والاخاء البشرى .

وكما يخطئ مفاهيمه للعقل يخطئ مفاهيمه للتقلم (الذي هو عند المسلمين جامع بين المعنوى والمادى ولا يضحى بالمعنوى من أجل المادى) ومفهومه للاصالة

والمعاصرة ناقص من حيث يقول : لا بد من مصدرين هما التراث وحصاد الفكر الأوربي وتلك معادلة فوق أنها ساذجة لم يعدي قبلها الآن أحد في باطله ، فها هو التراث (هل هو تراث الباطنية والمعتزلة والشعوبية الذي أغرم به زكي نجيب محمود فعاش مثلاً فترة يدرس مسيله الكذاب كما قال في الجزائر وهل تكفى عبارة (حصاد الفكر الأوربي) لقبوله بكل ما فيه من سموم وفساد وإلحلال ، إنه لا يتحدث عن أى تحفظ عندما يتحدث عن حضارة العصر فهو يقبلها كاملاً ، ونقول للدكتور زكي أن هذه المعادلة لم تعد مطروحة اليوم ، وكان يقول بها البسطاء من المفكرين المسلمين قبل خمسين سنة عندما لم يكونوا قد اكتشفوا المؤامرة التي تبث عن العبارات الساذجة ، كذلك لم يعد هناك هذا التقسيم الذي يتحدث عنه جماعة يسدون الأبواب في وجه الثقافة الأوربية وجماعة يدعون إلى امتصاص الثقافة الأوربية ، بل أن هناك إجماع على شيء واحد : هو عرض التراث والوافد جميعاً على قاعدة : [بناء الأساس الإسلامية] القائمة على الإسلام منهم حياة ونظام مجتمع وماذا يعتمد زكي نجيب محمود حين يقول (الرأى تأخذه من غيرنا ، فمنع أنباع لأصحاب آراء مستقلة) من هم غيرنا ، هل هو القرآن والسنة ، أم هم العرب الذين نزل عليهم ، الحقيقة أننا نؤمن بمنهج رباني له أسسه وقوانينه وحدوده وضوابطه ولا يكون هالك حين أخذ من الإسلام الرأى أى إنتقاص لوجودنا وكياننا لأننا لا نؤمن بأن لا كيان لنا بدونه وهى عبارة يلو كها التغريبيون أينخدعون بها بعض البسطاء الذين يتحمسون للتبعية ، أى تبعية : هل التبعية للإسلام خير أم للغرب الملحد المادى الوثنى الذى يستخدم هذه الأقلام وتلك الصحف المفتوحة أمام ثرثرتهم التى أصبحت غثاً ورائية - ومن أخطائه : قوله أن المسلمين استخدموا منطق أرسطو في فهم الإسلام وهذا الخطأ جرى تصحيحه منذ وقت بعيد ، وقد أعلن علماء المسلمين أن للقرآن منطقاً (وليقرأ إن شاء ابن تيمية في منطق القرآن لا منطق أرسطو) وهو بغض من شأن إبداع المسلمين وأصالتهم في تقديم منهج التجريب ومنهج المعرفة ذى الجناحين من أجل أن يربط ولاد كاذبا مع المدرسة اليونانية بولاد متجدد يراد به مع المدرسة الغربية .

وأخطر تمويهاته هي أنه يتكلم عن العلم وهو يقصد الفلسفة كما فعل طه حسين من قبل ، إن كل ما يتكلم عنه زكي نجيب محمود لا يدخل في باب العلم ، إن العلم لم ينحرف عن الإيمان بالله ولا يثالبنا بالتبعية ودعوته (الوضعية المنطقية) تدور في حلقها الموصدة عليه حياته كلها وقد تجاوزتها الفلسفات والأحداث في الغرب ولكنه مازال مصرّاً عليها وهي عنده (إنكار الغيب) على نحو ما كتب في (خرافه المبتاين) ويقوم على الواقع التجريبي المحسوس وإنكار ما سواه ، والإيمان بالجبر الذاتي والاحتكام الصارم إلى العقل (صنيع اظن ومات هو النفس) .

والوضعية المنطقية منهج مؤداه أن يستخدم العقل وحده وهو مذهب يريد أن يفسر الكون ويفسر الإنسان مع إنكار ما وراء الطبيعة ، وإذا شاء أن يتحدث عن الله تبارك وتعالى كان عباراته هي عبارات أصحاب وحدة الوجود والمولود .

وهو يتناقض مع نفسه في رأيه في التراث فيقول : أن العودة إلى الشريعة الإسلامية رجعية ، فالهابين الذين لا يؤمنون بالغيب مجددون ، والمؤمنين الذين يصلون الماضي بالحاضر رجعيين ، فالعودة إلى المنابع رجعية والتقدمية هي الانسلاخ من القيم الخلقية وهذه مفاهيم معكوسة .

وفي جملة الأمر نجد العناصر التالية في فكر زكي نجيب محمود :

أولاً : التجهية للفكر الغربي ومحاولة لإحتواء المسلمين في إطاره لقبول فكر الغرب لا المدنية والصناعة .

ثانياً : إحياء التراث الذي كتبته الباطنية والشعوبية .

ثالثاً : إعتقاد (الوضعية المنطقية) التي هي فلسفة الرأسمالية التي تبرر سيطرتهم على الشعوب

رابعاً : تقديس العقل مما يعارض مفهوم الإسلام الجامع بين العقل والقلب والروح والمادة .

إن قضية سلطان العقل قضية مضللة وقد رفضها الإسلام من المعتزلة قديماً .

خامساً : الجمع بين التراث والمعاصرة ، تراث ينتقي ، وفكر غربي يؤخذ كله .

سادساً : السخرية من الشريعة الإسلامية واعتبار عقوبة قطع اليد أمراً وحشياً
يهدد كرامة الأدميين مع عدم فهم الحقيقة من وراء ذلك وهى : الحيلولة دون
وقوع جريمة السرقة .

سابعاً : مهاجمة حجاب المرأة المسلمة .

ثامناً : الإصرار على فكرة إنكار الغيب (خرافة الميتافيزيقا) .

تاسعاً : تعاقبه بأهـدأب طه حسين وعلى عبد الرازق وعمود عزمى وجميع
الملاحدة وإعتبار نفسه إمتداداً لهم .

عاشراً : مفهومه الدينى هو مفهوم وحدة الوجود الذى يؤمن به ميخائيل نعيمة ،
والذى يختلف عن مفهوم الإسلام الحق .

لم يكن الدكتور زكي نجيب محمود معروفا في الأوساط الفكرية إلا بأنه استاذ فلسفه في الجامعة، يعتنق مذهب [الوضعية المنطقية] وهى النظرية المادية التى حمل لوائها في الفكر الغربى اوجست كورنت وكان معروفا أن كل واحد من أساندة الفلسفة يعتنق مذهباً ما ، فكان عبد الرحمن بدوى يعتنق مذهب الوجودية ، وفؤاد زكريا يعتنق مذهب المادة التاريخية وهكذا ولكننا لم نلتك بعد وفاة الدكتور طه حسين إلا قليلا حتى طلع علينا الدكتور زكى بقوله جديدة : أنه كان غافلا عن التراث (ويسميه العربى وليس الإسلامى) ولكنه تبه إليه أخيراً فدهش لأنه قضى العمر الطويل دون أن يعرف عنه شيئا فلما أخذ فى مطالعته دهش له . ومن ثم بدأت صلتى بالفكر الإسلامى وهناك أطلق نظريته الانتقائية التى يرى فيها أن دعاة الباطنية والحلول والاتحاد وغيرهم هم أصحاب الفكر الحر وكان من رأيه أن علينا أن نأخذ من التراث ما نراه مناسباً لعصرنا ونمزع ما لا نراه مناسباً ، وكان كل مفاهيمه يصدر عن النظرية المادية الغربية التى نشأ عليها وتربى فى أحضانها واتى أصدر من خلالها كتابه « خرافة الميتافيزيقا » أى خرافة الغيب وهو كتاب لم يرجع عنه ولم يعلن فيما بعد أنه قد غير رأيه فيه .

ولم تكن نظريته متقبلة فى دوائر الفكر الإسلامى لأنه لم يكن يؤمن أساساً بأن الإسلام منهج حياة أو نظام مجتمع وكان موقفه من الألوهية والنبوة والوحى فامض ولم يكن مفهوم أهل السنة والجماعة .

وكانت بعض الجهات قد أعلنت أن الدكتور زكى نجيب محمود قد اختار لقيادة الدكتور طه حسين فى قيادة حركة التغيير والتجديد ، ولكننى كنت على الدكتور أن يحمل كتاباته مثله فى نظر القراء وعند ذلك أعلن بعض المثقفين أن الدكتور قد أخذ يتكلم عن الدين وعن عقائد الإسلام وعن بعض المواقف التى يجب على المثقفين أن يتخذوا منها موقفاً ، الذى يساهم فى النهوض بالدين والخلق بالإنسان .

مسلما وهي نفس الحجة التي أختارها التغريب للدكتور طه حسين بعد موافقه
الواضح عند اقرآن والاسلام حين أعلن عن كتابته (على هامش السيرة) .

ولكن الدكتور زكي نجيب محمود يختلف اختلافاً واضحاً عن الدكتور طه
فهو لا يملك ذلك الأسلوب الموسيقي الرنان الذي يجذب القراء ، لأنه ليس أدبياً
وليست له حصيلة من القرآن والسنة أو قراءات التراث تؤهله ليكون في مصاف
الدعاة القادرين على اجتذاب الناس بأسلوبهم البليغ ، فضلاً عن ذلك فإن
الدكتور زكي نجيب محمود يحمل طابعا من الوحدة العنيفة ، والعدا ، لا يليق
بالدعاة إلى شيء ما ، فإن طبيعته الدعاة حتى إلى الغزو الفكري والتغريب أن تكون
لهم مرونة في الحديث وخفة في الحظو ، وإن لا يصدمو مشاعر الأمة ، وخاصة
عند ما يجابه الواحد منهم بالرد الكاسح الغاضب لمخالفة الاعراف الاسلامية
أو تجاوزه لما يراه الناس حقا ، وقد ظل الدكتور زكي نجيب تنخبط ، وقد فتحت
له أكبر الصحف صدرها ، ومنعت نشر أى رأى مخالف أو معارض أو مناقش له ،
وهذا ما لم يكن من طبيعة هذه الصحيفة في تاريخها كله ، لقد أفردت له أكبر
الصحف الصفحات واسعة ، يصول فيها ويحول ، بأسلوب جاف فلسفي ، وحوار مغرب
تضييق به الصدور ، وينصرف عنه الناس بعد سطور قليلة ، فكيف يمكن أن
يكون الدكتور زكي نجيب محمود عميدا للتغريب أو خليفه للدكتور طه حسين ،
ثم هو حين اصطدم به الناس في (قضية الحجاب) كشف عن قصوره التام عن
آداء دوره المرسوم ، وأنكشف عجزه عن مسايرة الناس أو اقتناعهم وسرعان
ما تعرى ذلك (القناع) الذي يلبسه فأذا هو كاتب عنيف جاف لا يصبر على القول
المرفوض والدنيا كلها من حوله تشيخ عنه ، وما هكذا عمدا الدعاة ، ولأننا
لنؤكد أن الدكتور زكي نجيب محمرد قد سقط في الامتحان وأنه عجز عن أن يحمل لواء
زعامة التغريب وعمادة الغزو الثقافي خلفا للراحل طه حسين وأنه إذا كان يظن
من نفسه أنه زعيم فكر فما هو كذلك ، وما كان ذلك يوما ، وما هكذا تساق
الأبل يأسعد ، وكيف برجل بهاجم تيارا قويا كاسحا ، سلبا صادقا ، مرتبطا
بالقطر ، متصلا بالايان ، كيف يمكن أن يصور هذا التيار على أنه تخلف وهل

بلغت المغالطة إلى هذا الحد، وهل يمكن أن ينتصر دعاة التغريب في معركة حاسمة كهذه في مواجهة قيم الأمة ودينها وأخلاقها، ما هكذا يمكن أن تقاد حركة التغريب وما هكذا يمكن كسب الانصار بأغاية الناس وإبراز مكتسوبات النفس الحقيه الممتلئة كراهيه للإسلام، والحقيد على أهله، والرغبة في تدمير قيمه، وما كان صاحبكم كذلك بل كان يستطيع أن يخفى أحقادهم، حين يتحدث وكأنه من المؤمنين أم أن حركة التغريب قد غيت من أساليبها فانتقلت من إقناع الناس إلى إغاثتهم، ومن كسبهم، إلى سبهم، نحن نعلم أن حركة اليقظة الاسلاميه الآن تسير في طريق مختلف وأن أساليب التأمر على عقيدة الأمة لم تعد تخدع أحداً، ويحيل إلى أن دعاة التغريب يلقون بآخر سباهم في رأس غريب وفي أحساس بالفشل ولكن أما كان يمكن أن يكونوا أكثر تجملاً، هل كل حال، لقد كشفوا أنفسهم وخلعوا الثوب الخادع الذي كانوا يتعربلون به حتى يظن الناس أنهم من المصلحين ومن الناصحين المخلصين لهذه الأمة وبأن تمامها وبما لا يدع مجالاً للشك أنهم ظالمون لأنفسهم عاشون لأمتهم وأنهم يسرون ضد تيار التاريخ واليقظة والصحوه، وتلك نهايتهم مهما أفسحت لهم الصحف صفحاتها ومهما كان لاسماءهم شهره ولعمان خادع لم يعد يخدع أحداً .



الفصل العاشر

توفيق الحكيم

[تبعية للفكر الوثني والمادى من الشباب إلى الشيخوخة]

منذ أن بدأ توفيق الحكيم كتاباته الأولى كان واضحاً أنه مغرب وأن أماتته للفكر الغربي أكبر من أماتته للفكر الإسلامي العربي وعندما كتب أكبر أعماله : أهل الكهف وساجان الحكيم : اعتمد على التوراه مصدراً للقصة وبذلك جار على مفهوم الإسلام الذي قدمه القرآن الكريم وهو في مختلف القضايا الكبرى المنارة يأخذ جانب الغرب [رأيه في العرب، الفن للفن، لا يوجد اليوم شرق، القبة] وهو الذي عاش في كنف النفوذ الاستبدادي مؤيداً ومسانداً حتى إذا تغير الوضع أعلن موقفاً جديداً ثم هو الموالي لكل تيار : الاشتراكية ، الوجودية ، اللامعقول ، الفرعونية ، اليونانية ، وفي القصة انتقل من الواقعية إلى الرمزية ، إلى اللامعقول وفي آخر حديث له قال : إن كل أعمالى التى تعبت العسر فيها لا قيمة لها ، ضيعت حياتى فى كتب كان يخيّل لى أن لها قيمة ، ربما كانت لها قيمة فى الثلاثينيات والأربعينيات ولكن بعد الخمسينات لا أظن .

ولم يكن توفيق الحكيم إلا ناقل فكر غربي من مختلف مدارس المسرح والقصة وكان للمسرح والقصة اليونانية والغربية بهراً في مطالع المرحلة ولكن ثقافة الأمة وذوقها قد تحول ، وبدأت أشياء جديدة تأسر العواطف والمشاعر .

أما موقفه من العرب ، هذا الموقف البكاره الذى يقوم على إنتقاص الأمة التى أخبرت لحل رسالة الإسلام ، بعد أن تهاوت أمانة الرسالة لدى أهم أخرى ، فهو موقف مبنى من الأمم الخائفة التى لها ولاء خلف الإغريق والوثنيات ، يقول توفيق الحكيم : فى مسرحية (شهر زاد) صدى الأفكار الكثيرة التى دوت فى ذهنى أثر إتصالى بالفلسفة الأوربية . كانت الفلسفة الأوربية فى ذلك الوقت تقوم على أن الإنسان هو رب هذا الكون وإن الله (جل وعلا عما يقولون عوا كبيراً) قد مات كما قال نيتشه وأن المتحكم فى مصائر البشرية هو الإنسان وحده بهرته

المطلقة ، ولذلك كانت موجه الاتحاد وإنكار الدين تغمر المحيط الثقافي الأوروبي عندما ذهبت إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد صدم هذه العقليّة الشرقية المتدينّة التي أحلها فوجدت كل هذه الأفكار المتضادة متفصلاً لها في مسرحية شهر زاد .

وتوفيق الحكيم الذي يعترف بأوليائه ومصادره على هذا النحو هل استطاع أن يتحرر منها بأن يعود إلى أصوله أم أنه مضى متطابقاً في هذا الطريق الذي شقه ومن قبله العلمانيون التغريبيون أمثال طه حسين ، ومحمود عزمي ، ..

الواقع إن توفيق الحكيم لم يغير طريقه وإنما مضى فيه إلى أبعد الحدود حين وصل إلى الحوار مع الله في السنوات الأخيرة والسخرية من ملائكة الله ومن ملك الموت على وجه الخصوص في عديد من كتاباته وأحاديثه .

أما وقائع حياته فهي تكشف عن تبعية واضحة للفكر الغربي فهو من أوائل الدعاة إلى التقبّع الأوروبي وإتخاذ الحضارة الغربية منطلقاً للعرب والمسلمين وهو الداعي إلى الإقليمية المصرية ذات الطابع القرعوني الكاره للعرب والمسلمين وهو صاحت التبعية للنسق الغربي في الأدب والولاء للصهيونية العالمية والتبعية ، وقد تساقطت دعاواه ومذاهبه ومنطلقاته على مدى الأيام حتى أعلن ذلك صراحة في السنوات الأخيرة ، ولكن المرحلة الجديدة من أحوال مصر والبلاد العربية وجدت فيه الأمل مرة أخرى إلى التشكيك وإثارة البلبلة واقتحام مجالات لا يحسنها ، وعرفت عنه تقاليده المتواليمة ، فبعد أن نعم بالعصر الناصري ، عاد فأعلن هجومه عليه ، ثم فعل كذلك مع السادات .

وقد وصف توفيق الحكيم في هذا المجال بالانتهازية ، وقيل له دل نسيت ماقلته مدحا في عبد الناصر وعده فلما ولي حاجته هجومًا مريرًا في كتابه (عودة الوعي) وخلص إلى نتيجة مؤاذا أن هذا العهد قد جر الخراب على مصر وعم الأروهاب ولمعتذر لنفسه بأن كان فاقده الوعي لا يدري ما كان يحدث ويهجر .

يقول أحد المعلقين : ولعل التربية غير السوية إنعكست على أفكاره وتصرفاته وأسلوب حياته فقد فشل في تربية ولده الوحيد كما أنه فشل في أن يكون نموذجا للأب الصالح الذي يتر به الولد ، هذا إلى جانب فشله كأب في أن يتشبع به مع أن الأبناء من متع الحياة الدنيا ، وزينتها ، لقد مات ولده مخوراً ، قتلته الخمر تحت سمع بصر والده المفكر الذي تطاول إلى الحديث مع الله ، وقد جاء في ذلك في اعترافاته التي رواها محررة مجلة صباح الخير .

ويعدون توفيق الحكيم الأب الروحي لمدرسة الأهرام التي أنشأها هيكل : (حسين فوزي ، وزكي نجيب محمود ، رنجيب محفوظ ، وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس ، وعبد الرحمن الشراوى) وهي مدرسة موالية للتغريب والمادية والفكر الإباحي المنحرف ، كل على حسب وجهته والتي تمثل ظاهرة العلمانية التي تروج لها وتجعل من صحيفة الأهرام ميدانها والتي تحتوى فيها بنفوذ خطير ، يجعل من شأن هؤلاء الكتاب طرح تصوراتهم دون أن تسمح بمناقشتهم أو الرد عليهم .

ولقد كانت أكبر خطايه ذلك الحوار الذى أجراه وأدخل فيه كلاماً على لسان الله تبارك وتعالى مجترأ على هذا الجانب ، فأنحأ الطريق إلى وجهه خطيرة لم يسبق أن جرؤ كاتب مهما بلغت درجته في التغريب إلى الوصول إليها وعندها ذهب له العلماء يناقشونه قال في صلف غريب : إنه مازال مصرأ على ما كل غير مقتنع بأنه أخطأ وقال بالنص : إنى لم أرتكب خطأ لأن كلامى مع الله كان صريحاً وليكن الأسلوب ما يكون ولكنى لن أغير كلمة واحدة منه وقد جاء في مقالاته تجاوزات خطيرة :

أولاً : الاجترأ على مقام الله تعالى حيث لا يجوز لمسلم أن يتخيل حديث مع الله فهذا إجترأ على مقامه .

ثانياً : التشكيك في عصمة النبي ﷺ .

ثالثاً : قوله إن الأديان نسائية ودعوته إلى التسوية بين الأديان السماوية .

رابعاً : الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة .

خامساً : إدعائه أن العلماء التجريبيون غير المسلمين يدخلون الجنة .

سادساً : مهاجمته للغة العربية ودعواه أنه لا تنفع بها وأن عصرها قد انتهى .

كشف توفيق الحكيم عن نفسه في كتاب (زهرة العمر) فقال :

لأنى أعيش فى الظاهر كما يعيش الناس فى هذه البلاد ، أما فى الباطن فما زالت

لى آلهى وعقائدى ومثلى العليا ، كل آلامى مرجعها هذا التناقض فى حياتى الظاهرة

وحياتى الباطنة (١٩٤٣) .

والحقيقة أن مراجعات الحوار مع توفيق الحكيم التى أجراها العلماء عام ١٩٨٣ ،

وبعد أربعين سنة تحتاج إلى هذا النص حتى يمكن تفسيرها وتوضيحها .

وإذا كان توفيق الحكيم مزججه أن يواجه بأخطائه بما لم يحدث لطفه حسين وغيره فإن عليه أن يعلم أن هذا ليس نفوذ علماء الإسلام بل هو طبيعة الصحوة الإسلامية فقد مضى العهد الذى كان التجريبيون يخوضون فى الأمور ما ليس من حقهم ثم لا يجدون من يواجههم ويكسر منطلقهم الباطل ، وقولته (إن علماء الدين يريدون أن يكونوا لهم وحدهم حق تشكيل عقلية الأمة على أساس العلم الدينى الذى درسه فى الكتب المعتمدة وطبقا للتصوص التى قرأوها وأقروها وحدهم دون أن يقبلوا تطوراً فى أصولها أو أى شئ من المعارف التى تصل إلى تفكيرهم بالحياة على النحو الذى يعيش عليه الجزويت) .

إن هذا النص يوحى بأن توفيق الحكيم لم يستطيع خلال أكثر من أربعين سنة أن ينظر إلى اليقظة الإسلامية وما زال غارقاً فى بحيرة الجزويت ومفاهيم المسيحية الغربية ، ونحن نقول له : أن المواجهة التى يلقاها ليست مواجهة علماء الدين ولكنها هى تصحيح لمفهوم الإسلام الاصيل الذى هو وحده الذى يشكل عقلية الأمة وليس هو العلم الدينى بمفهوم اللاهوت الغربى ولكن بمفهوم العلم الإسلامى الجامع المتكامل الذى يمثل حقيقة المنهج الصحيح للفكر والثقافة والذى

يوجه كل فكر وثقافة مغربي مادي علماني يحاول أن يدخل ساحة الفكر الإسلامي متسللاً على النحو الذي يقوم به توفيق الحكيم والتطور في الوسائل وليس منهج الإسلام الذي يجمع بين الثوابت والمتغيرات والقابل للتغيرات والتحويلات وليس مفهوم التطور الذي يطبقه توفيق الحكيم على الأيدلوجيات والأديان البشرية .

من أخطائه في هذه الأحاديث : أنه ليس من حق أى إنسان أن يقول أنه يفهم الدين كما يشاء ، فقد تفهم الفلسفات والأيدلوجيات ، أما الدين السماوى الإلهى فيجب أن يفهم كما فهمه محمد ﷺ ومن خيانة الأمانة أن يفسر أحد مها بلغ من الثقافة المصرية أن يفسر الدين بعقله وأن أمور الدنيا يمكن أن تفكر فيها بالعقل ولكن الدين تفكر منه بعقاية عصر النبوة ، وأن القول بأن كل واحد ما دام قد تعلم وتزور وقرأ كتباً وصحفاً فله أن يفهم الدين كما يشاء ، هذا قول مردود ، والدين لا يكون ديناً إلا من مدرسة النبوة ، من التسع .

أما مسألة التحيل في الحوار فإن ذلك مخالف للقرآن والسنة والشريعة وكذلك خطؤه في القول بنسبية الأديان وخاصة الدين الإسلامى وبقوله أنه لا يشترط لدخول الجنة شهادة (إن لا إله إلا الله : محمد رسول الله) أما دعوى الاجتهاد فإنه لا اجتهاد مع النص ، بمعنى أنه إذا وجد الحكم فيها وإلا فإنه لا يصح إلا للعلماء المتخصصين في الدين أن يجتهدوا ، وهو ما لا يصح له .

أما دعواه بأنه اعتمد على القرطبي، فإن الكتب فيها مسائل خلافية كذلك لا يؤخذ المعنى من هذه الكتب مبتوراً أو يؤخذ من غير سياقه أو يقرأ على غير وجهه فإنه يأخذ ما يأخذ ويدع ما يدع وإذا كان لكل إنسان أن يفكر كما يشاء فإن ما يقدم للناس يجب أن يكون بعيداً عن ما يثير الشكوك والشبهات .

وعندما دعى إلى أن يعتذر إلى الله وأن يخرج من مقام التذية لله أصر على ما كتب وقال أنه يعبر عن شعوره الداخلى ، إذا كان ما قال يعزى إلى تصوفه

فإن التصوف لا يمكن أن يكون خروجاً على الإسلام، أما حكمه على العلماء غير المسلمين بأنهم يدخلون الجنة لحكم باطل لأنهم ما لم يقولوا لا إله إلا الله فلا يدخلوها .

وقد كشف العلماء له أنه استخدم عبارات غامضة ومجازات بعيدة من شأنها أن تشكك الناس في أمر دينهم ، وأن المناجاة لا بأس بها ولكن التأليف والتخيل على لسان الله تبارك وتعالى فإنه يدخل في تحت باب قوله تعالى :
(اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) لأن التأليف والتخيل غير حق .

وقال الشيخ الشعراوي : أنه نزع صفة كلام الله الأزلية ، وأعطاهما صفة البشرية الزائلة التي تنقض غداً أو بعد غد ، وليكنه قيد مراد الله تبارك وتعالى في إرادته هو فما يريد عقل توفيق الحكيم بقوله الله سبحانه وتعالى في مقالاته ، ذلك لأنك عندما تنقل كلاماً على لسان الله تبارك وتعالى فكأنك قيدت إرادة الخلق بإرادتك لم أنت أيها المخلوق .

أما عن دفاع الأدباء عن توفيق الحكيم فهو عن غير حجة تلزم من قراءتها ولكن عن عاطفة ، وعلى الذي تخافون على توفيق الحكيم الحى الآن أن يغاروا على توفيق الحكيم حين يلقى الله فيجنّبوه أهوال هذا اليوم بالنصيحة وبالحكمة بدلاً من أن يزينوا له طريق لا يرضى الله سبحانه وتعالى .

وقال الشيخ الشعراوي : أما إدعائه بأن اللغة لا ينتفع بها وأن عصرها قد انتهى كيف يمكن أن ينقل العالم نتائج ما يحدث في معمله إلا باستخدام اللغة وكيف أن يمكن أن يقرأ أى إنسان ويستوعب ما فات إلا باستخدام اللغة وكيف يمكن تروث البشرية كلها حضارة عن حضارة ، حضارة عن حضارة ، إلا باستخدام اللغة .

إن اللغة التي يستخرج منها توفيق الحكيم هي الأساس لكل شيء وهى آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، لتأخذ البشرية حضارتها جيلاً بعد جيل وترتقى وتتقدم

ومن المستحيل على البشرية كلها أن يرث جيل الجيل الذي قبله في 'عالم إلا باللغة'.
أما نسبية الأديان ويقول الشيخ الشعراوي : لا يمكن لأى إنسان أن يدعى أن الدين الخالص لله له حكم مع واحد وحكم مع آخر فالأحكام على كل خلق الله بلا تفرقة ، فالأديان كلها من الله وكيف تكون الأديان من الله سبحانه وتعالى ثم تنطبق عليها النسبية وهى شئ متغير ، هل النسبة بالنسبة للمصدر أم أن الله سبحانه وتعالى هو وحده مصدر كل هذا ، لا أعتقد أن هناك ديناً ند جاء من السماء يقول لا إله إلا الله وديناً آخر يقول غير ذلك فالدعوة إلى عبادة الله تبارك وتعالى لم تتغير من بدأ البشرية وإلى نهايتها فلا يوجد حكيان يتناقضان بالنسبة للشئ الواحد حتى يمكن أن نقول أنها نسبية ونسبية الأديان اتى يقول بها توفيق الحكيم مناما إن الله متغير والله سبحانه وتعالى ثابت لا يتغير والعقيدة لم تتغير منذ آدم حتى الآن ولا يوجد أى تناقض أو تقابل والعقيدة فى كل الأديان سواء وكل نبى جاء بدين يؤكد مآقبله ولا يلغى مآقبله بل يضيف إليه ويصحح ما حرفته البشرية أرضاء لاهوائهم .

* * *

ومن يطالع المحاورات التى دارت بين توفيق الحكيم وعلما الإسلام يحس بأنه مراوغ كبير ، وفيه خبث شديد ، وفيه سذاجة فى الفهم إلا من كلمات ملقته يرددها ، وهو بالطبع قد رحب بنشر هذه الأحاديث عملاً بنصيحة المبشرين، أن يردد كلمات مسمره فى وسط الأحاديث من شأنها أن تثير الشبهات فى نفوس الذين يقرأونها وكل الخيوط التى تجمعها هذه الأحاديث توحى بسخرية شديدة بالوقائع فضلاً عن استشهادها بالأحاديث التى لم تثبت ومحاولة القول بأن هذه الأحاديث نشرتها الأهرام من غير إذنه وقد تحدث كثيرون عن الربط بين نشر هذه الأحاديث وبين إسلام جارودى ، وحضوره فى مهرجان الأزهر والأمور فى نظر توفيق الحكيم محددة بالمدود المادية الصرفة ، وبالعصر الحالى وحده ، فهو ليس بقادر على أن يستشرف الآفاق التاريخية أو المقبلة بالرغم من دعواه بأنه

قصاص متخيل ، وتوحي أحاديثه بأنه يعيش مرحلة اليأس المنكفي . على النفس وقد ذهب كل ما قدمه ، كحصاد البشيم ، دون أن يبق منه شيء ، وأن الفكر الإسلامي في الصحوة القائمة قد بدد كل نظرياته التي قدمها عن الفن للفن وحرية الكاتب والقصاص في أنه يقول كل شيء دون تقدير لمفهوم الإسلام بتقديم الأخلاق على الجمال ، وبأن للفن في عالم الإسلام وجهة تختلف ، وكأنما يرى توفيق الحكيم إزاء الصحوة الإسلامية وهو يحش بالكسد والكرامية . ولا ريب أن قصوره على الفن في ثقافة يجعله عاجزا عن استيعاب النظرة الشاملة الكلية للمفاهيم الإسلامية ، ويجعل رأيه ساقطا في مجال التوجيه والتجربة لأنه عاش حياة المسرح وهو أب المسرح الحديث الفاسد على حد تعبير تلاميذه ، ولقد كان المسرح في الأفق الإسلامي لقيطا فاسداً أحضره اليهودي « يعقوب صنوع » وغذته الصهيونية والماركسية التي اعتبرته بديلا عن الكنيسة والمعبد ومن ذلك دعواه إلى معارضة ادخال الدين في المدارس كإداة أساسية بحجة أن المسؤولين عن التعليم لا يتحاورون في المقرر الديني إلا لأصعب الآيات لغة ومضمونا .

ولا ريب أن نظرة « الإيمان بالفن » تمثل التبعية الكبرى للفن الغربي الوثني الأغريقي الضال المتجدد في دوائر الالامقول وغيرها وقصوره على الفن يجعله محدود الفكر ويحمل رأيه في مجال المجتمع والعقائد والشباب جزئي غير مكمل .

أما وصف الصحف له بالعلاق والشموخ ، وعمق الفكر والزيادة فهذه كلها كلمات لا تساوي ثمن الخبر الذي كتبت به ، فهو مغرب ، غريب على الفكر الإسلامي ، متداخل نهما لا يحسنه ، عاجز عن الإصالة . وأو أن الصحيفة التي يكتب فيها فتحت الباب أمام الذين يراجعونه لا تكشف زيفه واسقطت تلك الهالات الساذبة التي يسميها عليه دعاة التغريب ..

ولا يزال توفيق الحكيم يكرر علينا أن أوروبا هي النقل وبلادنا هي النفس

(ففي مصر الروح والنفس وفي اليونان المادة والعقل) وهو في هذا لا يمدحنا بقدر ما يهجوننا فنحن في القسم الذي ليس فيه العقل ، وهذه غلظه كبرى أن نوضع في جانب من لا يملكون العقل والحقيقة أننا نملك العقل والرحى معا ، وبذلك تتكامل نظرتنا بينما تبقى نظرة الغرب ناقصة لأنها قائمة على المادة التي تتصل بالمحسوس في مفهوم العقلانية عندهم ، رجيب أن نطل توفيق الحكيم وهو في عقد الثمانين مهوراً بالعقل الأوربي مجدداً له ، عاجزاً عن استيعاب عظمة الفكر الإسلامي وأن أعظم ما يتميز به العقل الأوربي وهو القدرة على التحليل وربط الأسباب بالنتائج ، ومعرفة تتابع الأشياء : هذه الرؤية إسلامية الأساس والمصدر ، منقولة من عالم الإسلام إلى الغرب في الحقيقة .

ومن ذلك قوله [أن مصر لم تنجب بعد جيل الثلاثينات] يقصد نفسه وجماعة العلمانيين طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزى وهم الذين يوصفون بأنهم جيل التنوير اقتباساً من جيل التنوير الغربي الذي لم يكن إلا من التلمذيين أولياء المحافل الميسونية ، وهذا تصوير صحيح ولكن توفيق الحكيم لا يرى جيل البقعة الإسلامية النامي يتصدى للتخريب والغزو الثقافي والذي صحيح المفاهيم وأعاد الكرة إلى الأصالة والمتابع ، وهو الجيل الذي صنع ما يسمى اليوم (النهضة الإسلامية) .

وحين يهاجم توفيق الحكيم (العقلية العربية) فإنما يخفى في نفسه المصداق والخصومة للقرآن والإسلام لأنه شيئاً لم يكون العقيدة العربية غيرهما ، والقرآن هو الذي صاغ هذه العقيدة التي هي في الحقيقة عقلية إسلامية أساساً ، أما ما يحاول أن يوجهه إلى هذه العقيدة من اتهامات فهي ليست تتعلق بالمنهج الرباني وإنما تتعلق بالتطبيق البشري ، ولقد حاول توفيق الحكيم الغض من شأن الإسلام بالحديث عن بعض عيوب التطبيق الإسلامي وأثاره الشبهات حول بعض الخلفاء

والمجتمعات وهذا كله باطل لأن الإسلام المنهج هو وحده الأساس الصحيح أما الخطأ في التطبيق فهي مسؤولية الأجيال والمجتمعات .

ولقد شهد توفيق الحكيم على نفسه في حديثه عن مسرحية شهر زاد إنه عندما بدأ تأليف قصصه كان وافعا تحت تأثير الفكرة الغربية الملاحدة .

يقول « في مسرحية شهر زاد صدى الأفكار الكثيرة التي دوت في ذهني أثر إتصال بالفلسفة الأوروبية ، كانت الفلسفة الأوروبية في ذلك الوقت تقوم على أن الإنسان هو رب هذا الكون وأن الله (جل وعلا عما يقولون علوا كبيرا) قدمات كما يقول نيتشه وأن المتحكم في مصائر البشرية هو الإنسان وحده بحريته المطلقة ، ولذلك كانت موجة الإلحاد وإنكار الدين تغمر المحيط الثقافي الأوروبي عندما ذهبت إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد صدم هذا العقلية الشرقية المتدنية التي أحلها فوجدت كل هذه الأفكار المتضادة متنفسا لها في مسرحية شهر زاد ، فمسرحية شهر زاد ، هي رد فعل ما كانت عليه أوروبا في ذلك الوقت على قلق نفسي من إنكار الدين وإيمان بالعلم الذي يصل إلى الدرجة التي يحل فيها محل الدين ، .

ونحن نقول لتوفيق الحكيم : أما كان عليه أن يتطور مع الفكر الأوروبي نفسه ، الذي تحول كثيرا الآن ، وقد كان معه على نفس الخط كثيرون منهم جارودي وبركاى الذين تحولوا سريعا واكتشفوا عظمة الإسلام ، أما كان هو الآخر بذلك وهو المسلم العربى ، أم أن هناك ما حال دون ذلك ، ربما عناد نفسى ، وصل به أخيرا إلى الحديث عن « إسلام العجائز ، أم أن هناك إصرار على هذا الموقف الذى يحمل الخصومة والكراهية لا شرف دين . . لقد تبين لتوفيق الحكيم أخيرا أنه لم يكن أكثر من ناقل لكل رماد الفكر الغربى ، وركام الزيف فيه عن تلك الأعمال المسرحية التي وصفت بالخلود والتي عبر عنها هو تعبيرا صحيحا حين قال :

وإن كل أعمال التي تعبت العمر فيها لا قيمة لها فقد ضيعت حياتي فيما كان
يخيل لي أن له قيمة ، وقد أحس بإنصراف الناس عنها وغلبة الأصالة عليها ،
الأصالة التي كشفت زيف روائع الفكر الغربي التي طالما أشادوا بها فإذا هي ركام
ورماد ، وقد تبين إنما هي في حقيقةها أهواء النفوس الملية بالشهوات والجنس
والغرور في بحيرة راكدة آسنة غرق فيها توفيق الحكيم وما زال غارقا .

ولستطيع أن أقول أن توفيق الحكيم الممدود من القمم الفواخ قد سقط
سقوطا شنيعا في المجالات الآتية :

أولا : اعتماده على الأساطير في جميع قصصه واعتماده على الأحاديث الموضوعة
في أغلب كتاباته .

ثانيا : فكرته المشوشة عن الأديان وخاصة عن الإسلام .

ثالثا : تأثره بالفكر الوثني والفرعوني فقد اعتمد في قصة (أهل الكهف)
على نظرة فرعونية وكان فكرته المشوشة عن الإسلام أثرا جعله يخلط بين مصر
القديمة والأديان بصفه عامة ، فالمسلم يؤمن بأن هناك انقطاعا بفصل ما بينه وبين
التصورات الوثنية والوضعية ، كما أنه يؤمن بأن الإسلام هو دين تمتد من لدن
آدم حتى محمد عليه الصلاة والسلام يضع التصور المتكامل لعلاقة الانسان بربه
ونفسه والآخرين ويرسم له منهاج الحياة ويحدد معالم المستقبل في الآخرة .

وعن أهل الكهف يقول : إنه كان تحت تأثير مصر القديمة (لقد
قرأت كتاب المولى والتوراه والاماجيل الاربعة والقرآن) بينما لم اسم المسرحيه
(أهل الكهف) توحي بأن معالمتها ستكون من خلال منظور إسلامي ولكنها
جاءت مشوشة الفكر والمنهج .

أما (عودة الروح) فهي أيضا تحمل فكرة فرعونية قديمة (الكل في واحد) أي أن الوجودان الجمعي والشعبي يتمحي في زعيم واحد أو فرعون واحد. (طحن القاعود) رابعا : الترويع لنظرية الفكر الصوفي المتحرف (نظرية وحدة الوجود) وما في الحجة إلا الله ، كما حاول أن يسقط إسقاطات علانية والحادية روج لها الفكر الوافد منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري إنطلاقا من المفاهيم الكنسية التي لا تتطابق بحال مع فكرنا الاسلامي .

خامسا : ناقش الله تبارك وتعالى في أمر الأديان السأوية ونسى أو تناسى أن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل ، وعارض الله تبارك وتعالى في أمر العقل وأجزاء تداول الكتب السأوية بعد التعديل والتصحيح وهذا جهل بحقيقة الرسالات السأوية من جهة ومحاولة للدس على نقص كلام الله من جهة ثانية .

سادسا : رأى أن الايمان الحقيقي إنما هو عند العلماء الطبيعيين فلا عبرة عنده بالعقيدة ولا التوحيد ولا العمل ، وهذه قضايا خطيرة مؤداها الطعن في معظم التراث الاسلامي ، — أن لم يكن كله — القائم على أعمدة التوحيد والعمل فضلا عن الترويع للفكر العلواني القائم على الاعتراف بالحقائق العلية وحدها مجردة من كل اتصال بالأديان .

سابعا : أساء الأدب إساءة بالغة عن ما خرج على مقتضى العرف الايمان والادبي السائد بين المؤمنين وبين خالفهم .

ثامنا : قصر الايمان على المعرفة أو هو ألغى التلفظ بمنطوق الشهادة فهو عنده إيمان تمبدي لقطي لا معنى له ، وهذا ولا شك مذهب طائفة من الفلاسفة والمتكلمين المتحرفين ونسى أن الاقرار باللسان شرط عند أهل الحق .

تاسعا : خدول لنفسه أن يتكلم بإسم الله (قبل على إلهي ما تشاء على

مستوليتك ، هذا منتهى العبث والاستهتار مما يشعروا أن الرجل كان في حالة غير طبيعية أثناء كتابه هذه الشطحات إذ كيف يتجرأ أن يروى كلاما منسوباً على الله .

عاشرا : أنكر رؤية الله يوم القيامة وهي ثابتة وتجاوز حدود البشرية بوصفه كلاما مختزعا منسوباً إلى الذات العلية هذا فضلا عن إفتراءه وكذبه .

1. *Amphiprion melanopus* (Forsk.)

2. *Amphiprion melanopus* (Forsk.)

3. *Amphiprion melanopus* (Forsk.)

4. *Amphiprion melanopus* (Forsk.)

5. *Amphiprion melanopus* (Forsk.)

الفصل الحادى عشر

عبد الرحمن الشرقاوى

(١)

مخططات تكشف أهدافها ولم تعد تخدع أحداً

كانت الكتابات المضللة الماكرة في العقود الماضية تمر دون أن تستوقف النظر أو ربما استطاعت خداع مجموعات من القراء المسلمين الذين لم يصلوا إلى قدر كبير من معرفة أبعاد عقيدتهم ومسئولياتها الواسعة في مجالات الاجتماع والتاريخ والحضارة وتمر هنا عدت على عقول الناس وقلوبهم كتابات طه حسين عن هامش السيرة وعن الفتنة الكبرى بكل ما فيها من سموم ، وظن البعض أن هذا الذي يقرأون من صفحات الإسلام المكتوبة بأسلوب أدبي أوقعه صي ، وتوقف أمامها القليلون كاشفين عما وراء ذلك من أهداف وأهواء ورغبات في - تزيف - التفسير الإسلامي للتاريخ .

وقد تبين من بعد أن هناك مؤتمرات غريبة عديدة عقدت في الجامعات الغربية واتخذت عدة قرارات من أجل تزيف تاريخ الصحابة وركزت كثيراً على قضايا معينة ، مثل قضية الخلاف الذي نشأ في أواخر عهد سيدنا عثمان وقضية في الدولة الإسلامية ، وقضية الرنج والقراءة والإدعاء بأنها إنتفاضات إسلامية ، كل هذا درس بدقة في مؤتمرات بليتمور وجامعات بريستون وغيرها وقدمت الباحثين القادمين من بلاد الإسلام المادة جاهزة ليضعوها في أطروحاتهم من أجل لإفساد التاريخ الإسلامي وتزييفه وكان لجهات أخرى لها ولاء مع الفكر الماركسي من ناحية والفكر الباطني والنوصي والمجوسي القديم من أولئك الذين يكتبون عن فلسفات وحدة الوجود والحلول والاتحاد ويتكبرون بفضل الأنظمة التي يسكنون وعمر وسابقتها وأوليتها دور كبير في ظهور هذه الصيحات التي لا تكاد تستعلن حتى تجد مواجعة صادقة تكشف زيفها وتقف لها بالمرصاد .

ولعله من اللائق للنظر أن سبعة عشر مقالا نشرها الدكتور لويس عوض في صحيفة تصدر في فرنسا ووجهت بمائة وخمسين مقالا في الرد عليها وتزييفها

والكشف عن فساد وجهتها في مختلف مجالات العالم الإسلامي من المغرب إلى الهند في حدود ما طالعنا وربما تجاوزتها إلى مناطق أخرى .

جمال الدين الأفغاني المقترى عليه

ذلك أن السيد جمال الدين الأفغاني كان ولا يزال في نظر المؤمنين بنهضة المسلمين والصحوه الإسلامية اليوم رمزا بارزا من رموزها وقائدا من قادتها ولا يقبلون أن يضحون به إزاء تقارير أوردتها المخابرات البريطانية عنه تانتقصه وتحاول النيل منه ونحن نعرف أن جمال الدين الأفغاني كان له هدف ظلما أعلن عنه وكشف مضمونه وردده وهو قوله إن هدفه هو تنكيس علم بريطانيا في الشرق فكيف يمكن أن تكتسب عنه تقارير جواسيسها شيئا في صالحه ، وبالعكس من ذلك فإن كتابات المخابرات البريطانية العدو الشديد في ذلك الوقت - وفي كل وقت - للإسلام ونهضته هي نياشين لوامع ودرر سواطع على صدر جمال الدين الأفغاني والمجاهدين منه ومهما حاول خصوم الإسلام والعروبة وأصدقاء القرعونية والعداينة أن يقللوا من قدره فلن يستطيعوا، ولقد يعنى في تاريخه العظيم هنة أو نقص ما ولكن من الذى لا يعرف النقص عن البشر وكل بنى آدم خطأ ولكن في النظرة العامة وفي الهدف الأكبر فإن الرجل قد أفتتح أفاق العالم الإسلامى وهن المسلمين هزة كبرى جاءت إستمدادا من دعوة محمد بن عبد الوهاب وأصوات المسلمين إلى حركة اليقظة وإلى الصحوه الإسلامية التى يمر بها العالم الإسلامى اليوم في مطالع القرن الخامس عشر ولقد باء لويس عوض بالخرمان إزاء أكثر من خمسين كتابا من أعلام الفكر العربى والإسلامى كشفوا زيفه ورفعوا اقتناع عن هدفه المبيت :

ولكن لويس عوض إسم على جبينه فهو لا يزعم أحدا ولكن المزعج هو هؤلاء الذين يتحدثون عن الإسلام وهم من أمته بالوراثه والجغرافيا وقد رأيت كيف كبا توفيق الحكيم كبوته الكبرى حين ظن أنه يستطيع أن يحطم سندا مقدسا فى الفكر الإسلامى حين أراد أن يحمل من حقه إدارة حوار قصصى

مع الله تبارك وتعالى وهو يعلم أنه يحاول التخلص من ضوابط أساسية في الفكر الإسلامي تماماً كما كثير من لأنها تتصل بالعقيدة في أعلى ذراها ، وكتاب الدكتور عبد العظيم المطعني (الحكيم في حديثه مع الله ومدرسة المتمردين على التشريعة) هو القول الفصل في هذه القضية فليقرأه من يشاء .

إقتراءات ضد الاسلام :

ولكن الذي يلتفت النظر أن تتوالى الاحداث هكذا في مهاجمة الاسلام فيكتب لويس عوض في (المصور) عن مصر العلمانية وعن مصر القرعونية فيخوض أوحالا شديدة السواد والقتامة ولا يستطيع أن يصل إلى شيء ثم نجد تلك الصفحات التي وسعت بأسم (الامام علي) في جريدة الأهرام والتي كتبها عبد الرحمن الشرقاوى وكيف جدد خصوصته القديمة للإسلام تحت أسلوب براق من الانتباه للإسلام ، وغفل عن أن تاريخه لا يزال معروفاً ومذكوراً وأن كتابه (محمد رسول الحرية) وتقرير الامام أبو زهره ما يزال بين أيدي الناس ، والامانة التاريخية والمسئولية التاريخية فإن تقرير الامام أبو زهره أول من حصل عليه الأستاذ محمد نعيم ونشرته الاعتصام ١٩٧٥

فاذا تجاوز قليلا فرواية (الحسين شهيدا) قد دغمت أيضا من جماعة من العلماء من بينهم الدكتور الطايب النجار بالظلم الشديد للمجتمع الاسلامي ، على الذي إقترى به طه حسين ، على العصر الثاني للهجرة في كتابه (حديث الأربعاء) حين وصفه بأنه عصر شك ويجون وفيه جماعة التابعين والأعلام مثال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والحسن البصري ، وهو ما ذهب اليه عبد الرحمن الشرقاوى في رواية (الحسين شهيدا) الذي كشف عن أن كاتب الرواية كان حريصا على تصوير المجتمع الاسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ بنصف قرن فقط في صورة بشعة ، وكان هذا المجتمع قد تدالى وتهاوى وصار مجتمع عزبة ولجور ، ومجتمع شقاق ونفاق ، ومجتمع جبن وضعف ، ومجتمع خيانة ونكث العهد ، مع أن المجتمع كان لا يزال حاشا بعدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ وفيه عدد ضخم من

التابعين لهم بإحسان ، وقد وسم علماء الأزهر المسرحية بأنها تشبه بمجاعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم قدوة لنا ، وقد ترددت في المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعن والتعريض والتشنيع بالمجرمان كما صورت المسرحية العصر الاموى تصويرا يخفى الحقيقة في بعض النواحي فوصفته بأنه عهد الانقطاع والاطماع وجردت الامويين من كل خير وقدمت القصة شخصيات لم يعيشوا في مرحلتها التاريخية أمثال وحشى بن حرب الذى مات سنة ٢٥ هجرية في خلافة عثمان رضى الله عنه وهناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه ضحاي ومن كتاب الرسول ﷺ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلا من القرآن وزيف قاعدة الشوزى وأهدر أحكام السنة وتردد في المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجبارى حيث تناولت لأشخاص عبارات الاتهام باللمو والتمتع بالواوى على سبيل التعريض والتهكم كما تناثرت في المسرحية عبارات مأخوذة من جو غير إسلامى كقوله (ما جئت لألقى سلاحا ، لأملأ كل بيت بالحجة ، جئت لألقى موعظه الخ .

كتابات الشرقاوى:

فإذا أضفنا هذا التقرير إلى تقرير الشيخ أبو زهره حول كتاب (محمد رسول الحرية) أمكن أن تتكون لنا صورة ذات هدف واضح من كتابات عبد الرحمن الشرقاوى الذى قدم صلاح الدين الأيوبي في قصة (النسر الأحمر) في قالب غير كريم وخفاف لحقائق التاريخ فهو يجعل منها دعوة مباشرة وصريحة للاستسلام والصلح مع الغرب وطلب السلام الخادع الكاذب ، وما كان هكذا صلاح الدين يوما في حياته ولكنها محاولة لاستغلال التصور التاريخي لاهواء العصر ولقد عاش صلاح الدين حتى آخر يوم من حياته مجاهدا مؤثرا يرفع راية الجهاد في سبيل الله ، وهكذا تترابط أعمال عبد الرحمن الشرقاوى على طريق واحد وهدف واحد وهو يتابع مخططه على حسين حول بشرية الرسول ﷺ وكان كتابه (محمد رسول الحرية) حقا رابعة لكتاب (على هامش السيرة) كذلك فقد كان كتابه عن (على) هو الحلقة الثالثة من كتاب (الفتنه الكبرى) إنما نفس

الأفكار والدرية والغاية التي رسمها الاستشراق لاعادة كتابة للتاريخ الاسلامى بمفاهيمه الباطنية والوثنيه أعتيادا على مصدر غير مصادر أهل السنة والجماعة ، وللتسريع فى الاساطير والخيال القصصى والأعتياد على كتاب الأعانى ومتابعة خصوم الشيخين أبى بكر وعمر ، كل هذا لا يقدم عملا تاريخيا أو أدبيا له قيمة ذاتية .

أن درجة الوعى الاسلامى اليوم فى فهم تيارات التغريب فى تحريف التاريخ الاسلامى وتفريغها من طوابقه الحقيقية بوصفها مصدرا من مصادر اليقظة الاسلامية قد أصبحت عاليه ودليل ذلك ما كتب فى الرد على لويس عوض وما وصل الصحيف من ردود على توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى ، نعتقد أن هذه الأقلام لا تستطيع أن تكسب ثقة تارىء واحد من الذين عرفوا خلفيات هذه التيارات ، وليلعلم هؤلاء جميعا أن خطط التخريب والغزو الثقافى قد كشفت تماما مهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلدوا أوراقهم ، أما الصحيف فإن مسئوليتها التاريخية كبيرة وفى إخفاء كلمة الحق فى الرد على الباطل ، وما كانت هكذا تدار المساجلات الفكرية فى الماضى حيث يسمح لكل صاحب رأى أن يدلى برأيه حتى تبلور النتائج وينكشف الرأى الصحيح للجماهير التى تحترم صحفيا وتثق بها ، إما أن تعجب الآراء كلها وويتبنى الرأى الواحد المصير على وجهة نظره فهذا ما لا يتفق مع أدنى أصول الحوار الصحفى .

إنها محاولة لتعطيم الصخرة وللقتضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسوموم على الطريق الذى عبده المصلحون منذ ظهر الدين جمال الأفغان إلى اليوم ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الاسلامى الذى رسمه لهم القرآن الكريم .

(٢)

كتاب (محمد رسول الحرية)

« تقرير الشيخ أبو زهرة ،

أن المناقشة التي قام بها الشيخ أبو زهرة ركزت على السموم النافعة في الكتاب
قال :

لم يسلم الكتاب من الخطأ ، أو با بالآخرى كان له إتجاهه غير إسلامي من
البداية ، فهو ما درس محمدا - ﷺ - على أنه رسول يوحى إليه ، بل على أنه
رجل عظيم له آراء اجتماعية فسرهما الكتاب على هوى ما يريد ، مذهباً أنه مخصص
أهيب يصوغ التاريخ في قالب قصصى ففى

وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد ﷺ ، وهونون
من أمره فتزيل عنه ما يتوهمون ، وتبين أن له شأناً ومقاماً فى تفكيره ومنهجه .
ولذا لم تكن الكتابة صادقة من كل الوجوه ففى ذاتها تصوير حسن فى الجملة
لغير المسلمين ، وفى هذا الحال فقط ، لكن يفسدها طمس الحقائق الكبرى
أو تجاهلها .

مقام النبى الرسول ﷺ :

أما نشر هذه الكتابة بين المسلمين الذين يعرفون مقام النبى ﷺ ، وهند الله،
ومقام الرسالة الآلهية التى حملها النبى ﷺ ، والتى هى مصدر عليه ، فإنه لا فائدة
فيها من جهة ، وهى توهين للعقيدة الإسلامية من جهة ثانية ، ثم هى غير صادقة
من جهة ثالثة .

ولذا برر نشرها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادئ محمد ﷺ ،
فمنشرها بين المؤمنين باعث على الفتنة ومنفر للقلوب ومضعف للأيمان .

وأن أول ما يلح القارىء من الكتاب بعد استيعابه جملة وتفصيلا :
أن الكاتب يقطع النبي ﷺ عن الوحى ، فكل ما كان من النبي ﷺ :
من مبادئ وجهاد فى سبيل الله إنما هى عنده ، لا بوحي من الله تعالى ، وهى
فيه بمقتضى بشرته لا بمقتضى رسالته .

وأهل العنوان الذى اختاره للكتاب مع إردافه بعنوان آخر صغير أراد أن
يشير به إلى بشرية النبي ﷺ مبتوته عن الوحى ، وهذا العنوان : قوله تعالى
معلما نبيه ﷺ : « إنما أنا بشر مثلكم » فقد اختار هذه الجملة القرآنية ليعلم أن
ما وصل إليه النبي ﷺ من مبادئ جاهد لاجلها ، إنما هو صادر من بشرية
كاملة لا عن نبوة .

ولكى يتم له الاستشهاد ، إقتطع الجملة إقتطاعا عما قبلها وما بعدها ، فإن هذه
الجملة وردت فى نصين من نصوص القرآن الكريم أولهما : فى آخر سورة الكهف
وهو قول الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى إنما إلهكم إله واحد
فمن كان يردو لقاء ربه فيحمل عبلا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

وثانيهما : فى سورة فصلت وهو قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي
إلى إنما إلهكم إله واحد فاستقيهموا إليه واستغفروه وويل للشركين » .

ونرى النص الذى إختاره شعارا لكتابة مقطوعا عما قبله وما بعده ، فما قبله
هو قوله تعالى مخاطبا النبي ﷺ بقوله « قل » وهو يصرح بمخاطب الله تعالى للنبي
ﷺ ، وما بعده هو قوله تعالى « يوحي إلى » قد أبعد ولم يأت به لانه
لا يتفق مع غرضه الذى يهدف إليه لانه يريد نفي الوحى عن الحياة المحمدية .

ولأن القارىء ليسير قليلا فى الكتاب ، حتى يجد الكاتب ينفي الخطاب السماوى
للسول ﷺ ، فلا يذكر أن جبريل خاطب النبي ﷺ فى العيان ، فهو يقول
فى أول نزول الوحى بالقرآن ما نصه .

ولكن في تلك الليلة من رمضان ، أغفى قليلا ثم نام ، فرأى من يعرض عليه كتابا ويطلب منه أن يقرأ ، فقال ما أنا بقارىء ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ ، فسأله ماذا أقرأ فقال له : « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خالق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » : وعندما استيقظ من نومه يحفظ ما سمعه فى النوم ويستوضح حله فيما بينه وبين نفسه ، فإذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتا بعيدا يقول له : أنت رسول الله وأنا جبريل ٤ (من ٦٨ ، ٦٩) .

وأن تصوير الوحى فى هذا المقام أنه بالحلم فى النوم ، يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل عليه السلام ، كان يخاطب النبي ﷺ بالبيان لا فى المنام .

نعم قبل ذلك الخطاب بقوله - إقرأ - ونزول سورة القلم ، كان إرصاص الوحى يحىء إليه فيما يحىء فى رؤيا منامية حتى أنه كان يرى الرؤيا تحىء فى الصحو مثل فلق الصبح ، كما صرح البخارى ، ولكن لم تكن تعتبر خطابا من السماء ، حتى نزول الوحى ومخاطبة جبريل الأمين الذى تردد ذكره فى القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفئهم من الانبياء لتبليغ الرسالة الالهية لاهل الارض .

وأنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول ﷺ ، ويقطع الوحى عنه ، ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحيانا منسوبة إلى النبي ﷺ ، على أنها من تفكيره ، ومن قوله ، لا أنها قرآن موحى به وقائله ، هو الله سبحانه وتعالى ، وأن ذلك لميثوث فى الكتاب بكثرة ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة .

(١) إنذار عشرته الأقربين :

ذكر فى صفحة ٨٠ ما نصه (رأى محمد أن يجمع أسرته من بنى عبد المطلب وأن يدعوهم إلى الإيمان بما جاء به فليس أحب إليه من عشرته الأقربين) وتراء يذكر ذلك على أنه رأى إرثاه ويفضل الأمر القرآنى الثابت وهو قوله تعالى :

[وأندرك غيرك الأفرين، وأخفض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين]، فتراه في هذا الكلام الذي قاله ينسب كل ما يكون بوحى قدرأتى إلى أنه رأى رآه النبي ﷺ .

(٢) ثبت يدا أبى لهب :

وفي هذا المقام اعترض أبو لهب - عم النبي ﷺ ، فيذكر الكاتب في ذلك ما نصه فاسمع يا أبا لهب اسمع لذن ، سمعت الرعد ، تبأ لك أنت ، تبأ لك سائر يومك وسائر حياتك ، ثبت يدا أبى لهب وثب (ص ٨٣) فتراه في هذا ينسب إلى النبي ﷺ قوله تعالى : ثبت يدا أبى لهب وثب ما أغنى عنه ماله وما كسبه ، سيصلي ناراً ذات لهب ولإمرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد .

وهذا نرى أنه ينسب هذه السورة إلى النبي ﷺ ، لا إلى الله سبحانه وتعالى ومثل ذلك جاء في (ص ٨٧) من الكتاب ، ففيها ما نصه : تبأ لها (أبى لإمرأة أبى لهب) كما ثبت يدا أبى لهب وثبت يدا أبى لهب وثب ولإمرأته حمالة الحطب .

(٣) القتال في الشهر الحرام :

يذكر استنكار المنكرين لأمر النبي ﷺ بأنه قاتل في الأشهر الحرم فيقول في صفحة ١٨٣ (لأنها لكبيرة أن يقتل عبدا لله (أى ابن جحش) أحدا في الشهر الحرام ، ولكن الفتنة أكبر من القتل وصد الناس عن البيت العظيم وإخراج أهله منه أكبر) .

يذكر هذا الكلام منسوباً إلى النبي ﷺ على أنه من عنده ، مع أنه في القرآن الكريم وأنه تعالى يقول : ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمجدد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل .

(٤) أسرى بدر :

استشار النبي ﷺ بعد غزوة بدر أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر بقتلهم وأشار أبو بكر بالعفو، وتوسط النبي ﷺ فاختار أن يقتدوا من أهلهم، وقد بين الله سبحانه لنبيه الحكم في أخذه أسرى، والمعركة دائمة مستمرة، لانه لا أسرى إلا بعد أن يعجز العدو عن القتال، وقد نزل في ذلك قوله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض »، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب الله سبق لمسكم فيها أخذتم فيه عذاب عظيم .

هناك في القضية عمل من النبي ﷺ ولوم وتوجيه من الله، لكن الكاتب يقول إن النبي ﷺ بهد تأمل وتدبر قرر خطأ القداء، وهذا نص كلامه فقد أطلق كثيرا من الأسرى ولم يعد - أى لم يبق - غير القليل، فانقطع بفكر وخرج على أصحابه يقول : إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يسمعا لنصيحة عمر، فسا كان له أن يترك لقريش أسراها لتستعين بهم على حربه مرة أخرى . ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . (صفحة ٢٠٣/٢٠٤) .

وهذا يتبين أنه يرى أن هذا ليس وحيا، ولكنه من تأملات النبي ﷺ، وأن القرآن من عند محمد لا من عند الله .

(٥) إبطال التبني من النبي ﷺ :

ينسب إبطال التبني إلى النبي ﷺ، ولا ينسبه إلى الله، مع أن التبني حرم بأمر الله، فقد قال الله تعالى في سورة الاحزاب (وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، أذعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيا) .

ويقول سبحانه في نفس الصورة : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، لكن المؤلف يذكر قصة زيد بن حارثة مع زوجته زينب بنت جحش ، وشكواه منها ، وقول النبي ﷺ له أمسك عليك زوجك ، وبين أن الزوجين أصبحا لا يطيقان الاستمرار ، ويذكر اشاعة أن النبي ﷺ طلع في جمالها ، وما كان للنبي أن يتزوج زوجته متنبها لانه ابنه ، ثم يقول :

ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم خرج يقول أن المتنبى ليس كالابن تماماً فالولد شيء آخر ، وأنه إنما تزوج زينب لكي يدركوا هذا ، وكيفا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديانهم ، فلا حاجة له بجمال زينب ، ولديه عائشة وحفصة . (ص ٢١٦) .

فهو في هذا يدعى أن التحريم للنبي من محمد - صلى الله عليه وسلم - ويدعى أن محمداً تزوج زينب من تلقاء نفسه ، مع أنه فعل ذلك بأمر من الله تعالى في قوله من سورة الاحزاب « ولإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأوعدت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم لإذا قضوا منه وطراً وكان أمر الله مفعولاً » .

فتراه ينسب التحريم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وينسب الزواج لرأى إرثائه الرسول عليه الصلاة والسلام مع أنه ثابت بالقرآن ، ولكنه ينسب ما جاء بالقرآن دائماً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما لنحمد له أنه لم يسر وراء المستشرقين في إدعائهم أخذاً بما جاء في رواية ضعيفة عن بعض التابعين ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فتن بجمال زينب وكان الطلاق لذلك فله منا التقدير لهذا .

ذكر - بعد أن قص أخبار موقعة أحد - العج فيها - « على أنها من قول محمد ﷺ صلى الله عليه وسلم ، مع أنها من قول الله تعالى ، فهو يقول : (وأنبل محمد ﷺ

صلى الله عليه وسلم - على الناس يحذرون عن محبة أحد ويستخلص العبرة من أخطائهم
عني أن تضى التجربة القاسية طريق المستقبل) .

وأن العبرة في أحد كانت بقول الله تعالى في آيات كثيرة من سورة آل عمران
في مثل قوله تعالى : « لقد صدقكم الله وعده إذ تجسسوهم بإذنه حتى إذا فشلتم
وتنازعتم في الأمر ، وعصيتهم من بعد ما أراكم ما يحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على
المؤمنين ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فأنا بكم
غما بغم لكيلنا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) ولكنه
دائما ينسب ما جاء في القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بما يدل على أنه يرى
القرآن من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر في الصحيح من السنن أن
النبي صلى الله عليه وسلم بين العبر في أحد بغير تلاوة القرآن عليهم .

كذلك يذكر الكاتب أن تقسيم أموال بني النضير كان بقول النبي ﷺ
ويقول في ذلك ، قال لهم (. إن إخوانكم المهاجرين ليس لهم مال فإن شئتم
قسمت أموال بني النضير وأموالكم بينكم جميعاً وإن شئتم أمسكت أموالكم
وقسمت هذه فيهم خاصة) .

والحق أنه لا يوجد ذلك التخيير وأن النص القرآني في ذلك صريح بين هذا
فإنه سبحانه وتعالى يقول في سورة الحشر [للمفقر المهاجرين الذين أخرجوا من
ديارهم وأموالهم يتشغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم
الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، .

ولكنه كما نلاحظ ينسب ما جاء في القرآن دائما إلى رأى النبي صلى الله عليه وسلم
وزاد هنا حالة التخيير التي لا نعلم لها مصدرا تاريخيا (ص ٢٠٠) .

وهكذا نجد يذكّر كثيرا من معاني القرآن ، وينسبها للنبي صلى الله عليه وسلم فهو يذكّر سورة (الكافرون) « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . . » على أنها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٠٨) .

وينسب تحريم الخمر على أنه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويشير إلى تنسج التحريم في القرآن الكريم ، ويترك الآيات المختلفة الدالة على ذلك .

ويذكر قصص القرآن على أنها نتيجة تجارب النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في ذلك . . (وقسم محمد لياليه بين زوجاته الثلاث : سودة وعائشة وحفصة ، ولكنه مع ذلك كان يجمعهن عند صاحبة النوبة في الصباح ليعظن وفي المساء ليسمر معهن ، ويقص عليهن ما رآه في رحلاته « وكثيرا من الحكايات والأمثال) .

وما كان قصص النبي صلى الله عليه وسلم لإلزام القرآن ، وما كانت لرحلات في بلاد العرب « بل أنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين إحداهما وهو في الثانية عشرة والثانية وهو في الخامسة والعشرين الأولى مع عمه والثانية في تجارة بمال خديجة رضي الله عنها .

أخطر ما يقدم الكتاب التشكيك في « القرآن » :

هذه أمثلة سقناها وأنها الكثيرة في الكتاب ، وهي تدل على أنه يرى - أي الكاتب - أن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم « وفي الحقيقة أنه لم يذكّر قط أن الله سبحانه وتعالى منزل القرآن وباعث محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، بل إن ذكر الله تعالى يتدرج في الكتاب بل لا نجد له ذكرا قط (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) .

ولم يذكّر القرآن إلا نادرا ، بل إنك تقرأ الصفحات الكثيرة التي تبلغ مائتين أو أكثر فلا تجد ذكرا لكلمة القرآن الكريم ، بل لكلمة القرآن قط ، وإذا ذكر أية ذكر أنها مهمة نفس النبي صلى الله عليه وسلم ، ولتضرب لذلك مثلا :

لقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا ، وكان ذلك في بعض الغزوات ، ثم يقول : فإذا لمن يريد أن يعود إلى بيته أن يعود ، فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشيع الانهزام ، ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر ، والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعاً عما يؤمن به ، وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف : « عفا الله عنك لم أذنت لهم ، ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلوا عليهم : [وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن يوفئنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ، قل إن إتفقكم القرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمعون إلا قليلا ، (ص ٢٨٨) .

وأكبر علامات التشكيك في آيات الله ، أنه يذكر المهمة ثم يقرنها بآية على أنها من مهمته ثم يتلو آية أخرى غير ناسية إلى الله تعالى ولا لأحد فهي بمنطقه من مهمة النبي أيضا .

ثم يشير إلى نوع من التشكيك لأن الآيتين يبدو بينهما تعارض ، مع أن الآيتين مختلفتان من حيث موضع قولهما ، فأية سورة التوبة (عفا الله عنك لم أذنت لهم) كانت في غزوة تبوك .

وقوله تعالى من سورة الأحزاب « وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب ، كانت في غزوة الأحزاب وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب لله في مقام يومى بالتشكيك في صدقه .

وأقرأ قوله في ص ٣٥٤ (بالنسبة للرتدين الذين قتلوا بعض المؤمنين غدرا الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ، يقتلون ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، وكان منهم رجل عهد إليه محمد ﷺ بكتابة القرآن ، ولكن الرجل كان يغير في القرآن على هواه ، يمليه محمد ﷺ ، وهو السميع العليم ، فيكتب وهو « الخبر الحكيم » ثم يذهب إلى المتأففين في المدينة ، ويتندر بما يصنع ، ظل يصنع

هذا ، حتى اكتشف محمد أمره فهرب الى مكة ، ويظل يهزا بمحمد ﷺ ،
وبالقرآن ويؤكد للناس أنه حرف كثيرا من آياته ولم يكشفها محمد - صلى الله عليه
وسلم - بعد) .

وأقرأ قوله في صفحة ٣٥٦ (أما الرجل الذي حرف في القرآن الكريم فبعض
تورثته ويحرق النسخة المحرفة أمام الجميع) ، وأن هذا البيان التاريخي يؤم بل يشير
أن القرآن فيه تحريف وتبديل ، بدليل أن أحد كتاب الوحي قال ذلك .

تلفيق الاخبار :

والخبر على هذا الوجه غير صحيح ، ذلك أن الرجل كان يكتب الوحي أحيانا
وليس دائما ، وما كان للنبي ﷺ كاتب واحد ، بل كان يكتب الوحي من يكون
بمحضرته عند نزوله ممن يحسنون الكتابة ، وعندما يمل عليه النبي ﷺ ما أوحى
إليه ، يقرئه ويحفظه من يكون بمحضرة من الصحابة فما كان الرجل ملازما له ،
وما كان الاعتماد على ما يكتب بل على ما يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم وحفاظ
الصحابة .

وما تكونت في عصر النبي ﷺ نسخة مجموعة جمعاتها ، ولكن كان
محفوظا في صدور كثيرين من الصحابة كأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وعلى
بن أبي طالب وغيرهم كثير رضى الله عنهم ، فلا يقال : أن هناك نسخة كانت
محرفة وحرقت وما جاء ذلك في سباق تاريخي قط وما قاله أحد قط من علماء
الإسلام .

وأخيرا فإن الردة التي وقع فيها ذلك الرجل ، ما كانت نتيجة طرد النبي ﷺ
له ، بل أنه ارتد من تلقاء نفسه ثم أخذ يشيع هذه الأكاذيب ، فما كانت حقيقة
ولكنها إدعاء منه هو كذب فيه .

فالنبي ﷺ ، يحفظ ما نزل عليه ، وغيره يحفظ ، وما كان من الماحول
أن يستمر ذلك التحريف دقيقة واحدة وأنه عند جمع القرآن في مصحف ،

أى تكوين نسخة كاملة منه ، فى عهد الشيخين أبى بكر وعمر ، وكان يبحث عن المكتوب غير المجموع ، إذ كانت الكتابة فى قطع متناثرة عند الصحابة وفى بيوت النبي ﷺ ، فبين أن المكتوب كما حفظوا ، فيثبتونه فى المصحف .

توهين آواز القرآن :

إن فى السياق الذى ذكره الكاتب توهينا لتواتر القرآن ، لا يصح أن ينشر بين المؤمنين فضلا عن أنه فى أصله كاذب فى ذاته .

ثم أنه ليرهن من شأن النصوص سواء أكانت قرآنا أم أحاديث ، عندما يقرر أن الحكم فى الاسلام بالقرآن والسنة أو الرأى على أنها متساوية والمسلم مخير بينهما إلا أنها مرتبة .

ويقول فى ذلك ص ٢٧٥ (وفى رأى كل منهم ترسخ نصيحة محمد ﷺ « أحكم بالقرآن أو السنة أو اجتمد برأيك ، والأمر شورى بينكم لا تختلفوا ولا تطاؤا فى الأرض مفسدين ، .

موقف الكتاب ومؤلفه من النبي ﷺ :

هذا موقف الكتاب من القرآن ذكرناه مع ضرب الأمثلة من الكتاب ، لا نكتب عنه مالم يكتب بل لأننا نستعمل البيانات من كتابته .

فلنتجه بعد ذلك إلى موقفه من النبي ﷺ المبعوث من عند الله تعالى ، فإن الكلام الذى كتبه عنه غير قائم على أسس صادقة ، بل على ما يتألف كل الحقائق التاريخية تماما .

أولا : إدعاء خروج النبي ﷺ إلى اليمين :

لادعى المؤلف أن النبي ﷺ سافر إلى اليمين مع عمه الزبير بن عبد المطلب فقد جاء فى ص ٤٢ ما نصه :

(وما هو ذا محمد يضطر إلى أن يشتغل أخيراً في هذه القوافل ، ليعيش مما كان يملك بالدينارين أو الدينار ، ويخرج إلى اليمن مع عمه الزبير في رحلة الشتاء).

وهذا القول لم يذكر في الصحاح من تاريخ النبي ﷺ ، وقد يذكره المستشرقون من غير سند تاريخي ، بل يفرض يفرضونه لئيم لهم ما يتبعون من توهمين شأن الدعوة الإسلامية ، بإدعاء أن محمداً ﷺ كان رحالة وأن ما جاء به نتيجة تجاربه لا بوحى من ربه .

ثانياً : يسترسل في إدعاء أن محمداً ﷺ كان رحالة معنياً بما عند الرومان

والفرس .

فهو يقول في ص ٦٢ (لم تكن الجزيرة العربية وحدها هي التي تغنيه ، فقد طاف بالشمال والجنوب ، وعرف كثيراً مما يحدث في بلاد الفرس والروم ، وفكر في هذا كله ، ففي كل مكان يهدد الإنسان ، ويسيطر الغزأ أحياناً حتى لتتسديد المرأة الحنون إلى قلب خصمها بهدأن يقتل ، فتأكل منه القلب وتلحق الدم .

وما زال الملاك الكبار في بلاد الروم يصنعون بالرجال والنساء ما يصنعه المرابون الكبار في مكة ، والرؤساء والدهاقين في بلاد الفرس ، وهنا وهناك يقضى على الإنسان ما يقضى بإسم قوى الخفاء التي لا تقاوم ولا ترد ، وهي قوى لا تشبع من دم الضعفاء وتقتات بالموان) .

ولا يهمننا من هذا الكلام إلا ما فيه من إدعاء أن النبي ﷺ ، قد جاب البلاد العربية شمالاً وجنوباً ، وأنه كان معنياً بمعرفة ما عند الرومان والفرس ، مع أن ذلك كله لا يوجد ما يدل عليه في التاريخ الإسلامى والمصادر الصحيحة ، بل لا يوجد شيء من هذا في أى مصدر عربى قديم ، ولكنه خيال المستشرقين لحاجة في نفوسهم .

ثالثاً : وبذكر أن النبي ﷺ تعلم الكتابة من ملاحظته الحروف ، وهذا نص قوله في ص ٣١٣ (فتناول محمد الصحيفة من على ومحا ما كتبه على ، وكتب هو ديباجتها ، كما أراد مندوب قريش كانت هذه أول مرة يكتب فيها بعد أن تعود ملاحظة الحروف من طول ما أُملي على كتابة القرآن) . . وهذا تحريف الروايات ، فإن الثابت أن علياً لما امتنع عن حذف كلمة الرسول أو محوها مد رسول الله ﷺ يده ومحاها بنفسه بعد أن استفسر من علي عن موضعها ، وأنهم على بقية الكتاب ولم يكتب محمد ﷺ بيده شيئاً .

رابعاً : يذكر أن عمداً (ﷺ) قد سحر ، فيقول في ذلك في ص ١٧٩ ورأت اليهود موجة نشاط جديدة تهز القلوب فعادت تكيد . وكان من رجال يهود ونسائها من يقوم بأعمال السحر . وللسحر إذ ذاك سلطان مخيف على بعض العقول ، وضعت امرأة يهودية سحراً يقدمه عند الخروج ويمتعه من النساء ، واقتد ضاق هو بهذا السحر ولسكنه تحمده . وخرج يقود إحدى السرايا وعاد إلى المدينة ساخراً بهذا السحر ، غير أنه امتنع عن النساء ، فأما سودة الزوجة الكهلة فقد صبرت للأمر عدة شهور ، وأما عائشة زوجته الجديدة الشابة فقد احتملت هذه الشهور ، ثم طالبت أن يصنع شيئاً يبطل به هذا السحر ، وكان هو يدلها ويصطفئها ويتركها تسكنه بدقتها على كتفه أمام الناس ، وشعرها يلبس خده ، وهي ترى معه ألعاب الأحابيش في ساحة المسجد .

وهذا الكلام فيه إدعاءات ثلاثة :

(أولاً) : أنه سحر (ثانياً) أن ذلك أثر في قوته التناسلية (وثالثاً) أنه كان يدل زوجته أمام الناس .

وهذه دعاوى ياطلة ، أما السحر فقد ذكر في بعض الروايات ولكن التفات والمحققين من العلماء ردوها وثبت بالدليل القاطع بطلانها ، ولو أن بعض

الثقات قد أدخلت عليه ، وأن المستشرقين يطلون ذكرها توهينا لشأن الدعوة الإسلامية .

أما أنه أثر في قوته التناسلية فهي مبنية على تأثرة بالسحر ، وقد ثبت بطلانها على أن أكثر الرواة لا يذكرونها .

أما تدليله لزوجه أمام الناس فذلك لم يصح وإنما الذي صحح أنها كانت تنظر إلى ألعاب الأحبار وتتطلع من فوق منكبه وهو جالس دون أن يراها الناس .

خامسا : أن هناك نوعة نصرانية نجددما في مواضع كثيرة ، نذكر منها أن النبي ﷺ ينادى بياولدى ، ولا يذكر من المنادى ، فقد جاء في ص ٩٤ ما نصه : (غريب أنت في هذا التيه الذي يتنفس باللعنة والأكذوبة والمنكر ، شارد حزين لا تفك تتأمل في السماوات والأرض ووجوه الرجال والنساء والأطفال .

ما تكاد تضحك مستمتعا بحياتك الجديدة المطمئنة مع المرأة الجميلة التقية الكريمة التي اختارتك للحياة) .

ولا تدري من الذي يناديه ذلك النداء وقد تكرر ذلك في عدة مواضع فقد جاء في ص ١٣٤ ما نصه :

(طريد أنت يا ولدى ، مسكين معذب كالمبشرين الأوائل) فمن ينادى هذا النداء ، إن الذي يمكننا أن نفسر به ذلك هو أن هذه نوعة نصرانية ، كما يجرى على السنة النصراني (آباءنا الذي في السماء) وأنه يصح أن يكون ذلك صوت الله يناديه في زعم الكتاب ، ولكن لا أحد في الدنيا يصح أن يكون ولدا لله تعالى : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

هذا موقف الكتاب من القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى الخيال الروائي الذي يقتصر إلى الصدق التاريخي في بعض الروايات عن حزة وغيره والكتاب في الحلة يسمى إلى الناس في دينهم .

حاشية : هذا التقرير الذى كتبه الإمام محمد أبو زهرة عام ١٩٦٢ وقد حصل عليه منه قبل وفاته الأستاذ محمد نعيم الصحفى الإسلامى وقد احتفظ به حتى أتيت له فرصة نشره عام ١٩٧٥ م . وهذا الذى قلم بتلخيصه على هذا النحو المنشور الآن .

• ثبت أن السحر لا يؤثر فى قلب النبي ﷺ ولا فى أسلوب التبليغ والدعوة .

• فى دعوى امتناعه عن النساء أنه ﷺ قد ثبت بعد ذلك إيجابه إبراهيم ابنه من هاربة القبطية .

(مسرحية الحسين شهيداً)

الأصابع الحمراء تشوه حقائق المعارك الإسلامية وتتشهر بالصحابة الأجلاء (أحمد الشرباصي ، محمد الطيب النجار ، زكي البنهاوي) نشرت الاعتصام - مايو ١٩٧٥ عن هذه الدراسة للمسرحية تحت عنوان : (مسرحية الحسين شهيداً) .

(١) المسرحية تظهر شخصية الحسين وشخصية السيدة زينب رضوان الله عليهما وهما من آل بنت الرسول الأعظم وقد تكررت الفتوى من العلماء المسؤولين بمنع إظهار هذه الشخصيات الطاهرة .

(٢) تردد في المسرحية التمهيد بمجموعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم قدوة لنا وقد نوه الرسول بمكانة أصحاب في أكثر من حديث شريف ومن واجبنا أن نبذل مفاخرهم وتركز عليها ونهتّم بها ولا نطيل الوقوف أمام ما نسب إليهم من خلاف أو أخطاء .

(٣) ترددت في المسرحية عبارات الإتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعنة والتعريض الشنيع بالحُرمان وهذا كله بين مجموعة تنزّسب إلى الإسلام وجاءت فيها ألفاظ خارجة مثل (أبناء الأمهات الزانيات ، يا ابن الفاعلة ، يا ابن البرصاء ، الدعى بن الدعى) .

(٤) صورت المسرحية العصر الأموي تصويراً يحاكي الحقيقة في بعض النواحي فوصفه بأنه عهد الإقطاع والاطماع وجردت الأمويين من كل خير ونحن لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب وما أخذ ولكن هذا العصر شهد أيضاً فتوحات إسلامية كثيرة وكان فيه جهاد ونضال فكيف نجرده من كل حسنة ونبالغ في تصوير فساده كل هذه المبالغة .

(٥) المسرحية تعرض شخصية الصحابي (وحشى بن حرب) عرضاً مخالفاً للسيرة والتاريخ فهي تعرض هذه الشخصية المسلية الثابتة في صورة سكير مخمور ، قد شرب (خمر الأرض) مع أنه من صحابة رسول الله ﷺ وروى عنه الحديث وقد جاءت أحاديث مروية عنه في صحيح الإمام البخاري .

وتصور المسرحية مقابلته للرسول عند إسلامه تصويراً غير كريم وغير سليم لا تتفق مع التاريخ ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التي تحملها سيد الإنسانية ورحمه الله العالمين : رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فالرسول قد قبل إسلام وحشى وقال له (يا وحشى أخرج لحامد في سبيل الله كما كنت تمائل لتصد عن سبيل الله) .

(٦) والعجب كل العجب أن يوجد « وحشى بن حرب » بين شخصيات هذه المسرحية لأن أحداثها تدور في سنة ستين للهجرة ووحشى حرب قد مات سنة خمس وعشرين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه فوحشى إذن لم يدرك شيئاً من أحداث هذه المسرحية فكيف يضاف إلى أشخاصها .

(٧) هناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه صحابي ومن كتاب الرسول ﷺ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلاً من القرآن وزيف قاعدة الثورى وأهدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة التي يختلف في تحديد ما المؤرخون والباحثون .

(٨) جاء على لسان الحسين رضي الله عنه وأرضاه أنه ذهب حينما اشتدت المحنة إلى قبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - وقال يخاطب النبي : حدى ، أنا لا أعرف ما أصنع فأعنى « والحسين خير من يعرف أن العون إنما يلتمس من الله تبارك وتعالى ووجه الحسين هو نفسه القاتل : إذا استغفرت فأستغفر بالله فضلاً عن أن الواقعة لا تصعب لها من الصحة .

(٨) ذكرت المسرحية أن (يزيد) قد فرح بمقتل الحسين رضوان الله عليه وهذا يخالف الواقع لأن التاريخ يذكر أن يزيد قد توجس شراً من قتل الحسين وأنه بكى حين رأى رأسه ولسنا ندرى لمصلحة من يظهر يزيد وهو حاكم المسلمين على أقل تقدير - في مظهر حقير مثير لو كان أمراً واقعاً لما كان من الحكمة إبرازه .

فقد قدمت المسرحية عقب مقتل الحسين شخصاً يبدو مخوراً والجواري تمتطين ظهره وينخسنه فيسبرهن كالحمار والتاريخ يذكر فيما يذكر أن يزيد كان متهما بالإنحراف عن الآداب الدينية قبل المبايعة له فيما تولى الحكم أنصرف عن هذا الإنحراف أو على الأقل لم يجاهر بمثل ما كان يجاهر به من قبل .

(٩) أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرص على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنصف قرن فقط في صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهوى ، وصار مجتمع عريضة وفجور ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جبن وضعف ومجتمع خيانة ونكث للعهود مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان .

(١٠) تردد في المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجواري حيث تناول الأشخاص عبارات الاتهام باللهو والتمتع بالجواري ، على سبيل التعريض والتهكم مثل هذه العبارات (ما تجيد سوى مصاحبة الجواري) ، (تمتع بجواريك الأ Bakar الخرد) ، (سوق الإمام) .

(١١) تناثرت عبارات مأخوذة من جو غير إسلامي مثل هذه العبارات (ما جمعت لائق سيفاً) (جئت لألقى دوعظة) (لأملا كل بيت بالمحبة ، جموع الفقراء يا مطفىء نور الحضارة) .

(١٢) اختير لون السواد لطائفة من الممثلين والممثلات وهذا السواد شعار

طائفتي مذهبي خاص فهل من المصلحة أناره مثل هذه العائنية ، وكذا بدا من
قام بدور الحسين في ثياب تشعر بأنها إجماع شخصية غير إسلامية وإن كانت
شخصية لها مكانها في نظر المسلم .

وكان هناك في نص المسرحية نواح وندب وتعديد وقد طال هذا وإمتد فما
مدى إتفاق ذلك مع تعاليم الدين .

كذلك جاء على لسان أحد الأشخاص من أتباع الحسين رضى الله عنه **﴿ ما يفيد ،
أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين فهل يحكم على عقائد الناس
بمثل هذه السهولة .**

(٤)

مأخذ على كتابات الشرقاوى: (حول الامام على)

أولا : أن مصادر الكتابة عن الامام على - رفاقه ومنهج البحث في سيرة الصحابة تختلف عن المصادر ومنهج البحث في التاريخ العام ، وهو لم يلتزم بهذا المنهج بل عمد لكتب التاريخ وغير كتب التاريخ فاستقى منها مادته وأخباره ، فرجع إلى كتاب (الاعانى) وهو مرجع لمؤرخى الأدب في العصر العباسى يجمع أخبار الشعراء والادباء والمغنيين والمغنيات ومجالس الشراب والطرب ، فاذا وجدت فيه معلومة عن صحابى أو تابعى فوجب الوقوف أمامها طويلا ، للبحث عما إذا كانت قد وردت في مصدر تاريخى أصيل مما تتكفل به أصول البحث العلمى ، ومصطلح علم الحديث وأصول الرواية في معرفة حال الرواة وصحة المتن وطريق النجمل ولكن الشرقاوى سوى بين المصادر القديمة لقسمها ولم يفرق بينها ومن هنا وقع اللبس .

ومن مصادر الشرقاوى (الطبرى) والطبرى لا يثبتك أحدا في صدقة أولئكته اعترف في كتابه أن الكتاب لا يخلو من الوقائع المكذوبة والاخبار المنحولة فلما هوجم الشرقاوى في هذا دافع عن مصدره وأهمل هذا التحذير الخطير الذى سجله الطبرى في صدر كتابه .

وهكذا فإن المصادر التى رجع اليها الشرقاوى لم تكن كلها كفئا للموضوع فوقع في ورطه لم تستجب لنصح الناصحين فيها .

(بتصرف عن بحث الدكتور المظفى)

ثانيا : تناول أشخاصا لهم بلاء وغناء وسبق إلى الاسلام والجهاد في سبيل الله وروصفهم بما لا يلقى بامثالهم ، فهم تلاميذ محمد ﷺ والشعوانى الذين

هاجروا في الله بعد ماقتنوا وهاجروا وصبروا وقد قدم لنا الإمام على في عمارة
فتنة وأعصار محنة، وقد يقرر الفقهاء والعلماء والسلف الصالحون بمن أدركوا
الفتنة وجاءوا بعدها الإمساك عن الخوض فيها فإن الصحابة كلهم عدول بتعديل
الله لهم ولكل منهم وجه نظر واجتهاد والمخطئ فيه له أجر والمصيب له أجران .

لم يتناول الكاتب دور اليهود في هذه الفتنة التي آثر الخوض فيها وما فعله
عبد الله بن سبأ وأشباعه والمخدوعون به فهم أسبابها وما أشبه الليلة بالبارحة ولم
ينسج نهج المحدثين وأهل الأثر من نقده الأخبار على مقتضى قوانين الرواية والجرح
والتعديل الذي ميز الله به أمة محمد ﷺ وراح يسوق الأخبار ومنها الملققة كأنها
حقائق مسلمة ويبني عليها اتهامات ويصدر أحكاما فاسية وهي أخبار واهية لا تحمل
روايتها فضلا عن اعتمادها في تقرير حكم أو توجيه لوم خاصة إذا كانت تحمل
في تنالها دليل بطلانها ولم يشر إلى مرجع واحد من مراجع التي اعتمد عليها فإن
كثيرا من أئمة المورخين قد يتقنون الشائعات والأخبار التي لا تصدق ولكن
باشائدها اعتقاداً على أن الناس سيليحسون الأسانيد فتقبلونها أو يرفضونها .

(عن بحث الأستاذ عبد المعز عبد الستار يتصرف)

ثالثاً : الحاحه في قوله : [ليس لبني اسماعيل فضل على بني اسحق ولا لبني
اسحق فضل على بني اسماعيل) والحق أنني ألمح منها كيدا خفيا من عمل اليهود
وإفكا افتروه ، بعد أن عزلهم الله عن قيادة البشر وجعلها في العرب من بني اسماعيل
فاليهود من يريدون أن يتساووا مع العرب والمسلمين ويسفلوا المبدأ ويقرروا
أنهم يرتقون إلى مستوى المسلمين على ما لهم من بغى وكفر وقساوة قلب وعلى
أخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وقولهم [ليس علينا في
الأميين سبيل] ونحن نقول : [بل لبني اسماعيل اليوم فضل على بني اسحق] وللعرب
فضل على اليهود بعد ما أثبت اليهود ببغيتهم وعداوتهم أنهم على مدء التاريخ وراء
كل فتنة وسبب كل محنة وأنهم كالمشركين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة .

رابعا : غرق عبد الرحمن الشرقاوى في أباطيل الرواة وفي الروايات الضالة

فاجرى على لسان (الإمام على) عبارات ما كان يمكن أن تمرى على لسانه ونقول عليه أخباراً كاذبة كتل ما نسب إليه من أنه قال أنه كان أولى من أى بكر وعمر بالخلافة .

خامساً : إنزال عبد الرحمن الشرقاوى فى أعراض الصحابة واندفع بهدف ونية ميتة وليس من باب الخطأ أو عدم الإحاطة بالمصادر ، ولما كانت هذه الفترة من تاريخ الإسلام شائكة ، وكان هو غير متخصص فى التاريخ وقليل الدراية ، والصحابة بحيث أن يتناول تاريخهم بأسلوب مختلف ، يقوم على احترامهم ومعرفة قدرهم وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا حين قال : [أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم] ويقول [لا تسيروا أصحابى ، من سب أصحابى فقد سبنى] .

وتعد بدا الفصل من سياق السرد وهو النيل من الآخرين ومن سابقتها بالذات وهى نقطة مهمة كان لابد من أنارتها ، وكانت عبارات الكاتب تستهدف التفتيش من قبله من الخلفاء رضى الله عنهم أجمعين .

وقد قصد الكاتب إلى إثارة خلاف فى هذه الآونة بين طائفتين أو أكثر من المذاهب الإسلامية وإيجاد بلبلة وتباعض بين تلك الأمم والمذاهب ومن هنا دخل فى الخطر الكبير الذى جاء عنه التحذير فى بعض الآثار : (امتنته قائمة لعن الله من يقظها) .

الاعطاء كثيرة وكان بالرجل يرمى إلى شئ من وراء هذه المغالطات غير العلم فاستند عن الحقائق ، وماذا يقصد بأوصافه التى أتى بها خياله عن ليلة زواج ذى النورين عثمان رضى الله عنه من نائله ، وهو الذى كانت تستحى منه ملائكة الرحمن ، ومن أين له هذا الوصف البعيد كل البعد عن العلم وعن التاريخ وأقرب ما يكون إلى روايات الجنس ثم كتاباته عن أم المؤمنين عائشة رعن الصحابة طلبة والزور وغيرهم عند ما وصفهم بغير أوصاف المؤمنين وهم المؤمنون حقاً .

عن (عبدالله الأنصارى) رحمه الله

سابعاً : بدا الشرفاوى خطته بأن أَلَف كتابه محمد رسول الحرية على أساس أن الإسلام مظهر للصراع بين الطبقات وأن الأَصْنَام تم صلبها حول الكعبة لأسباب مادية وتم هدمها كذلك لأسباب اقتصادية ومضى في طريقه يفسر الوقائع بمعايير الفكر اليسارى ويقرأ كتب التاريخ غير مميز بين حقيقة وشائعة ، وبين صحيح وموضوع وغير مدرك لمكانة الرجال الذين يتحدث عنهم فجاءت كتاباته بعيدة كل البعد عن المنطق العلمى ، كما جاءت بعيد الأثر في الإساءة إلى الإسلام والصحابة وإلى الآمال المرجوة في الصحوة الإسلامية وجمع الشمل وقد ردد التلميحات والنقط النقاط المشكوك فيها التى تعينه على باطله ومنها الخطبة المنسوبة إليه بأنه أَوَّل بالخلافة من أبى بكر وعمر وهى خطبة تعنى أن الخلفاء الثلاثة كانوا مغتصبين حقاً ليس لهم وأنهم طلاب دنيا وعشاق رئاسة وأن جمهور الصحابة جبن عن مظاهرة صاحب الحق المقرر ، وهذا النسيق يرمى إلى فتح الباب للظمن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

ودعواه أن بنى النضير اسدلوا باطل في أسلم بنو النضير يوماً ، وأنهم حاولوا قتل النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان بينهم في بعض الشئون وهناك قضية وهب لها الشرفاوى فكره ونشاطه ويريد أن يجر الإسلام إليها جراً دون هوادة ، هل للمسلم أن يدخر أو يكنز بعد أن يؤدى الحق المقرر عليه في ماله ، أم يجب ألا يمسك عنده شيئاً فوق حاجته وهو يؤكد أنه لا يجوز استيقاء شيء لصاحبه فوق نفقته العادية ، أن هذا هو ميل إلى نظرية كارل ماركس (لكل حسب حاجته) ولكنه يصور الرأى الذى ارتآه على أنه من الكتاب والسنة ، وهو يحاول أن يجعل على ابن أبى طالب عند رأس المال مهما أدى ماعليه من حقوق وهو يحاول أن يجعل عثمان كأحد الباشوات أو اللوردات الذين يشبهون شهوراتهم ويرهبون المجتمع بفضول أموالهم ومن المقرر أن كتابات عبد الرحمن الشرفاوى لا تحكى تاريخاً إسلامياً ، فهو يسارى يريد أن يجعل الإسلام وتاريخه مصبوغين باليون الأحر والتفكير المادى ويسوق الحوادث سوقاً لخدمة هذا الغرض .

فهل صحيح أن الصراع بين التوحيد والوثنية كان مرعاً طبقياً كما يقول

الأغنياء يدافعون عن وجودهم والفقراء عن حقهم في الحياة السكرية وعن أحلامهم في عالم أفضل ، أى أحلام هذه وهل صحيح أن موسم الحج كان « يستمر هؤلاء الأغنياء أموالهم في البيع والشراء والربا فيربحون ويربحون ، وهذه الأصنام هي التي تمنحهم كل سلطاتهم على الإجراء والمعدومين والعبيد وأبناء السبيل وواجه محمد هذا كله بأن الأصنام ضلال مبين فهو يلعن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، هيكذا يقول الشرقاوى في تصوير الرسالة الإسلامية : صراع بين الغنى والفقير لا وجود له إلا في دماغ المؤلف .

وأية عدم لاكتناز الذهب والفضة نزلت بعد اثنين وعشرين سنة من بدء الرسالة ولا صلة لها بعبادة الأصنام أو الحرب التي شنها الإسلام على الوثنية من أول يوم . حتى الهجرة إلى المدينة جعل لها الشرقاوى أسبابا اقتصادية فإن المراكبي في المدينة كان ضغظهم أقل ، والهوان الذي يتعرض له المدنيون كان أخف ، تأمل قوله : هنا مجتمع آخر أكثر تقدما من مجتمع مكة ، هنا علاقات اجتماعية أخرى أكثر قابلية لتعاليم محمد ، فالمرابي اليهودي لم يكن قادراً على استعباد المدين العربي إذا عجز الوفاء كما كان يحدث في مكة ، ولم يكن له الحق في أخذ امرأة المدين أو ابنته لإكراههما على البغاء كما كانت تفعل قريش وأجير الأرض في المدينة أعلى درجة من عبيد مكة الذين كانوا يحرسون القوافل والمصارف الخ .

ليس في هذا الكلام كله ذرة من صدق والقول بأن العرب كانوا يسترقون المدين المعسر ، ويستوفون ديونهم من استرقاق امرأته وابنته وارغاهما على الزنى ، كلام مكذوب ، ما كان شائعا لا في مكة ولا في المدينة وبالتالي فلا صلة للهجرة بهذه الأوضاع المختلفة .

أن هذا الكلام ليس تشويه تاريخ ، بل هو تزوير تاريخ ، أو كما يقال في مصر (سمك ، ابن ، تمر هندی) وليس في القرآن ولا في السنة المطهرة ولا في السير المؤلفة عن صاحب الرسالة ما يترك مثل هذا الانطباع الغريب عن الجو الذي بدأت منه تعاليم محمد (١) . كما يصف عبد الرحمن الشرقاوى الإسلام ونبهه وما نزل عليه من وحي وما تمحض عنه من حضارة .

عن الشيخ (محمد الغزالي بتصرف)

أخطاء عبد الرحمن الشرقاوى

في كتابه السيرة والتاريخ

في كل كتاباته الإسلامية يظهر الغرض المبيت المدفون واضحاً :

(محمد رسول الحرية - مسرحية الحسين ثائراً - كتاباته عن الإمام علي)

لأن درجة الوعي الإسلامي الآن في فهم تيارات التغريب قد أصبحت عالية وما يعتقد أنها يمكن أن تتحدع وهذه الأسماء معروفة الهوية ولذلك فهي لا تستطيع أن تكسب ثقة قارئ واحد من المؤمنين باليقظة الإسلامية ولعل هذا هو ما يزعج هؤلاء ومن ورائهم ، أن خلط التغريب والغزو الثقافي قد كشفت تماماً فهمها حاولوا تغيير جلودهم ومها خلطوا أوراقهم ومهما نشرت لهم الصحف الكبرى ومهما حالت بين مقرباتهم وبين تصحيحها ، فليبئس هؤلاء وسيرتد الكيد إلى نحور أهله .

لأنها محاولة لتعطيم الصلوة والفضاء على الأصالة ولطرح مزيج من الشبهات والشكوك والمسموم على الطريق الذي أصبح صالحاً ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الرباني ، أنها محاولات يائسة لإفساد الفكر ولتزييف التاريخ ولهدم القيم تحت أسماء إسلامية ، ومن خلال صحف محتواه للتغريب والغزو الفكري - فروايتها الحسين شهيداً كان حريصاً على أن يصور المجتمع الإسلامي بعد أن لمختار الرسول الرفيق الأعلى بنصف قرن في صورة بشعة ، وكان هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى وصار مجتمع عربدة وفجور ، ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جن روضف ومجتمع خيانة وتركه لليهود ، مع أن المجتمع كان لا يزال يدخر بعدد كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان (وهذه متابعة لخطئة طه حسين) التي جرى عليها في الهجوم على الصحابة وأتباعهم أما في دراسة عن الإمام

على فقد اعتمد على مراجع معنية أغلبها مشكوك في صحتها وفي مقدمتها الأهاز، وفي هذا تابع أهواء الدكتور طه وخطته حتى ليخيل إلى أنه إمتداد حقيقى وتجديد لاستشراقى تغريبى لأفكار طه حسين المسعومة التى بها فى كتابه الفتنة الكبرى وعلى بنوه فى الأربعينات يحدد ما الشرقاوى فى الثمانينات .

فقد جرى وراء القصص البراق ، واعتمد على المصادر المضلة وسائر خصوص الباطنية للشيخين أبى بكر وعمر وحاول أن يلحق الإساءة بالسيدة عائشة على هوى بعض الفرق .

ويمكن أن نقول بوضوح أن عبد الرحمن الشرقاوى انقصاص الذى يغلبه الخيال والبريق والرواية المشيرة لا يصلح مؤرخاً ولا يمكن أن يقبل منه كل ما كتب على أنه تاريخ وهو يمشى فى سلك واحد مع جورجى زيدان أولاً وطه حسين أخيراً ومن العجيب أن أحداً ممن نقدوه لم يشر إلى متابعتهم لخطأ طه حسين فى هذا المجال .

وفى الوقت الذى باتى كتاب غريون يشيدون بعظمة الإسلام ورسوله ورجاله ينحرف كتاب عرب لهم أسماء إسلامية عن هذا الخط ويخوضون إلى ماتحت ركبهم فى الأعراض والقبائح .

ولقد تأكد ما قاله الشيخ الشعراوى من أن الأهرام أصبحت وكرا لاعداء الإسلام وأن موقف الأهرام من لإغلاق الصحفة على كتابها دون أن تسمح بوجهة النظر الأخرى هو من الانام الى سوف تحاسب عليها الأهرام عندما يكتب تاريخ الصحافة وما كانت هكذا تجرى المعارك الأدبية فى القديم حيث كان يسمح لكل طرف أن يعرض آرائه ، وما هى الأهرام تستخمن من قبل توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ، والشرقاوى لخدمة أعداد الإعلام .

ولقد صدق الشيخ محمد الغزالى حين وصف الشرقاوى بأنه يجمع اقماعات

من كتب التاريخ ويصدق أيضاً ما وصف بأنها مؤامرة لضرب الإسلام لحساب
المسيحية ولضرب الصحوة التي أدخلت في الإسلام أعلاماً كباراً أمثال جارودي
وبوكاي .

ولعل أسوأ صفحات الشرقاوى هو أسلوبه في الحوار وإدخاله الافتداع
والسخرية فهو كاتب يمكن أن يوضع في صف الشعراء القدامى الذين تخصصوا في
الهجاء المقذع الذي يرفضه الإسلام أسلوباً للحوار فما بالك وصاحب الحق في الرد
لا يمكن من أن يقول كلمته في نفس المكان ، أى ظلم هذا .

الفصل الثاني عشر

محمد التاجي

منشئ صحافة الآتاره :

الرجل الذى أنشأ صحافة البحث وراء أسرار البيوت والذى نقب عن خفايا الأسر والاعراض ، وهو الذى دعا إلى ديكتاتورية الحزب الواحد وحرص على الدعاة لله بالقتل والإبادة . وهو استاذ مدرسة الآتاره فى الصحافة المصرية والعربية والذى كونه هذا الحيل الذى ظهرت آثاره بوضوح فى صحافة (أخبار اليوم) .

* * *

انتهت حياة الرجل الذى كان له أكبر الأثر فى إنشاء صحافة الزلية : الكاريكاتير الساخر ، والبحث خلف أسرار الناس والتطلع إلى ما وراء الأبواب المغلقة . ذلك هو الأستاذ محمد التابعى الذى تصدر هذا الفن فى الصحافة المصرية الحديثة منذ عام ١٩٢٦ حينما تولى إصدار مجلة « روز اليوسف » مع السيدة فاطمة اليوسف هذه المجلة ، ثم انفرد بهذا الفن حين أصدر مجلة آخر ساعة عام ١٩٣٤ وكانت فنون الكاريكاتير السياسى والسخرية قد بدأها « سليمان فوزى » صاحب الكشكول التى كانت تحمل على حزب الوفد حملات قاسية مما دعا مكرم حميد إلى اقتناص محمد التابعى ليحمل لواء هذا الفن للدفاع عن الوفد بنفس أسلوب الصحافة الزلية والكاريكاتير والسخرية من كل القيم والأبطال فى مهاجمة كل الأخلاقيات واقتحام أسوار الأسر والبيوت لابتداع فن الخبر الاجتماعى المثير الذى كان سلاحاً قاسياً فى ضرب السياسيين القسدامى ورجال الأحزاب بعضهم ببعض .

وقد باع الأستاذ محمد التابعى بإشرافه على مجلة روز اليوسف قبة التبريض والهجاء والنقد اللاذع عن طريق الخبر والكلمة والصورة . وقد بدأ التابعى عمله فى الصحافة ناقداً مسرحياً ثم تحول إلى التعليق السياسى

وعندما حوكم وصدر الحكم عليه بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ لم يكن ذلك في سبيل الدفاع عن حقوق وطنية وإنما كان من أجل مقالات عن مغامراته في أوروبا عنوان (ملوك وملكات أوروبا تحت جنح الظلام) . يقول الصحفي المعاصر محمد علي غريب : لأنه لما كانت توجد مجلة الكشكشول وقد تخصصت في مهاجمة سعد زغلول ولقيت الرواج العجيب ، لذلك صح الرأي في أن تصبح روز اليوسف مجلة سياسية واستطاع التابعي أن يجهز على مجلة الكشكشول وقد عرف أسلوب التابعي بالسخرية القاسية والدعابة العنيفة .

ويعد محمد التابعي صاحب هذه المدرسة التي سارت عليها من بعد كل صحف الكاريكاتير في مقدمتها روز اليوسف ، وأخبار اليوم . . ويعد مصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل وإحسان عبد القدوس من تلاميذ هذه المدرسة العتيقة . وقد تعود اتباعي كذا كتب على أمين في آخر ساعة ألا يعود من الخارج إلا ليجزم حقايقه لرحلة جارية حتى إنه لم يكن يستقر في مصر أكثر من شهرين في السنة فيقضي الشتاء في سان مورتز والربيع في باريس ومونت كارلو ، والصيف بين رأس البر والاسكندرية وإيطاليا ، والخريف في القاهرة ليستريح من عناء رحلات الشتاء والربيع والصيف . . وأنه يوماً في جزيرة كايرو ويوماً في مونت كارلو وأنه يسافر ومعه أكثر من عشرين حقيبة تحوى ملابس للصيف والشتاء والربيع والخريف وملابس الصباح والضحى وبعد الظهر والمساء والليل وأنه ينزل في الجناح الملكي لفندق سوفرنيا .

وقد دمج القضاء المصري صحافة الكاريكاتير الدولية هذه في كثير من المحاكمات التي قيم لها التابعي بأنها د تنشر فاحش القول وسقطه وإنها غالت في اقتداع في الناس ، والبحث وراء أسرارها في تعريض وتليبج ، وإن أصحابها يغمسون أقلامهم في السموم القاتلة والتصاوير الخلاعية التي كان لها أسوأ الأثر في قرائها من الشبان المراهقين . وكان التابعي حريصاً على فضح أسرار الأسر والبيوت وكشف خفاياها وأعراضها لحساب الخصومة الحزبية .

هذا هو الأثر الأول والضخم في حياة محمد التابى الذى نماه من بعده وطوره أتباعه وتلاميذه وحواريوه بكل الدور الصحفية تقريباً والذى كان ولا يزال بعيد الأثر في الصحافة المصرية الحديثة . وما كتابات إحسان عبد القدوس التى ينشرها بالأحرار هذه الأيام عنا بعيد .

أما الأثر الثانى في حياة محمد التابى فى موقفه الخطير في التحريض على الدعاة في سبيل الله ورجال الدعوة الإسلامية كراهية في تطبيق الشريعة الإسلامية ، وعملاً على تدمير القوى المؤمنة التى تحمل لواء الدعوة إلى تحرير الحياة الفكرية الاجتماعية من التحريض على الفساد والشبهوات والصور العارية والقصاص المجننة وغيرها من الأساليب التى كان يعمل لها أصحاب التابى وتلاميذه وهم يشنون في ثنائيا كتاباتهم ذلك اللون الخطير الذى أريد به إفساد شباب الأجيال وتدميرهم والتحللهم .

وقد وقف محمد التابى مرتين موقف التحريض على « جماعة الإخوان المسلمين في محاولات الحل الذى تعرضت له مرتين عام ١٩٤٩ عام ١٩٥٤ . وفى كل مرة كان قاسماً على أهل القرآن ، متهماً إياهم بكل نقيسة ، محرضاً عليهم باقتل والسحق والإبادة حتى لا يجد قلباً أو لساناً ينقذ تصرفه الفاسد ودعوته الضالة .

أما الأثر الثالث الذى بوضع في ميزان أعماله عند الحساب فهو دعوته الحادة المستمرة إلى ديكتاتورية « الحزب الواحد » وتكره لكل أساليب الديمقراطية والنظم التى تسمح بالرأى الآخر أو وجهة النظر الأخرى . . وقد غالى التابى في الدعوة إلى الحزب الواحد وأغرى به حكام مصر في فترة من أدق فترات التاريخ السياسى كان المصريون يتطلعون فيها إلى نظام دستورى يحقق الشورى والعدل ، فإذا به يظهر دعوة الديكتاتورية القابضة على الرقاب والعقول والنقوس فكانت تلك هي آخر كلماته التى عارضه فيها أقرب الناس إليه وتلميذه الأثير مصطفى أمين . ثم أصابت التابى على إثر ذلك ضربة القدر التى لا تتخلف إزاه كل ظلم ومدمر لقيم هذه الأمة وأخلاقها .

ومع أن محمد التابى قد أخطرت صفحته ، فإن أصحاب المدرسة لابد أن يعددوه فيكتبوا عنه تحت عنوان خطر : (أخبار اليوم ١٢/٢٤ / ١٩٨٣) .

صاحب الجلالة الذى نسيناه :

حيث يكتب عنه تليذه الأثير مصطفى أمين وائيس منصور موسى صبرى وهو يوصف بالعملاق ، ومؤسس الصحافة المصرية وعصرها من سيطرة الأجانب ونسى هؤلاء أنه إذا كانت المدرسة المارونية (الأهرام ودار الهلال) قد وحمت الصحافة المصرية خلال أكثر من خمسين عاما وجهة التسليم للاحتلال وللزوا والفكرى والتفريب فإن مدرسة محمد التابى هى التى نصرت هذه المؤامرة وكانت مرحلة المصريين أخطر من المرحلة السابقة ، ولكن كيف يمكن أن يقال هذا وهناك أقلام تصور السى . والقبيح والفاضح بصورة البطولة ، على النحو الذى وجدناه فى طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمد التابى وما كان محمد التابى ألا ترجسيا مغرورا يتعالم إلى اتخاذ قلبه سلاحا لاذلال خصومه ، ويتخذ من الكلمات المدسوسة المضيه سبيلا لتهديدهم والسيطره عليهم ، وما كانت رحلاته إلى أوروبا إلا غزوات فى سبيل الجنس والمتاع ومتابعة العورات واللذات المحرمة وما كانت غزواته إلا فى سبيل هذا الاتهام ، وتلك السهرات التى كان يقيمها ويدعو إليها ككثوم وأسمهان وغيرهما ، وما هذا البذخ والاسراف ألا على حساب الكلفة وسلطة القلم الذى كان يخيف البذخ به خصومه والاسلوب الماكر الخبيث الملى . بالسخرية والتهكم الذى كان يحببه ولعله هو الذى جعله صاحب جلالة فى بلاط صاحبه الجلالة ! ومن بعد ذلك معارضه لكل تطلعات الأمة إلى الضياء والنور ، وسخرية بالأزهر وعلائه ، ودعائه ، وتبعية واضحة للتبarrات السياسية الغربية ، ونفاق مع حركة يوليو والحاح على تمكين الحناك من الدكتاتورية والاستبداد ودعوه صريحه إلى الحرب الواحد لقد دخل الصحافة من باب الممرح وتحوّل إلى فن السخرية بالناس والبيوتات . لقد كان من الباحثين عن عورات الناس وعن أسرار البيوت وعن قفشات السهرات وتنهبا لثمنها سلاحا

في وجه خصومه وكان الناس يقبلون على دور اليوسف أو آخر ساعة من أجل
التطلع إلى هذه العقوبات وحياته الصحفية كلها حياة المغامرة في سبيل نواته
وفي سبيل تطلعاته ، هذه هي الريادة للصحافة الحديثة التي ورثها منه مصطفى أمين ،
هي القحارة وهي تدمير الشباب وتحويلهم إلى الأمراء والمطامع ، وصرفهم عن
القيم والعقائد .

ولقد أكد الكتاب في هذا الاحتفاء بالتابعي على حقيقة أساسية هي متابعة
هذا التيار ودعمه وتمحيقه وهذا هو ما قام به مصطفى أمين ومدرسته .

وقد أشار عبد الله عبد الباري : أن التابعي ترك بصماته قوية وظاهرة على حيل
باسره هم مصطفى أمين ، إسماعيل عبد القدوس ، إبراهيم الورداني محمد حسين
ميكل ، كامل الغناوي وغيرهم .

الفصل الثالث عشر

لويس عوض

مؤامرة توفيق الحكيم ولويس عوض :

• توفيق الحكيم يرى عزل مصر عن البلاد العربية وتحويها إلى فندق سياحي عالمي للوافدين العرب تقدم لهم كرم الضيافة من المتعة والراحة .

• لويس عوض يحاول تحطيم دور مصر الرائد في مواجهة الفكر العربي وموقفها التاريخي من الإقصاء التتري والحروب الصليبية .

• كراميتهم للإسلام ثابتة في الأعماق لا تظهر على السطح ولكن تبدو في التصرفات وطريقة معالجة القضايا والمنشأ كل .

• طه حسين يقول في تمجيد الفرعونية وإعلاء شأنها على الإسلام : إذا كان الإسلام سيف حمر عثرة في طريق مصريتنا الفرعونية لنبدناه .

• كان الإسلام وما يزال روح المجتمعات ومهد الحضارات الإنسانية ووقود الحركات الوطنية والحررية .

• لا غزو للإسلام هو الذي صنع الشخصية المصرية منذ أربع عشر قرناً والإسلام اعتنقه المسلمون واعتنقه غير المسلمون حضارة وثقافة وعادات .

دارت المناقشات حول يوميات كتاب الصحف اليومية وما أثاره لويس عوض وتوفيق الحكيم والسيد ياسين من وجوه النظر حول علاقة مصر بتاريخ الغرب والإسلامي ، وبالدولة العثمانية والغرب ، ومحاولة تصوير مصر على أنها شخصية فرعونية غائرة في الوهنية أو منحايزة إلى الغرب . وتتجامل هذه الدراسات أن الإسلام هو الذي صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً وأن التاريخ وعلماء التاريخ قد أعلنوا بما لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح . . . سواء منهم الغربيون أو العرب عن أنه قد حدث إنقطاع حضارى جب كل ما كان قبل دخول مصر في الإسلام ، وأن تاريخنا ضخماً طويلاً استمر أكثر من ألف سنة من تاريخ

اليونان والرومان في هذه المنطقة من الشام إلى مصر إلى أفريقيا كل هذا التاريخ بقرائه ولغائه ومفاهيمه وقيمه قد أصبح في خبر كان بعد دخول الإسلام بقرن واحد فقد اعتنقت المنطقة كلها الإسلام . . . (اعتنقه المسلمون ديناً واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات) . . . وقد أشار كرومر إلى هذا المعنى حين قال : إن المسلمين والمسيحيين يصدرون عن أساس أخلاقي واجتماعي واحد مع طول التأخر .

ولسلك إخواننا ينسون هذه الحقيقة الواضحة ويناقشون الشخصية المصرية على أنها شخصية منزلة لم يصنعها القرآن أو الثقافة الإسلامية أو الفكر الإسلامي أو اللغة العربية ، وينسون أن المنطقة كلها هجرت لغاتها القديمة بعد قرنين من دخول الإسلام إليها ، كذلك فقد كان الإسلام ولا يزال روح المجتمعات وشارة الحضارة ووقود الحركات الوطنية والتحررية ، ولقد كانت الدعوات إلى الإقليمية والقوميات أو احدة الفكرة والمنهج . . . ولذلك سرعان ما عجزت عن تحقيق أشواق النفس العربية الإسلامية . وستظل هذه الظاهرة الإسلامية الفكرية والاجتماعية أساساً مكيناً وحصباً حصيناً الشخصية المصرية ما عاشت . لأنها عميقة الجذور من أحياء ولائها منصبة فيها أنصاراً عضويّاً يميز خصوم الإسلام عن القضاء عليه .

إن الدكتور لويس عوض لا يستطيع أن يخرج عن التفسير الفرعوني الوثني الذي سار عليه في كل كتاباته وعرف به ومن ثم فقد أصبح في تقدير الباحثين غير منصف ولا راغب في معرفة الحقيقة الخالصة لوجه الحق وحده .

ولقد جاءت تساؤلات عن محاولات توفيق الحكيم في تحديد مصر عن البلاد العربية وعزلها ، والدعوة إلى جعلها فندقاً عالمياً سياحياً يقدم للوافدين من كل مكان المتعة والترفيه ، وكان في ذلك مشاركة للدكتور لويس عوض في تحطيم دوح مصر العالي الذي عاشت ترقم به في مواجهة التيارات الغاربية والفزوات الطامعة

التي واجهت عالم الاسلام ، وكان لها دورها الخطير في رد هذه الغزوات وحماية علم الاسلام وحماية الغرب نفسه كما حدث في الاعصار اتمرى وفي الحروب الصليبية وفي الاستعمار الغربي الحديث ، وسوف يكون لها دورها الخطير في دفع الغزوة الصهيونية ووقاية المسلمين والعرب منها . .

ولا ريب أن دعوة توفيق الحكيم تصدر عن مفهوم بعيد أشد البعد عن الانتقام العربي الاسلامي . ولقد كان توفيق الحكيم طوال حياته يفخر بذلك معياراً بشأن العنصرية في حديثه عن مصر ، كارها لطابع مصر العربي الاسلامي . وبالرغم من أن الدكتور طه حسين أعلى من شأن الفرعونية على الاسلام حتى قال قولته المشهورة : « إذا كان الاسلام يقف حجر عثرة أمام مصرتنا وفرعونيتنا لتبدئنا ، بالرغم من هذا فإن الدكتور طه حسين يرى أن رأى توفيق الحكيم في العرب أشد تحاملاً وتعصباً من رأى كثيرين من متعصبه المستشرقين أمثال رينان ودرزى . ولعل التقارب في هذا الرأى بين توفيق الحكيم ولويس عوض يرجع إلى مصادر الثقافة الغربية الواحدة التي تأثر بها كلاهما في فترة كانت البعثات الأجنبية سواء إلى فرنسا أو إلى إنجلترا تستهدف سحق مقومات هذه الأمة ولتقاتها في أنون الأفليمية فهي كراهية مشتركة للعروبة والاسلام ، وهي ممتدة إلى اللغة العربية وإلى القرآن وهي مبثوثة في الأعماق لا تظهر على السطح ولكنها تبدو في التصرف وفي تناول القضايا .

وبالرغم من أن توفيق الحكيم قد تلخص تفسير القرطبي وظن بعض الذين يأخذون بظواهر الأمور أنه في الطريق للتعرف إلى الاسلام إلا أنه لم يلبث أن كشف عن تلك المحاولة المسمومة التي ترددها طائفة معروفة الآن باسم طائفة الجاحدين المسلمين بالحدث عن الشريعة الاسلامية وذلك حين ردد ما كان يقوله منذ سنوات عن تطوير الشريعة الاسلامية وهي دعوة يحمل لواها من وقت بعيد : محمد التوحيدي وعبد الحميد متولى ومحمد أحمد خلف الله وآخرون بهيبي

تذليل الشريعة لتبريد أوضاع المجتمعات الحديثة وفي مقدمتها الربا وعلاقات المرأة والرجل خارج نطاق الزواج ، وإحتواء الشريعة الإسلامية ونصوصها في داخل القانون الوضعي على النحو المسموع الذي دعا إليه عبد الرزاق الصوري منذ سنوات وهي دعوى ممتدة يغلبها النفوذ الأجنبي ليحول بها دون قيام المجتمعات الإسلامية أو عودتها إلى طريق الأصالة ، ومن أهم هذه المحاولات المسمومة : القول بتغير الأحكام مع تغير الزمان (وهو قول محدود جداً يتصل بالقرعيات) ويعتمد في ذلك على نص الشيخ محمد عبده الذي يوظفه الماركسيون وأعداء الشريعة وهو لا يمثل الامام المجتهد ولا المتخصص في هذا الأمر ، وإنما هي إجتهاادات كان لها وضعها وظروفها في وقت كانت الشريعة الإسلامية تضرب بالسياط على أيدي كرومر في مصر وليون في المغرب وهي لا تمثل إجتهاداً يمكن الأخذ به ، كذلك الخطأ الذي وقع فيه على عبد الرزاق حين أراد أن يصف الاسلام بأنه دين روحاني ويلغي نظامه الاجتماعي إلغاء تاماً وقد تلقف بعض المستشرقين هذه النصوص الزائفة التي لم يعتمد فيها على كتاب أو سنة لضرب الاسلام . كذلك هناك ما يثار من شبهة الثبات والتغير ومحاولة وضع العقيدة في مكان الثبات والشريعة في مكان المتغير وهذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه . وأن الشريعة الإسلامية إما جاءت خالصة ثابتة صالحة لكل العصور والبيئات إن أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد دحض الدكتور عبد المنعم النمر شبهة توفيق الحكيم هذه التي ما زال يرددتها منذ سنوات حين قال له : كان الحكيم يريد أن يجعل كل ما شرعه الله لتنظيم حياة الانسان خاضعاً للتفسير بتغير المجتمع ورائة ، ومن هنا تهب ريح الخطأ في التفكير ، بل والخطر أيضاً على شريعة الله إذ معنى ذلك ومودة لو قبلناه أن لنبا نبيح الزنا والخمر والرقص متى قبل المجتمع ذلك وتتحلل من عقوبات السرقة والحراية والزنا ومن كل شيء حرمه الله ورسوله لو قبل الجمع ذلك !! وهذا اتجاه خطير يهدم الشريعة ويزلزل كيانها لأنه يجعلها كلها تابعة وخاصة

لهوى الناس وما يتجهون إليه في حياتهم في أى مكان وفى أى عصر وإنه تبارك وتعالى يقول لرسوله : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) .

ونقول أن الجماعة ينتدبون أحدهم فترة بعد فترة ليشير القضية ثم ينتظرون ثمة ليمود آخر إلى إثارتها وكل مهم أن يخرج المجتمع الإسلامى العربى والمصرى من شريعة الله إلى قبول الربا والرشوة والنسأل فى أمر المرض واستعراض المرأة لمفاتن جسدها ومراقصة الأجانب . وهكذا . . .

الحقيقة أن قضية المرأة تأتى فى المقام الأول من عملية تحطيم المجتمع ، وهى تهدف إلى تدمير الأسرة وتعاون على ذلك قوى كثيرة منها القصة والمسرحية والأغنية والصورة العارية وبعض كتاب اليوميات الذين يزينون التيارات التى تدمر المجتمع ممثلة فى بعض الروايات الجنسية والكثرة والرقص .

وتجسرى الصحف لاهثة وراء تفاهات يسمونها نصراً للمرأة سواء فى مجال الرقص أو الفناء أو قيادة السيارات وكلها أمور لا أهمية لها تستهدف لإخراج المرأة من مكانها الحق ووضعها الصحيح . وتلك مجموعة أخرى من الكتاب لها صلاتها بالروتارى والليونز ومخططات الهدم والتدمير .

* * *

جملت صفحات الدكتور لويس عوض أحقاداً وممرماً بالغة الخطار عميقة الأثر :

(أولاً) من أخطرها حملته على اللغة العربية الفصحى ودعلاؤه السكاذبة فى مواجهتها كراهية للإسلام والقرآن ، وقد كان من أخطرها كتابه "مدخل إلى فقه اللغة العربية ، التى حاول فيه الادعاء بأن العرب جاءت من افوقاز ، وأن اللغة العربية لغة آرية ليس لها أى تمييز خاص وقد خاض فى شبهات حول الإعجاز القرآنى وغيره على نحو مضال .

(ثانياً) موقفه من الشعر العربى وهجومه على الأصالة واحتضانه لشعراء

الفتحية من أمثال : صلاح عبد الصبور وأدونيس والسياب وغيرهم ودعوته إلى
تخليم عامود الشعر وكسر بلاغة اللغة العربية وهي دعوى قديمة ما زال يرددونها
ويجدها .

(ثالثاً) مواقفه المتعددة من التراث الإسلامى والفكر الإسلامى وهى
مواقف توحى بالشبهة فى سلامه البحث وعلبيته ، والاتجاه إلى أفكار المستشرقين
ومتابعهم وكرامية أمة العرب والإسلام ، واتى تكشف عن أحقاد دفينه .

وقد واجهه كثير من المفكرين وكشفوا زيفه ، وفى مقدمتهم الأستاذ محمود
عبد شاكى فى كتابه « أسرار وأباطيل » .

(٢)

(التشكيك في القرآن)

مقدمه في اللغة العربية :

التشكيك بما يحصل في طياته من جهل وتجهيل باللغة العربية وأقترأ على الأبيخز وتهم على الفكر الاسلامي وقلب للحقائق بأسم العلم يتناول القيم الاسلامية صراحة ومن خلف ستار بالتشويه ، وهو يتخفى ثم يهجم على غرضه في جراءة ولقد أبرز الخطأ الذي ملئت به صفحات الكتاب (٦٠٠ صفحة) ذلك الكشف الجديد في نطاق البحث عن كلمة (صمد) حيث قرر الدكتور أن العدد (٢) العربية مأخوذ من جذر هندي أوربي وهو في المصرية القديمة من جذر غير هندي وأن ثلاثة المصرية القديمة هي خمت ، وخمت المصرية و صمد العربية وإذا كان الأمر كذلك - في نظره ، كان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق ورفض مساواة المسيح لله في الجوهر .

ثم يصل إلى القول بأن كلمة (صمد) في العربية وهي من الأسماء الحسنى كلمة محيرة لأنها مادة جامده لم تنتق من فعل ولم يشتق منها فعل وهي غامضة المعنى ، نادرة الاستعمال ، وأشهر استعمال لها في الصمدية ولهذا ربط المفسرون معناها دائماً بتوكيد التوحيد وأنكار التثنية في مفهوم الصمدانية .

وهكذا حكم الدكتور على كلمة صمد بأنها تساوى كلمة (خمت) المصرية التي تعني (٢) ثم يتساءل كيف يصف القرآن الكريم بها الله سبحانه وتعالى (قل هو الله أحد الله الصمد) إذ كيف تكون الكلمة تعني ثلاثة أو ثلوث ويقول الله سبحانه أنها تعني التوحيد المؤكد .

وخطأ الدكتور في الربط بين كلمة (خمت) المصرية وكلمة (صمد) حيث

لا يوجد بينها أى تشابه ومعنى وسيله من وسائل المستشرقين فى الاستنتاج بخالف
الأسس العلمية من أجل الأهواء والاحقاد والطعن فى القرآن الكريم وما يتضمن
والقضاء على بقره كل دارسى للعربية من أن القرآن دستور العربية الحافظ لها ،
هذا الى ما ينشئه استنتاجه ذلك من تشكيك فى وحدانيه الله الخالصة من شوائب
الشرك ، ولم يقدم لويس عوض أى دليل مقنع للارتباط بين كلمة (نحت)
المصرية وكلمة (صمد) العربية يقدم على سند صحيح ، وإنما سنده تحت الكلمات
والنحوية خلف غريب المصطلحات ليفرق القارىء فى مناهات ، إذا كان التاريخ
لا يوافق الدكتور فيما قال فإن علم اللغة يبرأ من كل ما حاوله باسمه فليس التشابه
بين الكلمتين داعياً لأن يكون مدلولهما واحد ولو كان بين مخارج حروف الكلمتين
تشابهاً أو تقارباً لقلنا توهم أو خطأ ، أما ربط بين حرف الخاء الحلقى وحرف
الصاد الصغرى فهذا لا معنى إلا العبث والافساد المقصود .

ومن تضليله سنده إلى قطع الكلمة عن اللغة العربية ، بعد أن جعل اللغة
العربية فرعاً متفلاً من اللغات الأخرى فقرر أن الكلمة بحيرة لأنها عادة جامدة
تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل ، فعزل الكلمة عن الكلمات المتشابهة وجعلها
ليقول فيها ما شاء له الافتراء والهوى كأنها شاة أفترسها ذئب بعد أن تحايل فعزلها
عن زميلاتها وهو فى سبيل ذلك يضرب بمعاجم اللغة العربية عرض الحائط ،
ويتجاهل الشعر الذى تضمن الكلمة فى هيئاتها المختلفة .

أن الدكتور لو نظر فى معاجم اللغة لما قامت لقريته قائمة ، فكيف يقرر
أن الكلمة جامدة ، ومعجم متوسط من معاجم اللغة العربية مثل (لسان العرب)
يصرح بأن (صمده) يصمده صمداً وصمد إليه كلاهما قصده وصمد صمداً لا أمر قصده
قصده وأعتمد وتصمده له بالعصا قصده وصمد رأسه تصمداً إذا لف رأسه بحرقه
أو ثوب أو منديل وأصمد إليه الأمر استنده ، والصمك (بالتحريك) السيد المطاع
الذى لا يقضى دونه أمر ، أو الذى يصمده إليه فى الحوائج أى يقصده والصمك من
صنائه (تعالى وتقدس) لأنه أصمكت إليه الأمور فلم يقضى فيها غيره .

والدكتور تجاهل سياق ورة الإخلاص فلا يعرف أن السياق يؤكد هذا المعنى

إذ تقول السورة (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فوصف الله تعالى بالأحادية يعني أنه غير متجزى . وليس كما يتوهم عدم التعدد والوصف بالأحادية يعني عدم التجزؤ .

أما إذا كان الدكتور يعلم ذلك فأتنا نكون في صراحة أمام طاعن في القرآن الكريم وأحكامه لأنه والمال هكذا يعني أن الآية الأولى من السورة تناقض الآية الثانية منها .

عن (دكتور إبراهيم عوضين) يتصرف

(٣)

(الهجوم على لغة القرآن)

في مواجهة اللغة العربية : (لغة القرآن) رأينا الحملات الشرسة توجه دون كلل للثيل من إصالة هذه اللغة وصمودها .

وقد اتخذ الهجوم ثلاثة محاور :

(الأول) : قاده سلامة موسى وأمثاله من التفريرين وقد دعوا إلى طرح الحروف العربية جانبا واتخاذ الحروف اللاتينية بديلا وروج أصحاب هذا الاتجاه للدعم القائل بأن اللغة العربية جامدة وخمودها سبب من أسباب تخلف العرب ونسوا أن أصحاب الحروف اللاتينية لم تشفع لهم حروفهم اللاتينية يوم إن كانوا متخلفين .

(الثاني) : أما المحور الثاني فقد جعل أوليته بعض تلامذة الغرب الذين رباهم على فكرة وسول لهم الباطل فراوه حسنا ولهذا فقد شجعوا العامة لغة : خطاب ولغة كتابه وساعدهم على ذلك تقدم وسائل الإعلام التي تبنت هذه القضية .

(الثالث) : المحور الثالث الشرس تجده يظهر في حملة التشكيك في أصل اللغة العربية وفي القرآن ثم في أصل العرب ذتهم وهذا ما نجده في كتاب الدكتور لويس عوض (مقدمة في فقه اللغة العربية) .

وأهم أباطيله اثنان :

(١) إن العرب بصفة خاصة والساميين بصفة عامة منذ نثر التاريخ كانوا يقطنون مكانا آخر غير الجزيرة العربية وأن الجزيرة العربية لم يكن مهدهم الأول بل قدموا لها من مكان آخر - وهو مكان مشترك نزل فيه الساميون والأولون جميعا وأنه لا يوجد جنس يسمى بالساميين إلا في إطار الشجرة العامة الهندية الأوروبية .

(٢) لم يهاجر السكان العرب من داخل شبه الجزيرة بل على العكس كانت الهجرة من خارج الجزيرة إلى داخلها .

وتجاهل الدكتور لويس البراهين التاريخية وما يؤكد التاريخ من أن الهجرات السامية خرجت من الجزيرة العربية لأسباب اقتصادية ومناخية ، ودلائل التاريخ كلها تشير إلى أن بابل داشور وكنعان ومصر والحبيشة كانت كلها هدفا لغارات من أقوام قدموا إليها من الجزيرة العربية ومع هذه الأدلة القاطعة نجد لويس عوض يصير على تجاهل الحقيقة ليجعل من العرب ولغتهم كما مهملات في عرف التاريخ .

كذلك فقد ساق الدكتور عبد الغفار حامد تسعة أدلة علمية يثبت بها أن اللغات السامية ذات طريقة خاصة تختلف في جوهرها عن اللغات الهندية الأوروبية التي يزعم لويس أن العربية جزءاً منها أو نتاج للتعامل بها وتتلخص الأدلة التي ساقها في بيان طريقة التعبير في الساميات (ومنها العربية) فتلا الجملة في الساميات نوعان : اسمية وفعلية ففي الاسمية يوضع المسند إليه (المبتدأ) في الصدر وتكون فعلية الجملة مسنداً يختزننا بشيء من ذلك المسند إليه - المبتدأ أو الخبر - ولا توجد رابطة بينهما من فعل مساعد أو غيره (Tobe) كما هو الحال في مجموعة اللغات الهندية الآرية ، هذا الاختلاف الجوهرى يعد دليلاً على ثبات رأى الدكتور لويس .

كذلك يحاول أن يتخذ من القول يقدم القرآن سلماً يصل منه إلى تأثير المسايين بالنصارى الذين قالوا - يقدم السكالية - في زعمهم ، والدكتور لويس يلجأ في هذا إلى طريقة المشبهة والمحسنة الذين تناسوا قول الله تعالى (ليس كمثل شيء) ولهذا وقع الدكتور في خطأ يسره له وسبله في نظره إيمانه بالثالوث المزعوم وبأن الله ولداً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وفي الإسلام كلام الله النفسى قديم ليس بمخلوق أما حروف القرآن وكلماته المنطوقة فهي حادثات .

ويزعم الدكتور لويس عوض أن الخوارج والشيعة والمعتزلة كلها كانت ثورات مضادة لشرف قريش وسيادتها وكان الهدف منها إسقاط قريش من هذه المنزلة وبالتالي يذمحب هذا على العرب من وراء ذلك كله على لعنتهم وهذا كلام ساقط فالأمر ليس ، كما زعم ويكفي أن ننظر إلى الشيعة لنرى تهاون مزاعم الدكتور لويس فالشيعة هم أنصار آل البيت وليسوا ضد قريش ولا يتورع الدكتور عن اتهام العلماء العرب بالتعصب بل والتطرف في العصية وهو ما لم يقم عليه دليل اللهم إلا إذا كان الحقد قد أضعف إلى قوائم الأدلة العلمية .

ويكشف دكتور لويس عن حقيقة نوابه فيقول :

إن نظرية التعصب للغة العربية يجعلها لا تقبل الألفاظ الدخيلة وهو السبب في دخول العربية في مأزق شطرها إلى لغتين : لغة الكتاب المقدسة ولغة الكلام الدارج ، ولو أننا أخذنا بمبدأ التعريب والامتصاص والتمثيل القوي السائد في جميع اللغات لتضربت حال مجامعنا ولجرت قوانين الصيرورة على النحو العربي والصرف العربي بما يقرب اللغة الفصحى من اللغة العامية .

نعم هذا ما يريده لويس عوض للعربية لغة القرآن : يريد لها الفناء بالانصهار مع الزمن في غيرها ليصير القرآن أبعد عن التأخير في حياة المؤمن ، وهذا شيء بما عرف من أن اليارحى كان قد شرع في تصحيح لغة الإنجيل مما يشوبها من ركاكة إلا أنهم أشاروا عليه بالكف عن ذلك حتى لا يكون فيه تدعيم للعبارة القرآنية أو لغة القرآن ، وبأتى لويس عوض هنا ليهدم العبارة القرآنية بالمكر والدهاء فهو يمتنى أن يزي اللغة العملاقة التي صرعت غيرها صريعاً قلبه الواهى ولكن إنى له ولأمثاله ذلك .

وفي الحقيقة أن علماء العرب لم يكونوا متعصبين وكانوا في دراستهم موضوعيين إلى أبعد الحدود فلا مجال لما يقوله لويس عوض وغيره مما لا يقوم عليه دليل صحيح وبرهان ناضج .

وتشير وجهه الدكتور لويس إلى هدف خفى يرى إليه هو هدم التوحيد
في الإسلام وإن أمر الربط بين الألفاظ العربية وألفاظ اللغات الأخرى لا يمكن
أن يتم على تلك الصورة التي حاولها لويس عوض بين (جبت) (وصمد)
لا ينبغي أن تتم على تلك الصورة التي تخرج عن نطاق المقارنات السديدة المبنية
على ما أصله علم الأصوات الحديث وهي محاولة عرجاء بل عمياء إذ لم يحاول
صاحبها أن يرجع إلى الأصول اللغوية والشرعية بل ساق الشبهة بلا دليل .

عن (محمد عبد الرحمن عوض) يتصرف

(٤)

أن لويس عوض يرى أن اللغة اللاتينية نوعت إلى لهجات هي الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية وقد تحولت هذه اللهجات إلى لغات وأن اللغة العربية مثل اللغة اللاتينية ، وإن لهجاتها العامية يمكن أن تتحول إلى لغات منفصلة تماما عن الأصل . قال لويس عوض نبيز الرأي وما يزال يصبر عليه ويعمل له ، وقد نادى به في مقدمة ديوانه بلوتولاند سنة ١٩٤٧ وعاد إلى هذا إلى الرأي عام ١٩٧٨ في مقال بجريدة الأهرام (١١ مايو ١٩٧٨) حتى يكرر في هذا المقال بكل تحديد ووضوح . أن اللهجات العامية تشبه اللهجات اللاتينية التي كانت منتشرة في أوربا قبل خمسمائة سنة ، وهو يدعو إلى أن تتحول اللهجات العامية إلى لغات مستعملة ، وهو رأى مصر عليه ينادى به في كل مناسبة ، وقد عاد إلى هذا الرأي في كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية - الصادر ١٩٨٠ فالفكرة التي تصرى في الكتاب هي فكرة التشابه بين اللاتينية والعربية واستقلال اللهجات العربية الأخرى عن أصلها ، وفي محاولة واسعة للتشكيك في مكانة اللغة العربية العليا ، وهو يحاول من أن يفصل من اللغة العربية والإسلام وبين اللغة العربية والعروبة وأنه من الممكن أن يكون هناك متعلون بالعربية لعدة أجيال مثل المصريين ولا يكون لهم شأن بالعرب والإسلام ، ويرى لويس عوض أن كتابته باللغة العربية العليا هو خيانة لعهده الذي أخذه على نفسه بين أشجار الدردار عند الشلال في كبردج .

* * *

وينسرك الدكتور لويس عروبة مصر ويصر على تجريد الثقافة العربية من أصالتها وبقية هل الأدلة التي تثبت أنها منقولة عن الثقافة الغربية ، وأن نقده للثقافة العربية نقد لا متهمة ، أو هو ثورة ضد هذه الثقافة من داخلها وأنه يعامل الحضارة الإسلامية على أنها ديانة فقط فضلا عن إنكاره لإصالة ابن خلدون ، والمعري وابتكارتهما وادعاه أن اللغة العربية نفسها متأثرة باللاتينية أو تابعها لها ،

ودعوته إلى إحلال العامية محل النصحى ودفاعه عن المعلم يعقوب وهو من
أقباط مصر تعاون مع الفرنسيين أثناء احتلالهم لوطنه وحارب إلى جانبهم ،
وقد اعتبره الدكتور لويس عوض داعية إلى الاستقلال بينما يحاول التشكيك
في أخلاص زعيم إسلامي كبير هو جمال الدين الأفغاني مشيراً من الشبهات حول
علاقته بالإنجليز وإن الدكتور لويس عوض تنحكّم في كتاباته عقدتان : هما
الإقابجية والطائفية وإن كان لويس عوض لم يقل في قومه مصر إلا ما كان يقوله
أحمد لطفي السيد والمقاد وطه حسين وسواهم من كبار الكتّاب الذين كانوا في
السياسة مصريين غير عروبيين .

(من حوار بين أحمد عبد المطلب حجازي ورجاء النقاش)

ما هو الحجم الحقيقي للدكتور لويس عرض ، وهل أصبح حقاً من الأساتذة
الكبار بالرغم من مرور الأعوام الطوال ، لا أظن أنه أبدع شيئاً مهماً أو حصل
علماً نافعاً أو اكتسب خبرة أو صقلته الأيام .

وإذا كانت نبرة لويس عوض هادئة باردة فليس لأنه لا يفعل أو لا يتمصّب
ولكن لأنه تمسّس على القتل العمد فالهدوء ليس إترافاً وإنما هو احترام للظلم ،
وما درج عليه من براعة في صناعة السموم ولم ينس محاوروه أن يسخروا منه في
إصدار الأحكام العامة دون معرفة أو علم أو شك أن يسدّد إلى قلبه سهماً نافذاً
لولا أنه اكتفى بأن يسكب على وجهه وثيابه زجاجة من الحبر الأسود وقد أفحم
نفسه في أشياء كثيرة لا يحيدها :

(١) حاول الشعر في مطاع حياته وبشر بموت الشعر العربي وطالب بكسر
عمود البلاغة العربية ولم يمت الشعر العربي ولم تنحطم أعمدة البلاغة العربية ولكن
شعر الدكتور لويس عوض هو الذي مات وبادت نظريته في أحياء البلاغة العامة
وتشيم عمودها .

(٢) وحاول أن يكون مؤرخاً مع أنه لم يتخصص في التاريخ ففشل فشلاً
ذريعاً وكثرت سقطاته وتضاعف عثراته ويكفي أنه أشاد ببعض الخونة والجواسيس
الذين تماهوا مع الحملة الفرنسية ضد أبناء وطنهم من أمثال المعلم يعقوب ورفعههم
إلى مصاف الأبطال .

(٣) حاول دراسة الأدب العربي فما إستقام له منهج وما حقق شيئاً في هذا
المجال ودليل فشله تحقق بشكل واضح في دراسته (على هامش الغفران) - الأهرام
في الستينات - وقد حركت هذه المقالات قلم الأستاذ محمود عبد شاكر فعلق على

الموضوع في مقالات متعددة صارت فيما بعد كتابا في جزئين بعنوان (أباطيل وأسمار) وهو من أهم الكتب التي صدرت في تاريخنا الحديث تحقيقاً وتأصيلاً لمنهج العلمى في الدراسة الأدبية إلى جانب ما فيه من متعة فنية وجمال في العرض ودفاع عن تاريخنا ومقومات حضارتنا وسيظل هذا الكتاب العظيم دليلاً عميقاً على أن الدكتور لويس عوض في حجم البعوضة وأن الهالكة التي منحتها له ظروف الحياة في عقد الستينات : عقد النهضة العينية ، لا تساوى جناح تلك البعوضة بل سيظل هذا الكتاب صحيفة سوابق أدبية للدكتور لويس تحمل بين طياتها ببطوراً كثيرة تندر كل قيمة علمية أو أدبية له ويسكنى أن محمود محمد شاكر قد ضبط لويس عوض متلبساً بعدم معرفة قراءه الشعر العربى فيبت شيخ المعرة المشهور :

صليت جرة الحجر نهاراً - ثم بانث تغصن بالصليان .

الصليان بالباب المنقوطة ومن تحتها نقطتين تعنى نباتاً صحراويًا كانت الأبل تأكله نهاراً في القبط والهاجرة قرأها لويس عوض (الصليان) بالباب المنقوطة من تحتها نقطة واحدة فتحولت إلى الصليان جمع صليب وبذلك تفر معنى البيت تماماً كما فهمه الدكتور عوض ومن العجيب أن لويس عوض فهم البيت على هواه بعد أن حرفة ثم رتب عليه مجموعة من الأحكام تصديدها تصيداً من نقول مبتسرة لم يحسن نقلها كامله ، وبالتالي لم يفهمها .

ومن ذلك أنه حدثنا أن أبا العلاء تعلم في اللاذقية كما تعلم في إنطاكية وأنه في إحدى رحلاته نزل بدير ولني راهباً درس على يديه الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان وأدهم فشك في دينه وحصل له إنحلال .

وقد زعم الدكتور عوض أنه نقل ذلك عن طه حسين : تلك هي الفضيحة التي سجلها الأستاذ شاكر على الدكتور لويس - التي تدل على عدم بصره بالتحقيق التاريخي والدرس الأدبي وفعل مثل ذلك بقصة راهب دير الفاروس التي وهم فيها الدكتور عوض .

والذى يقرأ كتاب (أباطيل وأسمار) يعرف الدكتور لويس عوض تماماً ويحدد بدون غناء مكانته العلمية وقبضته الأدبية .

أن أى كلام يكتبه الدكتور عوض لا تأثير له وليست له أية قيمة وأنه قد سقط من غرايل المعرى منذ ارتكب تأليف كتابه (على هامش القرآن) .

(عبد العزيز الدسوقي)

ترى ما رأى لو جاء باحث بعد قرن من الزمان فنظر في التقارير الأمنية عن الدكتور لويس عوض فوجد أنها خليط شيوعى أمريكى فاتهمه بالذبذبة ، والتلون ، ونظرا في تراثه الفكرى فوجد فيه ريح الطائفية فرماه بالباطنية والنفاق وفى تراثه السياسى فوجده متصلا بأمريكا وانجلترا فدفعه بالمهالة وكتب عنه فتحدث عن أسطورة لويس عوض وأن له دورا كان يؤديه لحساب مجرل وإن له ماضيا مريبا وتعاوننا كاملا مع جهة ما وأنه مزدوج الشخصية أو مثائها أو مربعا حسب الظروف وأن هوائفه وتحركاته جملة من المتناقضات كل ذلك بوثائق أمريكية وإنجليزية وفرنسية .

(شاكر مصطفى)

١ - في أغلب ما يكتب يبدأ بإصدار أحكام مسبقة يكون مصدرها أو علم في عقله أو متاهات في وجدانه أو أغراض شخصية بحته ثم يتبع هذه الأحكام ببراهن وأدلة بعدة عن الحقيقة كل البعد .

٢ - أنه يخاطب القارئ في شيء كثير من التعالى فيحشو كلامه بمبارات مهمة .

٣ - يعمل في أبحاثه على أن مصر تتسول الثقافة على كل باب تطرقه أو في محاولة لإثبات أن في مصر فراغا ثقافيا .

٤ - الاصرار على أن الثقافة المصرية الحديثة مستوردة من أوروبا جملة وتفصيلا ومحاولة إلغاء عروبة مصر وتأكيد إلتئانها إلى الغرب ، الاقلال من شأن الثقافة العربية .

٥ - في الوقت الذي يتمسك بدينه فهو يحاول ترديد كلمة العلمانية وهي عكس كلمة الذنينة .

٦ - يحاول في جميع دراساته عن التاريخ أو الثقافة أو الفن أن يزيغ الأثر الإسلامي الواضح في ثورة ١٩١٩ أو نظام الحكم أو المجتمع ويحاول أن يرد ذلك كله إلى الفرعونية في محاولة باطلة خادعة لا تقنع أحدا فالأثر الإسلامي واضح في جميع حركات التحرر والمقاومة وقد شهد بذلك مؤرخون أجانب منصفون .

1871

1. The first of the year was a very cold day, with a heavy frost, and the wind from the north-east.

2. The second day was a very cold day, with a heavy frost, and the wind from the north-east.

3. The third day was a very cold day, with a heavy frost, and the wind from the north-east.

4. The fourth day was a very cold day, with a heavy frost, and the wind from the north-east.

5. The fifth day was a very cold day, with a heavy frost, and the wind from the north-east.

الفصل الرابع عشر

مدحت وأتاتورك
(الرد على عبد الحميد الكاتب)

1

THE

THE

(١)

المؤامرة على تزكيا الخلافة مؤامرة على الإسلام بدقها مدحت . ووسطها
الاتحاديون . وختامها أناثورك .

لماذا هذا الحقد الشديد البالغ من أقلام عربية لكتاب مسلمين جغرافيا على
الخلافة الإسلامية والجماعة الإسلامية والوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي
الذي تشرق في هذه الأيام شمس وتبدو علاماته وتعلو رايته بعد أن تعددت كتابات
الكتاب عن الصحوة الإسلامية بأنه «ضربة موفقة» أو قبول أحد المؤرخين
الشعوبيين : «وهكذا سقطت الخلافة الإسلامية إلى الأبد» !

وقد نسي هؤلاء وأولئك حديث رسول الله ﷺ : «إن أول دينكم نبوة
ورحة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم تكون
خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم يكون
ملكاً عاصياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله . ثم يكون
ملكاً جبرياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم تكون
خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقى الإسلام بهجرانه على
الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض . لا تلحق السماء من قطر إلا
صبته مدراراً ، ولا تلحق الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته ، وما ينطق
عن الهوى . وهذا الحديث الصحيح يؤكد عودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى على
بحر أوثق صلة بحكم الله ونظامه الذي جاء به القرآن الكريم . وقد كان سقوط
الخلافة الإسلامية حدثاً ، خطيراً لم يكتب عنه بعد ، وكان له أثره في نفوس
العاملين في حقل البقعة الإسلامية . وقد كان مصدراً لقيام المفهوم الصحيح للإسلام
بوصفه منهج حياة أو نظام مجتمع . وما من دعوة إسلامية إلا وقد أخذت على

أهلها العبد بالعمل لعودة الخلافة الإسلامية متى جاء أولها ، وما تزال الحركات الإسلامية كلها عاملة على هذا النهج ، سائرة في هذا الطريق .

ولا ريب أن قيام عدد من المنظمات الإسلامية العالمية هي بشائر الخير في هذا الطريق . فإن الدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية أصبحت اليوم عملاً ضرورياً بعد أن فسدت الدعوات الاقليمية والقومية ، وفي مقدمتها الجامعة العربية . ولا بد للمسلمين من أن يصلوا إلى الطريق الحقيق لمواجهة تأمر الغرب والصهيونية والشيوعية عليهم وهو إحياء جامعتهم وإقامة خلافتهم .

معلومات مسمومة :

ولست أدري لماذا هذا الاهتمام بإعادة طرح معلومات مسمومة كاذبة مضللة انتشرت زمناً وكانت أشبه بالمسلمات ، روجها اليهود والمأزوني ثم تبين رصفها وتكشفت الحقائق التي تحضها ١٤

لماذا العودة إلى الريف بعد أن ظهرت الحقائق ١٤

ولماذا الادعاء بأن مدحت مصلح . وأن مصطفى كمال أتاتورك مجاهد ١٢٤

والحقيقة أن الرجلين ومن بينهما من رجال « الاتحاد والترقي » هم عملاء النفوذ الأجنبي والصهيونية . لقد تكشفت هذه الحقائق في العالم الإسلامي كله ولم يعد في إمكان كاتب ما أن يضل الناس بإعادة هذه الأكاذيب ورفضها ، وخداع الناس في أمر رجل كان « الله حاكماً يهودياً مثل « مدحت » ، أو رجل هو من الدعوة أصلاً مثل « أتاتورك » - إن الدعاوى الصهيونية والغربية قد خدعت المسلمين طويلاً بتزييف « صفحة الدولة العثمانية » والسلطان عبد الحميد من أجل هدف معروف وواضح هو إسقاط هذا السلطان ، وإزالة الدولة العثمانية وهدم الخلافة الإسلامية لتمكين الصهيونية العالمية من الوصول إلى فلسطين ، والاستيلاء على القدس ١١

لقد كان أتاتورك والاتحاديون هم مادة تجرية جديدة غادة أريد بها القضاء

على النظام الاسلامى وهدم الشريعة الاسلامية وإقرار نظام العلمانية والمادية والوثنية فى المجتمع والزبنة والسياسة فى البلاد الاسلامية ، ومحاولة لجعله مثلا أعلى للتقدم والتجديد . ثم جاءت أحداث التاريخ بعد خمسين عاما لتكشف زيف هذه المحاولة وفسادها بعد أن تعددت حلقات هذا الغزو التخريبى الذى جاءت ثورة إيران اليوم بمثابة الدليل الأكيد على فساد هذه التجربة وعلى سقوط هذا المنهج ومؤكده بأن المجتمع الاسلامى الاصيل القائم على فكرة التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرنا يرفض العضو الغربى ، ويتأكد له بعد التجربة المتصلة مع الديمقراطية الغربية والاشتركية الماركسية وفشلهما أن السبيل الوحيد أمامه هو المنهج الربانى الاصيل ، وإن الذين حرصوه طوال هذه السنين بالناس المنهج الغربى (شرقية وغربية) سبيلا للنهضة فى العالم الاسلامى لم يكونوا صادقين فى دعواهم فإن هذا الأسلوب فى الاحتواء والعمل على صهر المسلمين فى بوتقة الامية الغربية كان من نتائجه سقوط الخلافة الاسلامية ، والدولة العثمانية ، وسقوط فلسطين والقدس فى أيدى الصهيونية ، والحيولة دون إمتلاك المسلمين لارادتهم وتطبيق شريعتهم الاسلامية والعمل على منعهم من أداء فريضة الجهاد ، أو إمتلاك القوة القادرة على تجديد بناء الحضارة الاسلامية القائمة على العدل والرحمة والاخاء الانسانى .

مدحت باشا :

إن الصورة التى رسمتها تلك الكتابات المسمومة لمدحت باشا كاذبة ومضللة . فلم يكن مدحت بطلا قوميا ولكنه كان واحدا من قوى المؤامرة التى أعدت بإحكام للقضاء على الخلافة الاسلامية والدولة العثمانية ، وقد كان أمره مكشوفاً لدى السلطان عبد الحميد الذى كان قد وضع يده على مخطط الدوامة بالاشتراك مع أحرار الترك الذين كانوا قد جنّدوا لخطّة لإزالة الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية من طريق الصهيونية بعد أن حققت قبل ذلك إزالة الجيتو بالثورة الفرنسية وما كان مدحت شهيدا فى الحقيقة ، لأن الشهادة لا تكون للخونة ، وما تغلّره فى

الحقيقة ولكنه قتل نفسه بخيائته لوطنه وللإسلام ، والمعمل على تمكين اليهود من الغزو ، وهو من الدولة الذين دخلوا في الإسلام تقية لإخفاء هويتهم ، ولتدمير الدولة العثمانية من الداخل . وكان يعمل بتوجيه من المتآمرين المقيمين في باريس ، والمتآمرين المقيمين في سالونيك . ولم يكن الدستور الذي دعا إليه مدحت إلا محاولة لإخراج الدولة العثمانية من النظام الإسلامي والشرعية الإسلامية وتغليب نفوذ العناصر المعادية للإسلام ، وتمكينها من الانتقاص على الدولة .

وكان السلطان عبد الحميد يعلم مدى ما تهدف إليه المخططات الصهيونية . ولقد شهد المؤرخون المنصفون بأن الدولة العثمانية الإسلامية قد تساحت إلى أبعد حد مع العناصر غير الإسلامية ، ومكنتهم من أداء عباداتهم وإقامة شعائرهم ، وفتح المدارس وإقامة المنامات إلى الحد الذي كان عاملا من عوامل تمسكهم من التآمر على الدولة وإسقاطها . ولقد كان السلطان عبد الحميد هو نقطة المؤامرة في الحقيقة لأنه وقف أمام مطامعهم وأهوائهم ، ورد (هززل) عن محاولاته ومؤامراته بالرد الحاسم وسمع من مثل اليهود أن ذلك سيكلفه عرشه أو حياته فلم يتردد في تضحيته وقد كشف السلطان عبد الحميد في مذكراته دور الدولة ورجال الاتحاد والترقي .

الانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية :

وإذا كانت هناك محاولة للانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية ، واتهامها بالتقصير . فإن هناك ما يؤكد كذب ذلك ، وما أورده جمال الدين في حديثه إلى الخزومي باشا في كتابه (خاطرات جمال الدين) يكشف عن مدى قدرة السلطان عبد الحميد على فهم تيارات الغربيين ، وقدرته على ضرب مخططاتهم وضرب بعضهم ببعض . ولقد قام السلطان عبد الحميد بإعلان تلك الصيغة المفروعة التي عجبت به . وهي قوله : (يا مسلمي العالم اتحدوا) وكان هدفه أن يجمع المسلمين من هم خارج الدولة العثمانية (العرب والترك) تحت لواء الخلافة والوحدة . وبرز الغربيون واليهود من ذلك نوعاً شديداً ، فقد مضى إليه بخطى حاسمة وحقق نتائج هامة .

واقعد كان عقلاء المجاهدين المسلمين يؤمنون بأن المحافظة على الدولة العثمانية إحدى العقائد الإسلامية بعد التوحيد والنبوة . ومن ذلك محمد عبده وشكيب أرسلان ورشيد رضا وغيرهم . وقد كانت الدعوة الحقيقية هي محاولة إصلاح الدولة العثمانية من تحت مظلة الخلافة وتحويل تنظيمات الحكم دون إسقاط الدولة وكان ذلك فهم أحرار العثمانيين والعرب جميعاً ، وقد كان هذا ممكناً لولا ذلك الدور الذي قامت به الماسونية واليهودية العالمية في سبيل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد ، وإحلال نفوذ الاتحاديين أعاونهم الذين تربوا في محافلهم . والذين سلخوا لهم فلسطين ، وسلبوا للإيطاليين في طرابلس الغرب ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ولا ناقة لها فيها ولا جمل حتى يحدموها ويقضوا عليها .

وحدة إسلامية وليست عنصرية :

كذلك فإن علاقة مصر والبلاد العربية بالدولة العثمانية لم تكن علاقة استثمار بل إن كلمة استثمار لا تطلق إلا على النظام الغربي الحديث وإنما كانت علاقة ترابط تحت لواء الأخوة الإسلامية ، واستعانة البلاد المستضعفة بالدولة القوية ، والمصريون والجزائريون وغيرهم الذين طلبوا من الدولة العثمانية الارتباط بها خوفاً من تجدد مؤامرات الحروب الصليبية .

كيف ما في كتب الموارنة وأتباعهم :

ولا شك إنه من أكبر أخطاء الباحثين هو إعادة نشر ما جاء في الكتب المدرسية ولدراسات التاريخية السابقة لظهور « بروتوكولات حكماء صهيون » عن السلطان عبد الحميد وركبا العثمانية . وهذا كله زائف ومن صنع الصهيونية وأعاونهم من الموارنة . أما اليوم فإن الرقعة التاريخية المنصقة قد اتسعت ومن الظلم أن يقف الباحثون عند الحملات الكاذبة المضللة وتجاهل الرقعة الصحيحة لإبعاد الواقع التاريخي ، لقد حانت كتب جورجي زيدان وأحمد أمين وغيره صورة

مضلة زائفة للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهية الاتحاديين الذين علموا العرب على المشائق ومكنوا للصهيونية وحملوا الدولة العثمانية ، وهم الذين تربوا في أحضان المحافل الماسونية . وعلى الباحث النصف أن يرجع إلى الإضافات الجديدة التي ظهرت بعد الخمسينات والتي تكشف فساد ما كتبه جورجى زيدان وفارس نمر وسليم سركيس .

والجديد يحلو الحقيقة ، فما كتبه جواد رفعت ومحمد جميل بهم ، وعبد الله التل والمقاد وخليفه الترنسى وعجاج توبهض وتوفيق برو فإن هذه الكتابات قد غرت تلك الصورة الزائفة التي ما زال يعتمد عليها خصوم الاسلام .

والقضية : أن اليهود عندما أحسوا بأن السلطان عبد الحميد قد وقف في طريقهم نهائيا عملوا على تصفيته ، ومهدوا لذلك باتهامه بالاستبداد والفساد ، وأذاعوا ذلك في صحف الموارنة في مصر مثل المقطم والبلال والمقتطف وغيرها .

ثم جاء أحد أمين وأمهاله فنقلوا منهم . لأن الحقائق لم تكن قد تكشف بعد ، ولم تكن البروتوكولات قد ترجمت إلى العربية ، فلماذا هذا الزيف بحجب مرحلة من الحقائق ، والعودة إلى إذاعة ما قبلها من الضلال بإعلاء شأن مدحت وأتاتورك ، وهما من هما في الخيانة والتبعية .

حقيقة أتاتورك :

إن أتاتورك في الحقيقة لم يكن مجاهداً ولا مصلحاً ، وإنما كان تهمة الاتحاديين لقد أخروا دوره في المرحلة الأولى قبل الحرب ليمتولى الدور الثاني . فالاتحاديون أسقطوا الدولة العثمانية بأن أدخلوها الحرب لتصفى مايتها ووجودها . وجاء أتاتورك ليفرض عليها اللون الغربي ، وينقلها نقله واسعه عن دولة الخلافة الاسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية ، ويقضى على الاسلام تماما ، ومعامدته السرية المعروفة التي عرفت بمعاهدة لوزان تكشف ذلك في وضوح .

وقد استطاع أتاتورك إخفاء وجهه الحقيقي حتى يؤدي دوره كاملاً بخدع المسلمين في المرحلة الأولى بالصلاة وإمساك المصحف ، وطلب إهداء منهم . أما دوره في الجهاد في أزمير فقد كشفت الوثائق أنه كان زائفاً ، وأن غيره هو الذي قام بدور البطولة ، وأنه استلب منهم هذا الجهد وحطمهم ونسبه إلى نفسه .

ولقد كان أتاتورك عميلاً غريباً كاملاً ، وعميلاً صهيونياً أصيلاً ، وقد أدى دوره تماماً ، وأقام تلك التجربة المظلمة المريعة التي تركت آثارها من بعد على العالم الإسلامي كله ، والتي كشفت الأحداث في الأخير فسادها ، وتدهراً الأتراك المسلمون من تبعها ، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصالة مرة أخرى دليل على أنها كانت تجربته زائفة مضادة للفطرة ولطبائع الأشياء ، والدليل إن المسلمين لم يثقوا بها بل رفضوها ، وقد كشف أكثر من مستشرق وفي مقدمتهم (دامادون جب) إن العرب لن يقبلوا في برائن هذه التجربة التي خرجت بهم عن الأصالة وعن الذاتية الإسلامية .

ولقد كان من أكبر معالم اضطراب كمال أتاتورك أنه عندما أحس بدنو أجله أن دعا السفير البريطاني ليتولى بدلاً منه رئاسة الدولة التركية . وكان كلامه من علامات الخسة والنذالة والحيانة ١١

وقد صفع المؤرخ العالمي أرنولد تويني التجربة السكالية التي يفخرون بها ويعدونها الآن بعد أن رفضها أهلها وحكوا بفسادها . يقول تويني : إن الأتراك كانوا عالة عن الحضارة الغربية وأنهم تغربوا ولم يقدموا أى شيء إلى هذه الحضارة ، فكانوا عاجزين عن الإبداع في أى مجال من مجالات الإنتاج .

والواقع أن مصدفي كمال أتاتورك لم يكن كما يدعى المدعون شيئاً جديداً ولكنه كان حلقة في المؤامرة التي بدأها مدحت وكان وسطها رجال الاتحاد والترقي للقضاء على السلطان والدولة العثمانية . ثم ختمها أتاتورك باقتضاء على الخلافة الإسلامية ، ولا ريب أن انتقاص قدر الدولة العثمانية وحكامها بخاف لواقع

التاريخ ، وهو من عمل أتباع الغرب والشعوبية ، وقد جرى ضمن مخطط يرمى إلى إثارة الخلافات والخسومة بين عناصر الأمة الإسلامية ، وكان دعوة للوقعة بين العرب والترك والفرس ، وهم عناصر الأمة الواحدة التي جمعها القرآن وقادها محمد ﷺ وأمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك خلافات فرعية فإنهم جميعاً أمة واحدة ، ولو كان هناك قليل من الانصاف والأمانة التاريخية لدى كتابنا المزيفين لراجع الكاتب ما كتبه أستيفورت وهو غيبي في كتابه (حاضر العالم الإسلامي قبل أربعين عاماً) وكيف تحدث عن عظمة الدولة العثمانية ودورها الذي قامت به في وجه الصليبية الغربية .

أما صيحة العناصر والاجناس التي حاول كاتب أخبار اليوم أن يجعلها قضية فإنها لم تكن كذلك في ذلك الوقت ، وإنما هي المؤامرة التي عمد النفوذ الأجنبي بها إلى استغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة العثمانية ، أما المسلمون فلم يكونوا يعرفون مصرية وسورية وجزائرية وغيرها ولا كلمة العربيه نفسها ، ولكنهم كانوا مسلمين لحسب وإنما ظهرت هذه الدعوات إلى الإقليميات والقوميات بتحريض عناصر غير مخلصه لتفكيك عرى الوحدة ، وهدم هذه الجامعة الإسلامية التي كان الغرب يخشاها ، ولإقامة قومية زائفة هي القومية الصهيونية .

ولا ريب أن الأسلوب الذي اتخذ في إسقاط السلطان عبد الحميد هو أسلوب لم يعرفه النظام الإسلامي في تاريخه كله وهو من صنع المؤامرة الصهيونية التلودية التي استطاعت أن تحمي وتحرك هذا الخلداع عن طريق قوة عسكرية تتحرك هاتفة باسم السلطان خدعة ثم تكون في نفس الوقت متأمرة عليه لخدمة هدف خامس على كل الذين قاموا به ، ولا يعرفه إلا القليل وهو إعادة اليهود إلى فلسطين .

كذلك فإن ما قام به أتاتورك لم يكن نصراً عسكرياً أو سياسياً وإنما كان هناك إشارة بقبول التوجيه الغربي : وتوقيع ملحق معاهدة لوزان وهو الذي فتح الطريق إلى كل شيء ، وبه حلت جميع المشاكل ، وانسحبت كل الجيوش ، وتحقق ما يسعى النصر والاستقلال ، وكتبت على أثر ذلك آلاف الكتب في

تمجيد البطل الذي لم يكن إلا عميلاً من عملاء الخيانة لحساب الصهيونية العالمية ،
والتفوذ الغربي ، والصيوعيه أيضاً فإن الشيوعيين هم أول من عارنه لقاء موقفه
من عداء الاسلام .

ولا شك أن الضربة الذي وجهها أمانورك إلى الخلافة الاسلامية قد فتحت
صفحة خطيرة في تاريخ الاسلام الحديث ، وأن الذي فرحوا لذلك من كتاب
يكتبون باللغة العربية سوف يرون أنهم كانوا غير بعيدى النظر في فهم الأمور
وأنهم استمدوا ذلك الفرح من مشاعر حاغلة بالحقد والكراهية للإسلام ، وأن
الخلافة الاسلامية عائدة لا محالة ، وأنها هي العنوان الحقيقي للاجادة الاسلامية
وللتضامن الاسلامى ، وأنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الاسلامية
(وبومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وعندئذ ستنتكس رؤوس الظالمين .

المعاهدة السرية

التي عقدها أتانورك والي سميت بشروط كرزن الأربعة

ينص بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣
المعروفة بشروط كرزن الأربعة على ما يلي :

- أولا - قطع كل صلة بالإسلام .
- ثانيا - إلغاء الخلافة الإسلامية .
- ثالثا - إخراج أنصار الإسلام من البلاد .
- رابعا - اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام

الفصل الخامس عشر

كيف سرق غاندى الحركة الوطنية من المسلمين

20. 1. 18. 18.

(١)

غاندى

غاندى سرق الحركة الوطنية من المسلمين

الهندوسى المتعصب الذى أخفى هندوسية البغيضة وراء المخزل والشاة .
وكان أول سياسى طالب بتأجيل الاستقلال منادياً بمهادنة السلطة وعدم
مناوأة حكومة الاستعمار .

وكانت فلسفة غاندى الى استقامها من تولستوى ولقنوها لنا فى الشرق هي
التخاضى عن تصرفات المستعمر والاستسلام له .

والحقيقة أن الزعماء المسلمين هم الذين أعلنوا استقلال الهند الحقيقى وعينوا
قضاة المحاكم وحكام المقاطعات وتجاهلوا جميع كل السلطات وقد ظهرت آثار
المسلمين واضحة فى الحركة الوطنية وضعفت وطنية الهندوك تحاربوا المسلمين بكل
سلاح حتى سلاح الفتنة الوطنية والدس الرخيص .

* * *

كان السؤال : حول غاندى وتكريمه ، والاحاديث التى تنشر عنه
فى الصحف ، وتصويره بصورة البطل : ومحاولة القول بأنه كان رمزاً
للمصريين إبان الحركة الوطنية المصرية بمعد ثورته ١٩١٩ وكانت الإجابة
كالآتى :

بدأت الحركة الوطنية لتحرير الهند فى أحضان الحركة الإسلامية . وقد
ازججت الاستعمار البريطانى هذه الخطورة فعمدوا الى القضاء عليها بأسلوب غاية
فى المكر والبراءة فقد نعى المسلمون عن قيادة الحركة الوطنية وأسلمها الى
الهندوس ، وأجروا على الأسلوب الذى سيطر على الهند بمعد ثورة ١٨٥٧

التي قادها المسلمون وكان الاستعمار البريطاني حريصاً على ألا يتحقق للمسلمين السيطرة على الهند بعد أن ظل الإسلام يحكم الهند أكثر من خمسمائة عام إلى أن أزاله الإنجليز .

والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أتيح لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد الإسلامية ، انتشرت في « لاهور » و « لكتو » ولم تلبث أن حققت تقدماً واضحاً في المجال . ثم اتجه العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة في لكتو (بومباي) وكان يشرف عليها كبار المسلمين في الهند مطالبين بحقوق المسلمين في كويتيين وكان الهنوك قد أعلنوا لإنشاء المؤتمر الوطني العام وسموه المجلس الملى الوطني الهندي العام . وكان غايته أن يناهز حقوقاً سياسية تخولهم السيادة على الأقليات (وهم لا يريدون من كلة الأقليات غير المسلمين) وفي عام ١٩١٦ نهبت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسني أن يغادر الهند وقبض على أعوانه : أبو الكلام آزاد ، حسرت مهاني ، ظفر الله خان ، محمد علي ، شوكت علي . ولما عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لإجراء إصلاحات في قانون الهند . فالتقى الفريقان (المسلمون والهندوس) على عقد مؤتمر في لكتو يجتمع فيه زعماء الفريقين .

وفي عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة سراح المسجونين السياسيين المسلمين ، فاجتمع زعمائهم في لكتو بدعوة مولاي عبد الباري رئيس علماء أفرنجي محل فتداولوا في تأسيس جمعية إسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال وكان مد طهر في هذا الوقت تأمر الدول الكبرى على تمزيق شمل الدولة العثمانية . فأطلق هذه الجماعة (جمعية لإنقاذ الخلافة من مخالب الأعداء الطامعين) وتأسست جمعية الخلافة في بومباي (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو ، ميل حاجي خان . ودخل في عضويتها الزعماء المسلمون المعروفون في الهند ، ودعت اللجنة المسلمين إلى جمع الإعانات للدفاع عن حوزة الخلافة ، فأقبل المسلمون بمسجدهم وجمع ما لا يقدر عن سبعة عشر مليون روبية إلى أعضائها ذلك كما يقول السيد عبد العزيز النخيلي

الزعيم التونسي الأشهر في تقريره الذي قدمه للأزهر الشريف في يونيو ١٩٣٧ بعد زيارته للهند ودراسته لأحوال المسلمين هناك .

كان (غاندى) إلى تلك الآونة غير معروف في الهيئات السياسية في الهند ، وكان متطوعاً في فرقة تمريض الجنود ، ولما انتهت الحرب وانفصل عنها كانت جمعية الخلافة في بدء تأليفها فأقبل عليها وكان اسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل الذين عرفوه في الساتل وجنوب أفريقيا . فتياهم به زعماء المسلمين رغم تحذير المولوى (خوجندى) وكان عن حملة به من قبل ، ويعلم من أمره مالا يعلمون وبالأخص من ناحية تعصبه للهنداكة مع المسلمين . وشامت الغفلة أن تطوى هذه الحركة العظيمة على يديه . فعمد في جمعية الخلافة مقعد الناصح الأمين وجعل يشر عليها باستئلاف الهنداكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية ، ونبذوه للسمى إلى ذلك فقام وطاف الهند على حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق ويقول المظلمون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنداكة ، ويتأمر معهم على شل الحركة الإسلامية ولما عاد من الرحلة سعى إلى إقناع جمعية الخلافة بانضمام إلى الكونغرس (المؤتمر الوطنى) الذى تأسس لملاحقة المسلمين وانتزاع حقوقهم في الهند فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة إرتكازاً على الثقة في (غاندى) وعقد الكونغرس اجتماعاً فوق العادة بعد انضمام المسلمين إليه في مارس ١٩٢٠ في بلدة باكور حضره ٢٥ ألف مندوب أكثرهم من المسلمين ولما نلى عليهم القانون الأساسى أقترحوا تعديل المادة التى تقول بأصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر ، وشرعت الأحزاب الهندوكية منذ ذلك الوقت تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء إصلاحات . يارتعات الحكومة (البريطانية) لهذا التعبير وعدته فاجحة في سياسة البلاد وعلى أثره ألقت القبض على الزعماء وزجهم في السجون . واجتمع قادة الحركة وعرض أبو الكلام آزاد اقتراحاً باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان (الأمة الهندية) وبأن الحكومة الحاكمة غير شرعية . مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها فوافقت الجمعية ، وانعقد على أثره (مؤتمر جمعية الخلافة) ناعلن موافقته أيضاً بالإجماع . وبعد أن جرى

فصديق المؤثر على قرار المقاطعة قام غاندى خطيبا وقال ، إن اتحاد الهندك مع المسلمين يبقى متيناً ما لم يشرع المسلمون فى مناوأة الحكومة ، ويشهروا السلاح فى وجهها . ورد عليه أبو الكلام آزاد فقال :

« إن غاندى يتصور أن أعمال المسلمين فى الهند لا تقوم إلا على مساعدة الهنادك فقد آن له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم غاندى أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا الله عز وجل وعلى أنفسهم . »

وشرعت الأمة الهنديه عقب ذلك فى مقاطعة الحكومة وإظهار العصيان المدنى فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم ، وتحلى المحامدون عن الدفاع أمام المحاكم . وأعاد الناس الرتب والنياشين ، والبراءات للحكومة ، وأحرق التجار المسلمون جميع ما فى مخازنهم من البضائع الانجليزية ، وترك المسلمون الموظفون مناصبهم فى الحكومة فخل الهنادك محلهم وهاجر كثير من المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا أملاكهم وأرضهم فى الهند وأشدت المقاطعة فى البنغال اشتداداً عظيماً ليس له مثيل ، فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين حتى إذا أعيى الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص فى الصباح وتطالعهم فى المساء لأن السجون لم تعد تتسع للمعتقلين . وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) كلكتا فقال :

إننى شديد الحيرة من جراء هذه الحركة وأستأدى ماذا أصنع فيها .

ومن هذا السياق نستطيع أن نتصور قوة المسلمين فى الحركة الوطنية وضعفها فى الهندوكية ولا شك الهندوكى بالغاً ما بلغ من النشاط السياسى لا يستطيع أن يجابه الحكومة ، كما لا يستطيع أن يحارب المسلمين إلا بسلاح الدس . وقد اجتمع الزعماء المسلمون فى عام ١٩٣١ وأعلنوا استقلال الهند استقلالاً فعلياً وعينوا ولاية الولايات ، وحكام المقاطعات ، وقضاة المحاكم فى جميع المدن . فكان الوطنيون يرفعون قضيتهم أمامهم ، ويتجاهلون محاكم الحكومة ، وبسبب ذلك تعطلت أعمال الحكومة الهولندية ، وحدث ارتباك شديد فى

الدوائر العاليه بالهند غير أنها بدلا من أن تستعمل سلاح القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية وهي أشد خطراً ، وكان بطل هذه المناورات المهاتما غاندى ، فقد اتفق اللورد ريدنج مع غاندى على حل الوفاق القومى بين المسلمين والهندوك وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية بعد ستة أشهر . فقد نقل إلى اللورد الذى قال لغاندى :

« إن مصدر الحركة الاستقلالية فى الهند هم المسلمون ، وأهداها بأيدي زعماءها فلو أسرعنا وأجبنّاكم إلى طلباتكم ، وسلمنا لكم مقاليد الأحكام الأتري أن مصائر البلاد آية للمساكين . فإذا يكون حال الهناك بعد ذلك ؟ هل تريدون الرجوع إلى ما كنتم عليه قبل الاحتلال البريطانى وهل تفيدكم يومئذ كثرتكم وأنتم محاطون بالأمم الإسلاميه من كل جانب ، وهم يستمدون قوتهم منها عليكم . إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فغايكم أن تسعوا أولاً لكسر شوكة المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومه وينبغى لكم أيضاً تنشيط الحركات الهندوكية للتفوق على المسلمين فى جميع الأعمال الحيويه وفى بلوغهم الدرجة المطلوبة فإني أؤكد لكم أن حكومه بريطانيا لاتعمل فى الاعتراف لكم بالاستقلال ، .

وقبل انصراف غاندى أوعز اللورد إليه أن يشير على (مولانا محمد على) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه فى مؤتمر الخلافة ، وحل فيه على الحكومه حملة عنيفه . يقول فى هذا التعليق :

« أن مافهمته الحكومه كان مخالفاً لما رادى » فصدع غاندى بالأمر ودعا محمد على لكتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سرياً لا يطلع عليه أحد غير اللورد فكتب البيان تحت التأثير السحرى الذى كان لغاندى عليه . وماكد الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع فى جميع أقطار الهند بعد أن صورته الحكومه بمقدمة قالت فيها :

« إن محمد على تقدم إلى الحكومه يطلب منها العفو عن المخفوة اتى ارتكابها ، .

وأتم محمد علي من المسلمين بالتراجع ، ورمى بالخسور والضياع غير أنه لم يحاول أن يصحح موقفه إلا حين عقد مؤتمر في كراتشي (أغسطس ١٩٢٠) حين أعلن سياسة المناوأة للحكومة لا موالاتها . فتملقى منه الهناك والمسلمون هذا التصريح بالارتياح التام ولكن عقب انفضاض المؤتمر أمرت الحكومة باعتقاله مع ستة آخرين من الزعماء : شوكت علي ، حسين أحمد ، كشار أحمد ، ببر غلام محمد ، الدكتور سيف الدين كتشلو . وساقطهم جميعاً إلى المحكمة الخاصة للمحاكمة . فرفضوا الاعتراف بالحكومة وهيبة المحكمة عملاً بقرار المؤتمر السابق وامتنعوا عن الدفاع عن المتهم . ولكن المحكمة أدانتهم بمجرد الاتهام ، وحكمت عليهم بالحبس عامين مع الأشغال الموجبة لألئهم . وبعد الحكم أصدر محمد علي ، سيف الدين كتشلو منشوراً بتوقيعها يخاطبان فيه الشعب وينصحانه بتدعيم الاهتمام بما حصل وبعد نه بأن الزعماء المعتقلين سيحضرون اجتماع الكونجرس القادم في ديسمبر سنة (أحد أباد) سواء رضيت الحكومة أم كرهت لاعتقادها أن الكونجرس سيعمل بصفة رسمية استقلال الهند ، وتأليف حكومه وطنية هي التي ستقرر الإفراج عنهم . ولكن الحكومة لم تأبه لهذا المنشور لأنها كانت واثقة من أن الكونجرس لن يفعل . ولما عقد اجتماع الكونجرس (ديسمبر سنة ١٩٢٠) حضر غاندى وقال :

« بما أن الزعماء معتقلون ، ولا سبيل للمداولة معهم في دنياج أعمال المؤتمر فأفترح عليكم تعييني رئيساً للمؤتمر ، وتخويلي السلطة الطاقة لتنفيذ ما أراه صالحاً من الإجراءات . »

فوافقت اللجنة على ذلك دون أن تنبئه إلى ما كان يضره دونه من المقاصد التي قد لا تتفق مع خطه المؤتمر ، وتقرر فيها أيضاً إسناد رأسه مؤتمر الخلافة إلى أجل خان ، ومؤتمر مسلم ليك إلى حسرت مهابى . وقبل اجتماع مؤتمر الخلافة قال غاندى للحكيم أجل خان :

« إن إعلان الاستقلال في الظروف الراهنة غير مناسب . »

وما زال به حتى أقنعه بالعدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسلمون كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، وكانت الحكومة تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وما عساها تصنع لو تحلف غاندى عن الوفاء لها بوعده . وفي أغسطس ١٩٢١ أجمع الكونجرس تحت رئاسه غاندى في أحمد آباد فأعلن أن الوقت الذى يصرح فيه المؤتمر باستقلال الهند لم يحن بعد ، فهاج الأعضاء وماجوا . وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافه ، وتيب الحكيم أجمل خان أن يشر عاصفة من قبل المسلمين فأمسك عن إعلان الاستقلال . أما حشرت مباتى فقد أعلن في مؤتمر مسلم ليك أن الهند تريد أن تحرب بواسطتهم عن إرادتها في الاستقلال . فعلى الهنود أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترفوا بقوانين الحكومة الملقاة . فأمرت الحكومة بالقبض عليه وحكم عليه بالسبع عشر سنين مع الأشغال ، وأجمعت الصحف الهندية على نقده ووصفه بالشدة وخفضت العقوبة إلى سنتين . وعقب ظهور هذا الفضل الكبير في سياسه البلاد إعترت المسلمين شكوك في تصرفات غاندى ، واستيقنوا أن زعماء الهناذكه متفقون على ذلك فدب الانشقاق بين الطرفين :

هذا هو النص الذى أورده العلامة الزعيم عبد العزيز الثعالبي عن دور المسلمين في الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه غاندى بالتآمر مع النفوذ البريطانى فإمار مخطط الاستقلال . وفي خلال سجن زعماء الحركة المسلمين تسلم غاندى الحركة وحوالها إلى وجهه أخرى مخالفه مما دعا المسلمين من بسد إلى المطالبة بكيان خاص لهم .

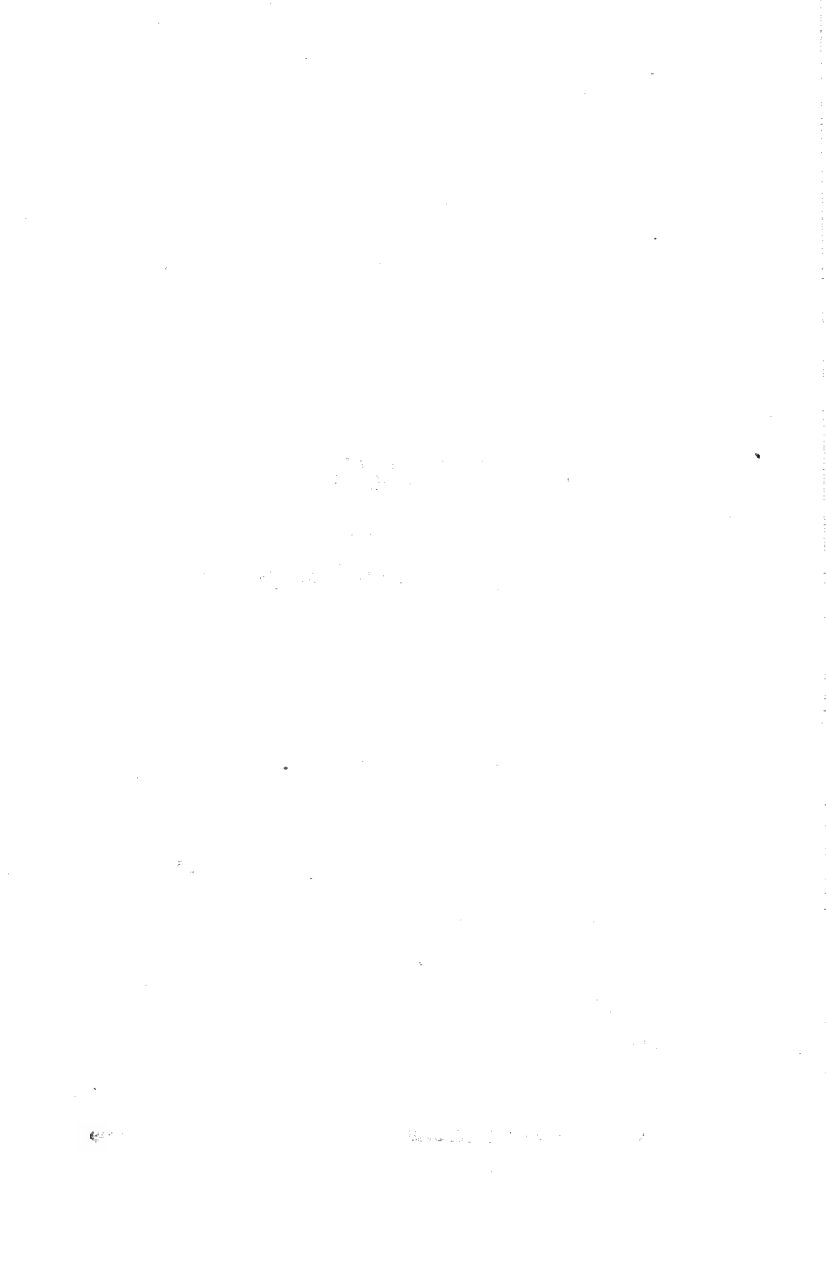
هذا هو غاندى في حقيقةه التى لم تعرف في بلادنا وفي المشرق . والتى أخفيت عنا تماماً خلال تلك الفترة التى كان المصريون يتوجبه من السياسة البريطانية يعجبون بغاندى ويدعونه إلى الإستسلام للنفوذ الأجنبى وقبول ما يعرض وعدم العنف . وهذه هى الفاعله التى استقاها غاندى من راسموى وذاعت كثيراً في بلاد المسلمين معارضه لمفهوم الاسلام الصحيح من الجهاد المقدس في سبيل

استخلاص الحقوق المغتصبة أبان الحركة الوطنية المصرية حيث كانوا يجدون في غاندى وأخباره ما يؤيد نفوذ الأجنبي ويدفع الوطنيين المصريين ناحية التفاهم مع الاستعمار البريطانى ولذلك فإن هذه الصفحات التى ينشرها بعض الكتاب لرسم صورة مزعومة لغاندى يجب أن لا نتخذ منها كثيراً فإنه رجل هندوسى متعصب لهندوسيته كاره للمسلمين . وقد كان هو وتلميذه نهرو أشد عنفاً وقسوة فى معاملة مسلمى الهند ، وكانت أنديرا غاندى ابنة نهرو أبان حكمها قد حكمت على المسلمين فى بعض المناطق بتعقيمهم عن طريق العمليات الجراحية عملاً على الحد من تعداد المسلمين فى الهند . فيجب علينا أن نعرف الحقائق ولا نتخذ منها الأوهام الكاذبة والصور البراقة التى يراد بها تغطيته حقيقة واضحة وجريئة كبرى هى أن غاندى فى الحقيقة سرق الحركة الوطنية من الزعماء المسلمين وتآمر عليهم مع الحكومة البريطانية وأدخل أمثال محمد على وشوكت على وأبو الكلام آزاد وهم من أقطاب المسلمين ، أدخلهم السجون ، وسحب بساط الحركة الوطنية بالتآمر من تحت أرجلهم ، وحال دون قيام حكومة هندية حرة يكون المسلمون فيها سادة . وذلك لخدمة الاستعمار البريطانى وتسليم الهند إليه لتحويل المسلمين إلى أقلية فيها مما دعا المسلمين إلى العمل على قيام باكستان والتحرير من نفوذ غاندى والهندوكية والاستعمار البريطانى .

راجع تقرير الشيخ عبد العزيز التعالى (البلاغ ١٩٣٧)

الفصل السارِسْ عَشْر

سارتر بین عبد الرحمن بدوی و آنیس منصور



جرى التساؤل في الندوة حول نظرية الوجودية بعد أن هلك سارتر وما هي الآثار متى تركتها على جبين الأدب العربي والفكر الإسلامي ؟

والواقع أن نظرية الوجودية قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل وإن حاول هذا الشق أن يمد من عمرها بانتباهه في السنوات الأخيرة إلى الشيوعية واحتضانه لقضايا الصهيونية إذ هو نصف يهودي كما كان يطلق عليه عباس العقاد لأن أمه يهودية . وقد خدع بعض البلهاء من المصريين حتى أعدوا له زيارة ليحصلوا منه على تصريح يختم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين في غزة . فإن غايتها حتى كشف عن هويته الصهيونية وأعلى الماركسيين الذين احتفلوا به درساً كشف عن عمالتهم هم ، ومكره هو والذين رافقوه ومع هذه اللطمة القاسية فإن كتابا مصريين وعربا مازالوا يذكرون سارتر ويتحدثون بمذهبه وبما يسمونه الوجودية العربية التي قادها عبد الرحمن بدوي وكان لها على فترة طويلة أعواناً . وكانت كتب سارتر تظهر في باريس بالفرنسية وفي بيروت بالعربية في وقت واحد . وربما ندم بعض الكتاب عن تبجيلهم لسارتر ، وأحسوا أنهم أخطأ والطريق بعد أن قرأوا ما كتبه « جاك برك » ، مثلاً حين قال :

« إن سارتر عقل كبير ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسي وليس من الضروري أن يكون العقل الكبير عقلاً سياسياً ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يجابهه من التيارات اليسارية ومنها الشيوعية بنوع من العقد نفسه .. ومن المؤسف أن سارتر الذي ينفى معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحس به . لم يستطيع سارتر أن يتغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيوني . فاعتبر إسرائيل (صيحه) وقلب القصة فاعتبر إسرائيل (مدعى عليها) وقد بلغت الدعاية الصهيونية به أن يقلب الحقيقة التاريخية في أوروبا كلها . لهم يقولون أن يكون الوجوديون استعماراً » .

ويرد كثير من أنصار سارتر فشل سارتر وكيف تبخرت مفاهيمه التي ضللت الشباب العربي ردحا من الزمن ، وكيف انقشع بريق اسمه فظهرت الوجودية فلسفة للنوضي والانحلال ، وكيف هوجمت فلسفة سارتر من كلتا الزعتين : الرأسمالية والشيوعية ورفضوا مفهومه عن الحرية ووصفوها بأنها حرية فوضوية ومن ثم حاول سارتر أن يتقرب إلى الشيوعيين وتراجع عن كثير من آرائه السابقة .

وفي مصر تقدم عبد الرحمن بدوى برسالة دكتوراه عن (الزمان الوجودي) ورأس الحفل الدكتور طه حسين واشترك مع المستشرق بول كراوس وأعلن طه حسين أن عبد الرحمن بدوى أول فيلسوف وجودي مصري ، وقد قدم بدوى الفكر الوجودي وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة وترجم كتاب سارتر الضخم : (الوجود والعدم) .

ولم يلبث عبد الرحمن بدوى أن اختفى وطوته الموجة التي تطوى كل المذاهب الضالة والمنحرفة ، وكشف الفكر الإسلامي عن أصالته في أنه يرفض كل ما ليس متمسكاً بقيمه الأسلمية مهما بدأ يوماً وله بريق أخاذ .
لقد كانت فلسفة سارتر شؤماً عليه . فقد أضحت عليه طسلاً مظالمًا مازال يلاحقه .

وقد كان عبد الرحمن بدوى قبل سارتر تابعاً للفلسفات الباطنية والمخوسية يحياها ويرد إليها الروح ، ويقدم شخصيات قلقة في تاريخ الإسلام ويشهد بأمنال الرواندى والحلاج وغيرهما من الزنادقة ، وإلى جانب ذلك فقد قدم في الفلسفة الإسلامية الجانب الصوفي المتصل بوحدة الوجود والحلول وأشاد بالـمهروردي وابن عربي وابن سبعين : تلك الشخصيات الضالة التي عمل أستاذة الأول (ماسنزون) على إحيائها . وكان طه حسين هو صاحب الدعوة إليها في الأدب العربي منذ أعاد ابنعاش (إخوان الصفا) وكما سقط الفكر الباطني سقط الفكر الوجودي وانهارت تلك الصروح على رؤوس أعماها (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم) .

ولذا كان الأدب الغربي قد عرف وجودية كيركجارد ، وكامى ، وسارتر ،
فإن ذلك كله مستمد من أصول أصيلة فيه تقوم على فكرة الخطيئة المسيحية ،
أما في الفكر الإسلامي فإن محاولة زكي نجيب محمود عن الوضعية المنطقية وفؤاد
زكريا عن الفلسفة الماركسية وعبد الرحمن بدوي عن الفلسفة الوجودية هي
محاولات ضالة باطلة سرعان ما لفظها الفكر الإسلامي صاحب الصرح الشامخ
القائم على فكرة التوحيد الخالص والأخاء الإنساني والعدل الرحمة .

وقد ذابت محارلات إحياء الفلسفة الصوفية التي قادها بها (ماسينيون) أربعين
عاماً بإحياء الخلاج لأن المسلمين عرفوا طريقهم إلى التوحيد الخالص . فقد
استقطت حركة اليقظة محاولات إحياء الفلسفة ، والتصوف الفلسفي ، والسلام ،
والاعتزال ، وجمالته ركما حين أحييت (المنهج القرآني) الأصيل حيث بدت كل
محاولات الفلاسفة الإسلاميين المعاصرين وكأنها مقدمات موقوفة أنطوت صفحتها
حين برز نور المفهوم القرآني : مفهوم أهل السنة والجماعة على نفس النسق الذي
واجه المشائين القدماء أمثال ابن سينا والقاراني . وقد تكشففت نزعتهم إلى
الباطنية الاسماعيلية في الأخير بعد أن خدع بهما الكثيرون ، وحين يتنادى باسمه
علنان المستشرقين فإن الأمر لا يخدع أحداً ، ذلك أن الحقائق التي تكشففت قد
ردت كبار الكتاب عما خدعهم به البريق الخاطف .

يقول أنيس منصور :

من الضروري أن تفلت من جاذبية شخص كبير لتجد نفسك ومعك
حريتك . لقد وقعنا في غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبد الرحمن بدوي ذلك أن كثيراً
ما رأه كان رقية هو والذى وجده شافيا كان مشككته هو ، والذي أحبه كان مزاجه
هو ولكن في السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينابيعها التي أفرغنا
منها عبد الرحمن بدوي فلم أجدها كذلك .

ومكثنا تبين أن هذه الهالة كانت باطلة ، بل إن أنيس منصور يبشرنا بأن
سارتر عندما مات قال علي يراش الموت : لا شيء ، كل شيء عديم .

وبسبب طرد أنيس منصور قائلاً : سارتر الفيلسوف الوجودى الملاحد كانت آخر كلماته لا شيء . أى لا فائدة من أى شيء . فهو يرى أن الوجود والعدم لهما نفس المعنى كالليل والنهار لا ينفصلان ، ولا تعرف على أى شيء أحباب سارتر لآخر مرة بكلمة لا شيء . لا فائدة ، لا معنى ، لا هدف ، كل شيء عدم ، أو كل وجود عدم ، أن كل موجود معدوم .

* * *

وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا الفكر الضال أكثر من عشرين عاماً من عمره قضاهما فى تحسين هذا الفكر وزخرفته وتقديمه إلى الشباب فى عشرات من الكتب التى طبع منها مئات الألوف ليخدعهم عن الحقيقة وليريف لهم الواقع ويردهم عن الفهم الأصيل . عندما كتب مقالته عن رحلته إلى الاراضى المقدسة ، وكان عليه أن يعلن انسحابه من كل هذه المفاهيم والمقائد ، وأن يصحح موقفه امام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة . واليوم يصف فلسفه الوجودية بأنها فلسفة المقابر ، لأن سارتر تحدث عن الموت والدمار والخراب ، والوحدة والقلق والفرع ، والخوف والغيبان والعدم ، والتفت كل هذه المعانى السوداء فى قلبه وفى خياله . هناك وجودية ملحدة عند سارتر وكامى وهيدجر واسيرز وأونامونو . ووجودية مؤمنة عند جابريل مارسيل ، وبرهنايف ، وجاك مارتينان .

(إيمان بمفهوم المسيحية المثلية) .

وكان حقاً على أنيس منصور أن يقرأ الفكر الإسلامى الأصيل ويعرف زيف الوجودية بجملة بمفهوم الانطلاق من الضوابط والحدود والقيم التى رسمها الذين الحق ، وأن يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما تمثل تجديداً خاصاً من بالشعب الفرنسى بعد سقوطه فى قبضة ألمانيا إبان الحرب . هذا السقوط الذى كشف كإفغان زعيمه د بيتان ، عن أنه ياره الأخلاقى العاصف .

ولما كانت الصهيونية العالمية هى التى صنعت هذا بالأمة الفرنسية فإذا قدمت سارتر على جميع أجهزة الإعلام والنداء لتفتتح صفحة أشد عنفاً من الإنذار

الحلقى والاجتماعى . تلك التى صنعتها فلسفة سارتر بظهور إجماعات الوجوديين الذين تشكلوا فى الغرف المظلمة والحوارى الضيقة وتحت أسطح الممارات ليمارسوا أسوأ صور الجنس ويعلموا احتقارهم للمجتمع . ومنهم نشأت بذرة (الهيئية) التى نعلم الآن العالم كله .

كان أخطر ما فى الدعوة الوجودية إنكار الله تبارك وتعالى والسخرية بالأديان واعتبار الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان وأن أثر التعاليم الربانية على الإنسان جد خطير لأنه يضييع عليه فرصة التمتع بالآهواء والتبرغ فى الشهوات . فالوجودى لا يؤمن بوجود الله (تبارك وتعالى) ولا يؤمن بنظام خلقى يسود على الإنسانية . الإنسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه بحسب . لا أمام الله . وهكذا نجد سارتر يدعو إلى الحرية المطلقة من كل قيد !!

ولقد جاء سارتر إلى مصر ترافقه سيمون دى بوفوار ، التى قالت للنساء مصر فى صراحة تامة : نحن نريد أن نحطم (قوامه) الرجل ودعت إلى حرية زوجية محررة من «العقد الشرعى» كحياتها مع سارتر . ولقد كشفت إحدى المرافقات لسارتر خلال رحلته إلى مصر فى الفترة الأخيرة خفياً كثيرة فى هذه الزيارة اللعينة . فأشارت إلى أن (رفيق) سارتر وسيمون كان رجلاً يهودياً (كلود لازمان) وهو الذى وجه الزيارة على النحو الذى أرادته الصهيونية . وقد أشارت إلى أن كتاب اليسار استقبلوا سارتر بتقدير بالغ كان موضع دهشة هو أساساً . وذلك مثلاً حين كتب أحمد الشبوعيين مقالا عنوانه (سارتر ضمير العصر) وكان سارتر يتساءل بمسدها (أنا ضمير العصر كله ؟ أنا لست حتى ضمير قسى) ثم يطلب ضاحكاً من لازمان أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب .

وتقول السكابة : « لقد سمع ورأى . ولكنه لم يتأثر بهذه الله بما سمع ورأى »

لقد كان استقبالي لسارتر أشبه بمظاهرة ، وكان كلامنا معه أشبه بالصدى في وادي مهجور . إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة في قيادته إلى أهدافها . فقد دست (كلود لانزمان) بفكره الصهيوني المغلف بطبقة هزينة من الفكر التقدمي للتضليل . دسسته على سيمون في وقت كان فيه سارتر يتأرجح بين وجوديته والشيوعية فاستطاعت سيمون بتأثير دن (لانزمان) أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءها منوماً أو كالمنوم . فانهزم بما قدم إليه فترة . قبل أن يعود إلى قواعدة سالماً . وقد رأينا كيف كان لانزمان يقف في الظل وراء سارتر في كل زيارته ليسمعه صوت (هرتزل) واضحاً بجلجلا وهو يهتس به إليه ، .

كان في مارس ١٩٦٧ وفي نوفمبر من نفس العام اكتملت الصورة . فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارتر في سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيمون وفرانسواز جيرو وزيرة الثقافة الفرنسية ، وأذاع التلفزيون الفرنسي كلمة سارتر التي قال فيها :

« إن قبولي لهذه الدرجة العالية التي أشرف بها لهمدلول سياسي فهذا القبول يعبر عن الصداقة التي أحملها لإسرائيل منذ نشأتها ، .

هذا سارتر الذي كتب (المسألة اليهودية) وهو الذي زار إسرائيل وأشاد بها ، وهو الذي شارك في المظاهرات ، ووقع البيانات المؤيدة لإسرائيل . وقد قبل سارتر الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية بينما رفض من قبل كل الجوائز التي أهديت له بما فيها جائزة نوبل .

وكان سارتر قد قام بزيارته لإسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ بضعه شهور . وما لبثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدت في الأفق في مايو ١٩٦٧ فسارع سارتر وبمجموعة من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان في تأييد إسرائيل التي سيدمرها العرب . ولكن إسرائيل بدأت بالهجوم ، واحتلت من الأرض ، وقتلت من العرب ، ودمرت فلم يراجع سارتر نفسه ، ولم يعدل موقفه

إلا بعد أن اشتعل النضال الفلاسطيني بعد الهزيمة ، وامتدت نيرانه إلى بعض
العواصم الأوربية .

وبعد فلقد سقط فكر سارتر قبل أن يذهب . لأن دعوته هي نوع من هوى
النفس ، وهي مواجهه لتحده عاشه في عصره . ولكن الزمن يتحول ، والفكرة
التي تكون اليوم استجابة لوضع معين . . فإنها سرعان ما تسقط مع تحولات
الزمن والبيئات . ولذلك فإن الوجودية لم تستطع أن تكون مذهباً قائماً
أو مستمراً . وهكذا كل الأيداء وحيات البشرية التي صنعها الفلاسفة وظنوا أنهم
قد استطاعوا حل مشاكل عصرهم . ذلك أن هناك منهجاً واحداً : هو الذي
يسطيع أن يحل مشاكل الإنسان في كل المصهور والبيئات . ذلك هو منهج الله
الحق (لا إله إلا الله) .

الفصل السابع عشر

طه حسين

(١)

عبد الأدب العربي الذي ما زالت مؤلفاته تحمل بموم الاستشراق
وتهاجم الإسلام والقرآن

(عن مجلة الاعتصام - عن مجلة المجتمع) (القعدة ١٣٩٣ - ١٩٧٣)

استطارت في صحف البلاد العربية كلمات عجلى وانقطات سريعة خاطفة حاولت
أن تسد فراغا صحفيا على وجه السرعة فلم تتمكن من أن تراجع التاريخ أو تثبت
من الوقائع ، وربما صاحب ذلك هوى من شأنه أن يتعارض مع الحق ، وربما
كانت كتابات بعض المتصدرين في مجال الصحافة ممن لم يحسنوا مراجعة الآثار
المكتوبة حول القضايا المثارة ومنهم من شهد السنوات الأخيرة فشلا طغلا يرى
(طه حسين) رجلا كهلا تحبظه هالة ، أو تدرس كتبه في الجامعات أو يشرف
على بعض المؤسسات الثقافية واللغوية فظن هؤلاء - وبعض الظل لائم - أن الرجل
له تاريخ مشرف جدير بأن يشاد به ويرى ولقد حوت كتابات الكتاب الكثير
من الخطأ ومن الهوى ، ومن عجب أى بعض المؤمنين لحق بمن كتبوا عن الإسلام
أو هاجموا به عن خصومه أمثال لويس عوض وسلامه موسى وغيرهم فأخذوا يسقطون
في هوة الخداع إزاء طه حسين وهو أشد خطرا من هؤلاء جميعا وأبعد أثرا .

ولسنا الآن في مجال الحديث عن موقع طه حسين من الأدب العربي أو الفكر
الإسلامي فذلك أمر له من بعد دراسات ومراجعات ولكننا نقف عند حد تصحيح
بعض الأخطاء التي تضمنتها هذه المرائي التي أعادت الرجل حيا بعد أن مات موتا
منويا منذ عشر سنوات عندما توقف عن الكتابة ودامه المرض الذي كان حفيّا
بأن يفسح له سبيل العودة إلى الله لو أراد ولقد كان يتردد في هذه السنوات بل
كان الدكتور نفسه يقول :

لأنه لا يسمع من الإذاعة غير القرآن المرتل وكان بعض السذج من الناس يقول : لقد تاب الرجل وأتاب .

وكذلك قالوها يوم أصدر كتابه (على هامش السيرة) ولكن الفهم السليم للإسلام يدعونا إلى أن نتحرز من مثل هذه المظاهر الكاذبة وأن نتعمق مفهوم التوبة في الإسلام وهو مفهوم يفترض على صاحبه أن يرجع عن كل ما عانف به أصول الإسلام أو حقائق القرآن وأن يعان ذلك على الملأ وأن يصحب مؤلفاته التي نشرت ذلك من قبل ، بل وعليه أن يصحح ذلك ويوضحه وأماننا مثلاً :

مثل في القديم هو (أبو الحسن الأشعري) حين خرج عن فتنة الاعتزال إلى ضوء السنة الصحيحة فإنه لم يلبث أن وقف في المسجد الجامع بعد الصلاة على كرسي عال وأعلن توبته بل وخرج من ملابسه وقال : لقد خرجت من الأثم الذي كنت فيه كما أخرج من ثوبي هذا وألقى إلى الناس بمؤلفاته الجديدة التي يعارض بها قديمة الذي خرج عنه وأماننا الدكتور محمد حسين هيكل الذي أعلن في مقدمة كتابه (منزل الوحي) أنه قد خاض في شبابه لجميع النظريات وكان مختطاً حين حاول أن يختار لبني وطنه فكر الغرب أو منهج الفرعونية وأنه عاد إلى الحق حين تبين أن الإسلام هو المنطق الوحيد للسليين إلى النهضة .

فهل فعل طه حسين شيئاً من ذلك إذا كان حقيقة قد تحول . نحن نعتقد أن طه حسين لم يتحول حتى مات عن مفاهيمه الأولى وأنه أصر على فكرة إصراراً كاملاً حتى حين كتب إسلامياته المتعددة وأن المراجعة الدقيقة لهذه المؤلفات تكشف عن أنها تحول في المظهر أو كما يقول الغريون أن طه حسين غير جلده أو أنه حين سقط في نظر الناس بعد كتاب (الشعر الجاهلي) إنما أراد أن يعود إليهم كاسياً بقمهم بالكتابة عن « هامش » السيرة وكانت خدعة أخرى كشفها صديقه ورفيقه على الطريق في المرحلة الأولى الدكتور هيكل حين قال إن إحياء الأساطير في هامش السيرة خطر على السيرة نفسها لأنه يعيد إليها ما حررها عنه

علماء المسلمين أربعة عشر قرنا وحرصوا على حمايتها منه وقال عنها مصطفى صادق الرافعي إنه تهكم صريح .

لقد خدع طه حسين الكثيرين بكتاباته الاسلامية ولكن هذا الخداع لم يطل فقد كشفه كثيرون في مقدمتهم محمود محمد شاكر الذي كشف فصولا متعددة عن (الفتنة الكبرى) .

من أبرز ما يحاول الذين رثوا طه حسين أن يثبتوه أن طه حسين في مؤلفاته وكتاباته كان خصما سياسياً للذين هاجموا وألبوا عليه وأن ما أورده في كتبه لم يكن على هذا النحو من الخطر في مهاجمة الاسلام .

وذلك هو أسلوب الاستشراق في مواجهة الامور وهو نفس أسلوب طه حسين الذي كان إذا أراد أن يهاجم الاسلام هاجم الأزهر وإذا أراد أن يرد عادية خصومه قال إنما يهاجمون حزبه السيماسي ولقد حرص طه حسين حين اشتدت الخلافات عليه عاما بعد عام بعد كتابته الشعر الجاهلي أن يتفصل من معسكر الأحرار الدستوريين وأن يلجأ إلى معسكر الوفد حتى يحتمي به .

وقد أكسبه ذلك سناداً ضخماً إعانته - ليس فقط على الاستمرار في الحركة - ولكن ممكنه من توصيل إلى ضربة أخرى وجهها إلى الفكر الإسلامي تلك هي كتابته :

« مستقبل الثقافة » وكذلك فقد إستفاد طه حسين من السياسة فهي التي حتمه من العزل ومن المحاكمة ومن أشياء كثيرة ، بل هي التي كانت تسهل له أن ينتقل بالرغم من مواصلة كشف أساليبه - من منصب أستاذ الجامعة إلى عميد كلية الآداب إلى مدير الجامعة إلى وزير المعارف .

ولذا كان رثاء طه حسين يريدون دوماً أن يصدقوا الناس ويقولوا لهم أن

طه حسين عندما كان في حزب الاحرار الدستوريين - قد هاجم سعد زغول بأكثر من (مائة مقال) في خلال سنوات (١٩٢٢ - ١٩٢٧) حتى وفاته فلما تحول طه حسين إلى الوند بعد ذلك كتب عن سعد زغول وخطب يرفعه فوق هام الدهر دون أن يحس بالخزى أو الخجل ودون أن يرى إبتسامات السخرية من سامعيه وقارئيه لكذبه في الأولى نفاقه وفي الآخرة وتضليله وغشه .

وتردد مرأى طه حسين عبارات تقول أنه اضطهد ككل أصحاب الرسالات فأى نوع من الاضطهاد شهده طه حسين . هل أعتقل ليلة واحدة في أى عهد هل قدم للبحاكة مرة واحدة . هل عذب ؟ هل حيل بينه صيف واحد وبين السفر إلى فرنسا حتى في أشد أيام أزمة الشعر الجاهلى . لم يحدث ذلك قط وإنما كان ذلك من لغو القول وباطله .

إن طه حسين كان يعرف أنه في حماية قوى كبرى ربما ليست ظاهرة ولكنها تخفى وراء الأحزاب، وراء عدلى وثروت ، وتلتمس أسلوبها إلى ذلك بالعنف على السكيف والرحمة بالمجنون . كما قال سعد زغول للأزهريين : هبوا أن رجلا مجنوناً قال ما قال ، وماذا علينا إذا لم يفهم البقر !!

ويردد أصحاب المرائى أن لطفه حسين حياة حافلة بالنضال ولكنه أى نضال ، لقد بدأ طه حسين حياته في محيط حزب الأمة الذى أنشأه كرومر وفي أحضان لطفى السيد داعيه الولاء للاستعمار البريطانى تحت إسم مصر للصيرين وعدو الجامعة الإسلامية والعروبة والشريعة الإسلامية واللغة العربية وتعليم أبناء الفقراء .

ولقد لقي طه حسين في حياته (عبد العزيز جاویش) وبينه الحرب الوطنى ولكنه سرعان ما أعرض عنها ، لأنها ليست ممدة الطريق ولأنها كانت تحمل مفاهيم النضال والجهاد ، وكسب صلتها بأصحاب البيوتات وفي مقدمتهم آل عبد الرزاق الذى كان أثراً لدى عظمهم ومموتهم ولما عاد من أوروبا اندمج في حزب

الأمة المجدد تحت اسم (الأحرار الدستوريين) ولم يدخل الوفد إلا بعد أن فقد الحزب أمانته الأمة وانصهرت فيه العناصر اليسارية والشيوعية. أما أولافه التي يشيدون بها فهي تنجلي صراحة في موقفه الظالم من أساتذته الذين عاونوه في أول الحياة والذين شقوا له الطريق فلم يلبث أن هاجمهم في عنف وصاف واحتقار، بل وعارض مناهيهم الأصلية : وفي مقدمة هؤلاء الشيخ المهدي ومحمد الخضري وأحمد زكي باشا وأعلن أنه يرفض المنهج الذي رسمه الشيخ محمد عبده .

وقد سجل جميع الباحثين في سيرته وفي مقدمتهم أولياء الثقافة الغربية من أمثال إسماعيل أدهم أحد أنه لم يكن عالماً ولا صاحب منهج ، وأنه صاحب هوى وقرض وأن ذلك الطابع يسود كل إنتاجه .

أما مناهيهم العامة فقد أثار الدنيا حين أعلن أن العرب استعمروا مصر كالرومان وحرقت مؤلفاته في ميدان عام في دمشق ، وقال أن مصر جزء من حضارة البحر المتوسط ، وهاجم المجاهدين من أهل المغرب في رسالته وصور استعمار فرنسا على أنه خدمة عظمى تقدمها لهم فرنسا . وكانت له مواقف في معارضة العروبة والرابطة الإسلامية في دعوته إلى تمصير اللغة وإلى تمصير الأدب ، وكلها دعاوى زائفة مشبوهة .

وكانت دعوته إلى الحضارة الغربية دعوى فاسدة لأنه لم يأخذ فيها بأسلوب الحقيقة أو أسلوب العلم بل كان حريصاً على أن تنصهر مصر والسلاط العربية في هذه الحضارة على النحو الذي صوره حين قال (أن نقبل من الحضارة ما يحسد منها وما يعاب وما يجب منها وما يكره) .

كان داعية الفناء في الغرب تحت خدعة زائفة ظل يروجها وكانت موضوع سخيرة الناس استذاجتها وهي قوله : أننا لن نستطيع أن نساوى الغرب إلا إذا سرنا سيرته ، وكيف يمكن ذلك وقد سارت تركيا ومع ذلك سخر منها الغرب (٢١ - ٢)

لأنها عجزت عن أن تقدم شيئاً في مجال العلم وما زالت عالمة عليه بعد أن فقدت شخصيتها الإسلامية .

ويكذب أو يخدع أولئك الذين يقولون أن طه استوعب ثقافة التراث أو أنه نقل ثقافة التراث أو أن وجهته في الكتابات الإسلامية كانت خالصة لوجه الله أو العلم أو الحق ، ذلك أن طه حسين قد أراد أن يتخذ من التراث منطلقاً إلى تحقيق جانب من رسالته المسمومة ، تلك هي إثارة الشبهات والروايات الباطلة ، والتقليل من جلال أبطال الإسلام ، وتصويرهم بصورة رجال السياسة في الغرب المسيطرين على مطامع الحكم ومطالب الحياة والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفهم التراث أو يقدمه للمسلمين في هذا العصر إلا رجال آمنوا بالإسلام ديناً ونظام حياة وعمرت قلوبهم تلك الأمانة للإسلام والغيرة على معانيه ومنجزاته ، أما طه حسين فقد عاش حياته كلها يسخر بمظمة أمة الإسلام وبما في صفحاتها من بطولات ويفسرها طبقاً للذهب الاجتماعي الفرنسي ، المتصل بال تفسير المادى للتاريخ القائم على الجبرية وهو مذهب ينكر عظمة النفس الإنسانية و جلال الروح ومكانة المعنويات - كان طه حسين كذلك إلى آخر ما كتب (مرآة الإسلام والشيعان) .

وكل ما يحاول الإغراء أن يجمعه من آرائه عن القرآن أو الإسلام أو التاريخ فإنما يقدم إليه مفهومه الباطل فيجعله هباء منثوراً ، فهو لا يرى في القرآن أكثر من أنه كتاب بلاغة ، ولا يرى في البطولات إلا أنها من نتائج البيئة ، ولا يرى في النبوة إلا أنها قدرة رجل عظيم استوعب فكر عصره ، فهو لا يؤمن بالنبوة ، وذلك واضح من كتاباته ومن مراجعات الباحثين لأثاره وهي كثيرة ومقدمتها كتاب غازي التوبة ومحمد محمد حسين والرافعي ومحمد أحمد الغمراوي وكاتب هذه السطور .

إن طه حسين مع الأسف لم يكن يؤمن بشيء ، كان ساخراً وكان مشككاً وكان متقلباً ولقد كدت أكتب عبارة (أولها حرف ر) .

وأية ذلك أنه ألقى العمامة في البحر عندما ركب السفينة أول مرة إلى أورنا في مشهد درامى ، تمثيل ، وأنه كان يقول القول وينفضه فقد أعلن أمانة العقاد للشعر ثم سبب ذلك في سنواته الأخيرة ، أما قدره العلمى فقد كشف عنه سكرتيره ألبين برزان وسكرتيره زكى مبارك وظهر ذلك واضحاً في سقطات فاضحة .

من مثال قوله (وقد وقعت بين القيسييه واليماية معركة (مرجرات) ثم اتضح من بعد أنها (مرج راط) ولكن هكذا يكتبها المستشرقون وقد أشار زكى مبارك إلى ذلك في دعاية ساخرة حين قال : أن طه حسين دخل حديقه المستشرقين بالليل ليسرق ثمرة أر ثمرةين فصادفته هذه الثمرة المعطوبة) ولاشئ يستطيع أن يحصى طه حسين من شبهة الاتصال بالصهيوية أو اليهودية العالمية في مجال الفكر وربما عن طريق آخر بالإضافة إليهما (ربما تكون الماسونية) . ولذلك قصة طويلة لها وقائمه الثابتة والأكيدة والمتصلة طوال حياته منذ أعلن عن عدم وجود إبراهيم وإسماعيل عام ١٩٢٦ إلى أن أصبح مديراً لدار الكاتب المصرى ١٩٤٦ وبين ذلك تاريخ طويل يمكن أن يروى في مقال متصل ويؤيده ما قاله شارل مالك في رثاء طه حسين .

هناك سؤال : لماذا انقلب إسلامياً داعياً إلى التراث ؟

الإجابة السريعة قبل إيراد التفاصيل هى محاولة تمكينه من أن يكون مرجعاً إسلامياً يستغله التبشير والإستشراق في السنوات الخمسين القادمة ولذلك فقد حولوه من معارضه الجماهير إلى إرضاء الجماهير ، إرضائهما بالخداع والزيف .

وكلامه عن الإسلام كله مفهوم الإسلام الغربى المسيحى : أنه علاقة بين الله والإنسان ، عبادة ، لاهوت ، فكر باطنى ، مفهوم الحلول وليس أكثر من ذلك ، وطه حسين يعتقد ما كان يعتقد فولتير ورينان وغيرهما من التفرقة بين الإيمان بالقلب والفكر عن طريق النقل . هذه الازدواجية التى يعرفها الغربيون ويفخرون بها ، وتعنتها بعض الفصائل المضللة من توابع المستشرقين في البلاد العربية عن لا قيمة لهم ولا وزن وعن لن تبقى لهم آثار ولا أعمال .

إن طه حسين بالعمل في مجال الإسلاميات منذ أصدر هامش السيرة ١٩٣٣

ونشره في الرسالة كان يشتمل صفحة جديدة وأخيرة في تاريخه وتاريخ الفكر الإسلامي هي صفحة [تقديم البديل من أجل القضاء على الأصول] ومع الأسف فقد شارك في هذا المخطط هيكل والعقاد وانكشف أمرهم عام ١٩٩٢ حين قال لهم إمام كبير :

يفتتنا ويبنكم أن تؤمنوا بأن الاسلام نظام حكم ومنهج مجتمع ، فصمتوا
صمت القبور . لقد عمد طه حسين من خلال كتاباته الاسلامية أن يصور الروابط
بين الصحابة على نحو مؤسف ردي ، وكان قد أعلن من قبل في رده على العلامة :
رفيق العظم احتقاره للتاريخ كما اتخذ في بعض الشعراء الماخذ دالة على فساد
القرن الثاني الهجري الخافل بأعلام المسلمين في الفقه والعلم والتصوف والادب
والفكر كله .

لقد تحول طه حسين في أساليبه بخوض معركة أشد خطراً، هي معركة تزييف مفهوم الاسلام والتاريخ الاسلامي، وقد جرى في ذلك مع منهج الاستشراق الذي تغير في أواخر الثلاثينات حين تحول من مهاجمة الاسلام علانية إلى خداعه بتقديم طعم ناعم في أوائل الأبحاث ثم دس السم على مهل ومن خلال فقرات متواليات وكان هذا هو أسلوب الاستشراق اليهودي الماكر.

وقد استخدم طه حسين هذا المنهج ببراعة ونجح فيه . فلم يكن طه حسين يؤمن بالدين ولا بالثقافت ولا بعظمة هذه الأمة ولا بأجادها الإسلامية ولا بحركة اليقظة فيها ، ولقد تهافت كل أعماله قبل وفاته وخذلت كل الكتابات الجديدة والاجماعية عن الشعر الجاهل وعن ابن خلدون ، وعن مفهوم العروبة المرتبط بالاسلام وعن هزيمة القرعونية وعن إندحار دعوته إلى الغض من شأن الأزهر .

ماذا بقى من طه حسين بعد أحد عشر عاما من وفاته

كان السؤال في بدوة الاعتصام هو : لماذا الدكتور طه حسين وحده من دون كتاب مصر ومفكرهم هو الذى يقام له مهرجان سنوى في جامعة المنيا وتقدم له عديد من المستشرقين وتتم به الأذاعة والتلفزيون ويحشد له كتاب كثيرون لتعجيده وتقديسه وحتى الصحف كانت حامية له عندما يحاول أحد المفكرين أن ينقده أو يقدم عليه ملاحظة واحدة فأذا بالصحف تعجب لذلك كأنه قدس لا يجوز نقده .

والحقيقة أن طه حسين منذ سنوات طويلة قد أخرج المؤرخون من كتاب الإصالة والايان بالعروبة والاسلام فقد حمل حملات شديدة على الدين بعامة وعلى الاسلام بخاصة وعلى الأزهر معقل الاسلام واللغة ، وهاجم العروبة والعرب ووضعهم بأنهم استعمار شديده باستعمار الفرنسيين والانجليز ، وقال أن مصر ليست عربية ولكنها غربية ، بالبحر الأبيض وبالتقافة اليونانية وقال عن نفسه أنه من أصل يوناني .

وقد أخرج المؤرخون والباحثين من كتاب الإصالة والايان بالمنهج العلمى منذ أن دعا إلى مزج الشك الفلسفى وعاش حياته يشكك في كل شيء ، في نصوص الأدب والشعر والتاريخ الاسلامى واللغة العربية وقد فتح الطريق أمام شعبات أعداء الاسلام من المستشرقين وبالغ في (ديكرات) مبالغه خرجت به عن الحقيقة حين وصف نفسه بأنه وصل إلى وثائق لو أعلنها لاندك العربون ، ولم يعرف طه حسين أن مذهب [الشك طريق إلى الايمان] الذى دعا إليه (ديكرات) قد أخذه من مفكر إسلامى هو الامام الغزالى ومن كتابه (المنقذ من الضلال) فلهذه المذهب إسلامى المصدر ولكن طه حسين الذى كان يلموهم في الأزهر لم يتعلم وقد سجل على نفسه الجهل بالمصادر الإسلامية .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصله منذ فتح باب السرقه من المصادر دون الاشاره إليها فقد ظل يدرس في الجامعة نظرية مرحليوث في انتحال الشعر الجاهلي سنوات وسنوات دون أن يشير إلى المصدر مع أن المستشرقين الذين معه كانوا يعرفون ، بل أن بعض الطلاب كانوا يعرفون ، وهذا ما كشف عنه الأستاذ محمود محمد شاكر في مقدمة كتابه (المتنبى)

ومن ذلك ما فتح الطريق إليه وشجع تلاميذه في هذا المجال الذي يعد الآن من المغامز الشديده الخطر في الحياة الأدبيه المصريه ، وهناك وقائع ثابتة - وليس هذا قول جزائي - وهناك أسماء معروفه في المجال الجامعي ، وبجملتها كتب صدرت في البلاد العربية وفي مقدمتها كتاب الدكتور محمد نجيب الهميني (مقدمات الأدب والتاريخ العربيين) .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصله منذ حمل لواء الهجوم على أساتذته وعلى والده في كتاب (مع الايام) وعلى الذين علموه ، وعلى الشيخ محمد عبده وأحمد زكي باشا شيخ العربيه والشيخ محمد الحضرى إذ عتلق أساتذته بل وزملائه أمثال أحمد أمين وزكى مبارك .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصله منذ تابع أعداء الاسلام من المستشرقين بالهجوم على ابن خلدون والمتنبى وأساء إلى خالد بن الوليد وكثير من الصحابه ، ومنذ يوم أنكر وجود (عبد الله بن سبا) اليهودى وسخر بكبار المسلمين ووصفهم بأنهم مجموعة من الساسيين المتصارعين .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الاصله منذ أنكر وجود إبراهيم واسماعيل عليهما السلام وقال أنه لا يؤمن بهما بالرغم من ذكرهما في القرآن ، وبما قاله أن الاسلام بقى على هامش حياة المسلمين وأنه لم يستطع أن يرض نفسه على حياة المسلمين أصحاب الحضارات المختلفة ،

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه من كتاب الاصله منذ قلب بين

الأحزاب، الأحرار الدستوريين يوما ومع الوفديين يوما، بل وكذلك في الرواية الغربية فكان وليا للثقافة الفرنسية، ثم عندما أصبح وزيراً ونقل ولايته إلى بريطانيا ثم لما ظهر النفوذ الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية بدأ يقدم الفكر الأمريكي ويعلى من شأنه .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة منذ أيد الصهيونية وأنشأ مجلة الكاتب المصري في القاهرة وخطب في مدارسهم وأحدث كذبا عن فضل اليهود على العرب في مجال الأدب أو الفكر ، مع أن العكس هو الصحيح ، وفصلا عن أنه أمضى حياته كلها لم يكتب مقالا واحداً في تأييد قضية فلسطين .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة بعد أن وإلى الشيوعيين ومفاهيم الماركسية وأيد كتابهم في مصر وشجعهم على تحطيم التفسير الإسلامي للتاريخ بعد أن قدم تاريخ الإسلام من خلال التفسير المادي للتاريخ في كتابه (الفتنة الكبرى) وهي الخطوة التي تابعتها بعد ذلك عبد الرحمن الشرفاوى وغيره .

كذلك فقد أخرج العلماء والباحثين طه حسين من كتاب الأصالة بعد أن وصل في المبالغة إلى الكذب ، فقد ادعى أن يطل روايته (أديب) استودعه صناديق من الأعمال الأدبية مهتم الدنيا إذا نشرت ، وقد ثبت كذب هذا الادعاء ، كذلك فقد ثبت أنه لا توجد هذه الوثيقة التي ادعى أنه عثر عليها عن ديكارت :

قال أنه قد وصل في بحث ديكارت إلى نتائج غريبة قيمة لو أعلنتها فرنسا لا تترك لها السربون ولاضطرب لها السكوليج دي فرانس ولاعلن لها المجتمع الفرنسي لإفلاسه) هذه المجموعة من المخططات المدعاة لم تكن شيئا وإنما كانت كما ذكر الذين راجعوا هذه القصة مبالغة ، أراد أن يخدع بها خصومه من علماء الأزهر ، لقد تخصص طه حسين في قصة المكشوفة ، ولا يستطيع أن

نترك هذا المجال دين أن نذكر ما قاله الأستاذ المازني عن طه حسين في كتابه
فيض الريح ص ٦٣ وما بعدها) ولقد لفتني في الدكتور طه في كتابيه حديث
الأرباع وهو مما وضعه (قصص تمثيلية) وهي ملخصة :

(إن له ولعاً بمتعقب الزناه والعشاق والفرجة والزنادقة)

ولقد ظل طه حسين مكشوفاً لجيله أكثر من أربعين سنة، ولم يغلب عليه طابع
القداصة الكاذب إلا بعد أن مات الراحل والفقاد وزكي مبارك والغمراوي
ومحب الدين الخطيب وكل معاصريه الذين يعرفون خبيثته وهدفه .

أهذا هو أحد الشواخ الذي تثار الممارك من أجل الدفاع عنه ، بينما يتجاهل
هذه الدعوة الظالمة الراحل ورشيد رضا وشكيب أرسلان وطاهر الجزائري وأحمد
تيمور والمويلحي والكواكبي وعلال الفاسي وعبد العزيز جلاويش والمكزي
والمويلحي والمنفلوطي والزيات والتمالي وعبد الرحمن عزام وفريد وجدي
وطنطاوي جوهرى وكثيرون .

أهم الشواخ حسب : طه حسين ولويس عوض وتوفيق الحكيم وزكي نجيب
محمود الذين ترفع لهم الرايات وتختل صحف كبرى عن نقائيد الصحافة فتفسح لهم
المكتبة في المحطور وتمنع من يرد عليهم أو يصحح لهم أن ينشر له شيء .

لا ويكتب أحد النفر بين الصغار يقول أن طه حسين ما زال يتحدث إلى الناس
حتى اليوم ، وهو لا يعلم أن كل أفكار طه حسين سقطت قبل أن يموت ، تحدث
عن الفرعونية وسقطت الفرعونية ، وتحدث عن أن الدين خرج من الأرض ولم
ينزل من السماء وهذه نظرية دور كايم الباطلة وأنكر وجود إبراهيم وإسماعيل
وإعترف بها رجال الآثار والحفريات ، وهاجم قدر المتنبى وابن خلدون وأشادت
بهما الدنيا كلها ودعا إلى أخذ الحضارة الغربية خبرها وشربها وحلواها ومرها
وكذب جارودي وغربه وسرق من اليهودى مرجليوت نظرية الشعر الجاهلي ليحطم
قاعدة من قواعد تفسير القرآن الكريم وقال أن في القرآن نظم ضعيف ونظم

قوى وهى نظرية اليهودى جولد زيهى سرقتها أيضا دون أن يذكر، وقال أن مصر غريبة وليست عربية وهى نظرية الاستعمار الفرنسى والبحر الأبيض المتوسط وسرق من بلاشير تحقير بطولات العرب فى المثنى فاذا بقى له بعد ذلك .

إن الذين كتبوا عن طه حسين وكشفوا خبيثته لم يكونوا إلا أقرب الناس إليه ، تلميذه محمود محمد شاكر الذى اتهمه بتدمير أسلوب البحث العلمى ، أم الدكتور نجيب البهيكى الذى أورد عنه ما يعف قلنا عن ترديده أم زميله فى الجامعة الدكتور على العناني وقد وزع محاضراته مملوغة على طلبة دار العلوم ، أما ما كتبه سكرتيره أربعين سنة : فريد شحاته .

إذن ما قيمة ما يعرضه البعض من كتابات الدكتور محمد الدسوقي وهو لم يصاحب طه حسين إلا فى سنوات المرض بعد أن فقد ذاكرته وعاد يخلط فى الأدهور ، وكيف أنه يحزن عن مهاجمة العقاد حيا فلما مات قال لم أفهم العبقريات وقد مجدها فى حياته ، ماذا بقى من طه حسين يستدعى بمجيدة وقد زار إسرائيل مع حسين فوزى سراً وإذا كان سكرتيره الخاص مؤتمن فاقروا ما كتبه البير برزان سكرتيره الأول ، وكيف كان ينافق ثروت باشا ويكتب فى جريدة الاتحاد ضد الأحرار الدستوريين ثم يكتب فى السياسة ضد سعد زغلول ، ثم يصل به المطاف إلى الوفد فإذا راجعه الأحرار فقال لهم : اسكتوا وإلا كشفت أسرار حزبكم - ولتقرأ كتاب معك الذى أمثلته السيدة سوزان لتروا كم كنيسته فى أوروبا دخل ولم يدخل مسجداً واحداً وكيف كانت ترسم الخطط لمؤامراته مع الفكر الإسلامى وهذه الخطط التى كان يقودها لويس ماسينيون .

ماذا بقى بعد ذلك من طه حسين : حول شخصيته وحول فكرة مما يشاد به وبعل ويسجل إلا إذا كانت سرقة المتششرقين فضيله وهدم التراث الإسلامى منه وإذا كان لإدخال مذهب الشك الفلسفى إلى الأدب العربى هدية يعلى شأنها خصوم الاسلام حين يقولوا أنه عدم القديم البالى ، وكان هو يقصد باقديم الاسلام حيث لا يستطيع أن يصرح بذلك .

ان الذين يتكلمون في هذه المناسبات أحد اثنين : أما أحدهما فرجل قدم له الدكتور طه خدمة في أثناء اعمليهم فبعثه الى بلد أو الحقه بعمل ، أما الثاني فهو مغرب غلباني يؤمن بأن طه حسين قد شق لهم الطريق الى العلمانية والماركسية والشعوبية وفتح أمامهم أبواب الهجوم على الفكر الإسلامي واعلاء أبي نواس وبشار وأخوان الصفا وابن عربي والحلاج ، وانتقاص الصحابة وابن خلدون والمتنبى لأن المستشرقين يرون ضرورة اعلاء الزنادقة وخفض العباقرة .

(٣)

أمانة الأجيال

• إنما المسؤولية إزاء الأجيال الجديدة من الشباب والأمانة العلمية تجاه عموم ما زالت كلها تصدر وتتداول .

• قد تكون كتابات طه حسين أدبياً بمفهوم الأسلوب الموسيقى الإيقاعي ولكنه بالقطع ليس أدباً إسلامياً على الإطلاق .

(في الرد على ثروت أباطة)

أولاً : أن ما كتب عن طه حسين في دراسة حياته وفكره هو أمر طبيعي قام به الدارسون بالنسبة لكل الكتاب البارزين ، فليس في ذلك من عجب ولم يكن طه حسين إلا واحداً من أصحاب الأقلام الذين يخطئون ويصيبون ، وقد تحدث الناس عن خطأ وصوابه وهو حي ، فليس من الغرابة أن يتناول فكره أو نناقش أعماله ، وليست تلك الكلمات المبالغه في تصويره للناس يمكن أن تصل إلى مقام التقديس أو حجب الحقائق التي تمثل وجهة الكاتب في علاقاته مع السياسة أو النقد أو جهات العلم في مصر أو الغرب ، وذلك جيل عرف بإتصالاته بالأحزاب وبالساسة وبالصحافة وكان من أساليبه الهجاء والخصومة والتنقل بين المعسكرات (وإن كان أسلوب الهجاء الذي عرف لهؤلاء أعلى وأكرم من هجاء المتأخرين الذي وصل إلى حد أسيف) ولقد كتب عن طه حسين كثيرون :

كتب الأستاذ محمود محمد شاكر كتاباً وكتب الدكتور نجيب البهيتي كتاباً في المغرب في ثمانمائة صفحة ، وكتب الدكتور المحتسب في الأردن كتاباً وكتب الأستاذ أحمد حسين في مجلة الثقافة : هذا في الفترة الأخيرة ، أما في حياة طه حسين فقد كتب أربعمائة كتاباً في مقدمتهم العقاد وهيكل باشا وزكي مبارك ومحمد أحمد الغمراوي وفريد وجدي ، والحضر حسين ، ومحب الدين الخطيب وساطع الحصري

وكثيرون ، إذن فالقضية قضية أدبية كبرى ليس كتابنا فيها إلا شظيرة من الشظائر كذلك فنحن تناولنا حياة طه حسين وفكرة في إطار الإسلام وبأسلوب الاسلام العف السمع الكبر الذي لا يهتم ولا يظلم ولا يرى بالقبائح ، لقد علنا الإسلام أدب الحديث وأدب الحوار وكنا ولا زلنا لزاء كل ما يرد به لإخواننا الكتاب والأدباء ملتزمون بهذا مهما بلغ عبارات الهجاء التي ترددت على أقلام كنا نضل أنها تعف عن الدنيا ، فلانردها ولا ترددها وإنما ونبرها من الكرام ونضعها دبر آذاننا ونحتسبها عند الله ولا ريب أن العبارات الجارحة غير الملائمة هي تعبير عن عجز في الأداء وعدم القدرة على مناقشة الفكرة عليها أو مقارعة الحججة بالحجة (١).

ثانيا : أما الاتهامات التي وجهت إلى طه حسين بالعمالة مع الصهيونية أو مع الشيوعية أو أنه تنصر في كنيسة في فرنسا فذلك كله مما قاله غرنا . الصهيونية كشبهة جاءت والدكتور لويس عوض يتحدث في الأهرام عن تولي الدكتور عميد الادب العربي لرئاسة تحرير مجلة « الكتاب المصري » الصهيونية ، التي حيا فيها الدكتور طه وفود اليهود والداخيلين فلسطين أما شبهة الشيوعية فقد جاءت نتيجة رسائل تبادلها معه الشيوعيين المصريين الذين جعلوه في مجلة من مجلاتهم زعيا لهم أما شبهة التنصر فقد ذكرها سكرتيره في حديث صاحب مجلة الاذاعة وعلق عليها المرحوم الأستاذ أحمد حسين ، أما ما يشاع عن تبعية لفرنسا فقد جاءت في أحاديث نشرها في الأهرام بعد أن ضربت فرنسا دمشق بالقتال وأيد موقفها ذلك ، ومن موقف الأستاذ الفرنسي الذي أعطاه الدرجة النهائية عندما دخل الامتحان ومعه زوجته الفرنسية وهذه أدبتها طه حسين في الجزء الثالث من الأيام وقد ابتسم وأعطى لأنه عرف أن هذا السكيف سيخلم فكرهم في جامعة شرقية ومع هذا ونحن لم نتحدث في كتابنا بكلمة واحدة عما يسمونه (العمالة) أو التبعية وإنما هي أخبار متفرقة تداولتها كتابات هؤلاء الزملاء الذين تناولوا طه حسين وعاصروه وما عرضنا له فقد شككنا فيه وضممناه ، أما تبعية المستشرقين فما قلنا بها وإنما هو الذي ذكرها في رسالته إلى السيدة زوجته كما أورده في كتابها (مملك) .

(١) كان تروث أباطه قد أدلى في حديث مجلة لنور ببهارات يعف منها القلم .

ولقد أورد الدكتور محمد نجيب البهيقي في كتابه وقائع أخرى من حياة الدكتور طه حسين باعتباره أقرب تلاميذه إليه أيام الدراسة في الجامعة تعف عن ذكرها، كذلك فقد أشار الأستاذ شاكر إلى قضية ضخمه هي قضية (السطو الجامعي) التي إبتدعها الدكتور طه حسين وكيف أنه ردد نظرية المستشرق اليهودي مرجليوت عن انتحال الشعر الجاهلي عاما كاملا دون أن يشير مرة واحدة إلى المصدر وهي ما أسماها شاكر (حاشية طه حسين على متن مرجليوت) كل هذا رده كثيرين وما كان لنا أن نخوض فيه، وهو اليوم ينسب إلينا ظلما، وكان من الحق أن ينسب إلى أصحابه.

ثالثا : والحقيقة التي قام عليها كتابنا ووجهتنا ليست هي التشهير أو الاساءة أو الظلم فإننا نعلم أن كل كلمة لها حسابها عند الله تبارك وتعالى وما بيننا وبين الدكتور طه حسين تره، وإنما هي المسئولية إزاء الأجيال الجديدة من الشباب والآمانه العلمية والتبعة إزاء مؤلفات مليئة بالسموم ما زالت منشورة وما زال يعاد طبعها ويظن شبابنا وهو ضعيف الخلفية الاسلامية أنها حقائق واسم طه حسين عميد الادب : هذا الاسم اللامع مازال يخدع الكثيرين، فنحن نرجو أن تكشف هذه الحقائق، وأن نبين رأى الاسلام فيما على قدر ما نستطيع ولا ندعى في هذا تطاولا، ولا استعلاء، وكنا نود أن يكون الانصاف وقبول الحق رائدنا جميعا لا الأهواء الشخصية وأن لا يكون الولاء الحزبي أو العائلي صارفا لنا عن أن تدعن للحق، فاقدم طه حسين خلال حياته الطويلة إلا بمجموعة من السموم التي حارب بها حقائق الاسلام وخاصة في كتبه، الفتنة الكبرى وهامش السيرة والشبخان ومرآة الاسلام، ولكن هذا الزيف المسموم قد صنع في ذلك الأسلوب الموسيقي الخادع الذي هو أداة الاقناع لدى البسطاء الذين لا يستطيعون أن ينفذوا وراء السموم المنشورة والشبهات والسخرية والتهكم بالصحابه في هذه الكتب ولقد عرف الباحثون اليوم وتكشفت أمامهم الحقائق واضحة بأن الدكتور طه حسين هو صاحب [مذهب الشك الفلسفي] الذي روج له خمسون سنة في العالم العربي كله وفي مختلف

كتاباته عن التعليم والأدب والسيرة والتاريخ ، وأنه هو الذى طلب إلى تلاميذه (نقد القرآن) على أنه كتاب أدب فيه الضعيف والجاف والقوى ، وقوله بإطلا أن الرسول تأثر باليهود في المدينة فذهب جفاف أسلوبه (وهو في هذا يعتبر القرآن من عند الرسول وليس من عند الله) .

وأقرأ في هذا كتاب الدكتور محمد البهى (الفكر الإسلامى الحديث) ومحاضر جلسات مجلس النواب ١٩٣٣ حيث قدم الدكتور عبد الحميد سعيد نصوص كراسة طالب في كلية الآداب ، وهو الذى أنكر في كتاب [الفتنة الكبرى] شخصية عبد الله بن سبأ اليهودى وبالرغم من أن الطبرى وغيره ذكر مؤامراتها الضخمة التى انتهت بمقتل سيدنا عثمان ، وإدعى أنها شخصية خرافية ، أما هامش السيرة فقد أضاف الأساطير التى نحاها كتاب السيرة وأعادها إلى السيرة مرة أخرى على نحو أشد كذباً يخفق أدب الأساطير في الأدب العربى أسوة بكتاب على هامش الكتب القديمة ، للقرنئى فلان وفى كتاب الشيخان فقد تصرفات سيدنا عمر ، وفى مرة الإسلام أنكر القراءات السبعة ، وفى كل هذا كان يتعامل مع الصحابة على أنهم من السياسيين المحترفين في هذا العصر ويسوق لإلهم عبارات السخرية والنقد مع أن صحابة رسول الله ﷺ ، له قدرهم ولكنه أراد أن يحطم هذه المكانة وأن يدرس تاريخ الإسلام في هذه الفترة على أساس مفهوم التفسير المادى للتاريخ ، هذا المنهج لذى وضعه ماركس ومن به سار عليه الكتاب الماركسيون في دراساتهم عن النبي والصحابة من أمثال عبد الرحمن الشرفاوى الذى صور النبي في كتابه على أنه من دعاة الإصلاح وتحرير العبيد والذى لم ترد في كتابه (رسول الحرية) كلمة الوحي ولا مرة واحدة أو كتابات أحمد عباس صالح عن الإسار واليمين في الإسلام ، فلا ريب أن طه حسين هو الذى فتح هذا الباب الفاسد في تفسير تاريخ الإسلام وفق نظرية التفسير المادى للتاريخ متابعاً المستشرقين في هذا ، ومرضياً للاستشراق اليهودى الذى يلج على إنكار عبد الله بن سبأ اليهودى . ولن نذكر في هذا المجال أنه أنكر وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأن ذكرهما القرآن فإذا كانت

كتابات طه حسين هي الأدب ، على أساس أنه صاحب أسلوب منغم موسيقى ،
فنعم ، أما أنه أدب إسلامي فلا والى ذلك فإن مفاهيمه تتعارض تماماً مع
مفهوم الإسلام الأحصيل :

هذه مقدمه ندخل بها الى عرض آراء طه حسين المسمومة لنكشف لشبابنا
المسلم تلك الخدعة التي يخدع بها البعض وما كنا نظن أن الهوى أو الولاء الشخصي
الذي اصطنعه طه حسين عبد البعض يستطيع أن يعلو فوق الحق ، وفوق السكينة
الخالصة لله تبارك وتعالى .

كلمة حق في الرد على المدافعين عن طه حسين

أن أصدق أساليب البيان هو أسلوب الوضوح والصدق والأمانة ، بالانطلاق من منطلق أصيل غايته الوصول إلى الحق وهذا المنطلق يعرضنا جميعا حينئذ نبدأ من فروعيات صغيرة في محاولة الوصول إلى هدف بعيد ، وفي قضية « الأستاذ الكبير » رواد الأدب في هذا الجيل خلفية يجب أن يعرفها كل من يتحدث عنهم : تلك هي أنهم كانوا يعملون مع الانظمة السياسية القائمة والتي كانت خاضعة خضوعا واسعا للنفوذ الأجنبي والاستبداد الحاكم إذ ذاك وأنهم كانوا يتصارعون تحت مظلة الأحزاب السياسية وأن علمهم الأدبي كله ... أوجله ... كان في خدمة هذه الأهداف وأن الذين درسوا (الأدب العربي المعاصر) علموا بما نص عليه د.ولاء الرواد في صراحه أوضحنا من أن الدراسات الأدبية التي قدموها في الصحافة - أذ ذاك - إنما كانت جزءا من العمل السياسي والحزبي وأنها كانت تستهدف جلب قراء من المعسكرات الأخرى أو الأحزاب الأخرى وأن حزب الأحرار الدستوريين الذي كان ينتمى إليه جل هؤلاء (وعلى الأقل : هيكل ومنه حسين) كان معروفا بأنه حزب خصوم الاسلام بل وأطلق عليه في فترة من الفترات حزب الملاحدة فمنه ظهر على عبد الرازق بدعوته إلى أن الاسلام دين لاهوتي وأن الحكم ليس من أسسه ومنه ظهر طه حسين بدعواه عن فصل الأدب العربي عن الفكر الاسلامي والقول بأنكار وجود إبراهيم واسماعيل وأن قالت بوجودهما القرآن والتوراه ومنه ظهرت أراء كثيرة بالتنكر للاسلام ومنه فهم العربيه والدعوة إلى الفرعونية والاقليمية وغيرها غير أن مرحلة أخرى أشد خطورة جاءت بعد ، حين اضطرت هذه الأحزاب إلى مجاراة التيار الوطني العارم وكسب الشعب بالكتابة عن الاسلام ومن هنا بدأت كتابات (حياة محمد) لهيكل جاءت كتابات (العبقريات) للعقاد ثم جاءت (على هامش السيرة) لطله حسين .

وقد كانت الخلفية وراء هذا التيار سياسية أصلاً ولم تكن عملاً خالصاً لوجه الله ، وأن من يدرس هذه الكتابات دراسة أصيلة وفق مفهوم الإسلام يجدها قد أحتوت على كثير من التحريف والخلط والتماس المناهج الغربية والاستشراقية في كتابتها .

بل أن هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك ، إلى أنها أنما جاءت لأمربن خطرين : لمواجهة التيار الماركسى الذى كان قد ظهر بعد الحرب العالمية الأولى في معظم البلاد العربية وحمل معه مفاهيم عن الاجتماع تنسك (البطولة الفردية) ومفاهيم عن التفسير المادى للتاريخ تنسك كثيراً من المعجزات والوحي ، فكانت الدعوة إلى الكتابة الإسلامية بين هؤلاء الكتاب الذين كانوا في أول أمر دعاة الفسك العربى عملاً هادفاً له أبعاده ومضامينه ولم يكن ألا محاولة للخلق د بديل زائف ، عن طريق أسماء لامعة للأصيل الذى كان قد بدأ يشق طريقة بقوة وهو حركة اليقظة الإسلامية متعشلة في عديد من الهيئات الإسلامية كالأخوان والشبان وشباب محمد ومصر اقاء والمدن الإسلامى والمقاصد الإسلامية والأخلاق وغيرها من الهيئات الإسلامية على طول البلاد العربية وعرضها وفي دمشق وبغداد والقاهرة وأنهم قد انطلقوا إلى هذا العمل لامن مفاتيح الفكر الإسلامى وإنما من مفاتيح الفكر الغربى بماديته ومسيحيته .

والهدف هو مواجهة دعوة الحركة الإسلامية التى تحمل لواء العودة إلى القرآن والتماس المبالغ الأولى والعمل على تطبيق هذه المحاولة العصرية التى استهدفت أبراز الكتاب الكبار هؤلاء واتى ترمى إلى تقديم بديل ولكنه بديل زائف .

وقد ظهر ذلك بوضوح في جلسة مجلس الشيوخ ١٩٣٩ حين استجاشت هذه القوى كلها للدفاع عن طه حسين بمسد أن كشفت القوى الإسلامية زيفه في هذا المجلس ودعت إلى طرده من منصب مستشار الثقافة في وزارة المعارف ومصادرة كتبه المسمومة (على هامش السيرة ، مستقبل الثقافة ، الأدب الجاهلى ، حديث الأربعاء) .

ويعد أن بين هؤلاء الكرام الاعلام على منبر مجاس الشيوخ هذه السموم (عبد الحميد سعيد ، الشيخ دواز ، رضوان السيد وغيرهم) قام على عبد الرازق والعداد وهيكل وغيرهم بمحنة مضادة للدفاع عن طه حسين ، وفي الحق أنها كانت محاولة للدفاع عن هذا التيار بدعوى أن الدستور يحصى حرية الفكر ، هنالك كشف الأستاذ الإمام حسن البنا في مقال له بمجلة الاخوان هذه الحقيقة ، حين طالب هؤلاء الذين يتسمون بأسم الاسلام إن كانوا صادقين - أن يعلنوا إيمانهم بحقيقة الاسلام : كنهج حياة ونظام مجتمع . فلم يجب أحد على كلمته وأدخلوها قيم يسمونه (مؤامره الصمت) وكان واضحا أن الهدف هو استغلال هذه الكتابات الإسلامية لحجب الدعوة الحقيقية إلى مفهوم الاسلام الاصيل .

كل هذا كشف عنه كتابنا (طه حسين : حياته وفكره في ميزان الاسلام) ولو أن المنتصرون للكتابه في هذا الامر قرأوا هذا الكتاب أساسا لو فروا كثيرا من الوقت والجهد ولوجدوا الإجابة على أسئلتهم ولكنهم يهاجمون الكتاب وكتابه انطلاقا من وجهة نظر خاصة ، هي إحدى وجهتين ، أما الدفاع عما يسمونه ترانا لا معا كان له دوره في مرحله من مراحل حياة الفكر الاسلامي المعاصر ، أما متابعة لكاتب بعينه سواء اللعان أمه أو لآي هوى قومي أو وطني خاص ، ولكن الحق هو فوق كل ماتهوى الانفس وهو يعمل ولا يعمل عليه مهما بدت الصور براقه في عيون لا ترى أبعد مما تحت أقدامه ولقد كان للادب العربي الاصيل المتصل بالفكر الاسلامي الصحيح دعاة وكتابا في هذه الفترة هم أكثر إيمانا وأقوى يقينا وكانت كتاباتهم أبعد أثرا من هؤلاء اللامعين الذين كان للصحافة أثرها في شهرتهم دون أن يكونوا على قدر حقيق بالنسبة لأمثال شكيب أرسلان وعبد الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعي والدكتور محمد أحمد النعمري ، ربحي الدرديري والخضر حسين وعشرات آخرين هم في الحقيقة اعلام الادب العربي الاسلامي ، هؤلاء لم يدرسهم أو يتحدث عنهم النقد الاولي لأنه كان يريد أن يظهر ويلج هذه الاسماء وحدها ، ولعل الباحث المنصف يستطيع أن

يقرأ [موقف العلم والعالم من رب العالمين] من شيخ الاسلام مصداقاً في صبرى الذى كشف عن أخطاء هؤلاء الاعميين في فهم الإسلام ولله قرأ عشرات الابحاث عن أخطاء العقاد وطه حسين في فهم الاسلام ومتابعتهم لاراء المستشرقين .

وإذا كان الباحث يريد من هذا كله أن يصل للدفاع عن طه حسين فأن الامر قد وضح اليوم وضوحاً لاسايل إلى غموض فيه ، وإذا كانت قد خدعته عبارات طه حسين في تقدير الحكومة الإسلامية في عهد أبى بكر وعمر فإنه يند أن يذهب قليلاً معه سوف يجد أن طه حسين إنما يريد من ذلك أن يصم عهد الخلفاء والصحابه باتهام خطير هو تقاتل الصحابه وتكالبهم على الحكم فى تبرته . الشيخان ، من سموم العصر وذلك حين صور هؤلاء الذين قال النبي ﷺ أن أصحابي كالنجوم جاء طه حسين ليجهلهم أشبه بالسياسيين المحترفين المعاصرين طلاب الدنيا ودعاة الصراع والدأمر والخذاع للوصول إلى الحكم وهذه هى السنة السيئة التى بدأها طه حسين للنظر إلى الصحابه وأنى أزعج أن لطفه حسين صفحات أكثر أشراقاً ما ذكر ولكنها ليست للحق ولا لوجه الله ولكنها للخذاع فأن كتاب التعريب والشعوبين يعرفون هذا الاسلوب جيداً الذى عليه أيام الاستشراق بأن يخذعوا بعض القراء الذين ليست لهم خلفية واسعة بهذه العبارات ليحوزوا أعجابهم ثم لا يلبثوا أن يقدموا السموم لهم ، وأقد كشفت هذا كله فى كتابى (طه حسين فى ميزان الاسلام) والحقيقة إن طه حسين لا يؤمن بالإسلام كما أنزله الله كنظام مجتمع ومنهج حياة ولكنه يؤمن به (ديناً لاهوتياً كنسياً مسيحياً) وكان من دعاة ذلك وكان عاملاً من عوامل معارضة دعوة اليقظة الإسلامية الحقبة ولم يكن هذا وحدهم وخلاً طه حسين ولكنه كان مفسداً لا مصلحاً الفكر الإسلامى فى كثير من عقائده وقيمه واسسه ولم تكن كتاباته هذه عن الاسلام فى كتبه (هامش النيرة ، الفتنة الكبرى ، الشيخان) ألا تفصيلاً لتلك الشهوات التى أثارها الاستشراق وإلا فأين طه حسين من الحكم الإسلامى حتى فى سلوكه الشخصى أو فى كتاباته وهو الذى لم يكتب مقالاً واحداً عن فلسطين أو عن تطبيق الشريعة الإسلامية ولكنه هو الذى دافع عن عبد الله بن سينا اليهودى وأفكر وجوده

وأذاع أراء الزنادقة أمثال أبو نواس وبشار وهو الذي قال : أن القرن الثاني للهجرة كان (عصر فسق ومجون) وهو الذي دعا المسلمين إلى الاخذ بالحضارة الغربية . (خيرها وشرها وما يحمد منها وما يعاب) وهو الذي استصغر شأن ابن خلدون علامة الاسلام في أطر رحته التي حصل بها على الدكتوراه إرضاء لاساتذته اليهود وهاجم المتقني عملاق الآدب لأن الاستشراق كان ينكره . أن الدفاع عن طه حسين لن يحقق نتائج ذات بال بعد أن كتب عنه تلاميذه اللصحاء من أمثال السيدة سوزان والاستاذ محمد محمود شاكر والدكتور نجيب الهميتي وكشفوا عن خلقه الشخصي وأسلوبه العملي ومفاهيمه الوضولية وانتباهه الواضح للاستشراق العالمي وتتابعته لخصوم الاسلام ومهما بدأ بريق الكتابة أمام بعض العميون على النحو الذي خدع به بعض الناس مما كتب في هامش السيرة وغيره فإن هامش السيرة في حقيقةها سخرية عميقة بالنبي وإدخال للأساطير واستزادة فيها عما كان في العصر الاول ، بعد أن أحررها كتاب الإسلام على مد العصور من كل زيف .

وسلام على من أتبع الهدى .

حقائق في حياة طه حسين

تلقت جريدة (النور) رسالة من القارىء (. . .)

- هل زار طه حسين الجامعة العبرية بالقدس ١٩٤٤

- هل اعتنق النصرانية في فرنسا

- هل كانت له علاقة بالصهيونية أو الشيوعية

- وقد عرضنا الرسالة على [أنور الجندي] فأجاب بما يلي :

إن حياة الدكتور طه حسين تكشف كلها عن وجهته، وأن وقائع هذه الحياة ظاهرة جليلة، فهو رجل عرف دوائر الإشتراق منذ نشأت الجامعة المصرية القديمة، وكان قليل الصبر على دراسات الأزهر، راغباً في الظهور والشهرة فاتصل بلطفي السيد في الجريدة، وبالمستشرقين في الجامعة، ومن ثم أخذ يسخر من الأزهر ومن العلماء بتحريض وكان محرضوه هم المستشرقين الذين كانوا يذهبون معه وبه إلى دروس الأزهر منهم فقد كانوا يريدون أن يوقدوا في صدره حذوة الحقد على الإسلام والأزهر الذي بقي كامناً حيانه كلها في صدره لم يذهب ويدفعونه إلى أمثلة محرجه، تدفع الأساتذة إلى ردود جافة، ومن ثم نشأت في نفسه تلك المشاعر الكارزة لهذه البيئة وشجعه أولئك على أن يقدموا له [الدكتوراه] خيراً من [العالمية] وفتحوا له الطريق إلى أوروبا، فكان هناك في حضائنتهم وعونهم وتوجيههم، بل أن الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة وقد سئل في ذلك فقال : لأنه كان مالياً لهم ولافكارهم ومذاهبهم قبل أن يسافر وآية ذلك أن أطروحاته عن أبي الصلاء التي قدمها في الجامعة القديمة كانت تقوم على مذهب (الحرية المادية) التي بثه المستشرقون في طلبه الجامعة المصرية من أول يوم و

فلأنجب في أن تنطور الأمور إلى الولاء الكامل والتبعية الكاملة والاحتضان الكامل ، على هذا النحو الذى حدث ، ولما كان الاستشراق في هذه المرحلة مشعباً بمفاهيم يهودية مادية فقد وجد في طه حسين لسانه الناطق وحامل دعوام التي كانوا يفضلون أن تصل إلى المسلمين والعرب عن طريق رجل يتكلم العربية ومن المسلمين ، ومن ذلك الفسكيك في وجود إبراهيم وإسماعيل وبنائهما الكعبة المشرفة وذلك يبدو واضحاً في الواقعة إلى أشار إليها طه حسين في الجزء الثالث من الأيام حين ذهب يمتحن في التاريخ الروماني وكان أستاذه من الفساة على المهتجن الشرقيين وكان الكتاب المقرر في أكثر من ثمانمائة صفحة ، وحين دخل طه حسين وخلت معه زوجته على حد تعبيره - ألقت بقصاصه إلى الأستاذ فقراها وضحك وقال له :

إذن فقد سعدت بمرافقة هذه الأنسة ، وأنا سوف لا نسألك عن التاريخ الروماني ولكن حدثنا عن تاريخ الأمويين في دمشق ، وما أن مضى طه حسين قليلاً في الحديث حتى أرقعه الأستاذ وقال : لقد ظفرت بالدرجة العليا !

هذا يعطى خلفيات الأحداث وسرها ، كانوا في فرنسا يعملون على إحتواء بعض العرب الذين يتعلمون في المعاهد العليا هناك ليكونوا أولياء لثقافتهم في مصر والبلاد العربية ، وكانوا يهدون لذلك بأمور كثيرة ، منها الإغراء بالمناصب في البلاد التي سيهودون إليها ، ومنها الرحلات والمؤتمرات السنوية حيث يعقد مؤتمر المستشرقين هنا وهناك ، وكان هناك إغراء الزواج ، الذى يكون عاملاً هاماً في هذا الصدد ، وقد تزوج محمود عزمى ، وعثمان أمين ، وكثيرون غير الدكتور طه ولكن زواج طه حسين كان صعباً فقد كانوا يعملون وخاصة الأذكىاء منهم من أمثال القسيس خال الزوجة مدى أهمية الدور الذى سيقوم به طه حسين في مصر والدور الذى ستقوم به زوجته في مساندته ، ولقد قال أقرب تلاميذ طه حسين إليه (الدكتور نجيب الهميني) إنهم حاصروا طه حسين

محصارين : زوجته الفرنسية وسكرتيره القبطى ، وأنه لم يكن يستطيع أن يخلص من مهنته وأن نظرة واحدة إلى كتاب (معك) للسيدة سوزان يكشف بوضوح عن وجهة طه حسين وقد وصفه الأستاذ أحمد حسين بقوله أنه دخل عشرات الكنائس فى كل مكان ذهبوا إليه ولم يدخل مسجداً واحداً .

أما ، معادلة ، زواجه بالفرنسية فقد صورها الأستاذ أحمد حسين على هذا النحو : كيف بفتاة فرنسية منذ سبعين عاماً تعيش فى باريس تقبل الزواج من كفيف فقير أفريقى وتقبل أن تنتقل معه إلى أفريقيا إلا إذا كان وراء ذلك هدف محدد واضح ، أما الهدف فقد كشفت عنه عشرات الكتابات وكيف خدع الناس عنه وكانت الحملات مستمرة ضده منذ صدور كتاب (فى الشعر الجاهلى) فى مجلس النواب ومجلس الشيوخ والصحف ومع ذلك فقد كان طه حسين ينتقل ويترقى من مدرس إلى أستاذ إلى رئيس قسم إلى عميد إلى مدير جامعة إلى مستشار ثقافى ، إلى مراقب عام ، إلى وزير للعارف بقوة خفية تسانده وتحميه وكان موضع تقدير الجامعات فى كل مكان لأنه كان يقول أنه ليس سفيراً للثقافة الفرنسية وحدها ولكنه سفير للثقافة الغربية كلها ، كانت الدول الغربية المختلفة تمنحه الدكتوراه ليؤاخذ نفوذها فى مصر ويرعى مدارسها ومعاهدها ولأنه فتح الباب واستعاضاً أمام التبعية للفكر الغربى فى المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة .

فقد كتب عن الثقافة الفرنسية ثم وأيد مفاهيم النفوذ الإنجليزى عندما عمل وزيراً للعارف ولما ظهرت ترجمة الأدب الأمريكى دعا إليه ، وأيد كتاباته : مفاهيم الرأسمالية وعاون الماركسيين واليساريين حتى عذره أستاذهم ، ولم يطلق كلمة فى واحدة سبيل فلسطين ، وكان ولائه للفكر الصهيونى واضحاً فى جولاته فى المدارس الإسرائيلية بمصر أو لقائه محاضرات يشيد منها بدور كاذب لليهود فى الجزيرة العربية والأدب العربى واستقدم شابين يهوديين وأعظمهما مجالا للتعبير فى الجامعة أحدهما (إسرائيل ليفنسون) الذى اعتنقت له الجامعة أطروحة دكتوراه كلها

سموم صهيونية ، والآخر (بول كراوس) الذى كان يروج للفكر الباطنى والشعوبى من أمثال الخلاج وابن عربى وابن سيعين وعدد من الزنادقة وكانت رحلاته للقدس المحتلة فقد سافر مع لطفى السيد لإفتتاح الجامعة البرية وسافر مع حسين فوزى (الذى أعلن ذلك صراحة) لزيارة الأنعام الاستشرافية وأهدوه كتاب (أنساب الأشراف - البلاذرى) الذى اعتمد عليه فى كتابه (الفتنة الكبرى) مبرماً عبد الله بن سبأ اليهودى من أثره المعروف والمجمع عليه فى مقتل عثمان وولاه اليهود فى مصر رئاسة تحرير مجلة الكاتب المصرى ودارها عام ١٩٤٧م وقد كشفت أطروحات عليية فى الجامعات المصرية دور طه حسين فى الصحافة الصهيونية فى مصر وشهد نوفون رئيس إسرائيل فى لبنان زيارته لمصر فى عهد السادات أنه يحب طه حسين فى زيارة المستعمرات اليهودية ، فهذه زيارة أخرى لم يعلن عنها فى وقتها .

وقد إشتهرت عنه كلمات لم تتحقق بعد ، ولكن تداولها ألسنة المعاصرين له منها قوله أنه يونانى الأصل ومنها هذا الشعر الذى يقول :

لأن لى فى الناس حكماً نافذاً

ألزمت بالافطار كل الناس

(أى الإفطار فى رمضان) ولقد كان يقال مثل هذا فى الجامعة سراً للطلاب فى أيامه وكان يشجعهم على إقامة أحفال الرقص المختلط فى البيوت ، وعلى أن ينقدوا القرآن بوصفه كتاباً أدبياً وقد شهد الدكتور عبد الحميد سعيد فى مجلس النواب ١٩٣٣ حيث قدم كراسة لأحد الطلاب تحوى هذه العبارات ، أن القرآن فى آياته المسكية جاف فى آياته المدنية طرى والسرى هو إتصال النبى باليهود ، وكل ما كتبه فى كتب تخدع الناس أسمائها الامة كهامش السيرة و (الشيهان) وغيرهما ملء بالسخرية بالإسلام وفيه نصوص غامضة ترمى إلى القول ببشرية القرآن .

ومن أجل هذه الأمانة : [أمانة الأجيال] كشفنا هذه السموم وسواصل كشفها لأن الكتب المسمومة تمازج طبع وتوزع فلا بد أن نقدم لقراءها وجهة نظر الإسلام

فيها ، وهما ليست من عندنا ولكن كما صدع بها علماء الإسلام وكشفوا زيفها في فصول نشرت في الصحف وانطوت وبقيت الكتب التي تحمل هذه السموم .

ونحن انصافاً للحقيقة ، وخوفاً من المسؤولية أمام الله تبارك وتعالى لانهاجم طه حسين (الإنسان) فذاك حسابه على الله وامكنا تكشف (أخطاء طه حسين المفكر) لأن كتاباته لا تزال بين يدي الناس وتخضع للكثيرين (راجع كتابنا محاكمه فكر طه حسين) رآه كشفنا هذا كله وطه حسين حي ، وقال بعض المدافعين عنه أنه رجع عن كثير من آرائه ولكنه شرط الرجعة هو (الإعلان) وهذا لم يحدث مطلقاً بل أن طه حسين أعلن في أحاديثه الأخيرة أنه متمسك بكل ما قاله في حياته كلها ، وشرط الرجعة آخر هو منع بعض الكتب المسمومة من إعادة طبعها وهذا لم يحدث أيضاً وكل ما يكتبه المضلمون اليوم أو يذيعونه لن يخضع أحداً عن حقيقة أساسية واضحة : إن طه حسين كان تابعاً وخادماً للتغريب وأنه شهد على نفسه بأنه كان سفيراً للعسكر الغربي في بلاده ؟

لماذا لم يدخل طه حسين

مدرسة البيان في النثر العربي الحديث

هذا هو السؤال الذي وجهه الدكتور طه وأدى أثناء مناقشة أطروحة الأستاذ حلمى القاعود بكلية دار العلوم عن مدرسة البيان في النثر العربي الحديث في مصر (فبراير ١٩٨٢) وكانت الأخر حلمى قد عرض للأربعة الكبار: المنفلوطى والرافعى والزيات والبشرى باعتبارهم أعلام مدرسة البيان ، وكان التساؤل لماذا لا يضم إليهم طه حسين ، والحقيقة أن طه حسين الذى كان في مطالع حياته معجبا بالمنفلوطى ، قد هاجم هذا التيار من بعد ، فقد نقد المنفلوطى نقدا شديدا كما هاجم الرافعى والزيات وحاول انخض من أسلوبهما الفنى ، أما قصة نقد طه حسين للمنفلوطى فهي معروفة وذاتية ، وقد أودعناها كتابنا (طه حسين حياة وفكره في ميزان الإسلام) وهى تعطى صورة قلب طه حسين الذى قل عنه زميله الزيات أنهم كانوا ثلاثتهم (مع طه وزناق) ينتظرون المؤيد اقراءه مقال المنفلوطى مساء الخميس من كل أسبوع ، فلما كبر طه حسين واجتاحه التيارات السياسية المختلفة كان عليه أن ينقد المنفلوطى لحساب خصومه وقد نشر في جريدة العلم (جريدة الحزب الوطنى) عدة مقالات تحت عنوان (نظرات في كتاب النظرات) حشاهما نقداً للألفاظ التى أحتواها كتاب المنفلوطى مع عبارات شديدة من النقد وقد عجب كثيرون للطلاب الأزهرى الذى استمتع في هذا السن أن يتحدث عن هذه اللمات التى أحتوتها القواميس العربية الكبرى ثم تبين من بعد ونشر في المجلد الأول من الرسالة أن الكاتب اللغوى الجهمر (صادق غير) هو الذى وضع هذه التصحيحات التى حملت إلى طه حسين لنقلها بأسلوب فيه إقناع كبير واستعلاء واضح ليسكتها وينشرها باسمه في صحيفة الحزب الوطنى

وربما فات الصديق حلمى أن يقرأ هذا النص فى كتابنا أو فى الرسالة وإلا لكان أستطاع أن يرد عن نفسه عادية التساؤل الذى وجهه إليه الدكتور طه وادى الذى كان يعرف أن الأخ حلمى كتب أطروحته وهو فى بلدته البعيدة فى المملكة العربية السعودية (الأحد - جيزان) حيث لم تتوفر له المراجع التى كل تعينه على كشف هذه الحقيقة، كذلك فإن الدكتور طه عندما كان يتولى تحرير الصفحة الأدبية فى السياسة عام ١٩٢٣ لم يلبث أن ورد إليه خطاب من الرافعى فشره مشيراً به على أنه (أسلوب قديم قد عفا عليه الزمن) ومن ذلك يعرف أن الدكتور طه كان معارضا لاتباع مدرسة البيان، بل أن طه حسين حين اختلف مع الأستاذ الزيات هاجم أسلوبه وحاول الغض من قدره، ومن أجل هذا كله، كان من غير المعقول أن يوضع طه حسين بين زعماء مدرسة البيان، هذه المدرسة التى درسها بافاضة وتمكن الأخ حلمى القاعود فى رسالته الضخمة التى نالت أعجاب الباحثين نظراً لأقدرته على العرض والآداء على نحو يوحى بالنفاذ إلى سرائر الأدب العربى، أما كيف توصل الأخ حلمى إلى هذا الاسم لمجموعة المتألفين فى الأسلوب، فإن صاحب هذه الرسالة لم يكن أول من أطلق عليهم هذا الاسم وأن كان أول من درسهم دراسة واسعة فى أطروحته التى أضافت جديدا حقيقيا فى هذا المجال، فقد كان معروفا أن مدرسة الزملا هى التى بدأت بعد وصول جمال الدين الأفغانى إلى مصر وتكوين هذا الجيل الذى آمن بالوصول إلى الغاية من أنصر طريق بعد أن كان الأسلوب الأدبى يقوم على كثير من السجع المتكلف والمحسنات اللغوية والمقدمات المسببة ثم جاء هذا الجيل الذى تشكل والذى ولى أمر الوقائع المصرية وروضة المدارس فعرف بمدرسة الترسى ومنه انطلق جيل مدرسة البيان الذى رفاه الأخ حلمى حقه من البحث فى دراسة التى يبدو أنها لم تعجب العصرين والتقدمين الذين يزعمهم أحياء كتابات وأعمال حماة اللغة العربية الفصحى والفسكر الإسلامى الوصين كالرافعى والزيات، ومن قبل شهد مدرج دار العلوم مناشئة رسالة الأخ مصطفى البدرى عن مصطفى الرافعى وقد لنى نفس النقد المغالب بالحق والكرهية من الدكتور القط، فقد

أصبح مفروضاً على دار العلوم أن تستقدم مشاركا في مناقشة رسالتها من كلية الآداب ، هؤلاء الذين يقوم تقدمهم للرسائل على أساس الغرض من قدر الدراسات الرصينة التي تتعلق بتاريخنا العربي الأصيل ، وهم يسمون هذا المنهج : المنهج التقليدي ، ويفرقون بينه وبين المنهج الحديث الذي يعتمد على مفاهيم بروتير وتين وهي مفاهيم تخضع الإنسان لمفهوم دأدى خفاير ، وقد يتقبل النقد إذا كان صادراً من من نفس مغلصة ، ولكن إذا كانت الغاية مخبأة وراء عبارات براقة فإن الأمر يكون واضحاً ، إنه اعتراض مؤدب على هذه المدرسة ذات الاصلية والغيرة على تراث الأدب العربي ، ومن ذا الذي يشكر أن المنفلوطى وقف في وجه المدرسة المهرية (جبران ونعيمه) وغيرهما في اتجاهاهما الحاقدا على اللغة العربية والأدب العربي ودعوتهما إلى (الثورات) وقد وقف لها المنفلوطى الذي أعتمد الأسلوب القرآنى بحسم فكان في ذلك قضاء على ذلك التيار المسموم ، كذلك من ذا الذي يشكر فضل الرافضى في معركة الدفاع عن القرآن إزاء محاولات الهجوم على القصصى ومواقفه من بعد [تحت راية القرآن] في الرد على طه حسين ، أما الأستاذ الزيات فقد حمل لواء البيان العربى عصرأ طويلاً وفتح أبواب مجلة الرسالة أمام الاصلية فأحيا ذلك الاتجاه السكريم العميق ، في حماية اللغة العربية والبيان العربى من محاولات التغريب وأعلاء شأن العاميات .

لعل هذا هو ما يزعج النقاد الذين يودون أن تكون الرسائل والاطروحات عن أتباع المدرسة العربية وقد أعدت عنهم عشرات الرسائل ، وكان يجب أن تكون دار العلوم حصن اللغة العربية والاصالة دائماً هي الحافظة لهذا الاتجاه ، الجامعة له المدافعة عنه وقد عرفت منذ وقت طويل بأنها المدرسة الوسطى ،

وإننا لنتنهر هذه الفرصة ونتطلع إلى أساتذة الأدب العربى في الجامعات وفى الأزهر الذى يتابع مناهج النقد والتاريخ الأدبى الوافده دون قدرة على تبين الاصله ، ندعوم جميعاً إلى التماس منهج عربى أصيل يستمد معلمه وقوائمه من التراث العربى فلا يكون العرب عالة على المناهج الوافده خاصة إذا كانت تختلف وتتعارض مع القيم الأساسية للمسلمين والحرب وأنها الدعوة نأمل أن تجد طريقها إلى دراسات الأدب العربى بمفهوم عربى بعد أن تبين فساد منهج

النقد الأدبي الوافد وقد كشفنا عن ذلك وبيناه في كتابنا « خصائص الأدب العربي » منذ عشر سنوات .

وما يزال السؤال قائما : وهو لماذا لم يدخل طه حسين مدرسة البيان في التراث العربي الحديث بالرغم مما عرف عن أسلوب طه حسين الموسيقي الذي يقرب من أسلوب التوقيع والترنيل ولكن هذا الأسلوب كما شهد جميع من درسه لم يكن أسلوبا عربيا أصيلا بل كان أزودا من فقرات من الأسلوب الفرنسي وعبارات ومصطلحات غريبة خالصة فضلا عن أن الأداء لم يكن في حقيقة على طريق أعزاز البيان العربي والفصاحة العربية ، والإيمان بما وراء ذلك من مقومات الفكر الإسلامي ولكنه كان أسلوبا رنانا يراد به أغراء السامع والقارئ . لإمكان خداعه وأدخال مفاهيم مسمومة وإقده ، على النحو الذي عرف به في كل كتاباته من حيث دعوته إلى قبول الحضارة الغربية خيرها وشرها وما يحمده منها وما يعاب ، أو كلماته الرنانة في القول بأن الدين نبت من الأرض ولم ينزل من السماء فكل هذه وغيرها مفارقات بلاغية استخدمت فيها اللغة العربية لحساب التغريب والدعوة للتبعية للثقافة الغربية ، هذا فضلا عن أن الدكتور طه حسين الذي كان حريصا على أن يدعو إلى الكتابة باللغة الفصحى لم يلبث أن كشف نفسه في محاضرة مشهورة حين أعلن أن اللغة العربية ليست ملكا لاحد وأن من حق الأجيال أن تمصرها ، وأن تغير في نحوها وصرفها ، وأن تعصرها وهذه الدعوة المسمومة التي تريد تدمير التراث الإسلامي والعربي ، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا عن طه حسين ، وفي كتابنا عن المساجلات والمعارك الأدبية ، وهي دعوى باطلة زائفة فإن اللغة العربية ليست لغة المصريين وحدهم وليست لغة العرب ولكنها لغة ألف مليون مسلم وهي ليست كما حاول طه حسين أن يصورها أشبه باللغة اللاتينية التي تفرغت عنها اللغات الإدارية الحديثة .

من أجل هذا كله لا يستحق طه حسين أن يدخل مدرسة البيان في التراث العربي الحديث ولكن من حقه دون منازع أن يدخل مدرسة التغريب في الأدب المعاصر .

إنكشاف ما خفي على الناس زمنا

(ومهما تكن عند امرئ من خلية وإن خالها تخفى على الناس تعلم)

منذ أن بدأ طه حسين ممره مع الإسلام بكتابة (في الشعر الجاهلي) كان هناك أصرار منه على الاستمرار في الممركة . بها كلمة الأمر وقد اقتضى هذا حياته كلها ، وكتاباته جميعها خلال أكثر من خمسين عاما ولم تكن وقفاته ومبادئه إلا محاولة لتخفيف التركيز عليه ثمة ، ولكنه كان متصل العمل في حرب الإسلام سواء في ميدان الأدب أو التاريخ أو مهاجمة الأزهر واللغة العربية ، أو في مجال عمله (مديرا ووزيرا) فهي كلها خطوط ممتدة من بداية واحدة إلى غاية واحدة ولم يكن عمله سواء في الجامعة أو وزارة المعارف أو في اللجنة الثقافية بالجامعة العربية أو المجمع اللغوي أو في البعثات السنوية ومؤتمرات المستشرقين إلا خيوطا متسقة في الخطة الواحدة منها بدا غير ذلك ، وكانت كل مرحلة تسلم إلى أخرى وكان هناك مخطط ينفذه له فروع ورواية بحيث يشمل الفكر الإسلامي كله ويدفع خطة (الشك الفلسفي) إلى غايتها ، وكان من وراء ذلك توجيه وإشراف وكانت الدعوة إلى الحوار المسيحي جزء من هذا المخطط ، وكذلك تكوين الأجيال والأولياء الذين يحملون المخطط ويسرون به إلى الأمام قدما في الصحافة والجامعات ومجلات الثقافة والصحف .

أما هذا الاحتفاء المبالغ فيه بطه حسين (في مؤتمرات سنوية) فهدفه تثبيت قوى التغريب وخلفاء العميد ومراصلة الخطة والمضى في تيار التغريب إلى غايته ، هذا التيار الذي بدأت يترزعع في الفترة الأخيرة بمد بروز الصحوة الإسلامية التي زلزلت كثيرا من القواعد والأركان الثابتة التي ظن الكثيرون أنها تغلغل في أعماق التربة المصرية والعربية ، إن العودة إلى الإسلام دعوة بدأت تشق طريقها

إلى العلوم والفنون والآداب تحت إسم منزلول لقواعد الإلحاد والتغريب وهو
(أسئلة العلوم) واليوم تجتمع المؤتمرات في كل مكان من البلاد الإسلامية لتبحث
إنشاء علوم الإسلام : علم النفس الاسلامى، علم الاجتماع الاسلامى، علم الاقتصاد
الاسلامى، نظرية الادب الاسلامى وفي هذه المرحلة تشرح (الشيخ المشددة) كتابات
طه حسين وأصدقائه المستشرقين وتكشف زيفها على النحو الذى إشتعلت عليه
ندوة الادب الإسلامى، فى الرياض رجب ١٤٠٥ ومن خلال هذا البحث الذى
قدمه كاتب هذه السطور يتبين إلى أى مدى تنزّم ركائب للتغريب :

نظرة الأدب الإسلامي

الموضوع الأول :

النقطة ج :

الرد على المحاولات الداعية الانفضام بين أدب إمتنانى الماضى والحاضر

وتفنيد شبهات المستشرقين وغيرهم وأخطائهم فى دراسة الادب الاسلامى .

حاول البحث محاصرة التحديات فى خمسة عشر نقطة :

أولاً : تبعية الادب العربى للمفهوم الغربى للنقد الادبى والاستسلام أمام مفهوم (تبين وبروتير وسات ييف) وهو مفهوم مادى صرف يفترض فى النظرة إلى الإنسان أنه حيوان يخضع لطروف البيئة وتسيطر عليه شوقى الطعام والجنس على النحو الذى صورته الفلسفة المادية استمداداً من نظرية دارون على النحو الذى أشار إليه ستانلى هايمن فى كتابته (النقد الادبى ومدارسه) حيث حيث قال: أن النقد الادبى الحديث قد أعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم دراون وماركس وفريزر وفرويد وديوى .

وقد فصلنا مذهب كل هؤلاء فى الفكر ونظرتة إلى الحياة وهى فى مجموعها تشكل مفهوما ماديا يطبق على الإنسان ما يطبق على الحيوان، ويحل شأن الجنس والاسطورة .

ثانياً : تبعية الادب العربى لمنهج وافد فى كتابة (تاريخ الادب) ذلك هو منهج تقسيم الادب العربى إلى عصور أموى وعباسى وغيرها وهو تفصيل ظالم استتبع ظهور ما يسمى (عصر الانحطاط) وفصل العصور بعضها عن بعض ، وفى ذلك ما فيه من آثار خطيرة .

ثالثاً : محاولة فصل الادب العربى عن الفكر الإسلامى ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والأخلاق وهى ديموى تغريبية وافدة ترمى إلى تحريض الادب من قوائم الدين والأخلاق ودفعه إلى مجالات الغواية

والإباحة والكشف ، ومنها محاربة للفصل بين مقومات الاسلام والأدب العربي ، وقد كان لإقصاء الأدب العربي عن الفكر الاسلامي وفصله عن مقومات الاسلام في المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي آثار بعيدة المدى في إشاعة روح الإباحة وإحياء تراث الزنادقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والأدب المكشوف من اللغات الغريبة .

رابعاً : إعلاء الشخصيات الزائفة والموصومة من الزنادقة والإباحيين في الشعر : يشار إلى نواس والضحاك وفي التثر أمثال ابن عربي والحلاج والمهروردي وقد دعت في نفس الوقت إلى التجاهل والأغضاء وانتقاص الشخصيات ذات الأثر الحقيقي أمثال ابن خلدون وابن تيمية والغزالي والمتنبي وتوجيه الاتهامات إليهم .

خامساً : ظهور طابع الأفذاع في النقد الأدبي ووصوله إلى أعلى درجات الهجاء وإستهمال الأسلوب السياسي الحزبي النازل في قضايا الأدب وقد صدرت أغلب معارك النقد الأدبي من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستعلاء الذاتي وخدمة الثقافات الفرنسية والانجليزية والدفاع عن أحدهما في مواجهة الأخرى .

سادساً : ضرب اللغة العربية الفصحى بدعوات مسمومة ترمى إلى إعلاء العامية أو التمسك للفصحى بما يسمى (اللغة الوسطى) أو تقريب الفصحى إلى العامية وكانت الدعوة إلى قتل الفصاحة وتجاهل البلاغة ومنهم من قال : لكم لغتكم ولي لغتي . .

والهدف واضح جلي وهو فصل الأداء العربي المعاصر عن مستوى لغة القرآن على أمل أن تصبح بلاغة القرآن بعد عقود من الزمن مما يقرأ عن طريق المعاجم أو دخول اللغة العربية إلى المتاحف (ظنا منهم أن ذلك يمكن أن يكون) .

سابعاً : محاولة محاكمة الأدب العربي الذي صدر عن النفس المؤمنة بالله ، والتي تعرف حقيقة الإنسان وجوهره الجامع (روحاً ومادة) ومسئوليته

الفردية والتزامه الأخلاق والإيمان بالجزاء والحساب ، محاكمة الأدب وفق
الماركسية النظرية والوجودية والفرويدية التي تعتبر الإنسان حيوانا .

ثامنا : انبعث أسلوب جديد على الأدب العربي هو الأسلوب المزدوج
الذي يكتب به نصارى لبنان والمهجرين والذي يصيغ الجملة العربية صياغة غير
أصيلة ومن عجب أن بعض الصحف العربية والإسلامية تنشر مثل هذا وتفصح له .

ثاسما : كسر عامود الشعر وإعلاء شأن الشعر الحر بمفهومه للمناهض
للبلغة العربية والحاقد عليها والمحتقر لها والهادف إلى نفس الغاية التي تقدمها
الأزجال والأمثال الشعبية من حيث صدورهما من تقسيمات ساذجة وعقليات
تعمل طفولة البشرية .

عاشرا : إحياء الأساطير والحرافات وخاصة ما يدمى تراث فينقيا
وجعلامش والدعوة إلى مضامين كنسية وتورائية وأسطورية قديمة مثل زيوس
وباخوس وهي كتابات تحمل الصليان والمناجل والمطارق ومحتواها قلق وتمزق
وضياع وعصارة كل مذاهب الوثنية وتغييرات الأمية .

حادى عشر : إحياء الكتابات الشعبية والعاميات (الفلكلور) التي تمثل
مشاعر وثنية قديمة رفضها الاسلام وقضى عليها وعقد المؤتمرات الحافلة لدراستها
وكسب الانتصار لها بوسائل الاغراء المعروفة .

ثاني عشر : التنفير من الأدب البليغ الموروث والجامع لفنون الحكمة والبيان
والذي تتمثل فيه التجربة الإسلامية الموحدة بين الشعوب المؤمنة بالله الواحد الأحد
وتحقير هذا الأدب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية .

ثالث عشر : المقاومة على القصة العربية الأصيلة بإعلاء شأن القصة الغربية
الرائقة التي لا تغير فيها إلى الأسماء والأماكن وتبقى عناصرها التي لا تقبلها النفس
الإسلامية ولا تقر لجورها وفسادها وانحرافها والجري وراء أساليب منحرفة
كالامعقول واللاقصود . .

رابع عشر : محاولة فصل الأدب العربي إلى أقاليم وهي المحاولة الشعبوية التي

دعا إليها بعض التفريرين رغبة في تمزيق وحدة الأدب العربي الإسلامي والحيلولة
دون إلتقاء جوانبه كمثل لامة واحدة وليس كأدب مصرى وسورى وعراقى
ومغربى ، وتلك هى غاية الغزو الثقافى من تأكيد الاقليمية .

هذا فضلا عن تقسيم الأدب إلى عصور ، ومحاولة فصل العصر الحديث عن
مسار الأدب العربى كله منذ فجر الاسلام تحت اسم الحديث والمعاصر .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلة من كتابات التفريريين والتابعين
للمناهج الغربية وترجمتها وإعطاء كتبها صورة البطولة والشهرة والتبرير وقيام
مؤامرة الصمت والتجاهل أمام أصحاب الأصالة الحقيقية وهذه الدعوى هى مايطبق
عليها « القمم الشوامخ » .

هذه هى النقاط الخمسة عشر فى مجال العمل للفصل بين أدب أمتنا فى الماضى
والحاضر وإذا كان لنا أن نضيف إلى ذلك شيئا فإننا نتصور أن الخطط
التفريسية يرمى إلى :

أولا : إفساد خطة تحقيق التراث وتجديده .

ثانيا : إفساد منهج الترجمة من الآداب الأجنبية .

ثالثا : تثبيت نظرية فصل الأدب عن الفكر وهدم أخلاقية الأدب .

رابعا : إثارة أسلوب الشك الفلسفى .

خامسا : الاعتماد على المصادر الزائفة فى إعداد البحوث .

سادسا : إقرار نظرية العلوم الاجتماعية والعلمانية والنظرية المادية .

وإذا كان لنا مطلب فى هذا المؤتمر الكريم فهو أن تخرج بمنهج إسلامى
عربى لتاريخ الأدب ونقد الأدب وإقامة منهج الأدب الإسلامى العالمى بعد أن
طال تطلع الشباب المسلم إلى هذه الغاية الكبرى وتحقيق هذه القاعدة الأساسية فى
بناء الأصالة الإسلامية ودعم الصحوة الإسلامية .

هذا وبالله التوفيق ؟

ولعل أبرز ما يستكشف اليوم على طريق الأصالة :

أولا : عودة تلاميذ طه حسين الأوائل إلى الحق : محمود محمد شاكر ، الدكتور محمد نجيب البهي .

ثانيا : ظهور دراسات عليية أصيلة حول فساد منهج طه حسين تدخل نطاق الرسائل العلمية .

١ - رسالة الدكتور ناصر الدين الأسد عن الشعر الجاهلي وهي التي أوردت بالنص المصدر الذي سرق منه طه حسين نظريته في اتحال الشعر الجاهلي وهو بحث المستشرق (مرجليوث) .

٢ - رسالة الدكتور المحتسب وهي التي رفضت قبولها كاطروحة جامعة الأردن وقد نشرها الباحث فلاقت قبولا شديدا (طه حسين مفكرا) .

٣ - كتاب (مقدمه في الأدب والتاريخ العربيين) في ثمانمائة صفحة للدكتور محمد نجيب البهي في الرد على أفكار طه حسين .

٤ - كتاب الاستاذ محمود مهدي الاستانبولي الذي جمع فيه المعارك التي أثبتت في الرد على شهادت طه حسين .

٥ - كتاب الاستاذ جابر رزق (طه حسين : الجريمة والإدانة) الذي أورد فيه عروضا وافية لما نشر في مؤلفات الدكتور محمد محمد حسين ومحمود محمد شاكر وأنور الجندي وغيرهم .

(وكان كتابنا عن طه حسين : حياته وفكره في مراد الإسلام) قد ظهر عام

١٩٧٢ وأعيد طبعه واليوم ظهر كتابنا المكمل له :

(محاضرة في فكر طه حسين)

حيث يشغل أكثر من أربعين قضية من قضايا التاريخ والأدب التي أثارها وكشف رأى الإسلام فيها .

٦ - كتاب الدكتور سعد ظلام (آراء أدبية) والذي رضى فيه في عدة فصول لسقطات طه حسين في منهجة الأدبي وما يتصل بالشعر الجاهلي والبقية تأتي .

(٩)

الكتاب الاسود

جمع الاستاذ محمود مهدي الاسلامبول معارك طه حسين مع أبناء جيله وخصائمه وأثبت ردوده عليهم ودحضهم لآخطائه ، في كتاب سماه (طه حسين في ميزان العلماء والادباء) وكان في جمعه لهذه المعارك أمينا غاية الأمانة فهل هذا العمل جريمة حي ينشر عنه هذا العنوان في جريدة الأهرام :

(كتاب أسود عن طه حسين يشوه تاريخنا الثقافي)

وكيف يشوه تاريخنا الثقافي أن يقدم أحد العلماء مارذ به العلماء على سموم طه حسين وأفساده لكثير من مفاهيمنا ، وهل يكون الكشف عن الأخطاء تسوية لتاريخنا الثقافي ألا إذا كان حجب هذه الردود هو الذي يمد تاريخنا الثقافي بالنماء والقوة .

هل يريد هؤلاء التوم أن نحجب أخطاء طه حسين ومزالق حياته وفكره ليظل في نظر الأجيال الجديدة مقدسا ينظرون في كتبه وكأنها الشئ الذي لا ينقض ويضيقون بكشف فساد فكرة وتبعيته ، صحيح أنهم يكتبون عنه في صحف كبرى تنشر على أوسع نطاق وما نكتبه نحن ينشر في صحف متواضعة ، أو مؤلفات لا يطابع منها إلا آلاف قليلة ، ولكن الحق هو الحق ، وهو ظاهر منتصر مها ضيق عليه .

وقد جاء كتاب (محمود مهدي الاستامبولي) ليؤكد عالمية الكشف عن سموم طه حسين وأنه ليس ما نشر في مصر وحدها سواء كان كتابنا (طه حسين : حياته وفكره في ميزان الاسلام) أو مقدمة كتاب المقتني (للاستاذ محمود محمد شاكر وإنما جاء من ثلاث جهات أخرى من الأردن في كتاب الدكتور المحتسب (طه حسين مفكرا) ومن المغرب (مدخل في

التاريخ والأدب العربيين للدكتور محمد نجيب البهيني ومن الشام في كتاب الاستمبول ، ثم جاء أخيراً في كتاب الأستاذ جابر رزق (الجريمة والإدانة) ولا ننسى كتاباً عن الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد وكتاب آخر للدكتور سعد ظلام وكلها تقنين لخطايا طه حسين وأخطائه ونحن نود أن يعرف أخواننا المدافعون عن طه حسين أننا لا نعتبر طه حسين فوق النقد ، ولا نؤمن بأنه قبعة قومية في تقدمها انتفاض لمصر ، ولا نعتبره متقدماً على الكثيرين ، الذين قدموا الكثير ولم يكرمهم أحد ولم تعقد لهم الجماع ، فكيف يكرم رجل احتاطته الشبهات من كل مكان ، وثبتت في وقائع حياته حقائق كثيرة كشف عنها الذين عاصروه وعاشروه ، أمثال الأستاذ أحمد حسين ، وأحمد الحوفي ، وسعيد الأفغاني وبعضهم راجعه في أخطائه فأعترف به ونصحهم بأن يستروها عنه ، ليس المعبرة بالخلاف في المسائل الثقافية ولكن موضع النظر هو الإصرار على الأمر ، مع كتمان ، والمراوغة فيه ، وترقب الفرص لإظهاره مرة أخرى والاختفاء عندما يكشف الستار عنه .

وغاية القول أن طه حسين) كان منذ أن بدأ ممرسته مع الإسلام بكتابه (في الشعر الجاهلي) مصرأ على الماضي فيها إلى النهاية مهما كلفه الأمر ، وقد انسحب ذلك على حياته كلها خلال فترة تزيد عن خمسين عاماً - كان فيها حارساً - كما يقول تليذه اللصيق به - سكريره القبطي وزوجته الكاثوليكية وقد شمل ذلك حياته كلها وكتابات كلها ولم تكن وقفاته أو مهادنته إلا محاولة لتخفيف التركيز عليه ، ولكنه كان موقفاً بالعمل ملتزماً في نظر أهل القريب والاستشراق ، متعاهداً معهم ، كان متصل العمل في حرب الإسلام ، سواء في ميدان الأدب أو التاريخ ، أو مهاجمة الأزهر ، أو اللغة العربية ، فهي كلها خيوط تمتد ، من بداية واحدة إلى غاية واحدة ، وكان عمله سواء في الجامعة أو في وزارة المعارف أو في اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، أو في المجمع اللغوي ، أو في البعثات السنوية ومؤتمرات المستشرقين وزياراته للجامعات في المغرب .

أو انصلا لانه مع المستشرقين المسيحيين واليهود (أو اليساريين والامريكيين) بعد القرنين والبريطانيين إلا خيوطا متسقة في الخطة الوحدة مهما بدأ غير ذلك وكانت كله مرحلة تسليم إلى المؤحلة الاخرى، وكان هناك مخطط ينفذ له فروع ورواية بحيث يشمل الفكر الإسلامى كله ويمتد بمخطة الشك الفلسفى إلى جميع جوانبه، وكان من وراء ذلك توجيه وإشراف، وكانت الدعوة إلى الحوار المسيحي جزء من هذا المخطط وتكوين الاجيال والاولياء الذين يحملون المخطط ويسرون به إلى الإمام قداما في الصحافة والجامعات ومجلات الثقافة.

فأين هذا كله من التوجيه الذى يريد أن يضفيه على شخص معراة تماما أمثال مصطفى عبد القى أو سامح كريم وهم مع الآسف أما مخدوعون لا يستطيعون أن يستشفوا أبعاد المخطط الخطير الذى يستخدمهم أو واقعون فيه.

ونحن إذا رجعنا المستشرقين يتحدثون عن ماسموه (عبقريه طه حسين). فهل يخذعنا ذلك وهم يقولون كلما كتب طه حسين شيئا : هذه بضاعتنا ردت إلينا وإذا قالوا (علينا أن ننتظر طويلا قبل أن يحود الزمان بمثلها) نفهم أن أولياء التعريب الآن ليسوا على المستوى وانهم يتحسرون بعد طه حسين حيث لم يجدوا من يؤدى دوره، وقد سقط الدكتور زكى نجيب محمود سقوطا شنيعا حين تقمض هذا الدور بالرغم من أن فتحت له صفحات الاهرام وطبعت مؤلفاته أرقى طباعه ولكن ذلك كله حصاد المهين وقبض الريح وفى الأخير دكتوراه من أمريكا تكشف ولاءه الجديد.

وحين يقول عبد العزيز شرف أن طه حسين تحول إلى تدعيم القيم من خلال فالدع عن الاسلام في وجه التبشير الضارى الذى قام به المستشرقين الغربيين نضحك ونسخر من خداع شرف لعقلية المسلمين فكيف يقاوم طه حسين التيار الذى نشأ فيه وكيف يخرج من البحيرة الاسنة الى غرق فيها، لقد كان عمله في حق التاريخ الإسلامى محاولة لتركيز قيم معنيه يريد التنير والاستشراق فرضها على الفكر الإسلامى من خلال كآب عربى له اسم مسلم، أشياء معنية : أفكار عبد الله بن سبأ اليهودى، التقليل من شأن خالد بن الوليد،

أناره الشهباء حول الصحابة وأعتبارهم مجموعة من الساسة المحترفين ، هذه عناوين أعطها طه حسين من القيادة التوجيهية الاستشرافية يتناولها بأسلوبه الموسيقي في الفكر الإسلامي وخرج لها الكثيرون ثم قننوها أخيراً .

حاشية :

يقول الاستاذ محمود مهدي الاستانبولى في التعليق على ما كتب عن كتابه في جريدة الاهرام تحت عنوان : كتاب أسود عن طه حسين فيما يتعلق بكتابات المسيحيين والعلمانيين والمستغربين على هذا الكتاب فأنهم يديرون أن يسموا بالحقى فأنى لم آت شيئاً من عندى وإنما جئت بأراء وردود كبار العلماء والأدباء في عصره وبعد عصره وطه حسين لا يعد بجانبهم شيئاً مذكوراً وخاصة وهو قد رجع عن أرائه وأقواله كما يزعم الكثيرون مع العلم بأن التوبة لا تكون بكلمة يقولها القاتل بعد ما ترك الأمار المدمرة ، ولكن تسكون يرده عليها . قال الله تعالى [إلا الذين تابوا وأصلحوا وينبوا فأولئك أتوب عليهم] (البقرة ١٦٠)

وكتابتى عن طه حسين بعد كتابا وثائقيا ليس لي فيه كبير أثر ألا القليل فالرد عليه معناه الرد على كبار الكتاب والعلماء والأدباء السابقين رحمهم الله تعالى واجزل ثوابهم وقد غابت هذه الرد وبقيت كتبه التى صدرت بعده فى طباعات جديدة تسرح وتمرح وتفسد فى الارض .

ومنذ سنوات أقيم لطفه حسين ، فى مصر احتفال ظهر على أثره كتاب (ذكرى طه حسين) أشاد به الكتاب والشعراء الابواق والمرثقة ورفعوه مكانا عليا وهم بميلهم هذا يردون على العلماء والأدباء الكبار والعظم الذين اثبتوا جهله وزيفه وهزله فى حاجة إلى وضعهم فى قفص الاتهام ومحاكمتهم .

محاولة إعادة طه حسين إلى الأزهر

ومن مخططاتهم أنهم حاولوا إعادة إعتبار طه حسين ، في الأزهر بتشكيله شاب كفيف بأن يكتب عن طه حسين أطروحة تناقش في مدرج كلية اللغة العربية ولكن اليقظة التي عمت كل الجامعات كانت قد شجبت هذا العمل فقال الدكتور سعد ظلام : لو راجعنا الفكر الأدبي للدكتور طه حسين في الفترة التي سبقت رحلته إلى فرنسا والتي تلت خروجه من الأزهر لوجدنا صورة التناقض واضحة في شخصيته فمثلا نراه يقول في إحدى قصائده : إن العشق رسول القسق لأن فتاة نظرت إليه بإستخفاف وأعراض ثم إذا ما أشفقت عليه فتاة أخرى وأظهرت له شيئا من العطف عاد ليقول : العشق هو الحياة .

هذه واحدة وال ثانية : عندما يصف الزواج من الاجنبيات بأنه كفر ويكتب في ذلك مقالات والقصائد محرما ، مانعا ، محترضا ولكن ما أن يعلم بقرار إبتعائه حتى يدخل على أمه وإخواته مهللا لأنه سوف يتزوج بأجنبية رائعة الجمال وليست كخضر عذبة السكيلو .

ثالثا : ظل طه حسين يؤكد على رسالة الأزهر وأنه أصلح مكان للتعليم لولا ما لاذ به منه وأعلن أنه سوف يظل مرتبطا بالأزهر وبزيه الأزهرى ونافس رسالته في جامعة فؤاد الأول بزيه الأزهرى ، وبينما هو في الباخرة إلى فرنسا قطع سكون الليل صوت ضخم فزع الناس له ولم يكن هذا الشيء سوى عمامة الشيخ طه حسين وكأنه يعلن تخلصه من ولاته للأزهر في الوقت يعلن فيه ندمه الشديد على ما فعل وهذا تناقض آخر فضلا عن تناقضه السياسي وهو أشد وأخطر .

ولا شك أن دكتور طه حسين عقلية جبارة لو أرادت أن تحرك الركود الفكري في مصر ولكن فرق بين تحريك الفكر وأثراته وبين نقضه وهدمه فيلاحظ على كتابه (في الشعر الجاهلي) بما فيه من خروج على الدين والوطن في

التوراه وفي القرآن ، فهل كان هذا من قبيل تحريك الفكر واثرائه أم من قبيل هدم الصرح وتنفيذ المخطط الاستشراقي الذي تعلقه في فرنسا فهو يحاول أن يستخدم المنهج الاستشراقي في الظن على الإسلام ويتخذ من بعض الأدلة المستقيمة وسيلة إلى أن يولئ ذراعها ويحزحها عن مكانها ويطن بها بدل أن كانت ضده أو ليست في صفه على الأقل فهو يستدل ببعض النصوص من طبعات الشعراء ولكنه يجرها ويأخذ منها ما يتفق ورأيه ويقف عنده ولو أنه أكمل النص لكان يهدم كل الفكر مثل قول أبي عمرو بن العلاء (ما لسان خير بلساننا ولا لثمتهم بلغتنا) فهو يضيف إلى هذا النص بعض ما يتفق وهواه ثم يقف به عند (بلساننا) تاركا الجزء الباقي .

أعلن طه حسين أنه يستخدم المنهج الديكارتي وهو منهج ربما يكون أسلم في الاستعمال الادبي وغيره لو أحسن إستعماله ، لكننا نراه لا يقف على هذا المنهج ولا يستعمل مبادئه الرياضية والعقلية فيبعد عنه بعداً كبيراً من حيث يقول أنه يطبقه ، وأساس منهج ديكارت الشك في الشيء حتى تثبت صحته ومن شروطه لسيان كل المعلومات حول هذا الموضوع مقدما ولكن الدكتور طه حسين طعن ولم يشك وكانت في ذهنه النتائج التي يريد التوصل إليها ثم يحاول أن يجعل لها مقدمات توصل إليها وهذا خلاف كل المناهج والأشكال المنطقية والافيسية العقلانية . وإذا كان الدكتور طه حسين يذكرنا بأنه يستخدم المنهج الديكارتي فإننا بعد قراءة الكتاب نخرج بنتيجة واحدة هي أنه لم يطبق هذا المنهج إلا في جزء واحد هو الشك وإذا كان الشك الديكارتي غايته للوصول إلى نتيجة سليمة فإن شك طه حسين لم يكن ديكارتيًا بقدر ما كان طعنًا وافتتانًا ومحاولة للوصول إلى الخروج على القيم الإسلامية والادبية التي لها طابع الاحترام والقداسة فهو لم يستخدم المنهج الديكارتي وإنما استخدم منها أزهريا هو منهج الجرح والتعديل في رجال الأزهري .

وقال الدكتور إبراهيم دويدار : أن ما ورد عن طه حسين في قصته الانتحال في الشعر الجاهلي يمثل قوة الفساد الفكري عند طه حسين ، ذلك لأن مبدء الانتحال

قائم من ناحية المبدأ والتزيد موجود في كل عصر ، إنما أن يتحول الاستثناء إلى أصل فهذا يختلف الأزهر والعلماء معه ، لقد ادعى طه حسين أن الشعر الجاهلي أضيف إلى الجاهلين وليس لهم وهذا يعني أن العرب لم تكن لهم لغة جامعة يلتفون عليها ثم ينزل القرآن بعد ذلك متحديا لهم كعجزة محمد ﷺ وهنا تكمن الخطورة في فكر طه حسين الذي أراد أن يلغى معجزة القرآن الكريم بحجة قلم فهل بعد هذا فساد في الفكر .

ويقول الدكتور صلاح عبدالنواب : لقد بدأ طه حسين العداء للأزهر وعلماؤه وحرص على إبراز العلماء في صورة المتحدي الذي يحاول تحطيم أى كفاءة متفوقة ، وذلك لإحساسه بالتعالى والكبرياء وهو يحس أنه مساو لأعضاء اللجنته التي تمتحنه بل هو أحسن .

ولعل هذا الدافع الذي جعله يتجنى على الأزهر وهو يحاول تحدى علماؤه بأن يجهر بأراء تسمى إلى الإسلام ، هذا أثار حفيظة الأزهر ضده حتى أوقفه عنده حده وإعادة إلى رشده .

ويقول دكتور محمد رياض قناوى : لعل الشيء الذي لم يكن معروفا بالنسبة للبعض : أن كثيرا من آراء طه حسين كان مسبوقا لهما بأراء المستشرقين الذين حاولوا أن يطعنوا في كل ما هو إسلامي ويستنتج من ذلك أن طه حسين حاول أن يتخذ منهما استقر في ذهنه للوصول إلى حقيقة معينة ولكنه أخذ في إستخدام المنهج ولعل عما تخفف من غنت القضية أن طه حسين لم يأت بكتابيه في الشعر الجاهلي من عند نفسه وإنما رده عن فكر مرجليوث ونسبه إلى نفسه .

الفصل الثامن عشر

تحفظات

على الكتابة المصرية للسيرة النبوية

حول كتابات طه حسين وهيكل العقاد

إن العمل الذي قام به الكتاب المصريون لتقديم السيرة ، قد أدى دوراً لا بأس به وأحدث أثاراً طيبة في نفوس المسلمين ، ولكنه لم يكن عملاً أصيلاً على طريق التطور الطبيعي لكتابة السيرة من منطلق المفهوم الإسلامي الجامع القائم على أساس التقدير الكامل للوحي النبوة والفيقيات والمعجزات ، ومن هنا كان عجزه وقصوره الذي جعله في تقدير الباحثين قائماً على التبعية والاحتواء للنماذج الغربية التي لم تكن عمليتها ، الأمظهر أخادعا يخفى من وراءه الأهواء والخلافات بين الأديان ونزعة الاستعلاء الغربية ومطامع النفوذ الغربي في السيطرة على الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي حتى لا يحقق لبتعائنه الأصيل هدفاً يحدد يحدد حضارة الإسلام ويفتح الطريق لقيام المجتمع الإسلامي .

لقد احتوى هذا العمل على مجموعة من الأخطاء الأساسية التي كان مصدرها تبني أسلوب المستشرقين وتبني وجهات نظرهم وهم أساساً لا يعترفون بالإسلام ديناً خاتماً ولا بالنبي محمد ﷺ ، ولا يؤمنون بالوحي ولا يفرقونه كما يفرق المسلمون بين الألوهية والنبوة .

وفي مقدمه هذا البحث نؤكد أن كتابات المصريين في السيرة النبوية كانت في عصرها أراً محبياً أقبل الناس عليه وقدم سيرة الرسول ﷺ وعظمة الإسلام للجماهير التي كانت لاتلم بالدراسات العلمية ألا قليلاً ، فقد كتبت هذه الفصول أول الامر في المجلات الاسبوعية الشهيرة (السياسة الاسبوعية ، والرسالة) مما كان لها أثرها الواسع في الانتشار والذيع ، وقد اختلفت فعلا عما سبقها من كتابات السيرة التي نشرت في مؤلفات لغلبة الاسلوب الصحفي الميسر .

ولقد كانت هذه الكتابات في تقدير المؤرخين والباحثين على حالتين :

(الحالة الأولى) : العامل القريب والمباشر وهو ظهور حركة التبشير المسيحي الضخمة في القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية عام ١٩٣٢ وتصير عدد من الطلاب المسلمين بها وكان ذلك جزءاً من موجة ضخمة قام بها الغرب بعد أن استردت الفاتيكان الأموال الضخمة التي كانت قد احتجزتها الحكومة الإيطالية عنها.

(الحالة الثانية) : أثر الحرب العالمية الثانية في نفوس الناس بالدعوة إلى الرجعة إلى الدين والتطلع إلى آفاق جديدة تقدمها رسالات السماء وفي مقدمتها الإسلام .

غير أن هناك عوامل أخرى خفية وراء ظواهر الأحداث تحدثت عنها كتابات الباحثين والمراقبين لهذه الأحداث منها :

أولاً : رغبة حزب الأحرار الدستوريين في كسب مشاعر الوطنيين بعد أن عرف عنه أنه الحزب الذي يجمع دعاة التغريب وأساطينه والذي صدرت من عبائته الكتب التي أشارت الضجة وخالفت مفاهيم الإسلام الأساسية وهزت مشاعر الناس ، وفي مقدمتها (الشعر الجاهلي لطفه حسين) و (الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق) ، وكانت الفكرة التي استقر عليها الرأي هو الدخول إلى مشاعر المسلمين عن طريق الكتابة عن الرسول ﷺ (هذا بالنسبة لكتاب حياة محمد للدكتور هيكل) .

ثانياً : الموقف الذي أحدثته الحرب العالمية من اتسلاف بين البلاشفة والرأسماليين في وجهه النازية وما تسرب إلى البلاد العربية من دعايات شيوعية ورغبة الغرب في مواجهتها عن طريق تزيف مفهوم الماركسية عن البطولة الجماعية ورد الاعتبار للبطولة الفردية التي كانت عنواناً على الفكر الليبرالي الغربي ومن هنا كانت الكتابة عن البطولات الإسلامية من منطلق غربي (هذا بالنسبة للمبقيات) .

وقد ظهرت هذه الكتابات متفرقة في الصحف : [حياة محمد] في ملاحق السياسة سنة ١٩٣٢ على إنها ترجمة وتلخيص لكتاب أميل درمنجم وكانت تنشر تحت هذا العنوان (حياة محمد ، تأليف إميل درمنجم . تلخيص وتعليق الدكتور محمد حسين هيكل) .

ثم ظهرت فصول (على هامش السيرة) في الأعداد الأولى من مجلة الرسالة التي صدرت سنة ١٩٣٣ بقلم الدكتور طه حسين ، أما فصول (عبقرية محمد) فقد بدأت عام ١٩٤٢ بقلم الأستاذ العقاد في أحد الأعداد السنوية الخاصة بالمهجرة من الرسالة بعد أن اشتعلت الحرب العالمية الثانية بعامين .

وكان الكتاب الثلاثة من المعروفين في مجال الدراسات الأدبية والسياسة بأنهم عصريون لبراليون علمانيون ، قليلوا الاهتمام بالدراسات الإسلامية ، بل كانت جريدة السياسة تحمل حملات ضخمة على الإسلام (هيكل — طه حسين — على عبد الرازق — محمد عبد الله عنان) وتوازروا الغزو الثقافي ، بل لقد حمل الأستاذ العقاد حملة ضارية على الكتب الإسلامية التي صدرت عام ١٩٣٥ في جريدة روز اليوسف اليومية وعدها ظاهرة خطيرة وقال أن هذه الكتابات بمثابة مؤامرة على القضية الوطنية وتردد يرميها أن الدكتور محمد حسين هيكل قد أحرز نذراً ضخماً من الكسب المادي من كتابه ومن ثم أصبحت الكتابات الإسلامية موضع تقدير في نظر الكتاب ، غير أن أخطر ما هنالك أن الدكتور هيكل وعلى عبد الرازق أعلنوا موقفاً خطيراً في مجلس الشيوخ عندما أثير النقاش في كتابات طه حسين ورقفاً للدفاع عنه وتبين من ذلك أن الكتابات عن الإسلام لم تكن تصدر عن إيمان برسالة الإسلام (بيتا ودوله) وإنما كانت من الأعمال السياسية ، والحزبية وإذا كانت كتب : حياة محمد وعلى هامش السيرة والعبقرية قد هزت وجدان الشعب المسلم وقتها وأحدثت نوعاً من الإعجاب والتقدير فإن هذا كان هدفاً مقصوداً من الجهات التي شجعت ذلك وهو :

أولاً : مواجهة حركة اليقظة الإسلامية التي كانت تهدف إلى تقديم الإسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع بكتابات إسلامية من أقلام لامعة لها مكانتها السياسية في الجماهير لتحويل التيار نحو المفاهيم العلمانية والليبرالية بعد وهو ما يسمى (تقديم البديل) المتشابه ظاهراً والمختلف جوهراً وهو بهذا استجابة ظاهرية للوجهة الإسلامية ومحاولة لاحتوائها .

ثانياً : فرض المفهوم الغربي على السيرة والتاريخ الإسلامي وهو المفهوم المفرغ من الرحي والغيبيات والمعجزات .

ولكن هذه الطاهرة بالأعجاب بكتب الليبراليين عن السيرة لم تدم طويلاً فقد تنكشت خفاياها وظهر أن منهج الكتابة في هذه المؤلفات لم يكن إسلامياً أصيلاً وإنما اعتورته التبعية لمفاهيم الاستشراق والتغريب حتى ليتمكن أن يقال في غير ما حرج أن المؤلفات الثلاثة الكبرى :

(حياة محمد - على هامش السيرة - عبقرية محمد) هي نتاج غربي يعتمد على مذاهب الكتابة الغربية ويخضع لكثير من أخطائها ويسقط بحسن نية وراء مفاهيمها الكدسية والمادية ويختلف اختلافاً واضحاً عن مفهوم الإسلام الجامع .

ولقد تطورت الدراسات الإسلامية في ظل حركة اليقظة الإسلامية واستطاعت أن تتحرر من هذه المرحلة التي كانت تمثل التبعية للفكر الغربي في دراسات التاريخ الإسلامي وكتابة السيرة وهي التي قامت على مفهوم يتسم بالتأويل للمعجزات ومحاولة حجب الكثير من وجوه الإعجاز ومتابعته المستشرقين في مفاهيمهم لسيرة النبي الكريم .

وفي الكتب الثلاثة نجد أن العمل يبدأ غريباً ثم يفرض على سيرة صلى الله عليه وسلم .

١ - فالدكتور هيكل عمله في كتابة السيرة بترجمة كتاب (اميل درمنجم) الكاثوليكي الفرنسي ويتبنى كثيراً من آرائه التي يمكن أن توصف بالخطأ أو عدم

القدرة على فهم الإسلام أو تبني عقائد النصارى أو متابعة هدف يرمى إلى التقريب بين الأديان أو الدعوة إلى وحدة الأديان (وهو هدف ضال) .

٢ - والاستاذ العقاد يبدأ عمله بمنطلق غربي محض هو فكرة (العبقريّة) التي تداولتها كتابات الغربيين شوطا طويلا عن نوع من الامتياز أو الذكاء في مجال الفن والموسيقى والشعر والقصة في الغرب ويسحب هذا الوصف على النبي ﷺ المؤيد بالوحي وعلى العظماء من الصحابة دون تفرقة واضحة بين النبي والصحابة .

٣ - والدكتور طه حسين يعلن في غير ما حرج أنه استوحى (هامش السيرة) من كتاب جيل لومير عنوانه (على هامش الكتب القديمة) وأنه يمشد فيه كل ما استطاع من اساطير اليونان والمسيحية واليهودية والاسرائيليات وهكذا يبين تبعية هذه الدراسات أصلا للفكر الاستشراقى .

ويمكن تصنيف الأخطاء التي وقعت فيها المدرسة التغريبية في كتابة السيرة على هذا النحو :

أولا : متابعة مناهج ودراسات كتاب الاستشراق فقد عهد الكتاب الكبار الثلاثة إلى البدء في كتابة السيرة من منطلق غربي استشراقى ، والدكتور هيكل معجب بكتاب أميل درمنجيم وما يحويه من آراء تقرب مسافة الخلاف بين الإسلام والنصرانية ومن ذلك نراه يتابعه في مجموعه من الآراء تختلف مع مفهوم الإسلام الاصيل ، كان هيكل قد رد آراء المستشرقين الأوائل إلا أنه قد خضع لمناهج المستشرقين وفهمهم في الفلسفة المادية ، بالنسبة للمعجزات ، وبالنسبة للاسراء والمعراج وبالرغم من نوايا الدكتور هيكل الطيبة في تقديم صورة بارعة للرسول ﷺ فإن موقفه من إنكار المعجزات والغيبيات ومجاهلتها - حتى وإن وردت في القرآن والسنة على حد قوله - كان مأخذا كبيرا في تقليل قيمة العمل الذي قام به .

فقد أنكر عدداً من المعجزات الثابتة بصريح القرآن ومتواتر السنة ، كنزول الملائكة في بدر ، وطير الأبايل ، وشق الصدر ، والأسراء ، وأن (أفرا) كانت مناما ، وقد أول ذلك كله إرضاء للذبح العلى الغربى الذى أعلنه وأعلن التزامه به فأعتبر الإسراء سياحة الروح فى عالم الرؤى ، ووصف الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين فى غزوة بدر بالدعم المعنوى ، ووصف طير الأبايل بداء الجبرى وأعتبر شق الصدر شيئاً معنوياً ، وأعتبر لقاء جبريل بالنبي فى حراء مناما ، وبذلك عمد إلى تفرغ تاريخ ﷺ من الحقائق الغيبية والمعجزات وقصر موقفه على إن النبى معجزة واحدة هى القرآن الكريم مع أن الخوارق والمعجزات لا يمكن أن تتنافى فى جوهرها مع حقائق العلم وموازينه وقد سميت خوارق لخرقها لما هو ماؤف أمام الناس ، وما كان للألف أو العادة أن يكون مقبلاً عليها لما هو ممكن وغير ممكن ولما كان الله تبارك وتعالى هو صانع التواميس فإنه هو القادر على خرقها متى شاء .

يقول الشيخ محمد زهران :

ولقد علل الدكتور هيكل إنكاره جميع المعجزات المحمدية (غير القرآن) بأنها مخالفة للسنن الآلهية ، وزعم أن روايات معجزاته (ﷺ) موضوعه ، قصد واضعها إما أن يجعل لنبيها مثل ما موسى وعيسى عليهما السلام وأما أن يشكك الناس فى صحة آية (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) ولا شك أن دعوى استحاله خرق العادات المعبر عنه فى كتابه بمخالفة السنن يستلزم التسليم بها إنكار الإسلام من أصله وتكذيب الأديان كلها ومنها إنكار الأحاديث التى اتفق على قبولها أئمة الحديث وغيرهم مع تواترها والإجماع على مضاهاها .

ثانياً : موقف النبى ﷺ من وفاة ابنه إبراهيم

كذلك فقد كانت الصورة التى رسمها الدكتور هيكل عن حزن الرسول ﷺ لوفاة ابنه إبراهيم عما لا يتفق مع جلال النبوة وعظمة الرسالة إذ صورته بحملات

الله وسلامه عليه وأصنعا ولده في حجره وعيناه تذرفان الدموع مدرا را ولسانه ينطق باللفاظ يشيع منها الحزن والأسى وتقطر غما وتأثرا مما يشبه أن يكون ضعفا عن إحتمال صدمة الحادث .

والحقيقة أن رسول الله ﷺ أسعى قدراً من أن يصدر منه ما صوره الدكتور هيكل هيأما في الخيال والشعر والقصص ، وإنما أظهر من حزن سام وزرفت عيناه دموعا مطهرة لا يذرفها إلا الله ولا يمكن أن يكون الرسول (ﷺ) قد بدرت منه الالفاظ التي نسبها إليه الدكتور منساقا مع شعوره حين حزن هو على فقد ولده ولأجل هذا غير اسم كتابه رحلة إلى أوربا إلى عنوان (ولدى) . إن رسول الله ﷺ يعلم علم اليقين وحق اليقين أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وأن ولده إبراهيم لن يعيش طويلا حيث يقول تبارك وتعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) لقد مات له ولدان من قبل احتسبها في رضى وإيمان .

٣ — تقبل وجهات نظر درمنجم في مسائل اساسية :

وقد أخذ على الدكتور هيكل تقبل وجهات نظر أميل درمنجم ، في تصويره أن النبي قد تأثر بأهل الكتاب في الجزيرة العربية أو في ذهابه إلى الشام أو في ارسال بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية ، فقد جرى (هيكل) وراء عبارات درمنجم دون أن يدين مكره وخبثه حين حاول أن يصوران دعوة النبي أصحابه إلى الحبشة من أجل أنها مسيحية .

ويتساءل الدكتور حسين المزاوي الذي نافس هيكل في هذه النقطة :

هل حقيقة كانت الهجرة إلى الحبشة لأنها مسيحية ، ويقول إن درمنجم شأن المستشرقين بقى هذه القصة بصفة مشوهة للحقيقة ، فلم يسكن الدافع للتجاشى وورعه ونموا ولم يكن سبب عطفه ورحمته ذلك الدافع الديني بل الدافع الحقيقي أن هذا

النجاشي كان عادلا وهذه هي الخلة التي ذكرها النبي حين قال (لأن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق) .

ومن مراوغات درمنجم تفسيره للآية الكريمة :

(فأن كنت في شك بما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) يريد درمنجم أن القرآن طلب إلى النبي سؤال أهل الكتاب وأن الله تعالى رضى للناس الإسلام دينا مع بقاء الأديان التي سبقت ، وحدة منتهجه بما أسماه الكمال الروحي ، ولاريد أن هذه مراوغة خطيره من الاستشراق يحاول بها أن يفسر الآيات القرآنية تفسيراً يخدم به أهدافه والحقيقة أن الإسلام جاء ليظهره الله على الدين كله وأن الأديان كلها التي سبقت كانت موصلة إليه لولا أن قادها حرفوها .

ثانيا : ظاهرة إنكار المعجزات وتأويلها لإرضاء للمنهج الغربي وباسم أعلاء نظره العقل : هذه الظاهرة واضحة تماما في كتابات هيكل وطه حسين والعقاد وقد قامت عليها كتاباتهم في (حياة محمد وهامش السيرة والعبريات) وكانت لها جذور تمتد في كتابات الشيخ محمد عبده وفريد وجدي وقد هاجمها الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية في كتابه الضخم (موقف العلم والعالم من رب العالمين) .

وقد جرى الكتاب الثلاثة هذا المجرى باسم (المنهج العلمي الغربي) .

والحقيقة أن المنهج العلمي هو منهج إسلامي الأصل والمصدر على خلاف دعوى بعض المتأثرين بالدراسات الغربية ، ولقد كان من أبرز أهداف التغريب التأثير في أسلوب كتابة التاريخ الإسلامي وفي مقدمة ذلك (سيرة النبي الأعظم) إيماناً منهم بأن هذه الصفحات الباهرة من شأنها إذا عرضت عرضاً صحيحاً أن تدمر الأحاسيس العميقة في قلوب شباب المسلمين ومن هنا كانت محاولتهم المسمومة في إدخال أسلوب عصرى له طابع براني ولكنه يخفى من وراء ذلك إطفاء الأضواء

التي يقدمها هذا التاريخ من حيث الصلة بالله تبارك وتعالى والاعجاز الرباني الواضح في كل مواقف حياة النبي ﷺ وفي تاريخ الإسلام وفتوحه ، ولما كان هذا العمل هو بمثابة هدف واضح الدلالة في مخطط الاحتواء الغربي الذي يرمى إلى التقليل من شأن البطولات الإسلامية ووضعها موضع المقارنة مع البطولات الغربية من خلال النواحي المادية وحدها فقد حجت هذه الدراسات جانباً كبيراً من أثرها المعنوي والروحي الذي يبرز النفوس ويملاها بالثقة واليقين في عظمة هذا الدين الخاتم وفي سعة العطاء الرباني لتبنيه .

ومن هنا كان ذلك الأسلوب المسمى بالعلمي الذي اصطنعه كتاب لهم اسماء لامعة ولم تمكن لهم سابقة في الدراسات الإسلامية بل كانوا غارقين في دراسات الغرب وبطولات رجاله (جان جاك روسو ، فولتير ، مونتسكيو ، أرسطو الخ) في محاولة للتقليل من قدر أحداث السيرة النبوية تحت اسم العقلانية وإنكار المعجزات والجوانب الغيبية والأعراض عن الجوانب ذات الصلة بالإيمان والعقيدة واليقين والتقوى وغيرها .

ولقد استطلال الدكتور هيكل في مقدمة كتابه بإعجابه وتبنيه للطريقة العلمية الحديثة وأشار إلى ميزاتها وأفضليتها ، ولكن الشيخ محمد مصطفى المراغي في مقدمته لكتاب حياة محمد لم يخفى عليه هدف هذا فقال :

أما أن هذه الطريقة حديثة فهذا ما يعتذر عنه وقد سائر الدكتور (هيكل) غيره من العلماء في هذا ، ذلك لأنها طريقة القرآن كما أعترف هو ولأنها طريقة علماء سلف المسلمين ، أنظر كتب الكلام تراجم يقررون أن أول واجب على المكلف معرفة الله فيقول آخرون : لا : إن أول واجب هو الشك ، ثم إنه لا طريق للمعرفة إلا البرهان وقد جرى الإمام الغزالي على الطريقة نفسها ، وقد قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ثم فكر وقدر ورتب ووازن وقرب وباعد ثم انتهى بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حق وإلى ما اهتدى إليه من الآراء ، وإلا ، واجد في كتب الكلام في مواضع كثيرة حكاية (تجريد النفوس) عما الفته

من العقائد ، ثم البحث ، والنظر فطريق التجريد طريق قديم وطريق التجربة والاستقراء طريق قديم ، والتجربة والاستقراء التام وليدا الملاحظة فليس هناك جديد عندنا ، ولكن هذه الطريقة بعد أن نسبت في التطبيق العلمى والعلمى في الشرق وبعد أن نشأ التقليد وأعد العقل وبعد أن أبرزها الغربيون في ثوب فاضح وأفادوا منها في العلم والعمل رجعتا نأخذها ونراها طريقة في العلم جديدة ، ١٠ هـ

وهكذا تبين للندسة الحديثة إن الإسلام هو واضع الأسس لهذا المنهج العلمى الذى أخذوا به ، وإن لم يطره حقه من الإحالة الإسلامية بل قصروه على الجوانب المادية فتأهم خير كثير ، نظراً لأن خليفائهم مع الأسف كانت غريبة ولم يكونوا قد قرأوا من التراث الإسلامى ما يمكنهم من معرفة الحقيقة كاملة .

لقد كتبت هذه الدراسات بالرغم من حسن النية عند البعض - بصورة قاصرة عالية من الإيمان اليقين تحت اسم العلم الذى لا يعترف للنبي ﷺ إلا بمعجزة واحدة هى القرآن ، وكان من رأى فريد وجدى وهيكى الأعراض عن الخبر الصادق التى ثبت فى الكتاب والسنة إذا عارض طريق العلم وبذلك حججوا عن السيرة النبوية أهم جوانبها وأخطرها على الإطلاق وهو :

(جانب معجزة الوحى الإلهى وعالم الغيب) .

ولطالما ردد هيكى وطه حسين وغيرهم كلمة العلم والمنهج العلمى ، والحقيقة أنهم ما كانوا يقصدون (العلم التجريبي) الذى يقوم فى المعامل على أساس الاناييق ، وإنما العلم الذى قصدوا إليه والذين لقن لهم هو الفلسفة المادية التى قدمها التلويديون وكانت قد استفحلت فى الغرب بعد القضاء على الفلسفة المثالية المسيحية والمعروف أن أساتذتهم جميعا كانوا من اليهود روركايم ، ليفى بربل الخ .

وهى فلسفة التنوير كما يقولون ، قامت على إنكار جوانب الإنسان الروحية والمعنوية وتصويره بصورة الحيوان والحيوان الناطق والحاضغ لشهوى الطعام والجنس (ماركس وفرويد) وقد امتد هذا الأثر إلى علوم الاجتماع والأخلاق والتربية والأدب والسياسة جميعا ولم يكن هذا فى الحقيقة هو العلم ، وما كانت هذه العنيمات تساوى شيئاً لأن هذه المفاهيم كانت سرعان ما تمثر وتسقط أمام

المتغيرات فضلا عن أنه قد ثبت من بعد عجز العلم التجريبي عن أن يقول (كيف) وعجز الدراسات المادية أن تكشف سرائر العلوم الإنسانية .

ولقد كانت هذه الدراسات مع الأسف خاضعة لفكرتين مسمومتين قائمتين في نفوس وعقول كتاب الغرب والتغريب هما :

(أولا) فكرة (إخضاع الدين لمقاييس العلم) في أفق الفكر الإسلامي كما فعل الغرب وهي فكرة مردودة لعمق الفوارق بين الاسلام وبين المسيحية وقد تبين من بعد أنه ليس في الامكان إخضاع الدين لمقاييس العلم .

(ثانيا) تخليص الفكر الاسلامي من سائر الغيبيات التي لا تخضع لمقاييس العلم الحديث .

ومن هنا كانت محاولة إخضاع السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي لهذا المفهوم وهو ما جرى عليه كتاب التغريب من استبدال السند والرواية وقواعد التحديث وشروطه بأسلوب جديد (زائف) من الاستنتاج الشخصي المتصل بذوق ومزاج كل كاتب على حده ، فله حسين تابع لمذهب العلوم الاجتماعية والعقاد تابع لمذهب العلوم النفسية وهيكل تابع لمذهب تين وبروتير الخ ، هذا الأسلوب الذاتي خطير جدا لأنه لا يقوم على قواعد أساسية علمية وإنما يقوم على أساس (الظن وما نهوى إلا نفس) هذا الأسلوب يتيح لأصحابه أن يقبلوا وقائع وأحداثا وأن يفضون عن غيرها مما تحيل مع وجهتهم المسبقة ، ومن هنا كان خطورة هذا المذهب في :

(استبعاد ما يخالف المألوف مما يدخل في باب المعجزات والغيبيات) في سيرة النبي ﷺ .

كذلك فقد حاول دعاة التغريب الاستفادة من هذا الاتجاه ملاحظا خطيرا هو القول : بأن الغاية منها هو ما أطلق عليه (فكرة الاندماج الكلي في الكمال الروحي) وأنها جميعا وحدة متصلة تربط البشرية في فكرة واحدة .

وهذه محاولة مضللة من مذهب الباطنية والحلول لأن الأديان مترابطة من

حيث أن أولها يوصل إلى آخر ما ولسكن رؤساء الأديان غيروا ولذلك جاء الإسلام مرة أخرى يربط نفسه بدين إبراهيم ليعيد هذه الوحدة في مفهومها الصحيح .

ثالثاً : إنكار معظيات الرسالة الخاتمة :

ومن ذلك ما أورده الدكتور زكي مبارك في كتابه (النثر الفني) عن أن كان للعرب في الجاهلية نهضة علمية وأدبية وسياسية وأخلاقية واجتماعية وفلسفية كان الإسلام تاجاً لها ، أى أن الإسلام كان نتيجة وتاجاً لتلك النهضة لا سبباً لها : يقول : لأنه لا يمكن رجلاً فرداً مثل النبي محمد عليه السلام أن ينقل أمة كاملة من العمى إلى الوجود ومن الظلمات إلى النور ومن العبودية إلى السيادة القاهرة ، كل هذا لا يمكن أن يقع من دون أن تكون هذه الأمة قد استعدت في أعماقها وفي ضمائرها وفي عقولها بحيث استماع (رجل واحد) أن يكون منها (أمة متحدة) وكانت قبائل متفرقة وأن ينظم علومها وأدابها بحيث تستطيع أن تفرض سيادتها وتجاربها وعلومها على أجزاء مهمة من آسيا وأفريقيا وأوروبا في زمن وجيز ، ولو كان يكفي أن يكون الإنسان نبياً ليفعل ما فعله النبي محمد لما رأينا أنبياء أخفقوا ولم يصلوا لأن أهمهم لم تكن صالحة للبعث والنهوض . ١٠ .

وهذا واحد من اتهامات التهريب والاستشراق المسيهورة حملها فلم رجل ملحق اعتقد هذا الاعتقاد وتعلم في الغرب على أيدي اليهود يحاول أن يرد نهضة العرب بعد الإسلام لا إلى النبوة والرسالة وما أنزل الله على الرسول من دين ولكن إلى علوم وآداب وتجارب كانت عند العرب ، وإن كل ما فعله النبي هو أنه نظمها حتى استماع أهلها أن يسودوا في القارات الثلاث في زمن وجيز .

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي : أن تاريخ العلوم إلى الأمة العربية بعد الإسلام معروف كما أن مقاومة العرب للنبي ودعوته ومحاربتهم له ولها معروف ، ولكن الرجل يشكر التاريخ ويفترى تاريخاً آخر ، ويرغم زعماء لا يجوز ولا يستقيم في منطق أو تفكير إلا إذا كان القرآن كلام النبي ، كلام محمد الربى ، لا كلام الله ، عندئذ فقط بمقل أن يكون العرب على ما وصف الدكتور من نهضة

وعلم وأدب لأن القرآن أكثر من فضة وعلم وأدب ولا يعقل أن كان كلام بشر أن يأتي صاحبه في أمة جاهله كالتى أجمع على وجودها قبل الاسلام مؤرخو اللغة العربية من شرقيين ومشرقيين ومؤرخو الاسلام .

وهكذا نجد الدكتور زكى مبارك يهدر مقام النبوة الاسلامية بمقاييسه المادية البحتة التى صورت له كما صورت للمستشرقين أنه من المستحيل أن تؤدى رسالة النبى محمد فى خلال بضعة عشر عاما إلى قيام هذا الملك الباذخ وهذا هو إنكار المعجزات والقينيات ، فى فهم السيرة النبوية وتاريخ الاسلام .

رابعا : لإحياء الأساطير فى سيرة النبى :

يقول الدكتور طه حسين فى بحث نشره فى كتاب (الاسلام والغرب) الصادر عام ١٩٤٦ فى باريس : لقد حاولت أن أقضى بعض الأساطير المتصلة بالفترة التى سبقت ظهور النبى - ﷺ - ثم قصصت مولده وطفولته ، ونشرت هذه السلسلة تحت عنوان مقتبس من جيل لومير وهو (على هامش السيرة) ويتحيم أن نعرف بأن كتابين فرنسيين كانا بمثابة الشرارتين اللتين أشعلت موقدين كبيرين : أحد الكتابين لجيل لومير عنوانه (على هامش السيرة القديمة) والثانى : حياته محمد لاميبل درمنجم .

أما كتاب جيل لومير فأتى بعد أن شعفت به كثيرا وضعت فى نفسى الاسئلة الآتية :

هل يمكن إعادة كتابة مآثر الفترة البطولية فى تاريخ الاسلام فى أسلوب جديد أم أنه يتعذر ذلك ، وهل تصلح اللغة العربية لإحياء هذه المآثر .

وقال عن كتاب (على هامش السيرة) :

هذا الكتاب من عمل الخيلة ، اعتمدت فيه على جوهر بعض الأساطير ثم أعطيت نفسى حرية كبيرة فى أن أشرح الاحداث واخترع الاطار الذى يتحدث عن قرب إلى المقول الحديثة مع الاحتفاظ بالطابع القديم .

وكان الدكتور طه يتحدث بهذا إلى المستشرقين في أول مؤتمر للحوار بين المسيحية والإسلام وبعد كتابه هذا خطوة في هذا السبيل من حيث دمج الأديان كلها في كتاب واحد وفي اختراع أخطر بدعة من إحياء الأساطير في الأدب العربي هذا ما كشف عنه طه حسين بعد سنوات طويلة من ظهور (على هامش السيرة) فإذا كان موقف الباحثين منه ، يقول صديقه وزميل دربه الدكتور محمد حسين هيكل :

استميج طه العذر أن خالفته في اتخاذ النبي (ﷺ) وعصره مادة لأدب الأسطورة ، وأشار إلى ما يتصل بسيرة النبي - ﷺ - ساعة مولده وما روى عما حدث له من إسرَائِيلِيَّات روجت بعد النبي ثم قال .

ولهذا وما إليه يجب في رأي أن لا تتخذ حياة النبي - ﷺ - مادة الأدب الأسطوري ، وإنما تتخذ من التاريخ وأقايصه مادة لهذا الأدب ، وما إن دثر أثر ما هو في حكم المندثر ، وما لا يترك صدقه أو كذبه في حياة النفوس والعقائد أثرًا ما . والنبي (ﷺ) وسيرته وعصره يتصل بحياة ملايين المسلمين جميعا بل هي فلتة من هذه الحياة ، ومن أعز فلذاتها عليها وأكبرها أثرا ، وأعلم أن هذه الإسرَائِيلِيَّات ، قد أريد بها إقامة ميشولوجية إسلامية (١) لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ، ولتشكيك المستقرين ودفع الزبنة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه (ﷺ) فقد كانت هذه غاية الأساطير التي وضعت عن الأديان الأخرى) من أجل ذلك ارتفعت صحيحة المصلحين الدينيين في جميع العصور لتطهير العقائد من هذه الأوهام ، ولا ريب أن كلام الدكتور محمد حسين هيكل هذا هو اتهام صريح لطه حسين في اتجاهه وتحميل له المسؤولية من أخطر المسؤوليات ، وهي :

إعادة إضافة الأساطير التي حرر المفكرون المسلمون سيرة النبي (ﷺ) منها طوال العصور ، إعادتها مرة أخرى لخلق جو معين يؤدي إلى إفساد العقول

(١) الميثولوجيا مصطلح غربي معناه : القصص الأسطورية التي يجرى الدوافع وراءها ، لكن له أثر من الصحة .

في سواد الشعب وتفكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الاسلام ونبيه (ﷺ) .

وهذا الذي كشفه هيكل مازال كثيرون يجهلونه وما زال المتابعون لحياة الدكتور طه حسين وتحولاته يرون أن هذا أخطر تحول له وأن هذا التحول جاء ليخدع الناس عن ماضيه وسابقته في إذاعة مذهب الشك وطارت الدعوات تقول : إن طه حسين عاد إلى الاسلام وأنه يكتب حياة الرسول ولم يكن هذا صحيحا على الاطلاق ولكنه كان تحولاً خطيراً وفق أسلوب جديد لضرب الاسلام في أعز فلذات حياته وهى سيرة الرسول الأمين - ﷺ - واقعد دماغه هيكل حين قال : لقد تحول طه الرجل الذي لا يخضع لغير محكمة النقد والعقل إلى رجل كلف بالأساطير بعمل على أحيائها وإن هذا ليسير كثيراً من التساؤل ، إذ أن طه وقد فشل في تثبيت أغراضه عن طريق العقل والبحث العلمى - لجأ إلى الأساطير ينمقها ويقدمها للشعب لإظهاراً لما فيها من أوهام في ظاهرها وتفنن الناس .

وقد كان هذا مصوراً لما أورده الأستاذ محمد النافى في كتابه [دراسات عن السيرة] حيث قال : إن على هامش السيرة هو في حقيقة [على هامش الشعر الجاهل] ومتعم له ، فهو على طريق تطاوله على الاسلام ولكن مع المراوغة والمداينة .

ومن أبرز ما يلاحظ أنه خلط تاريخ الاسلام بأساطير المسيحية واليهودية وقساوسة مصر والشام وحمير ونصرى النين ، كما عنى عناية كبيرة بأساطير اليونان والرومان ، وخلط هذا كله خلطاً شديداً مع سيرة النبي ﷺ وأراد بذلك إثارة جو من الاضطراب بين الاسلام المتميز بذاتيته الخاصة وبين ما كان قبل الاسلام من أساطير وخرافات وقد اهتم بتراث اليهود فقدم لهم قصة (مخيرق) اليهودى ...

وقد أخذ في كتابة بالاحاديث المرسوعة وفي نفس الوقت رد أحاديث صحيحة لأنها خالفت هواه ، وعول كثيراً على الاسرائيليات التي جاءت في تاريخ

الطبرى وأكثر من إيرادها ، وحشد قدراً كبيراً من الأساطير في قصة (حضر زمرم) على يد عبد المطلب ، وبالعجدة في قضية ولادة الرسول ﷺ مع أنه لم يثبت منها إلا حديث واحد وأخذ بالأخبار الموضوعة في قصة (زينب بنت جحش) وجمع بعض المعجزات التي حدثت للرسول ﷺ عند مرضته حليلة السعدية وأثناء سفر النبي في تجارة خديجة رضى الله عنها .

وقد خص الشياطين باهتمام بالغ فتوسع في الحديث عنهم وصور مؤتمراً يتصدره إبليس للشياطين ورسم صورة للشيطان الذي حضر خلاف قریش على الحجر الأسود وكان على شكل شيخ نحدى .

وعلى ندرة الصفحات التي خصصها لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت هذه الصفحات المؤلمة بالمغالطات والذي سلم من التحريف كان للتعقيد والتسليم ومن أخطر مزاعمه أن النبي قد أحب زينب وهى زوجة لزيد وهذا جهتان عظيم . ولذا كان طه حسين قد أشار في المقدمة إلى أنه اهتم باختراع الأحاديث فإن الحرية التي أباحها لنفسه لم تكن إلا لهوى معين وهدف واضح هو أن يقدم عن طريق القصص من السموم ما عجز عنه عن طريق النقد والكتابة الأدبية .

يقول (غازى التوبة) في دراسته عن طه حسين وهامش السيرة :

أن طه حسين ينصب نفسه أماماً للأساطير اليونانية وضع السيرة في مصاف (الآلياذة) ويطلب من المؤلفين والكتّاب أو يقتنوا في الحديث عنها أفنان أوربا بأساطير اليونان ، كي يرضوا ميول الناس إلى السذاجة ويمتعوا عواطفهم وأخيلتهم ، ولكن هل يتساوى الاثنان في المجتمعين (الآلياذة في المجتمع اليونانى والسيرة في المجتمع الإسلامى) وهل كانت السيرة يوماً ما في التاريخ موضوعاً لتسليم قصصية أو مبارأة لفظية .

ولم تكن السيرة يوماً من الأيام وسيلة للتسليم والترفيه كما يهدف طه حسين

ولكنها كانت مصدراً لابتعاش الهمم ودفع النفوس المؤمنة إلى النهوض بالمجتمعات في ضوء حياة النبي وسننه ..

واقصد تحدث كثيرون عن الشبهات الواردة في (على هامش السيرة) ووضفها الأستاذ مصطفى صادق الرافعي بأنها « تهكم صريح » ، وقالت صحيفة الشهاب الجزائرية (ذي القعدة ١٣٥٢) الموافق ١٩٣٤ تحت عنوان :

(دسائس طه حسين)

ألف كتابا اسماه على هامش السيرة (يعنى السيرة النبوية الطاهرة) فلامه من الاساطير اليونانية الوثنية وكتب ما كتب في السيرة الكريمة على منوالها فاعطى لها بمظهر الحرفاء الباطنة واساطير الخيال حتى يخيل للقارىء أن سيرة النبي ﷺ ماضى إلى أسطورة من الاساطير وفي هذا من الدس والهتاف فيه ، والدكتور طه الذى كان يقول في الإسلام ماشاء ولا يبالي بالمسلمين أصبح اليوم يحسب للمسلمين حسابا فلا يكتب ألا ويقول إنه مسلم وأنه يعظم الإسلام ولكن ما انطوى عليه صدره يأبى إلا الظهور كما بدأ جليا في كتابته هذا (على هامش السيرة) .

وقال الدكتور زكى مبارك (البلاغ - يناير ١٩٣٤) وأنا أوصى قرائى أن يقرءوا هذا الكتاب (على هامش السيرة) بروية فإن فيه نواحي مستورة من حرية العقل عرف الدكتور كيف يكتسها على الناس بعد أن راضته الأيام على أيتار الرمز على التأليف فإنه (بعد ضربة الشعر الجاهلى) آثر أسلوب الرمز لتغطية أهدافه) .

وقال الدكتور هيكل في دراسة لهامش السيرة الجزء الثانى (ملحق السياسة ٢٥ / ١٢ / ١٩٢٧ أن الهم-ود لهم باع طويل فى دس الاسرائيليات فى الإسلام والحق أنى كنت أشعر أثناء قرائتى لهذا الجزء الثانى من هامش السيرة وكأنما أقرأ فى كتاب من كتب الاساطير اليونانية وليس فصل (نادى الشياطين) بأشد إمعاناً فى درب الاسطورة من سائر فصول الكتاب) وقد عرف تبعية الدكتور طه حسين لمفهوم الاسرائيليات ووجهة نظر اليهود فى قضايا كثيرة مثل موقفه من عبد الله بن الله سباً فى كتاب الفتنة الكبرى .

خامسا : الفوارق العتيقة بين النبوة والعبقرية :

إن التفرقة بين (النبوة) و (العبقرية) هي من أخطر ما ما تعرضت له كتابات العصرين للسيرة النبوية فليس من المعلوم أن تطلق تسمية (العبقرية) على الرسول ﷺ المؤيد بالوحي و ثم تطلق أيضا على صحابته أمثال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وقد وصف الرسول ﷺ بالعبقرية في كتابات العقاد والبطولة في كتابات عبد الرحمن عزام ، وبطل الحرية في كتابات عبد الرحمن الشرقاوي ، وكل هذه مسميات تحجب عن القارئ المسلم الصفة البارزة والمهمة الأساسية وهي « النبوة » المؤيدة بالوحي .

إن دراسة حياة النبي ﷺ تحت أى اسم من شأنها أن تهجر عن استيفاء جوانب هذه الشخصية العظيمة ، وليس ثمة غير منهج واحد هو أنه نبي مرسل من قبل الله تبارك وتعالى ، إن هذا الفهم وحده هو الذى يكشف عن الحقائق النادرة ويكشف عن صفحات السمو والكمال الخلقى والعقل والنفس .

إن كلمة (العبقرية) : هي مصطلح عرف في الفكر الغربى وتناولته الأفلام ودارت حوله المعارك والمساجلات ، وفي عام ١٩٣٥ انتقلت هذه المارك إلى المجلات العربية فدأرت عنه مناقشة طويلة بين محمد فريد وجدى والدكتور أمير بقطار . والتقطها الأستاذ العقاد واتزنها في ذاكرته ليجهلها عنوانا لدراسة عن الرسول التي بدأها عام ١٩٤٢ .

ومن مجمل الدراسات التي دارت يتكشف أن هذه النظرية تجري حول التميز والذكاء والتفوق في مجال الفن والموسيقى والتصوير ولم يرد في الأسماء التي تناولتها الأبحاث أى اسم من أسماء المصلحين أو أصحاب الرسالات .

ولقد قصر أمير بقطر العبقرية على الذكاء ، وقال أنها تنجم عن طريق الوراثة وأنها غير مكتسبة ، وأوردت دوائر المعارف وصفا للعبقرية بأنها لغة الكامل في كل شيء ، ويكون مبلغ رقم قياسى ذكاء العبقري فوق المعتاد ، وبينما

يقصر (أمير يقطر) العبقرية على مسأله اختبار الذكاء فإن (فريد وجدي) يرى أنها (هبة آلهية) تمرتها فوق اقدرة البشرية يمنحها الله لبعض الافئذ لتبرز على السنتهم أو على أيديهم في أمور لا يستطيع العقل البشري أن يستقل بإيجادها .

ولعل هذا هو المعنى الذى جعل العقاد يختارها ليصف بها الرسول مع أن جميع علماء العرب لم يصفوا بها أحدا من الانبياء كالمسيح أو موسى عليهما السلام والحقيقة أن مقاييس الجاه والثروة والعظمة التى جاءت بها العلوم المادية الحديثة تختلف تماما عن التقديرات التى جاءت بها النبوة .

وأن أى قدر من الموهبة الالهية التى وصف بها العبقرية تختلف اختلافا واضحا عن النبوة .

وبالرغم من الاختلاف فى فهم العبقرية بين كتابات المنبرات من الباحثين الغربيين فإن أحدا لا فى الغرب ولا فى العرب أدخل النبوة والانبياء فى هذه الدائرة ولكن يبدو وأن الأستاذ العقاد أراد أن يتفوق على صاحبه (هيكل وطه) وقد سبقاه لعشر سنوات فى كتابة السيرة باتخاذ هذا المصطلح .

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى : يجب أن يقرأ للعقاد باحتماء وهو يكتب عن الإسلام فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته من أقرأ لأديائه وعلمائه وهو شىء كثير ، وليس كل ما كتبه المستشرقون يقبله المسلم ولا كل نظريات الغرب تنفق وما قرره القرآن ولكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد فهو ينظر إلى القرآن من خلال ما اعتقد منها ويبدو أن من بين ما اعتقده العقاد نظرية (فريزر) فى نشوء الأديان فهى عنده ليست سماويا ولكنها أرضية نشأت بالتطور والترقى إلى الاحسن ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وأذن فهو خيرها ويقول : أن لم يكن هذا هو تفسير إطلاق اسميه الغربيين على كتابة (عبقرية محمد والفلسفة القرآنية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغى أن ينته إليه قارىء الكتابين من المسلمين لينتجو . أو أمكن مما توحى به التسميات

من أن محمداً ﷺ ، عبقرى من العباقرة لانبى ولا رسول بالمعنى الدينى المعروف فى الأديان المنزلة ويؤكد هذا الأبحاث أن جاء الكتاب واحداً من سلسلة كتب المبقرات الإسلامية ولن يكون أولها ، فالناشئ الذى يقرأ بعد عبقرية محمد عبقرية أبى بكر وعبقرية عمر مثلاً لا يمكن أن يسلم من إعجاب خفى إلى نفسه أن محمداً وأبا بكر وعمر من قبيل واحد ، عبقرى من عباقرة وإن يكن أكبرهم جميعاً ، كالذى سمى النبى ﷺ بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على المصور وليس من صنف أختتم به ﷺ : صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله ، فالتى والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله وحي ومن كتاب ، ولا كذلك العبقرى ولا البطل ، فالنبوة والرسالة فوق البطولة بكثير ، كم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلم يدين له ﷺ بأنه رسول الله إلى الناس كافة فى ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين .

ويقول الأستاذ غازى التوبه : كتب العقاد المبقرات دفاعاً عن العظمة الانسانية فى وجه المتطاولين والحاقدين والمشوهين ، هذه العظمة الانسانية التى تحتاج إلى رد الاعتبار فى عصره ودفاع العقاد عن العظمة الانسانية هى حلقة من دفاعه عن الفرد وإيمانه به ولكن ما هى الاخطار التى هددت الفرد والعظمة وجعلته يستل قلبه سنة ١٩٤٢ ليكتب أول عبقرية من عبقرياته ، فى الحقيقة أن الاخطار المباشرة التى هددت الوجه الآخر من إيمان العقاد بالفرد هو النظام الديمقراطى ، هددته ثلاثه أخطار هى الفاشية والشيوعية والمد الإسلامى تصدى للفاشية فى (هتلر فى الميزان) وتصدى للشيوعية فى كتابته (الشيوعية والانسانية) وأعيون الشعوب ، أما تيار المد الإسلامى فخاربه بسلاح الشخصيات فككتب المبقرات ليؤكد صحة أفكاره فى أولية الفرد فى التاريخ وأحقية كبحرك له ولبطمن ويشوه الإيمان بالجانب الجماعى فى الإسلام ويشكك فى دور العقائد والتربية فى توجيه الاشخاص فالعظيم عظيم بفطرته والعبقرى عبقرى منذ نشأته ، كذلك فقد ركز العقاد على العوامل الوارثية والتكوينية الجسدية والعصبية ووضع لهذه الاسباب فى المرتبة الاولى فى توجيه الشخصية بحيث تأتى العقيدة الإسلامية والتربية فى

المرتبة الثانية إن كان هناك دور للعقيدة أو التربية والعقاد في موقفه هذا متأثر ببعض المدارس الأوروبية التي تقدس الفرد والفردية وتغمر مختلف حوادث التاريخ على هذين الأساسين ، وقد أورد العقاد ذكراً لأحدى هذه المدارس التي تحدد صفات المبكرى انطلاقاً من تكوينه الجسدى وهى مدرسة (لومبروزو) .

وهكذا قلب العقاد الشخصيات الإسلامية ضمن نظرياته الجاهزة في الفرد والطوايع الفردية .

وهو في هذا قد حجب الجانب الربانى المعجز ، وحجب القبيات .

فهو في موقفه من انتصار الرسول (ﷺ) في غزواته لا يعرض مطلقاً لوعد الله تبارك وتعالى لرسوله ورعايته والملائكة المقاتلون والناس الذى تعشى المسلمين أمنة ، والمطر الذى طهرهم والرياح التى اقتلعت خيام المشركين وتنبئته لافئدة المقاتلين وقذفه الرعب في قلوب الكافرين ، فلسـت العوامل المادية وحدها هى قوام مكانة الرسل العسكرية ولكن العوامل الربانية يجب أن تضاف إلى ماكانت الرسول فى التخطيط .

كذلك فهو لم يكشف عن دور الإسلام فى بناء شخصية الرسول (ﷺ) ، فالإسلام هو الذى أعطى النبي (ﷺ) ذلك الإيمان بالله تبارك وتعالى والإيمان بأحقية الموت فى سبيل الله وذلك القدر من الثبات واتضحية والاندام والعزم والصبر .

هذا الجانب الذى تجاهله العقاد واكتفى بالمقارنة بين سيدنا محمد (ﷺ) وبين نابليون من النواحي المادية والعسكرية ، كذلك لم يبين الفارق بين حروب محمد (ﷺ) وبين حروب نابليون وأنها كانت خالصة فى سبيل الله ونشر الإسلام وليست فى سبيل المطامع والسيطرة .

ذلك أنه ناقش عبقرية الرسول العسكرية فى ضوء العبقرات البشرية ، ولم ينزله للأفوارق العميقة ، التى يتميز بها شخصية الرسول بوصفه نبي مرسل

أو تلك التي هداه إليها الإسلام ، وأن تميزه بهذا يختلف عن البطولات والعقوبات البشرية الأخرى ، ومن هنا يبدو النقص في وزن النبي ﷺ بالعقوبات البشرية الأخرى .

كذلك هذا التمييز الذي عرفت به شخصية محمد ﷺ في الدنيا ، ومرسلاً وهادياً ، تختلف في المقارنة بينه وبين الأبطال العالميين الآخرين في ناحية كما أن شخصيته عليه السلام تختلف عن شخصية كل من أبي بكر وعمر وغيرهم .

لقد تحدث العقاد عن الجانب المادى في شخصية الرسول ﷺ وحجب تماماً الجانب الروحى المتصل بالوحى وأظهره كمجرد انسان يعمل بمواهب متأثرة وملكات خاصة ، وهكذا فإن (العقريه) التي حاول العقاد أن يقدم رسول الله ﷺ من خلالها ، كان حجمها ضيقاً ومجالها ناقصاً ، وأخطر ما أخذ عليه هو أنه لم يظهر أثر الإسلام في بناء شخصية الرسول ﷺ وهو العامل الأكبر في حياته وتصرفاته على النحو الذى وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها بقولها (كان خلقه القرآن) هذه الزاوية الخالصة التي تلو على طوابع البشر ، وقد وصفها القرآن في قوله تعالى :

(قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) .

كذلك فقد تحدث عن أفتتان المسلمين بشخص الرسول وانهارهم بمواهبه واعتبر أعجابهم به سلباً وحيداً لدخولهم في الإسلام وعزا اجتماع الصداقات المتنوعة حوله نتيجة لزاوية التفضية وبذلك أنكر أثر عظمة الإسلام نفسه في إيمان أصحاب النبي ﷺ وليس من شك في أن إعجاب المسلمين بالرسول له أهميته في مرحلة الدخول في الإسلام ولكن تقدير المسلمين للإسلام هو العامل الذى ثبتهم بعد ذلك على الإيمان بالإسلام وحفزهم للدفاع عنه .

إن الاستاذ العقاد وقد حارب مذهب التفسير المادى للتاريخ الذى قدمه ماركس والشيوعية حرباً لا هوادة لها خضع مع الأسف للمذهب المادى الذى لا يعترف بالآثار المعنوية المترتبة على الإيمان والعقيدة في بناء الشخصية كما تجاهل

جانب الغيبيات ولم يهتم النبوة فيها صحيحا، ولذلك فإن الجانب الروحي القادر على العطاء في بناء الشخصيات والذي صنع شخصية رسول الإسلام تراه باهتا غائما عنده، وذلك لأنه اعتمد في دراسة الشخصيات والبطولات على مذاهب غربية بشجاهل النبوة والوحي والغيبيات والمعجزات ولا تتحمل لهذه العوامل الروحية والمعشوية أى وزن وأى اعتبار وإنما قامت اعتباراتها على جوانب الحس وتركيب الإنسان المادى والوراثيات وغيرها .

سادسا : تطور جديد : التفسير الماركسي للسيرة .

ثم جاء بعد ذلك تطور جديد في كتابة السيرة العصرية وهو إخضاعها للتفسير الماركسي على النمو الذي كتبه عبد الرحمن البشرفاوي تحت اسم (محمد رسول الحرية) .

وقد قال الشيخ محمد أبو زهرة في توظيف هذا العمل : أن الكتاب كان له اتجاه غير ديني في دراسته فهو ما ذكره محمد عليه السلام على أنه رسول يوحى إليه بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسر لها الكاتب على ما يريد ، وقد تبين أن الكاتب يقطع النبي عليه السلام عن الوحي فكل ما كان من النبي من مبادئ وجهاد في سبيلها إنما هي من عنده لا يوحى من الله تعالى ، وهي بمقتضى بشرية لا بمقتضى رسالته ، والعنوان (إنما أنا بشر مثلكم) يعلن أن ما وصل إليه النبي عليه السلام من مبادئ جامد من أجلها إنما هو صادر عن بشرية كاملة لا عن نبوة ، وقد أقطع هذه الجملة بما قبلها وما بعدها ونصها الصحيح (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما الهيم آله واحد) وهو بهذا الاقتطاع ينفي الوحي عن الحياة المحمدية .

كذلك فهو ينفي الخطاب السماوي لرسول عليه السلام ولا يذكر أن جبريل خاطب النبي عليه السلام في العيان وتصوره للوحي بأنه حلم في النوم يخالف ما اجمع عليه المسلمون من أن جبريل كان يخاطب النبي عليه السلام بالعين لا في المنام : الأمر الذي نرد ذكره في القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفهم من الأنبياء لتبليغ

مدرسة الاصاله التي أنكرت هذا الأسلوب الفلسفي الماسى ، وأقامت مفاهيمها على الاساس القرآنى الاصيل وظهرت تلك الكتابات باقلام حسن البنا ومحمد الغزالى وسعيد رمضان البوطى وأبو الحسن الندوى وكثيرون غيرهم فردت إلى السيره النبويه أعينها وأعادت تقدير جانب معجزه الوحي الآلهى والنبىيات والمعجزات .

وقد جمعت كتابات مدرسة الاصاله فى السيره النبويه مصححة لاغلاط كثيرين ممن كتبوا عن السيره فى هذا العصر وأماطت اللثام عن المغالطات التي كانت ولا تزال تدسها أقلام كثير من المستشرقين والتغريبين وهى أغلاط ومغالطات قامت لتغذيتها وترويحها مدرسة التبعية .

إن هذه المدرسه لم تعد تخدع إلا قلة من بقايا المفتونين باسمها وإن الحقائق الناصعة فى حياة النبى ﷺ ستظل هى المشرقة والسائدة .

وليس أذل على ذلك من هذه المؤتمرات العالميه الخافله للسيره التي حشدت عشرات من الأعلام للكشف عن الجوانب المختلفه فى حياة هذا النبى الكريم الذى هدى البشرية أى ظريقتها وأخرجها من الظلمات إلى النور .

المراجع :

- دراسات فى السيره : محمد النايك .
- الفكر الإسلامى المعاصر : غازى التوبة .
- فقه السيره : محمد سعيد البوطى .
- كتابات الدكتور محمد أحمد الخمرأوى ومحمد محمد حسين .
- العبرية : محمد فريد وجدى .
- تقرير الشيخ محمد أبو زهرة عن كتاب محمد رسول الحرية .
- مقالات الدكتور حسين البراوى (ملاحق السياسة ١٩٣٢ - ١٩٣٣) .
- مجلة الفتح : محب الدين الخطيب .

الحملة على نوابع الإسلام

الحملة على (جمال الدين الأفغانى) = لويس عوض

لقد كان من أبرز مقام به الشوامخ الزائفون الحملة على نوابع الإسلام ، فكانت حملتهم على ابن خلدون ، وعلى المتنبي ، وعلى الأمام الغزالي : اشترك في هذه الحملات طه حسين ولويس عوض ثم كانت الحملة على صلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح وجند عبد الرحمن الشرفاوى الحملة على الصحابة بكتابة عن الإمام على وسار في نفس الطريق الذى شقه طه حسين وكانت الحملة اغربية على جمال الدين الأفغانى التى قادها الدكتور لويس عوض .

وكان الهدف هو محاولة أقتلاع جذور الصحوة الإسلامية بالإساءة إلى هؤلاء الرواد . وتضليل الجماهير ويسويه تاريخ اليفظة الإسلامية وقطع روابط الماضى المعتمد منذ فجر الإسلام بالماضى القريب القائم على وحدة الامة الإسلامية .

ولما كان الهدف من تشويه جمال الدين الأفغانى هو إثارة ظلال الشك حول عدد من تلاميذه : محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم فقد فتح لويس عوض النار على جمال الدين من خلال ما أساءه وثائق بريطانيا وهى في الحقيقة تقارير الجواسيس ، ولم تكن هذه الوثائق غير المعلومات التى قدمتها المخابرات البريطانية التى كانت جمال الدين أعدى أعدائها وقد كانت المعلومات التى قدمتها جامعة طهران في عهد الشاه موضع شك ولم يكن لويس عوض في الحقيقة موضع الثقة من الناحية العلمية لثيمته الواضحة للسكر الماسونى الغربى وكرادته الشديدة للإسلام ودعوته إلى الفرعونية ولكن هناك حقيقة أخرى ظهرت أشهر أ .

فقد كشفت الدكتوراه لطيفة سالم عن حقيقة هامه في شأن الحملة التي شنّها الدكتور لويس عوض على السيد جمال الدين الأفغانى بمقالاته تحت عنوان (الإيراني الغامض في مصر) والتي أشار الباحثون إلى أنها أعمّدت اعتماداً كلياً على تقارير المخابرات البريطانية التي أفرج عنها في السنوات الأخيرة .

تقول : اسجل أن لويس عوض فيها نهج عليه لم يكن تابعا في اجتهاده أو اعتياده على معلومات استقفاها من منابع متعددة أو من نظرية جديدة جاء بها نتيجة بحثه و غرضه للوصول إلى الحقائق التاريخية ولكنه تأثر في كل ما قدمه لنا بكتاب (السيد جمال الدين الأفغانى) للمؤرخه نيكى كيدى أستاذة التاريخ بجامعة كاليفورنيا بولس انجلوس والصادر عن مركز دراسات الشرق الأدنى لتلك الجامعة وطبعته مطبعتها عام ١٩٧٢ (٧٩ صفحة من الحجم الكبير) .

وقد تنقلب الباحثة بين إيران ولندن وترددت في إيران على مكتبة البلدية حتى وجدت مجموعة أوراق الأفغانى ٨٩١ وفي لندن اعتمدت على الوثائق البريطانية المحفوظة في دار المحفوظات العامة وعلى مجلدات حكومة الهند بمكتب علاقات السكولت وعلى أوراق جلاستون المحفوظة في المتحف البريطانى وفي استانبول استخدمت مجموعة بالذات التي تغطى فترة حكم السلطان عبد الحميد وفي باريس حصلت على معلومات من ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية .

ومع أن المعلومات التي أعطاها لنا مفيدة وقيمة عن هذه الشخصية ، إلا أنها تأثرت لبعض اتجاهات انساقت وراء تياراتها وبذلت جهودها في اثباتها وهي التي تبناها دكتور لويس عوض وأعطاها الصدوره في كتابه وبما تجدر الإشارة إليه أنه لم يأثر بتجاهها الإيجابي لشخصية الأفغانى وإنما أحتوى الجانب السلبي الذي أثّر حوله التشكيك وراح يسرده معتقداً أنه خرج بنظرية جديدة أطاحت بالحقائق القائمة والمحيطه بالأفغانى ليدخله في دائرة الالتغاز ولتعطى الصور المبهمة بل الغامضة له حتى توقع الحيرة والريبة للؤمنين بدوره القيادى في العالم الإسلامى .

وعليه فلم يأت دكتور لويس عوض بمجديد حيث أن ماتناوله نشرته المؤرخة الأمريكية قبل سنوات .

الفصل التاسع عشر

اخطاء منهج القسم الشوامخ وجيل العمالة

الحقيقة الواضحة التي لا مراء فيها أن كتاب مصر كانوا حريين بمعنى أو بآخر ولم يكونوا وطنيين بمعنى مهاجمة الإنجليز أو معارضين لهم أو كاشفين لآثارهم المتغلغلة في الاجتماع أو الاقتصاد أو التعليم ، كانوا خصوما سياسيين وأصدقاء في مجال الفكر ، هذا هو منطق مدرسة سعد زغلول التي قامت عليها الأحزاب .

كان أبرز كتاب مصر في هذه الفترة في صف حزب الأقلية (حزب الأحرار الدستوريين) لطفي السيد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وإبراهيم المازني وعلى عبد الرازق ومحمود عزمي ومنصور فهمي .

وكان كتاب مصر في هذه الفترة يعارضون التقوُّذ الأجنبي السياسي برفق شديد من داخل دائرة التفاهم معه ، ولكنهم كانوا يقبلون أنظمة الغرب الليبرالية والرأسمالية ويؤيدونها بل كانوا يقبلون مذاهب الغرب في النقد الأدب والشعر .

وقد حمل العقاد والمازني لواء الدعوة إلى المدرسية الإنجليزية في النقد (هازلت وآخرون) كما حمل طه حسين وثمره لواء المدرسة الفرنسية .

ومن هذا المنطلق الليبرالي العلماني المغلف بالتبعية ، البعيد عن الوعي بمفهوم الإسلام خدع كتاب مصر في عسدد من الشخصيات الموصومة في مقدمتها (ما كس نورودو) اليهودي خليفة هريزل الذي كتب عنه العقاد والمازني بكثير من التقدير كما عذروا في عباس البهاء زعيم البهائية وكتبوا عنه في الهلال والعصور (العقاد وإسماعيل مظهر) .

ومن هنا فإن الشهرة التي أعطت أسمئهم هذا البعان الشديد كانت سياسية أو من مصدر العراق الحزبي والجدل السياسي وأساليب البهائية المقلد الذي برع فيه طه حسين والعقاد ، ولم يكن مصدر هذه الشهرة الأداء الأدبي نفسه .

كذلك فإن من يراجع (المعارك الآلية) التي دارت في هذه المرحلة (راجع كتابنا المعارك الأدبية في مصر من ١٩١٤ - ١٩٣٩) يجد أنها معارك حزبية مشوبة بالداخل الأدبية ، وتحس فيها روح الأثارة والعراك وليس روح النقد العلمي ، وربما كاتب من أبواب المهابة السياسية أيضا .

ولقد كانت هذه التفرقة بين الاستعمار الغربي (البريطاني والفرنسي) وبين الثقافة العربية عاملا خطيرا من عوامل استمرار تبعية الأدب العربي للنموذج الأجنبي فقد كان كتابنا السكبار مهورون بالحضارة الغربية والنهج الليبرالي الديمقراطي وكانوا في نفس الوقت قناطر لنقل الفكر الغربي إلى اللغة العربية .

وعندما أحسوا بأن اليقظة الإسلامية تحاول أن تغير مفاهيم الفكر والأدب أسرعوا فسيطروا على الموجة من أجل أن يقدموا مفاهيم غريبة وأفدة للسيرة النبوية وللقرآن والإسلام على النحو الذي كتبه هيكل (حياة محمد) وطه حسين [هاش السيرة] والعقاد [العقريات] وكل هذه الكتابات تنقصها روح الإسلام الحققة وعليها تحفظات كثيرة^(١) .

وليس هناك أخطر من تصدر التغريبيين للصحافة المصرية على النحو الذي حجب رجال النهضة الإصلاء أمثال الرافعي وجايش وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وغيرهم .

ولكن حركة اليقظة الإسلامية كانت قادرة على كشف هذا التيار الخطير الذي مازال يدافع عنه أمثال الدكتور يومى مذكور بعد أن تبين تبعية المجرى الذي جرى فيه هولا .

أولا : كشف الشيخ مصطفى صبرى في كتابه [موقف الدين والعلم من الله رب العالمين عن أخطاء كتاب السيرة العصرية في شأن معجزات النبي ﷺ] فريد وجدى وهيكل .

(١) راجع بحثنا عن كتابات السيرة .

ثانيا : كشف مصطفى عبد الرازق وتلاميذه وفي مقدمتهم [على سامي الدشار]
عن إصالة الإسلام وفساد دعوى التبعية لمنهج أرسطو وأعلنوا أن الإمام الشافعي
هو المعلم الأول المسلمين :

ثالثا : كشف السيد محب الدين الخطيب عن خطط التبشير بترجمه كتاب
[الغارة على العالم الإسلامي] .

رابعا : كشف الدكتور فروخ والدكتور خالدى عن خبايا التبشير والاستعمار
خامسا : كشف مالك بن نبي عن مخططات التعريب والغزو الثقافي .

سادسا : كشف الدكتور محمد محمد حسين عن فساد بعض كتب الغرب المترجمة .

سابعا : كشف الأستاذ محمود محمد شاكر عن أخطاء لويس عوض وعن
سرقا طه حسين في منهج الشعر الجاهلي .

ثامنا : كشف الدكتور نغوسه زكريا سعيد عن مؤامرة العامية .

تاسعا : كشف الأستاذ حسن البنا عن أن وجهة كتاب السيرة المعاصرة
غربية وأنهم لا يؤمنون بمنهج الإسلام الجامع .

عاشرا : كشف كثير من كتاب المسلمين عن منهج التغريب والغزو الفكري .

عريضة إتهام عنيفة

ضد طه حسين وجيله

وقد صف رجاء النقاش كتاب الاستاذ فتحى رضوان [عصر ورجال] بأنه عريضة إتهام ضد طه حسين وتلاميذه وإن هذه عريضة تتلخص فيما يلى :

أولا : إن معظم رجال هذا الجيل قد ساروا وراء تعاليم مدرسة حزب الامة والى يتلها لطفى السيد ولم يسيروا وراء تعاليم مدرسة الحزب الوطنى التى تتلها مصطفى كامل . ومدرسة حزب الامة هى التى كاتب تدغو إلى مهادنة الانجليز والتعايش معهم بينما كانت مدرسة الحزب الوطنى تدعو إلى مقاطعة الانجليز ومحاربتهم بلا هوادة ولقد كان سعد زغلول - وهو من مدرسة حزب الامة - فيما يرى فتحى رضوان - يقول عن الانجليز - حتى فى أشد مواقف العداء - أنهم خصوم شرفاء معقولون .

وحول هذه المدرسة نشأ معظم معظم الكتاب والمفكرين لذلك - كما يقول فتحى رضوان - لم يكن غريبا أن يرتسم فى الذهن المناضل العنيد للانجليز إذا ما ذكر اسم واحد من كتاب العصر الذى تؤرخ له .

ثانيا : كان الصراع الحزبى الذى اشترك فيه كتابنا تافها وضئيلا [وكانت ساحتها ضعيفه وصغيرة وكان كل ما يقال أو يكتب مكررا معادا فلم يؤثر فى كتابنا جميعا فى هذه المرحلة كلام يستحق أن يخلد : كتب العقاد والمازنى وعزى وغيرهم الآف من المقالات السياسية والحزبية فلم يبق منها شئ مطلقا ، ولم يذكر العقاد ولا المازنى ولا هيكل فيما كتبوه عن انفسهم مقالا سياسيا ذا قيمة أدبية أو فكرية حين احتدم الصراع الحزبى .

ثالثا : أن دعاة التجديد من هؤلاء لم يثايروا على دعوتهم بل تحسولوا عنها بسرعة يقول - فتحى رضوان (مازلت أذكر محمود عزى والقمعة على رأسه فقد كان هذا المسلك منه تحفزا للتجديد واعلانا له ولكن عزى خلع القمعة وعاد إلى

الطربوش بعدد شهور من هذه المحاولة ولم يفكر بعد ذلك قط في القبعة فكان أشبه شيء بموقف طه حسين من نظرية : أن الكتب المقدسة ليست وثائق علمية لاثبات التاريخ ، وموقف علي عبد الرازق من نظرية أن الخلافة ليست أصلاً من أصول الحكم الإسلامي ، قالاً بالنظرية مرة كما لبس عزمي القبة مرة وخلع عزمي القبة ، إلى غير رجعة كما خلعا نظريتهما إلى غير رجعة .

رابعا : عجز الجيل عن خلق تيارات فكرية متصلة (فهيكل الذي ألف كتابا عن روسوفى جزئين لا يكاد يذكر روسوفى كتاب بعد ذلك وكأنه لم يقرأه أو يقرأ عنه ، دع عنك أنه ألف كتابا طويلا عن حياته وأفكاره ، وكذلك العقاد والمازني وغيرهما .
خامسا : لم يقرن هذا الجيل بين الفكر والحياة بصورة سليمة ، كما كانوا يكتبون مقالات عن فرانس ونيتشه وعن الفلسفة الغربية كتبوا عن الإسلام ونبية وصحابته فما من شيء تغير في حياتهم بتغير موضوع دراستهم وكتاباتهم ، وما من شيء تأثر في أسلوب تفكيرهم ، وكان الطبيعي وقد بلغ الإعجاب عندهم بالإسلام إلى هذا الحد الكبير أن ينعكس على مسالكهم في الحياة العامة ، وعلى تفكيرهم السياسي وهم رجال سياسة وصحافة ، هذا أقدر من الإعجاب ولكنك لا ترى له أثرا وليس هذا ألا مظهرا كاشفا عن موقف كتاب هذا الجيل كله فالكتاب عندهم لم تكن معاناة روحية ولم تكن إعلانا عن إيمان ولا ارتباطا وتصوحا وقد عجل هذا التحلل بنهاية هذا العهد .

(٢) فأذا أضفنا إلى هذه اتهامات محمود محمد شاكر أنكشف أمامنا فهم عميق للخطط التي خرجت بها الحياة الأدبية والفكرية من الاحمال إلى التبعية حتى أعادتها مرة أخرى حركة اليقظة الإسلامية :

أضاف محمود محمد شاكر :

١ - (قضية السعالي) : (طه حسين)

٢ - تهديم اللغة العربية والدعوة إلى أحياء اللهجات باستعمال اللهجة (لطفى السيد)

٣ - محاوله تصور تراثنا العربي على أنه فن اراييسك ومجرد حفريات قديمة : (زكي نجيب محمود)

الفصل الشرع

محاولات مضللة لتزييف تاريخ الفكر الإسلامى
والعمل على إحياء سموم كتب على عبد الرازق وقاسم أمين ومنصور فهمى

• رجع مفصور فهمي عن رأيه في حياة النبي الاجتماعية وحاول التكفير عنها
 • رجع الدكتور مهكل عن رأيه في الفرعونية والغرب وأعتبر الإسلام
 هو المنطلق الوحيد للنهضة .

• رجع قاسم أمين عن رأيه في تحرير المرأة وأنكشف له أنه خدع .
 • حاول الشيخ علي عبد الرازق أن يرجع عن فكرته في الإسلام وأصول
 الحكم وأنكر الدعوة إلى تجديد كتابه .
 • لم يصر على مقولاته الباطلة طوال حياته ألا طه حسين نتيجة الحصار الذي
 كان واقعاً فيه .

* * *

كان الحديث في ندوة الاعتصام عن تلك المحاولات التي تجرى لإعادة الحياة
 إلى العمالة والقيم بعد أن فقد الناس الثقة بهم : تجرى هذه المحاولة التي يقودها
 سامح كريم حين يحاول أن يصفى طابع الإسلام على كل من كتب ولوحى مقالاً
 واحداً في تاريخ نبي أميه أو نبي العباس ، وهي محاولة زائفة ، تجرى تحت
 عناوين كبيرة معناها إعادة كتابة تاريخ الإسلام ، التي رأى أنها كانت من أعظم
 المشروعات الثقافية وهي إعادة كتابة تاريخ الإسلام (أحمد أمين - العبادي -
 طه حسين) أولاً على طريقة الفصل بين المناهج وهو مذهب غربي يختلف عن
 الإسلام حيث يجري تقديم (الحياة العقلية - الأدبية - السياسية) كل على حدة
 وقد فشل هذا المشروع لأنه لم يكن قائماً على مفهوم حقيقي لتجديد تاريخ
 الإسلام وأن الكتاب فيه لو تمت - ونحمد الله أنها لم تتم - كانت ستجرى وفق
 تفسيرات المستشرقين ومن خلال المنهج المادي للتاريخ وأنها كانت تساق
 ما كتبه طه حسين في الأدب الجاهل ومستقبل الثقافة وحين قام أحمد أمين بكتابة
 الحياة العقلية في كتبه فجر ، وضحي الإسلام فكشف عن تبعيته للاستشراق وواقفه
 الجريئة ضد الإسلام وضد السنة على النحو الذي يذناه في فصول هذا الكتاب

والذى أورثه لابنه حسين أحمد أمين ، أما عبد الحميد العبادى فنحن لانتهمه ، ولكن
مراوغة سامح كريم تبدو واضحة فى خفايا الأوراق ودس أسماء بعض الدعاة
الإسلاميين الذين هم موضع ثقة الباحثين والمثقفين المسلمين بين هؤلاء التفرعيين
حيث يضيف أسماء مصطفى صادق الرافعى ومحمود محمد شاكر مع خصوصهم
طه حسين وغيره وليث شعرى كيف يمكن الجمع بين التفرعيين والإسلاميين
إلا فى محاولة ماكرة خبيثة ، وكيف يمكن أن يوضع فى صف القمم الإسلامية
على عبد الرازق بكتابة الذى جرد الإسلام فيه من مفهومه الصحيح ، أو توفيق
الحكيم ، أو أمين الخولى . والحقيقة أن سامح كريم قد حاول خداع القارئ المسلم
خداعا كبيرا بوضع هؤلاء فى صفوف القمم الإسلامية ولقد قلنا له مرارا أن
كتابات طه حسين فى التاريخ الإسلامى هى كتابات استشراقية معادية وفى هذا
الكتاب فصول تكشف ذلك بكل وضوح وتزيف دعاوى الذين يرون أن طه
حسين أو هيكل أو العقاد كانوا روادا لكتابة التاريخ الإسلامى من جديد ولست
أدرى كيف يتناقض سامح كريم باعجاب به طه حسين وفى نفس الوقت يرثى
لضعفه محمود محمد شاكر وفى الحقيقة فإنه لا بد من الوقوف اما فى صف طه حسين
ومحاولته المساكرة الخبيثة التى كشف عنها محمود شاكر أو فى صف شاكر الذى
كشف هذه المؤامرة وهذا يوحى بالهوى الذى يصدر عنه سامح كريم فى دعواه
تحت اسم (الإسلام فى فكر هؤلاء) ونحن نسأله : أى إسلام فى فكر
هؤلاء ، هل هو الإسلام الذى يفهمه الغربيون من كلمة (دين) بمعنى اللاهوت ،
أم هو الإسلام بمفهومه الاصيل دينا ودولة ومنهج حياة ونظام مجتمع وهى القضية
التي أثرت منذ كتب العقاد وهيكل وطه حسين فى الإسلاميات لخداع الشباب
المسلم عن المفهوم الصحيح ويتنمر سامح كريم فرصة شهر رمضان المبارك فيسابق
السابقين فى الصفحات الدينية ليقدّم كتباً رفضها الفكر الإسلامى ووقف منها
المسلمون ومن كتبها موقف الريبة والتكذيب والانهزام بالتبعية ، ولا يتوانى
عن الجرأة فى أن يقدم هذه الكتب تحت عناوين مثيرة (كتب هزت العالم
الإسلامى) والحقيقة أنها كتب رفضها المسلمون وكشفوا زيفها فيقدم كتاب

والإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق ، وتحرير المرأة لقاسم أمين ، ثم يقدم كتابا لم يطبع يوما بالعربية وإنما هو رسالة دكتوراه قدمها صاحبها إلى المحافل الاستشراقية تحت عنوان (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية) ثم قامت عليها وعلى كأنها القيامة فأنكرها ولم يعترف بنسبتها إليه بعد وعاش حياته يستغفر ربه عنها ويحاول أن يقدم شيئا يخفف الله به عملها .

ويحاول سامح كريم أن يبرر المحاوله ويصورها تصويرا خاطئا ويدعى أن هذا العمل كان إسلاميا ، كما يحاول في مقاله هذا وفي مقال سابق نشره عن منصور فهمي أن يبريء الرجل من اتجاه أعترف هو من بعد أنه مضى فيه وأنه كان مخطئا وأنه عاد عنه إلى ساحة المغفرة وقد أعلن منصور فهمي في صراحه ووضوح :

أنه وقع تحت تأثير المستشرق اليهودي المتعصب ليفي بريل الذي خدعه وصور له أن أن يكتب عن تهديد زيجات النبي ﷺ على أن النبي خالف الشريعة التي جاء بها حتى قال في رسالته :

{ أن محمداً يشرع للبشرية ويستغنى نفسه } .

وكان في ذلك أول من كشف خداع المستشرقين واحتوائهم لاثباتنا المسافرين إلى الغرب وقد كان لهذه الرسالة أثرها الخطير في دوائر الفكر والثقافة الإسلامية حتى أن منصور فهمي الذي عاد من أوروبا عام ١٩١٥ ظل مبعدا عن الجامعة حتى عام ١٩٣٠ تقريبا وإن إحدى الصحف هي التي عملت على مد حبال رزقه ، حتى هدأت الضجة ، ولكن الرجل كان صادقا مع نفسه فقد أصاح خطاه وحرر نفسه من الاحتواء العلباني والصهيوني الذي أحاط به وكان مثالا للذين سافروا من بعد إلى الغرب ، فقد تحرروا بالرغم من تبعيتهم أن يقيموا فيها وقع فيه فقد تبني طه حسين مستشرق يهودي آخر هو دوركايم وهو الذي دفعه إلى هدم ابن خلدون وتبني زكي مبارك مستشرق آخر في كتابه (النثر الفني) وتبني محمود عزمي مستشرق آخر دفعه إلى أنكار الترابط بين الاقتصاد والإسلام ، ومن هنا يتبين

تضليل ساحح كريم الذى يقول أن منصور فهم زين له شبابه أن يأتي بتفكير جديد مدفوعا بالتيار العام الذى كان ينادى بتحرير المرأة ، ذلك أن تيار تحرير المرأة هذا قد أنكشف أمة من قبل وتبين مدى المؤامرة الخطيرة التى قام بها كرومر وصالون نازلى فاضل ، ورجاله الذين أعانوه على النحو الذى جعلته حركة اليقظة الإسلامية منذ وقت بعيد ولم يعد يخدع أحدا .

والموقف من منصور فهمي وكتابه الذى لم يطبع ، شأنه شأن كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين وكتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلى عبد الرازق فهم كتابات مسمومة من وراء قوى النفوذ الأجنبي الخفية ، التى أرادت أن تحدث دويا ، والتى أنكشف أمرها من بعد ولم يعد يخدع أحدا ولو أعيد نشر هذه الكتابات كل يوم وفي كبريات الصحف

وأنا للأسف أرى يسمح بنشر هذه الكتابات في صفحات رمضان الدينية وهى ليست إلا حربا على الإسلام تتجدد على أيدي غلمان المستشرقين والخيفة المعروفة أن هذا الجيل من الرواد والقلم الشوامخ قد بات عاريا وقد تبين للشباب المسلم أنه لم يعد يخدعه أحدا وأن هؤلاء جميعا وقعوا تحت تأثير الاحتواء التغريبي العلباني الذى أثر في كتاباتهم جميعا ولكن -- والحق يقال -- أن منصور فهمي والدكتور هيكل كانا من أصدق الناس جرأة في الاعتراف بالخطأ والعودة إلى الحق .

وليس فيما كتب منصور فهمي في كتابه هذا ما يدخل تحت عبارة (حرية البحث العلمى) الخادعة التى يرددها الدكتور إبراهيم مدكور ، وما كان منصور فهمي يطعم أو يطلب كما قيل طبع رسالته أو ترجمها إلى اللغة العربية أو تدرسها كما يدعى صاحبنا بل كان يتمنى كما تمنى على عبد الرازق من بعد أن ينسب الناس أن له بحثا على هذا النحو وقد وعى منصور فهمي أطراف المؤامرة التى دبرت له وقام هو نفسه بالعودة إلى الاصله والحق فاستترك حفلا إسلاميا كملوك النبوى أو الهجرة إلا خطب فيه ، وقد أعلن أنه سيفسر القرآن ليكشف عن خطيئته فلك وأن كان الزمن لم يمكن له من الوفاء بوعده .

والحقيقة أن بعض دعاة التغريب يتشدد دائماً بعبارة (حرية البحث العلمى) ولا يريد أن يعرف الناس حقيقةها التى هى عدم الخروج عن حدود مفاهيم الإسلام ، وألا فأتين حرية البحث العلمى من كلام يهتم الرسول ﷺ بأنه شرع للناس ونسب نفسه كما جاء فى رسالة منصور فهمى أو أن الإسلام كان عقبه فى نهضة الأمة كما جاء فى رسالة قاسم أمين أو أن الدين الإسلامى دين روحى ليس له نظام حكم كما إدعى على عبد الرازق ، هذا الكلام كله ليس مسموحاً به تحت مظلة حرية البحث العلمى التى توجب على المسلم أن يؤمن إيماناً يقينياً بكل ما جاء به دينه وألا يعرضه للشك أو الارتياب ، أما قول إبراهيم المذكور بأن حرية البحث العلمى أفسح صدرأ وأسمى من أن يعتدى عليها بسبب لفظ أو عبارة سقطت من قلم صاحبها فذلك حق ، ولكن هل كتابة رسالة ، كاملة قدمت كاطروحة ونوقشت بواسطة اسانذه ومستشرقين وتناولت حياة النبى الاجتماعيه كلها وقامت أساساً على فكرة أن النبى ﷺ شرع للناس واستثنى نفسه بزواجه من أكثر من أربعة ، وما يتصل بذلك من عرض وشرح وتدليل بالوثائق والمستندات وهو لب الرسالة وقلبها ، هل هذا يعد كل كما ذكر إبراهيم المذكور لفظ سبق أو عبارة سقطت على قلم صاحبها أم هو اعتداء مع سبق الإصرار على حقيقة كبرى فى الإسلام ، كذلك فإن القول بأنه هذا - على حد تغير سامع كريم - هو مجرد خروج على مورثاتنا وتقاليدينا : تزوير باطل فليس هذا من التقاليد والمورثات لكنه من صميم العقيدة التى يصبح المؤمن بها مؤمناً .

وما كان لسامع كريم أن يشير هذا القول كله وقطعوا به صاحبه رحمه الله وأعلن عودته إلى الحق وحاول أن يسكفر عنه بما كتب من بعد فى تكريم النبى ﷺ ، ولا ريب أن عرض هذا الموضوع هذه المرة وفى المرة السابقة يوحى بالهدف الذى يراد أذاعته وهو التهمين والتبسيط من شأن اقتحام حياة النبى من مثل هذه النواحي بوصف ذلك كله بأنه كله سقطت من قلم صاحبها أو تصويره على أنه من التقاليد ، والحقيقة أن الموقف فى عرض هذه الكتب وإعادة تصويرها على

نحو يحملها هيئة وبسيطة في نظر الشباب المسلم اليوم هو عمل خطر غير مقبل وهو خيط من تلك الخيوط التي يجري تشابكها حول الكتابة عن الصحابة باستهانة وحول الدعوة إلى وحدة الأديان وحول ما يردده البهاثيون والفنديانيون وغيرهم .

ولاريب أن التقييم الحقيقي لهذه الكتب ولكتاب منصور فهمي بالذات هو أن شبابنا الذي ابتعث إلى الغرب في أوائل هذا القرن قد تلقفته أيدي الصهيونيين الذين كانوا ولا زالوا يشرفون على رسائل الدكتوراه وقد صنعوا بهم ما صنعوا فلما عادوا إلى مصر وضعوهم في مكان الصدأ وقيادة ، وأنشأوا بهم هذا الجيل عن يمينهم العاقلة والفهم الشوامخ وأسائذة الجيل وعمداء الأدب وقد تكشف ذلك كله ووضع ولم يعد أحد يصدق زيادة هؤلاء ، وإنما الريادة لمجموعة كبرى من الأبرار الذين لا يذكرون الآن لأنهم قاوموا حملة التغريب والغزو الثقافي وقد عرف شباب الإسلام اليوم حقيقة هؤلاء وكشفوا سمومهم ولم يعد مثل هذه الصفحات التي بطلقها أمثال سامح كريم والتي نجد سميعا أو مجيبا .

ولقد كان من حق التاريخ على سامح كريم وقد أورد قصة منصور فهمي ورسائله مرتين أن يعود إلى الحق في شأن الرجل الذي رحل وهي أنه أعلن خروجه على هذا الفكر الذي أثبتته في هذه الرسالة كله وأنه عاد إلى الحق ، كما أعلن الدكتور هيكل في مقدمة كتابه (منزل الوحي) نزوله عن أرائه الفرعونية والغريبة وكيف أنه آمن بأن الطريق الوحيد لنهضة هذه الأمة هو التماس منهج الإسلام .

هذا وبالله التوفيق

وسقطت مدرسة التبعية للفكر الوافد

آمن هؤلاء بأن الحضارة العربية هي وحدها المنطلق الحقيقي للنهضة في الشرق وعالم الإسلام ، وقد كشفت حروب التنكبة والمزمنة والتنكسة جميعا عن فساد دعوى هذه المدرسة المضلة ، خدعهم المستشرقون بالنظرية واغروهم بالمناصب والمراكز ، ولكن هناك من اكتشف الحقيقة أمثال الدكتور محمد حسين هيكل الذى قال أن هذا البذر الغريب لا ينبت وأن هذا الطريق لا يؤدى ، قال هذا هيكل بعد أن استعملت كلية المدرسة الإسلامية ، وكذلك رجع منصور فهمى عن مقولاته .

كان تغمر نفوس هذه الجماعة شعور النقص ومحاولة الاستعلاء بالتقليد ، وعجزوا عن أن يفهموا أبعاد المسائل وخلفيات الأمور ، عجزوا عن أن يعلموا أن مصدر النقص هو العقلية عن المنبع الأصيل وأن الطريق الوحيد هو العودة إلى المنابع .

لقد هزت نفوسهم ماديات الحضارة : كانوا يكتفون عن باريس وعن المتاحف والقصور والكنائس ، وكأنها كل شيء في الحضارة ، كان الانبهار بالتقدم المادى يلهم عقولهم ويسيطر على نفوسهم فينظرون إلى أوطانهم بعين الأزدراء ، ولكن أصحاب الحضارة الذين أغروهم بهذه الأكذوبة (الأكذوبة أنه لا نهضة للشرق إلا بتقليد الغرب والتبعية له والانصهار فى بوتقته) كانوا مكررة فهم لم يقدموا لنا [العلم] الذى نصنع به التقدم المادى ، وإنما قدموا لنا [الفلسفة] التى تفسد العقول والقلوب ، غمروا هذا الشرق الإسلامى بالأيديولوجيات والنظريات والتجمل وتركوه يصارعها وتصارعه وينقسم عليها ويضرب بعضها ببعض ، أعادوا الفكر الوثنى القديم : أخوان الصفا والباطنية والحلول والاتحاد وجروا وراء أوامير الفكر الغنوصى والأغريقى .

وكان رجالهم قناطر تنقل شعوم الفكر البشرى ، إلى عالم الإسلام ، ولم

يكن واحد منهم زعيم أو صاحب أيديولوجية ، يمكن أن يضاف إلى قائمة الرواد الحقيقيين .

كان وراء ذلك اساتذتهم اليهود (دوركايم وليفي بريل وماركس وفرويد) ووثنيات دارون وهيجل وسبنسر أوجست كونت وسارتر وكفسكا .

ومن خلفهم الفكر النلودى المصاغ صياغه جديدة فى أسلوب العصر ، واستطاعوا أن يخدعو بعض الناس ثمة ، ولكن أنظر الآن ، تجد أن كل ما تركوه ركاما أسودا وتجد جريرتهم واضحة فأنهم هم الذين خدعوا هذه الأمة حتى أوصلوها إلى مرحلة التصدع وكان للفكر المختلط : المسيحي اليهودى ، الساركسى ، اليونانى ، الرومانى آثاره البعيدة .

فلما أرفعت كلمة الله ودعوة الإسلام التى وجدت الاستجابة الحقيقية لأنها الدعوة الربانية ذات الفطرة والأصالة والمجددة لروح هذه الأمة ووجدانها وضيقها الخفقانى ، وأحسوا أنهم يسبحون ضد التيار بدأوا فى حملات المكر والتشويه ، ولما وجدوا أن الدعوة الإسلامية تغلبهم حملوا عليها وهاجموها وحاولوا أن يقتحموا نفس المجال بالكتابة عن الإسلام والسيرة ولهم دعوة عريضة إلى النهضة ، تريد أن تخطأ الإسلام بالوثنيات الغربية تحت اسم الأصالة والمعاصرة ، حاولوا أن يوجدوا بديلا تحمله أقلام لامعة لما شهرتها وصحف دائمة ، وموفات بارعة ، ليكون ذلك (البديل) عاملا فى ضرب (الأصيل) والقضاء عليه .

هذه البدائل تتعطل فى كتابات التاريخ الإسلامى لطف حسين وهيكى والمقاد وتوفيق الحكيم : ذلك أن هذه الكتابات مهما أدت من دور مرحلى فأنها لم تكن خالصة لوجه العلم وحده ، ولكنها كانت تستجيب لاهواء دفعت الأقلام إليها .

كانوا يحاولون ضرب الشيوعية الزاحفة .

كانوا يحاولون بها ضرب مفهوم الإسلام الصحيح الجامع .

كانوا يحاولون بها أنكار المعجزات وفرض مفهوم علمانى يشكر الغيبيات ثم حاولوا بها بعد ذلك على امتداد تطورها على أيدي عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عباس صالح وحسين أحمد أمين تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً مادياً .

ولقد أقام العقاد كتاباته الإسلامية على (التصور الفلسفى) وأقام طه حسين كتاباته الإسلامية على (التصور المادى) كذلك فقد كان أسلوب العقاد المستمد من علم النفس فى مقابل أسلوب طه حسين المستمد من علم الاجتماع وكلاهما قنطره بعيدة عن الاصاله .

وليس كلاهما هو مفهوم الاسلام ، وتأثرت العبقريات بمذهب غربى فى تحليل الشخصيات وتأثرت (القنسة الكبرى لطله حسين) بمذهب الفسفر المادى للتارىخ .

لقد كانوا يحجبون روائع التراث الإسلامى والتارىخ الإسلامى وراء فكرة الانقطاع الى افاموها فاصلا بين الحاضر والماضى فلما بدأ التراث الإسلامى يشرق ويكشف عن جوهرة الاصيل زيفوه بكتابات طه حسين عن الفتنة الكبرى وهامش السيرة ثم جاءت المرحلة التالية على أيدي الماركسيين الذين اعتبروا أن طه حسين رائد لهم الذى فتح لهم الطريق وازال من أمامهم العقبات (كما فتح الطريق أمام الحوار المسيحى الإسلامى) .

ثم جاء زكى نجيب محمود ليكتب الصفحات المظلمة من تاريخ الوثنية الى تجديد بعد الاسلام تحت اسم أخوان الصوفى المعتزلة والباطنية والفكر الفلسفى والفكر الصوفى الفلسفى ، والقرامطة الذين سرقوا الحجر الأسود وروعوا حجاج بيت الله الحرام بأعتبار أن هذا هو التراث الإسلامى الذى يجب تجديده ، لقد جددوا التراث بالفعل ولكنهم جددوا التراث الزائف المسموم وحجبوا التراث الحقيقى .

وتعود مرة أخرى الى المقوله الصادقة للدكتور محمد محمد حسين : أن الاسلام نظرية فى السلوك يمثل ما أنه نظرية فى المعرفة ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامى أو أدب إسلامى من مفكر أو أديب لا يمارس الاسلام ولا يلتزم به ، ومعروف أن هؤلاء جميعا لم يكونوا ممارسين للاسلام فى صولها الاصيله .

الفصل الحادي والعشرون

الدكتور ابراهيم بيومي مذكور

تصور زائف لحركة اليقظة الإسلامية

هل كان لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين من تلاميذ الشيخ محمد عبده

هل كان محمد عبده هو قمة اليقظة أو مرحلة من مراحلها

هناك محاولة جديدة لاتهام حركة اليقظة الإسلامية التي تعصى اليوم على مفهوم الإسلام الأصيل ، الذي يستمد وجهته من المناهج الصحيحة : القرآن الكريم والسنة المطهرة بأن هذه الحركة قد خرجت عن الخط الذي رسمه لها الشيخ محمد عبده والذي يدعى بأن لطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين قد ساروا فيه ، وتخلف عنه الذين نقلوا اليقظة الإسلامية من مرحلة الفكرة إلى مرحلة الدعوة ، وهي دعوى ، مبطلّة تماماً لأن المستقرى لتاريخ اليقظة الإسلامية منذ ظهور دعوة التوحيد التي دعا بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ودعا بها كثير من تلاميذ فكر التوحيد الخالص الذي قدمه ابن يمينه وابن القيم واتباعها يؤمن بأن الأمة الإسلامية كانت قادرة على الانبعاث من من داخلها عندما تنحرف بها الطريق أو تتجمد الخطوات ، ولا ريب أن هناك مرحلة غلبت فيها جبرية الصوفية على المفاهيم الإسلامية بعد أن مرت مرحلة الجهاد في مقاومة حملات الصليبيين والتتار وتوقف المسلمين عن فتح باب الاجتهاد خوفاً من دخول الفسك الوافد وحرصاً على سلامة مفاهيم الإسلام ، وقد كسر هذا الجلود انطلاقة المصلحين الاسلاميين أمثال محمد عبد الوهاب والشوكاني وخطيب مسجد المؤيد في القاهرة بالدعوة إلى التوحيد الخالص .

ومنذ ذلك الوقت سارت حركة اليقظة الإسلامية في طريقها مرحلة بعد مرحلة فسرعان ما دخلت مرحلة الجهاد بالسيف في مواجهتهم الغاصب (عبد القادر الجزائري في الجزائر ومحمد أحمد المهدي في السودان ، وعبد الكريم الخطاطي في المغرب ، وأحمد بن عرفان في الهند الخ)

ثم انتقلت حركة اليقظة الإسلامية إلى مقاومة حملات الهجوم على الإسلام التي بدأها التبشير والاستشراق وهي المرحلة التي قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد

عبده وهى مرحلة خصبة انتقلت فيها حركة اليقظة الاسلامية إلى منطلقات واسعة في سبيل رسم التصور الاسلامى الصحيح : عقيدة وفكرا ، وكان من أبرز ما قامت به إعادة مفهوم الاسلام إلى منطلقه الاصيل من التوحيد الخالص وتحرير ارادة المسلم والخضوع وكسر قيود الجبرية الصوفية وأنكار الانسحاب من الحياة ودفع المسلم إلى اصلاح المجتمع على حد تعبير جمال الدين الافعالى (فناء الصوفى فى الله وفنائى فى خلق الله) .

✕ غر أن هذه المرحلة لم تصل إلى جوهر المفهوم الاسلامى الاصيل بل شابهها بعض القصور ، لأنها صدرت من منطلق مفاهيم المعتزلة ، وعلواء الكلام فضت بها ثمة وكان لاهتمامها باعلاء العقل على النقل ، وأعتادها على المنطق ، وهذه مرحلة طبيعية لا بد أن تظهر بعد مرحلة الجبرية الصوفية وكان فى مواجهة العاملين فى هذه المرحلة إحساس واضح بالخللات المثارة على الاسلام من المستشرقين وكتاب الغرب فكان لا بد للدعاة أن يتحدثوا عن الاسلام بنيتة وقدرته على الوقوف فى وجه الاتهامات بأنه يكبر من شأن الغيب والمعجزة والخوارق فكانت تفسيرات الشيخ محمد عبده التى أرادت أن تدفع عن الاسلام اتهام المستشرقين على النحو الذى ظهر فى أنكار شق الصدر وأعتبار الإسراء بالروح ، والقول بأن الطير الابايل هى الوباء إلى غير ذلك مما مضى فيها بعض خلفاء الشيخ محمد عبده مما سعى بالمدرسة العصرية فى الاسلام على النحو الذى كتب به فريد وجدى ومحمد حسين هيكل والمرافعى .

هنالك كان لا بد لحركة اليقظة الاسلامية أن تصحيح نفسها وأن تدخل مدرسة التفسير القرآنى للاسلام وأن تتحرر تماما من أسلوب الاعتزال والتأويل ، كذلك فقد خرجت حركة اليقظة الاسلامية من « الفكرة » إلى « الدعوة » حيث بدأت تربي جيلا جديدا تربية إسلامية على النحو الذى فعله النبى ﷺ فى مكة قبل الهجرة ، ومن ناحية ثالثة فقد استهلكت اليقظة مفهومها الصحيح للاسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع ، وأعلنت لأول مرة وقوفها فى وجه الحضارة الغربية وأساليب الغزو الثقافى والتغريب وإعادة الفكر الإسلامى إلى مجرى الأصالة والمنابع ، وتحريره من التبعية والأذابة التى جرت خطة العمل بها عن

طريق الصحافة والجامعة وقبول مفاهيم المستشرقين الذين جاءت بهم الجامعة ليسيطروا على علوم الفلسفة والنفس والاجتماع والاقتصاد والأدب ومن ثم فرضوا مناهجهم الغربية عليها وأصبح الفكر الإسلامى محجوباً تماماً عن أهله .

هذا هو الخط الذى سارت فيه حركة البقطة وهو خط طبعى وتصورى صحيح ، وانتقال من المرحلة التى قام بها جمال الدين ومحمد عبده ووشيد رضا إلى المرحلة التالية تماماً فهل يمكن أن يوصف هذا بأنه تراجع ، أو انحدار أو تحول عن الطريق الصحيح ، لقد بدأت الحركة الإسلامية طريقها واستعلنت ثم مضت فى نفس الوقت تبنى جيلاً جديداً على مفاهيمها .

أما جماعة المجددين الذين ادعوا كذباً وضلالاً أنهم تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده أمثال لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين وغيرهم فهؤلاء هم الذين خانوا أمانة البقطة الإسلامية ، أو أمانة حركة الإصلاح ، بانحرافهم إلى التبعية وقبولهم مفاهيم الغرب وأنزلواهم إلى خدمة أهداف التغريب .

لقد أصبحت هذه المجموعة السائرة فى فلك النفوذ الغربى والقابلة لفكرة التأويل والعمل لتحقيق أهداف الحاكمين سواء فى قبول الربا والقتوى به ، أو صنع القانون المدنى استمداً من القانون الوضعى حيث لا يذكر فيه التشريع الإسلامى إلا فى المرحلة الثالثة حيث لا يوجد نص غربى أو عرف أقليمى ، وكذلك الفتوى بالتأمين وشهادات الاستثمار .

كذلك فقد تكشف انحراف المجموعة التى عمات فى ميدان كتابة التاريخ الإسلامى والسيرة : هيكى والعقاد وطه حسين وأحمد أمين وغيرهم .

ولولا بقطة حركة البقطة الإسلامية لذلك كله لما أنكشف أمره ولمضى التغريب بأيدى علماء لهم أسماء إسلاميه .

لقد نعى الدكتور إبراهيم ييومي مذكور على حركة البقطة أنفلاتها ووصفها بأنها نكسه تهدم ولا تبنى ، لأنها وقفت أمام ذلك الخط الذى رسمه النفوذ الأجنبى واستخدم له الدين قسموا كذباً بخلفاء الشيخ محمد عبده من أمثال لطفى السيد

فاسم أمين وطه حسين ، ومن بعدهم كل الذين حاولوا التأويل لخدمه الربا وتحرير المرأة وتبرير القانون الوضعي .

أن الدكتور إبراهيم بيومي مذكور يرى في ارتباط الدين بالسياسة خطأ وضلالاً ويتابعه في هذا كل أعداء حركة اليقظة الإسلامية ، الذين يرون لإنزواء مدرسة تجديد الفكر الديني ، هذه المدرسة التي كان يطمع النفوذ الغربي بأن تحقق أهدافه من خلال مجموعة من علماء الاسلام يفتون باباحة الربا ، وبتحرير المرأة ، والقانون المدني وبالتبعية للفكر الغربي ، والذين لا يقفون أى موقف بالنسبة بفساد المجتمعات وانهارها ولا يطالبون بتطبيق الحدود الاسلامية لانها تتناقى مع المدنية .

ومن العجيب أن ترى رجلاً مثل الدكتور إبراهيم بيومي مذكور يحاول أن يورخ للحياة الفكرية على هذا النحو المضطرب الزائف ونراه يدافع عن انحدار المرأة في المجتمعات تحت اسم تحريرها ويقول : لارجعة في هذا المضمار بحال ، ولن تنزل المرأة عن حق اكتسبته وهى جادة في كسب حقوق أخرى ، لعلك تدعش ياسيدى الدكتور بأن المرأة قبلت بأرادتها العودة إلى الله والعودة إلى بيتها وعرفت أن مثل دعوتكم هذه ضالة مستقاة من بر وتولات حكام ، صهيون .

نحن نؤمن بأن حركة اليقظة قد تطورت تطوراً طبعياً وأن عمده عبده وقتاواه وأفكاره من هذه المراحل جاءت بعدها مرحلة أخرى أكثر صلة بالقرآن والأصول الأصيلة للإسلام بعيداً عن التبريرات التي كان يدافع بها المسلمون عن أنفسهم أزاء الفزاه .

أما لطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين ومن برروا الربا والقانون المدني فهم خارجون عن هذه الحركة ودخلاء عليها وأن دعواهم في الإصلاح الاسلامي كاذبه وأشدهم كذباً مؤرخ هذه الحركة الدكتور إبراهيم بيومي مذكور .

العمالقة والقمم الشوامخ الحقيقية

جمال الدين الأفغاني	عبد العزيز الثعالبي	حسن البنا	مصطفى السباعي
أحمد السكندري	علال القاسمي	فريد وجدي	محمد فريد
أحمد تيمور	الفاضل بن عاشور	محمد عبد الله دراز	محمد عبدة
أحمد زكي باشا	بهجت الأثري	محمد أبو زهره	المنفلوطي
أحمد كمال الأثري	مالك بن نبي	محمد عبد الله العربي	مصطفى صادق الرافعي
أمين سامي	محمد جميل بيهم	رشيد رضا	أحمد حسن الزيات
أمين الرافعي	محمد عزه دروزه	رفيق العظم	أبو الفضل إبراهيم
البشير الأبراهيمي	محمد أقبال	شيلي التهامي	أحمد حسين
حسين الهراري	مصطفى صبري	شكيب أرسلان	دكتور زكي علي
حضي ناصف	محمود شيت خطاب	ظاهر الجزائري	عمر فروخ
عبد الرحمن المكواكي	عبد الدين الخطيب	طنطاوي جوهري	قذافي طارقان
عبد السلام ذهني	مصطفى السباعي	عبد الحميد بن باديس	د. محمد صبري
عبد العزيز جاويش	محمد المبارك	عبد الرحمن الرافعي	محمد محمد حسين
عبد الوهاب النجار	محمد أحمد الغمراوي	عبد العزيز الثعالبي	عبد القادر عودة
علي بهجت	المراغي	علي يوسف	محمد بن علي السنوسي
أبو الحسن الندوي	محمد مسعود	محمد عبد الوهاب	محمد العربي العلوي
المودودي			

(تناولنا دراسة هذه الشخصيات في موسوعتنا - أعلام القرن الرابع عشر الهجري)

خاتمة

هناك عدة حقائق أساسية لا بد من الالتفات إليها عن مواجهة المفاهيم الوافدة التي قدمتها مدرسة التبعية والغزو الفكري :

الحقيقة الأولى : هي أن لكل أمة مزاجها النفسي وذاتيتها الخاصة القائمة على أسس من عقائدها وقيمها وأدابها ومفاهيمها التي عاشت عليها منذ ألاف السنين وأن هذه الأمة حين تواجه أى قضية من القضايا أو حدث من الأحداث أو موقف من المواقف إنما تستمد استجابتها من هذه المضامين .

الحقيقة الثانية : هي أن العرب والمسلمين لهم أيولوجيه أساسية هي في محلي النظرة إلى الكون والحياة والله (نبارك وتعالى) والإنسان والمجتمع ، هذه النظرة متميزة أساسا من القرآن الكريم ومن تطبيق بنى الاسلام ورسوله في حياته في حياته ومن منطلق واضح يحدد قوامه :

١- أن الاسلام هو خاتم الرسالات وجاء امتدادا لها وخاتما ونافذا لها ورسالة إلى الناس كافة في [ليظهره على الدين كله] : (ومهيمننا عليه) (على الكتب السماوية) .

٢- أن القرآن هو النص الموثق الذي لم يصبه أى تحريف : كتاب الله المنزل بالحق الذي أعطى البشرية منهجا كاملا للحياة والمجتمع والأخلاق وعقيدة واضحة قوامها التوحيد .

الحقيقة الثالثة : هي أن الفكر الإسلامى إنما قام أساسا على القرآن والسنة الصحيحة وأنه استكمل نهجه قبل أن تنقل مترجمات الفلسفات الشرقية والغربية وأنه في مواجهة هذه الفلسفات ظل قادرا على الاحتفاظ بذاتيته ومقوماته .

الحقيقة الرابعة : هي أن الفكر الإسلامى قد أقام منهجا فكريا مستقلا يختلف اختلافا جذريا عن مختلف مناهج الأمم وفلسفاتها وعقائدها وأنه أقام منهج

المعرفة الاسلامى على أساس عقلى ورجحى مما يجعل للعقل منطلقه فى مجال العلوم
والمحسوسات وجعل للروح منطلقها فى مجال الغيبيات وما وراء الطبيعة وأن الإسلام
أفام منولوجيا خاصة به يختلف عن نظرية اليونان ومناهج الأديان القديمة
وفلسفاتنا .

الحقيقة الخامسة : هى أن هناك مؤامرة دائبة وحرب مستمرة لغزو الفكر
الاسلامى وأخراجه عن قيمة ومناهجه ومحاولات لتدمير مقوماته وأدخال مفاهيم
أخرى للقضاء على استقلاليتته وذاتيته وإذابته فى الأمية العالمية .

الحقيقة السادسة : هى أن هناك حربا تشنها القوى الاستعمارية والاتحادية
والصهيونية على مقومات الفكر الاسلامى بأعتباره آخر الحصون التى تثبت للمقاومة
فى وجه الغزو السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

الحقيقة السابعة : هى أن الاستعمار حين سيطر على العالم الاسلامى إنما كان
يستهدف تفريغ الذات الإسلامية من مقوماتها النفسية والروحية والاجتماعية
المنبثقة عن الإسلام .

الحقيقة الثامنة : هى أن أهم ما يجب أن تعرفه أن هناك نظريتين فى مختلف
مجالات النفس والعقائد والاجتماع .

● نظرية عربية إسلامية أصيلة مستمدة من قيمنا وتمدننا وهما ذاتيتنا وهما زاجنا
النفسى وقائمة على طرايعنا الجامعة بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا
والآخرة .

● نظرية غربية قامت فى بلادها واستمدت مقوماتها من قيم فكرها ووجودها
الاجتماعى أو النفسى الخالص .

الحقيقة التاسعة : هى أن الفكر الاسلامى يرفض النظريات الوافدة فى مجال
النفس والاجتماع والثقافة ولكنه يقبلها فى مجال العلوم والحضارة ذلك لأسباب

عميقة بعيدة المدى : أهمها قيام المجتمعات العربية والإسلامية أساساً على الترابط والوحدة وقيام مناهجها على أساس أخلاق ديني وكون الإسلام دين ومنهج حياة وكون نظرية المعرفة الإسلامية ذات جناحين : مادي وروحي ، عقلي ووجداني بينما تصدر هذه النظريات في دائرة الغرب في مواجهة تحديات مجتمعاتها .

الحقيقة العاشرة : هي أن استجابة المجتمعات الإسلامية لهذه النظميات الرافدة ليست استجابة أصيلة وإنما هي تحدث تحت تأثير أغراء البريق وعقدة النقص وتقليد الغالب وفي ظل الفجوة المادية من نقص المعرفة الأصيلة بمناهج تفكيرنا ومقوماته .

هذا وبالله التوفيق ؟

أعذرننا إلى هذا الكتاب مادة كتابنا : (شخصيات اختلف فيها الرأي)

افاق البحث

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٣	(٣) سعد واللغة العربية	٣	مدخل إلى البحث
١٢٨	(٤) مواقف سعد	٦	(٢) تقيم محصول جعل الرواد
١٣٣	قاسم أمين	(٣) إعادته تقيم ما كتبه الحيل الرائدة	
١٤٤	المرأة المسلمة وتحرير المرأة	(٤) محاولة تغير الهوية والانتماء	١٩
١٤٩	ساطع الحصري	(٥) سقوط المسلمات الباطلة	٢٨
١٥٧	الفارق بين السكتة الاسلام والقومية	(٦) رواد الاصلقة ورواد التبعية	٢٩
١٦١	سلامه موسى	الباب الاول :	
١٧٢	دارون ونظرية التطور	٣٣	جبل العماقة والقعم الشوامخ
١٨٥	زكي نجيب محمود	٣٤	لطفي السيد
٢٠٣	توفيق الحكيم	٤١	(٢) الحملة على الفصحى
٢١٩	عبد الرحمن الشرفاري	(٣) سياسة الجريدة	٤٥
٢٢٦	كتاب محمد رسول الحرية	(٤) ترجمة أرسطو	٤٩
٢٤١	مصرية الحسين شهيدا	مراجعة عامة	٥٦
٢٤٥	حول الامام علي	جرجي زيدان	٥٩
	أخطاء الشرفاري في السيرة	(١) تاريخ آداب اللغة	٦١
٢٥٠	والتاريخ	(٢) تاريخ التمدن الاسلامي	٦٩
٢٥٣	محمد التايبي	(٢) روايات جرجي زيدان	٧٧
٢٦١	لويس عوض	أحمد أمين : (فجر الاسلام)	٨٥
٢٦٩	التشكيك في القرآن	عليه عبد الرازق : (الاسلام	
٢٧١	الهجوم على لغة القرآن	وأصول الحكم)	٩٥
٢٨٣	مدحت وانا تورك	سعد زغلول	١٠٥
٢٩٤	خاتمة	(٢) رأس المدرسة الحزبية	١١٣

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٠٠	حسين وجيله	٣٠٥	سارتر (بن عبد الرحمن بدرى)
٤٠٢	الفصل العشرون :	٣١٥	وأليس منصور
	محاولات مضللة لتزييف	٣٦٥	طه حسين
	تاريخ الفكر الإسلامى		الفصل الثامن عشر :
	(٢) وسقطت مدرسة التبعية		تحفظات على الكتابات
٤١٠	للفكر الواحد		العصرية للسيرة النبوية
	الفصل الحادى والعشرون :	٣٩٢	(٢) الحملة على نوابغ الإسلام
	الدكتور إبراهيم يسوى	٣٩٥	الفصل التاسع عشر :
٤١٣	مذكور		اخطاء منهج اقدم الشوامخ
٤١٩	العماقة والقمم الشوامخ الحقيقية		وجيل العماقة
٤٢٠	خاتمة		(٢) عريضة اتهام عنيفة ضد طه

رقم الإيداع ٨٥/٣٧٨٢

مطبعة أسامة

إسكندرية الفرعية ٦ شارع الشيخ

معيش - شفرى من شارع القديس